

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة آل البيت

كلية الدراسات الفقهية والقانونية

قسم أصول الدين

رسالة ماجستير بعنوان:

عقائد اليهود والنصارى في القرآن الكريم وعلاقتها بكتبهم المقدسة
"دراسة تحليلية مقارنة"

*The Jews and Christians faith in the Qur'an and its connection
with their Holy Books "Comparative, analytic study"*

إعداد الطالبة،

صفاء أسامة محمد زكي

الرقم الجامعي: ٠٥٢٠١٠٥٠٠٢

بإشراف الدكتور،

محمد عبد الحميد الخطيب

٢٠٠٩/١٠/٢٠ م

١٤٢٥
٢٠٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة آل البيت

كلية الدراسات الفقهية والقانونية

قسم أصول الدين

عقائد اليهود والنصارى في القرآن الكريم وعلاقتها بكتبهم المقدسة

"دراسة تحليلية مقارنة"

The Jews and Christians' faith in the Qur'an and its connection with their Holy Books "Comparative, analytic study"

إعداد الطالبة،

صفاء أسامة محمد زكي

الرقم الجامعي: ٠٥٢٠١٠٥٠٠٢

بإشراف الدكتور،

محمد عبد الحميد الخطيب

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

.....	د. محمد عبد الحميد الخطيب (مشرقا)
.....	أ.د. محمد أحمد الخطيب (عضوا)
.....	أ.د. محمد علي الزغول (عضوا)
.....	د. عامر الحافي (عضوا)

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في "العقيدة والأديان" من كلية

الدراسات الفقهية والقانونية / قسم أصول الدين في جامعة آل البيت.

ونوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ: ١٩/١٠/٢٠١٠م.

بسم الله الرحمن الرحيم



إلى والدي الحبيين أupal الله في عمرهما اللذين غمراني برعايتهما لي دائماً ...

إلى زوجي الحبيب أبي الزهراء الذي كان محفزاً لي ومشجعاً وحريصاً على مواصلة دراستي، ولم يتوان ولو للحظة عن الدعم المادي والمعنوي والتشجيع المستمر لي على التفوق والتميز فكان وما زال كالنور الذي بضئ لي الطريق ...

إلى طفلي فاطمة الزهراء التي أسأل الله أن تكون من حفظة القرآن الكريم ...

إلى أشقائي وشقيعاتي الذين ينظرون إلي بعين القنوة والأمل أسأل الله أن أكون عند حسن ظنهم ...

إلى كل من علمني حرفاً منذ طفولتي إلى امرحلة التي وصلت إليها ...

.. إلى كل من مثلي نفسه شغفاً إلى طلب العلم ...

إلى كل من ساعد في إخراج هذه الرسالة ...

إلى كل هؤلاء أهدي عملي المتواضع هذا ...

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النحل: ٤٠].

يا رب لك الحمد والشكر ملء السماوات والأرض، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك الكريم وعظيم سلطانك ... أحمداً ربي واستغفرك وأتوب إليك، وأشكرك ولا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك...

وأصلي وأسلم على رسول الله ﷺ، النعمة المسداة، والرحمة المهداة والسراج المنير القائل في الحديث الشريف: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله ﷻ"^(١).

لذا أرى لزاماً عليّ أن اعترف بالفضل لمن هو أهله، وأن أشكر كل من ساعدني في هذه الرسالة مع عجز لساني عن التعبير بكلمات الشكر لهم ...

فأتقدم بالشكر الجزيل وخالص التقدير إلى فضيلة الدكتور محمد عبد الحميد الخطيب على توجيهي وإرشادي إلى أن من الله عليّ بإتمام هذه الرسالة والشكر موصول إلى فضيلة الدكتور زياد الدغامين الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة ولكن ظروف سفره حالت دون ذلك.

وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى زوجي فضيلة الدكتور بهجت الحباشنة الذي وجهني لاختيار موضوع هذه الرسالة وتعاونته معي في إعداد خطة هذه الرسالة وإقامة هيكلها، ولم يبخل عليّ بنصحه وإرشاده وتوجيهه رغم مشاغله فجزاه الله عني خير الجزاء، وأعلم أن هذه الكلمات لا توفيّه حقه لكنني أعلم أن أجره عند الله عظيم...

كما أقدم خالص شكري وتقديري لأعضاء لجنة المناقشة من علمائنا الأفاضل، لما تحملوه من أعباء مراجعة الرسالة، وإثرائها بملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيمة، والشكر موصول إلى جامعة آل البيت وإلى كل من علمني حرفاً سواءً في مرحلة البكالوريوس أو الماجستير فجزاهم الله عني خير الجزاء والشكر موصول كذلك إلى كل من ساعدني لإنجاز هذا العمل.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلبة العلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



(١) مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٢٥٨. وسنن الترمذي، حديث رقم (١٩٥٤). وقال: حديث حسن صحيح، ج ٢، ص ١٧.

ص	المحتوى
أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
ج	دليل المحتويات
ز	ملخص الرسالة باللغة العربية
١	المقدمة
٥	الفصل الأول: التعريف بمصطلحات البحث
٦	المبحث الأول: التعريف بكلمة عقائد
٦	المطلب الأول: العقيدة لغة
٧	المطلب الثاني: العقيدة اصطلاحاً
٨	المبحث الثاني: تعريف اليهود
٨	المطلب الأول: اليهود لغة
٨	المطلب الثاني: اليهود اصطلاحاً
١٢	المطلب الثالث: اليهود في السياق القرآني
١٨	المطلب الرابع: بنو إسرائيل
٢٠	المطلب الخامس: بنو إسرائيل في السياق القرآني
٢٦	المطلب السادس: تعلق اليهود بمسمى بني إسرائيل
٣١	المبحث الثالث: تعريف النصارى
٣١	المطلب الأول: النصارى لغة
٣٢	المطلب الثاني: النصارى اصطلاحاً
٣٦	المطلب الثالث: تعلق اليهود والنصارى بمسمى أهل الكتاب
٤٢	المبحث الرابع: الإسلام دين الأنبياء جميعاً
٤٢	المطلب الأول: تعريف الإسلام لغة واصطلاحاً
٤٣	المطلب الثاني: تعريف الدين لغة واصطلاحاً
٤٨	المطلب الثالث: الإسلام دين الأنبياء جميعاً -عليهم الصلاة والسلام-؟
٦٣	المبحث الخامس: المصادر المقدسة عند اليهود والنصارى
٦٣	المطلب الأول: المصادر الدينية المقدسة عند اليهود

٦٩	المطلب الثاني: المصادر الدينية المقدسة عند النصارى
٧٤	الفصل الثاني: عقائد اليهود في القرآن الكريم وعلاقتها بكتبهم المقدسة
٧٤	المبحث الأول: عقائد اليهود في القرآن الكريم المتعلقة بالألوهية وعلاقتها بكتبهم المقدسة
٨٠	المطلب الأول: اليهود وعبادة العجل في السياق القرآني والمصادر اليهودية
	المطلب الثاني: عقيدة اليهود أنهم شعب الله المختار من خلال الفهم الخاطئ لقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في السياق القرآني والمصادر اليهودية
٨٧	المطلب الثالث: عقيدة اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه في السياق القرآني والمصادر اليهودية
٩١	المطلب الرابع: إساءة اليهود للذات الإلهية من خلال قولهم "يد الله مغلولة" وقولهم "أن الله فقير ونحن أغنياء" في السياق القرآني والمصادر اليهودية
٩٤	المطلب الخامس: عقيدة اليهود في السبت في السياق القرآني والمصادر اليهودية
٩٩	المطلب السادس: تكفير اليهود غيرهم واعتبار أن دينهم هو الدين الحق في السياق القرآني والمصادر اليهودية
١٠٢	المطلب السابع: زعم اليهود أن العزيز ابن الله في السياق القرآني والمصادر اليهودية
١٠٤	المطلب الثامن: اتخاذ اليهود أحبارهم أرباباً من دون الله في السياق القرآني والمصادر اليهودية
١١١	المبحث الثاني: عقائد اليهود في القرآن الكريم المتعلقة بالنبوات وعلاقتها بكتبهم المقدسة
١١٤	المطلب الأول: عقيدة قتل اليهود في الأنبياء في السياق القرآني والمصادر اليهودية
١٢٦	المطلب الثاني: عقيدة اليهود في إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط في السياق القرآني والمصادر اليهودية
١٣٥	المطلب الثالث: الذبيح في السياق القرآني والمصادر اليهودية
	المطلب الرابع: طالوت وجالوت في السياق القرآني والمصادر اليهودية
١٤١	المطلب الخامس: داود عليه السلام في السياق القرآني والمصادر اليهودية
١٥١	المطلب السادس: إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام في السياق القرآني والمصادر اليهودية
١٥٧	المطلب السابع: عقيدة اليهود في مريم عليها السلام - في السياق القرآني والمصادر اليهودية
١٦٢	المطلب الثامن: عقيدة اليهود في عيسى عليه السلام - في السياق القرآني والمصادر اليهودية

- المطلب الثامن: عقيدة اليهود في عيسى عليه السلام في السياق القرآني والمصادر اليهودية..... ١٦٥
- المطلب التاسع: عقيدة اليهود في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في السياق القرآني والمصادر اليهودية..... ١٧٢
- المطلب العاشر: عقيدة اليهود في جبريل عليه السلام في السياق القرآني والمصادر اليهودية..... ١٧٨
- المبحث الثالث: عقائد اليهود في القرآن الكريم المتعلقة بالسمعيات وعلاقتها بكتبهم المقدسة..... ١٨٢
- المطلب الأول: زعم اليهود أنهم لا يعذبون في النار إلا أياماً معدودة في السياق القرآني والمصادر اليهودية..... ١٨٩
- المطلب الثاني: زعم اليهود قصر الجنة عليهم في السياق القرآني والمصادر اليهودية..... ١٩٢
- المطلب الثالث: عدم إيمان اليهود بالله، ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق في السياق القرآني والمصادر اليهودية..... ١٩٤
- الفصل الثالث: عقائد النصارى في القرآن الكريم وعلاقتها بكتبهم المقدسة..... ١٩٧
- المبحث الأول: عقائد النصارى في القرآن الكريم المتعلقة بالألوهية وعلاقتها بكتبهم المقدسة..... ١٩٧
- المطلب الأول: عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام أنه ابن الله في السياق القرآني والعهد الجديد..... ١٩٩
- المطلب الثاني: عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام أنه إله في السياق القرآني والعهد الجديد..... ٢٠٧
- المطلب الثالث: عقيدة النصارى في مريم -عليها السلام- في السياق القرآني والعهد الجديد..... ٢١٥
- المطلب الرابع: عقيدة التثليث عند النصارى في السياق القرآني والعهد الجديد..... ٢١٨
- المطلب الخامس: حقيقة الروح القدس في السياق القرآني والعهد الجديد..... ٢٣٣
- المطلب السادس: معجزات عيسى عليه السلام في السياق القرآني والعهد الجديد..... ٢٣٩
- المطلب السابع: عقيدة صلب المسيح عند النصارى في السياق القرآني والصلب والفداء في العهد الجديد..... ٢٤٦
- المطلب الثامن: عقيدة رفع عيسى عليه السلام في السياق القرآني وقيام عيسى عليه السلام بعد الصلب ورفع في العهد الجديد..... ٢٥٣
- المطلب التاسع: اتخاذ النصارى الرهبان أرباباً من دون الله في السياق القرآني والعهد الجديد..... ٢٦٠
- المبحث الثاني: عقائد النصارى في القرآن الكريم المتعلقة بالنبوات وعلاقتها بكتبهم المقدسة..... ٢٦٥
- المبحث الثالث: عقائد النصارى في القرآن الكريم المتعلقة بالسمعيات وعلاقتها بكتبهم المقدسة..... ٢٧٥
- الفصل الرابع: منهج القرآن الكريم في تصحيح عقائد أهل الكتاب "اليهود والنصارى"..... ٢٨٥
- المبحث الأول: المنهج العقلي..... ٢٨٦

٢٨٦	المطلب الأول: تعريف المنهج لغةً واصطلاحاً.....
٢٨٧	المطلب الثاني: المقصود من المنهج العقلي في القرآن الكريم.....
٢٨٨	المطلب الثالث: استخدام القرآن الكريم للمنهج العقلي في تصحيح عقائد أهل الكتاب.
٢٩٨	المبحث الثاني: المنهج الحوارى.....
٢٩٨	المطلب الأول: تعريف الحوار لغةً واصطلاحاً.....
٢٩٩	المطلب الثاني: تعريف الجدل (الجدال) لغةً واصطلاحاً.....
	المطلب الثالث: استخدام القرآن الكريم للمنهج الحوارى في تصحيح عقائد أهل الكتاب.....
٣٠١	المبحث الثالث: منهج الترغيب والترهيب.....
٣١٣	المطلب الأول: تعريف الترغيب لغةً واصطلاحاً.....
٣١٤	المطلب الثاني: تعريف الترهيب لغةً واصطلاحاً.....
	المطلب الثالث: استخدام القرآن الكريم لمنهج الترغيب والترهيب في تصحيح عقائد أهل الكتاب.....
٣١٦	الخاتمة.....
٣٢٩	المصادر والمراجع.....
٣٣٢	الملخص باللغة الإنجليزية.....
٣٤٧	

ملخص الرسالة

تتناول هذه الرسالة موضوع عقائد اليهود والنصارى التي ذكرت في القرآن الكريم وما مدى علاقتها بكتبهم المقدسة التي بين أيديهم، فقامت هذه الدراسة على مناهج الاستقراء التحليل والمقارنة للنصوص الدينية المعنية.

واشتمل البحث في مجمله على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تضمنت المقدمة مسوغات اختيار الموضوع، وإشكالية الدراسة، وحدود الدراسة، ومشكلة الدراسة، ومنهجية الكتابة فيه. أما الفصل الأول، فقد تضمن تعريفاً بالمصطلحات الخاصة بالبحث، وبياناً للمصادر المقدسة عند اليهود والنصارى.

أما الفصل الثاني، فقد تضمن عقائد اليهود في القرآن الكريم المتعلقة بالأنبياء والنبوءات، وبالسمعيات التي ذكرت في القرآن الكريم وبيان مدى علاقتها بكتبهم المقدسة.

أما الفصل الثالث، فقد تضمن عقائد النصارى في القرآن الكريم المتعلقة بالأنبياء، وبالنبوءات، وبالسمعيات التي ذكرت في القرآن الكريم وبيان مدى علاقتها بكتبهم المقدسة.

أما الفصل الرابع، فقد تضمن بياناً لمنهج القرآن الكريم في تصحيح عقائد اليهود والنصارى، واقتصر على ثلاثة مناهج، المنهج العقلي، والمنهج الحوارى، ومنهج الترغيب والترهيب.

وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج هامة أضافت جديداً للمعرفة، كان أهمها أن جميع ما ذكر في القرآن الكريم من عقائد اليهود والنصارى، قد وجدت في كتبهم، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

أسأل الله أن يجعله عملاً متقبلاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلبة العلم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

جاء الإسلام لينقذ العقل الإنساني من مهاوي الضلالة، وغياهب الظلام، ديناً فيه صلاح النفوس وراحة القلوب وانتظام العالم، وذلك ببيان الأصول الاعتقادية، والمبادئ الأخلاقية، والأحكام العملية، وبذلك يكون الإسلام قد شمل جميع مناحي الحياة الدنيوية والأخروية، وهذا مصداقاً لقوله تعالى في رسوله الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فإله ﷺ أرسل نبيه محمد ﷺ على فترة من الرسل وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويهدي إلى صراط المستقيم صراط الله الذي له ملك السماوات والأرض، شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء قبله ﷺ، فكان الناس من ذلك فريقين مؤمن وكافر، فأما المؤمنون فهم فرقة واحدة على سبيل الحق، يهتدون بنور الله ويحتكمون إلى شرعه فطريقهم نور على نور، وأما الكافرون فهم على سبل متشعبة متفرقة، يجمعهم الكفر وتفرقهم الطريقة والنهج، فمنهم الملحد الذي يتعالمى عن ربه، ويتخبط في الدنيا على غير هدى من شرع إلهي، ومنهم الوثني الذي ضل عن ربه فعبد ما لا يغني ولا يسمن من جوع، ومنهم اليهودي الذي أضله الله على علم وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة، تمرغ بالباطل وجابه ربه بكل خلق رذيل وطبع مشين، فاستحق غضب الله ولعنته، وما ظلمهم الله، ولكن أنفسهم كانوا يظلمون، ومنهم النصراني، الذي قال في الله قولاً عظيماً، يضاهي بذلك قول الذين كفروا من قبل وضلوا عن سواء السبيل والقرآن الكريم سجل افتراءاتهم وضلالاتهم تلك التي تتبع لديهم من منطلق عقدي زينه لهم الشيطان فأضلهم عن سواء السبيل، لذلك أردت من خلال دراستي هذه أن أبين ما ذكره القرآن الكريم من عقائد لليهود والنصارى ومن ثم بيان مدى علاقتها بكتبهم المقدسة، وقد كان لاختياري هذا الموضوع الموسوم بـ "عقائد اليهود والنصارى في القرآن الكريم وعلاقتها بكتبهم المقدسة دراسة تحليلية مقارنة" مسوغات ودوافع أجملها فيما يلي:

مسوغات اختيار الموضوع:

لاختيار هذا الموضوع عدة مسوغات منها:

- ١- ادعاء كثير من المستشرقين (اليهود والنصارى) أن القرآن الكريم قد ذكر عقائد في اليهودية والنصرانية لا وجود لها عند اليهود والنصارى، وقادهم هذا الكلام إلى القول بجهل سيدنا محمد ﷺ في اليهودية والنصرانية.

- ٢- ادعاء المستشرقين بأن ما وافق أو ما تطابق من عقائد اليهود والنصارى في القرآن الكريم مع ما في العهدين هذا من قبيل تأثر سيدنا محمد ﷺ بالديانتين.
- ٣- لقد ذكر محتوى هذا البحث في كتب كثيرة متعددة ومتناثرة، فأرت من خلال بحثي هذا أن أجمعها في مصنف واحد مع التعليق الأكاديمي والتحليلي لتلك العقائد.
- ٤- نحن نعيش في عصر الثورة المعلوماتية ويسر التعامل والانفتاح بين الثقافات، لذلك فأنا بحاجة أن نتأسى بمنهج القرآن في تصحيح عقائد اليهود والنصارى.

إشكالية الدراسة:

تحدد إشكالية الدراسة في السؤال الرئيس الآتي: ما مدى التطابق بين ما جاء في القرآن الكريم وبين ما جاء في كتبهم المقدسة، والذي يتفرع عنه الأسئلة التالية:

- ١- هل القرآن الكريم وصف لنا عقائد اليهود وصفاً دقيقاً وكاملاً؟
- ٢- هل القرآن الكريم وصف لنا عقائد النصارى وصفاً دقيقاً وكاملاً؟
- ٣- ما ردنا على من يدعي أن القرآن الكريم تحدث عن عقائد لا وجود لها في الديانتين وذلك كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ﴾.
- ٤- كيف نهج القرآن الكريم في عرض وتصحيح عقائد اليهود والنصارى؟
- ما علاقة سيدنا موسى ﷺ باليهودية؟
- ٥- ما علاقة سيدنا عيسى ﷺ بالنصرانية؟
- ٦- ما علاقة اليهود ببني إسرائيل؟
- ٧- ما علاقة العقائد اليهودية والنصرانية التي ذكرت في القرآن الكريم بالكتب المقدسة في الديانتين.

حدود الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على استقراء النصوص الواردة في القرآن الكريم المتعلقة بعقائد اليهود والنصارى ثم القيام بتحليلها وذلك من خلال الرجوع إلى كتب التفسير والعقائد والأديان، ثم بيان علاقة هذه العقائد المذكورة في القرآن بعقائد اليهود والنصارى في العصر الحاضر والمذكورة في كتبهم المقدسة ثم تبين الدراسة مدى تطور عقائد اليهود والنصارى من زمن نزول القرآن إلى يومنا الحاضر والتي تُتيح لنا الإجابة عن بعض الأسئلة الموجودة في كتب المستشرقين أو الادعاءات التي تصف نبينا محمداً ﷺ بوصف لا يليق به كقولهم جهل محمد ﷺ بعقائد اليهود والنصارى، ويضربون بعض الأمثلة

على ذلك، فيقولون أن القرآن قد ذكر من عقائد اليهود أنهم اتخذوا ابنًا لله، وما يتعلق بالنصرانية أن مريم إلهًا وهذا حسب ادعائهم لا يوجد اليوم في كتب الديانتين.

ثم أن هذه الدراسة تسعى إلى وضع معالم الحوار الأكاديمي الصحيح فيما يتعلق بعقائد اليهود والنصارى، لأن أسلوب القرآن هو أنجع الأساليب في الحوار ومخاطبة الغير.

مشكلة الدراسة:

طبيعة هذا البحث يتطلب عددًا كبيرًا من الصفحات كما يتطلب عددًا كبيرًا من المصادر والمراجع في التفسير والعقائد والأديان.

منهج الدراسة:

اتبعت في دراستي هذه المناهج التالية:

أولاً: المنهج الاستقرائي:

حيث قمت باستقراء النصوص الواردة في القرآن الكريم المتعلقة بعقائد اليهود والنصارى ومن ثم تحليلها، واستقراء النصوص الواردة في العهد القديم والتلمود المتعلقة بالعقائد بالنسبة لليهودية، واستقراء النصوص الواردة في العهد القديم والجديد المتعلقة بالعقائد بالنسبة للنصرانية ثم المقارنة بينها وبين ما جاء في القرآن الكريم مع بيان منهج القرآن الكريم في تصحيح عقائدهم.

ثانيًا: المنهج التاريخي:

حيث قمت بمتابعة تطور عقائد اليهود والنصارى عبر التاريخ.

ثالثًا: المنهج النقلي:

حيث قمت بنقل نصوص القرآن الكريم ونصوص العهدين والتلمود ومن ثم تحليلها من أجل الوصول إلى النتائج الأكاديمية.

رابعًا: المنهج الاستنباطي:

قمت من خلال استخدام المنهج الاستقرائي والمنهج العقلي والمنهج التاريخي استخدام المنهج الاستنباطي من أجل الوصول إلى النتائج الأكاديمية.

من خلال هذه المناهج قمت بتحليل النصوص وتركيبها بطريقة موضوعية دقيقة ومنهجية وأكاديمية، حتى أصل إلى الحق في موضوع النتائج بإذن الله -تعالى- وأقدم ما هو جديد للمكتبة الإسلامية.

أدبيات الدراسة:

هنالك دراسات أكاديمية كثيرة تحدثت عن أهل الكتاب من وجهة نظر تفسيرية كتنسير موضوعي للآيات أو دراسة وصفية فقط، ولكنها لم تتطرق لدراسة عقائد اليهود والنصارى كما وردت في القرآن الكريم وتحليلها ومقارنتها بعقائدهم في كتبهم المقدسة. مثل:

- اليهود بين القرآن والتوراة، عبد الرحمن غنيم.
- بنو إسرائيل في القرآن والسنة، سيد طنطاوي.
- بنو إسرائيل في القرآن الكريم، السيد رزق الطويل.
- القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، حسن الباش.
- المسيح بين الإنجيل والقرآن، محمد البرشومي.
- الشخصية اليهودية من خلال القرآن، صلاح الخالدي.

ومثل هذه الدراسات لم تجب عن إشكالية الدراسة التي ذكرتها سابقاً، لذا فهذه الدراسة سوف تجيب عن التساؤلات من خلال المقارنة والتحليل ودراسة عقائد اليهود والنصارى خلال حقبة تاريخية بتسلسل تاريخي من الماضي إلى الحاضر. وكيف أن القرآن الكريم عندما تحدث عن عقائد اليهود والنصارى اشتمل على تطورهم منذ التنزيل إلى قيام الساعة، لأنه خطاب رباني صالح لكل زمان ومكان، فعندما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيْزٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ فقد كان يهود الجزيرة العربية يدينون بذلك. وعندما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كان نصارى العرب يعتقدون بألوهية مريم، وعندما قال تعالى بشأن اليهود: ﴿... لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ فهذه عقيدة باقية في اليهودية إلى يومنا هذا ... الخ.

الفصل الأول

التعريف بمصطلحات البحث

المبحث الأول: التعريف بكلمة عقائد.

المطلب الأول: العقيدة لغة.

المطلب الثاني: العقيدة اصطلاحاً.

المبحث الثاني: تعريف اليهود.

المطلب الأول: اليهود لغة.

المطلب الثاني: اليهود اصطلاحاً.

المطلب الثالث: اليهود في السياق القرآني

المطلب الرابع: بنو إسرائيل.

المطلب الخامس: بنو إسرائيل في السياق القرآني.

المطلب السادس: تعلق اليهود بمسمى بني إسرائيل.

المبحث الثالث: تعريف النصارى.

المطلب الأول: النصارى لغة.

المطلب الثاني: النصارى اصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعلق اليهود والنصارى بمسمى أهل الكتاب.

المبحث الرابع: الإسلام دين الأنبياء جميعاً.

المطلب الأول: تعريف الإسلام لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني: تعريف الدين لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: هل الإسلام دين الأنبياء جميعاً -عليهم الصلاة والسلام-؟.

المبحث الخامس: المصادر المقدسة عند اليهود والنصارى.

المطلب الأول: المصادر الدينية المقدسة عند اليهود.

المطلب الثاني: المصادر الدينية المقدسة عند النصارى.

المبحث الأول التعريف بكلمة عقائد

المطلب الأول: العقيدة لغة:

إن أصل العقد نقيض الحل، عَقَدَهُ يَعْقِدُهُ عَقْدًا وَتَعْقَدًا، وَعَقْدَهُ، وَقَدْ اُنْعَدَ، وَتَعَقَّدَ^(١).

قال ابن فارس: (عقد) العين والقاف والdal أصل واحد يدلُّ على شَذَّ وَشِدَّةٍ وَثُوقٍ، وإليه ترجع فروغ الباب كلها^(٢). وعقدت الحبل فهو معقود وتعاهد القوم: تعاهدوا^(٣) وعاهدته مثل عاهدته، وهو العقد .. الجمع العقود^(٤)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٥).

قال الزجاج: "أوفوا بالعقود" خاطب الله المؤمنين بالوفاء بالعقود التي عقدها الله تعالى عليهم، والعقود التي يعقدها بعضهم على بعض على ما يوجبه الدين^(٦) والعقد: عقد اليمين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾^(٧).

وعقدة النكاح وكل شيء: وجوبه وإيرامه، والعقدة في البيع، إيجابه^(٨) قال الزبيدي: في تاج العروس: ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات والعقود، وغيرها. ثم استعمل التصميم والاعتقاد الجازم^(٩). واعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير^(١٠).

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج ٦، ص ٣٥٣. وأبو فيض السيد مرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م، ج ٥، ص ١١٥.

(٢) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ١٤٧.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٣٥٤.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ١٤٧.

(٥) سورة المائدة، الآية ١.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، ج ٥، ص ١١٥. ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٣٥٤.

(٧) سورة المائدة، الآية ٨٩.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٣٥٤. وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ١٤٧. والزبيدي، تاج العروس، ج ٥، ص ١١٥. ومحمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٢٢٥.

(٩) الزبيدي، تاج العروس، ج ٥، ص ١١٥.

(١٠) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي، (ت ٨٣٩٨)، تاج اللغة وصحاح العربية المسمى الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٤٤٥. والزبيدي، تاج العروس، ج ٥، ص ١١٦.

المطلب الثاني: العقيدة اصطلاحاً:

علم العقائد: هو علم يُقننر معه إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشُّبه. والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ^(١).

وعرفها الجرجاني في كتابه التعريفات بقوله: "هو ما يقصد به الاعتقاد دون العمل"^(٢).

وعرفها آخرون بقولهم:

"العقيدة: هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، ويُراد فيها الاعتقاد والمعتقد وجمعها عقائد، وهي ما يقصد بها نفس الاعتقاد دون العمل"^(٣) ويقوم على اعتبارات اجتماعية أو وجدانية أو عقلية وهو درجات أقواها الراسخ الجازم وهو اليقين، وهو ما يسمى بالاعتقاد^(٤). ويطلق عليها اسم أصول الدين لأنه علم يبحث في الأصول الاعتقادية وهي ما يتعلق بالإلهيات والنبوات واليوم الآخر^(٥).

(١) عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦هـ)، المواقف، صححه: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، دار السعادة، مصر، ط ٢، ١٩٠٧م، ج ١، ص ٣٤.

(٢) علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تحقيق: عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، ص ١٦٠.

(٣) محمد محمد الهويدي، المعجم المعين، الفقه والأصول والنحو والصرف، والمنطق والفلسفة، دار النون، دمشق ط ١، ١٤٢٠، ص ٤٩٩. ومجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٥٩.

(٤) مجموعة المصطلحات العلمية، المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٥) أبو البركات، أحمد بن محمد بن أحمد الدريزر العدوي المالكي (ت ١٢٠١هـ)، شرح الخريدة البهية، وهي منظومة في العقائد، لشارحها: أبي البركات أحمد الدريزر وعليها حاشية الصاوي، أحمد بن محمد المالكي الخلوتي (ت ١٢٤١هـ)، مكتبة القاهرة، مطبعة حجازي، ص ٢٦.

المبحث الثاني تعريف اليهود

المطلب الأول: اليهود لغة:

سميت اليهود اشتقاقاً من هادوا أي تابوا، وأرادوا باليهود اليهوديين ولكنهم حذفوا ياء الإضافة . وهود الرجل حوله إلى ملة يهود، قال سيبويه: في الحديث: "كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه"^(١) معناه أنهما يعلمانه دين اليهودية والنصرانية ويدخلانه فيه^(٢). والتهويد: أن يُصيرَ الإنسانَ يهودياً، وهاد وتهود إذا صار يهودياً وتهود في مشيه: مشى مشياً رفيقاً تشبهاً باليهود في حركتهم عند القراءة^(٣).

واليهود: اسم شعب والكلمة ممنوعة من الصرف للعلمية، والوزن أفعَل و"ال" تزداد على الكلمة، فتصبح اليهود، والنسبة يهودي والمؤنث يهودية^(٤)

(وهود) اسم نبي معروف -عليه الصلاة والسلام- (ويهوذا) أخو يوسف عليه السلام من أبيه، قيل هو بالذال المعجمة، وفي شفاء الغليل: يهودا مُعربٌ يهوذا، بزال معجمة. ابن يعقوب عليه السلام^(٥) قيل أنهم سُموا كذلك باسم يهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام^(٦).

المطلب الثاني: اليهود اصطلاحاً:

اليهود: من هم اليهود؟ ومن أين جاءت هذه التسمية؟ وللإجابة على هذه الأسئلة لا بد من الرجوع إلى المصادر اليهودية لمعرفة هذه التسمية ولفهم حقيقة نشأة اليهودية.

ورد في قاموس المعتقدات والأساطير اليهودية "أن تسمية اليهود لهذا الاسم جاءت نسبة للديانة اليهودية، وهذه الديانة أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى يهوذا بن يعقوب لأن هذا الفرع من بني

(١) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تحقيق: محمد بن زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله، رقم (٤٧٧٥) وفي كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٨٥).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٤٣٩. الزبيدي، تاج العروس، ج ٩، ص ١٩٨.

(٣) أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ٧٠١. وأحمد رضا، معجم مستن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٠م، ج ٥، ص ٦٧٧. وابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٤٣٩. والزبيدي، تاج العروس، ج ٩، ص ١٩٨. وإبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث، قطر، ج ٢، ص ٩٩٨.

(٤) يوسف شكري فرحان، معجم الطلاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٦٢٨.

(٥) الزبيدي، المرجع السابق، ج ٩، ص ١٩٩. المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق، بيروت، ص ٨٧٦. وأبو بكر السرازي، مختار الصحاح، ص ٧٠١. والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ١، ص ٤٨٤.

(٦) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٩٩٨.

إسرائيل، عرفت عنه القوة والسيطرة، حتى أصبح يرمز ليهودا بالأسد، وأن الحكم سوف يبقى في نسب يهودا إلى يوم القيامة. فكلمة يهودي تطلق على كل من ولد من أم يهودية وهذا يُعتبر ابنًا حقيقيًا لإبراهيم وكذلك تطلق على كل من اعتنق الديانة اليهودية وهذا يُعتبر أيضًا ابنًا روحيًا له^(١).

وعرفت المصادر النصرانية تسمية "يهود" بما يلي:

جاء في قاموس الكتاب المقدس الذي ألفه نخبة من اللاهوتيين ومن ذوي الاختصاص ما يلي: "يهود: أطلقت هذه الكلمة أولاً على سبط أو مملكة يهودا تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين شكلوا مملكة إسرائيل والتي انتهت على يد سرجون الثاني عام ٧٢٠ ق.م، ثم بقيت مملكة يهودا قائمة حتى عام ٥٨٦ ق.م ثم انتهت على يد نبوخذ نصر ثم توسع معناها فصارت تشمل جميع من رجعوا من الأسر البابلي عام ٥٣٦ ق.م^(٢).

جاء في سفر الملوك الثاني: "أحازا ملكاً على يهودا"^(٣) وكذلك "يوثام ملكاً على يهودا"^(٤) و"عزريا ملكاً على يهودا"^(٥).

وهذه التسمية أي "يهودا" لا نجدها في سفر الملوك الأول لأن مملكة يهودا لم تكن موجودة في عصر الملوك الأول وهو عصر داود وسليمان -عليهما السلام- وإنما ظهرت في عصر الملوك الثاني والمتصفح لسفر الملوك الأول والثاني يرى ذلك بوضوح.

ثم صارت بعد ذلك تطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم. حيث ورد في إنجيل متى "جاء إلى أورشليم بعض المجوس القادمين من الشرق يسألون: أين هو المولود ملك اليهود؟ فقد رأينا نجمه طالعاً في الشرق"^(٦).

ويهودا: "اسم عبري معناه "حمد" وهو رابع أبناء يعقوب من ليثه. وأعطى هذا الاسم بسبب شكر أمه عند ولادته"^(٧).

وعند تعريف مسمى اليهود في بعض المصادر الإسلامية نجدهم يعرفونه بما يلي:

(١) Alan Untermen, Dictionary of jewish lore and Legend, p.104.

وبهجت عبد الرزاق الحباشة، كتاب "اليهودية" أحمد شلبي في ميزان القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد (١٨)، العدد (٧)، ص ٩٣.

(٢) Cecil Roth, A history of the Jews, p30-57.

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، دار الشروق، بيروت، ط ٦، ١٩٩٥م، سفر الملوك الثاني، إصحاح: ١٦: ٦.

(٤) سفر الملوك الثاني: إصحاح: ١٥.

(٥) سفر الملوك الثاني: إصحاح ١٥.

(٦) متى: ٢: ٢.

(٧) نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، ص ١٠٨٤ و ١٠٨٥.

جاء في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: "أن كلمة يهودي كلمة عبرية مشتقة من "يهودا" وهو اسم أحد أبناء يعقوب والذي سميت به إحدى قبائل العبرانيين الاثنتي عشرة، وكلمة يهودي تشير إلى الشخص الذي يعتنق اليهودية"^(١).

وقد تكرر هذا في عدد من المصادر^(٢)، قال البيروني^(٣): "وإنما سموا باليهود نسبة إلى (يهودا) أحد الأسباط، فإن الملك استقر في ذريته، وأبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها"^(٤).

ومن خلال نقل هذه التعريفات في معنى تسمية "يهودا" أخرج بالنتائج التالية:
أولاً: أن المصادر اليهودية والنصرانية اتفقت على أصل تسمية يهود، وهي نسبة إلى يهودا بن إسرائيل.

ثانياً: من يطالع أسفار الكتاب المقدس "يلاحظ أن صفة "يهود" لم تواكب بني إسرائيل منذ بعثة موسى مباشرة، فنحن لا نجد ذكراً لليهود أو لليهودية في أسفار الشريعة الخمسة المنسوبة إلى موسى وكذلك في أسفار يشوع والقضاة والملوك الأول، بينما ترد هذه الصفة لأول مرة في سفر الملوك الثاني"^(٥).

ثالثاً: أن كلمة "يهود" أعجمية، وليست مشتقة من مادة "هَوَدَ" العربية وهو ما يرجحه كثير من العلماء والباحثين^(٦).

(١) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج٥، ص٢٠٩.
(٢) فؤاد حسنين علي، اليهودية واليهودية المسيحية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م، ص٣. عبد المجيد همو، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٣م، ص٣٣. وأحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م، ص١٨٠. وسعدون محمود الساموك، مقارنة الأكليل، دار الأوائل، عمان، ٢٠٠٣م، ص٤٨.
وعبد الرحمن غنيم، اليهود بين القرآن والتوراة ومعطيات التاريخ القديم، دار الخليل، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٩.
(٣) البيروني: هو محمد بن محمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ)، فيلسوف رياضي ومؤرخ من أصل خوارزم، عاصر ابن سينا وبينهما أسئلة وجوابات، أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره، وصنف كتباً كثيرة، منها: "الأثار الباقية عن القرون الخالية"، والاستعاب في صيغة الاسطرلاب، و"الجماهر في معرفة الجواهر"، وتاريخ الأمم الشرقية. انظر: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٩٩١م، ج٣، ص١٦٣. والزركلي، الأعلام، دار العلم، بيروت، ١٩٩٢م، ج٥، ص١٢١. والذهبي، العبر، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م، ج١، ص٣٣٢.

(٤) البيروني الخوارزمي، تاريخ الأمم الشرقية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ج٣، ص٧٨٧.

(٥) سفر الملوك الثاني: ٦: ١٦.

(٦) انظر: صلاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧م، ص٢٨. ومحمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الزهراء، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص٩.

وحتى أكون أكثر دقة بالنسبة لظهور تسمية "اليهود" لا بد لي من الوقوف عند بعض الأحداث التاريخية التي لها أكبر الأثر في ظهور "اليهود" أو "اليهودية" وهنا أرى من الإنصاف الرجوع إلى المصادر اليهودية والوقوف على حقيقة نشأة اليهودية من خلال الأحداث التاريخية وفقاً لتلك المصادر.

فنشأة اليهودية بدأت في مرحلة انقسام مملكة إسرائيل إلى مملكتين، وكان ذلك بعد عصر الملوك الأول، وكان ذلك بعد موت سليمان عليه السلام. حيث انقسمت مملكة إسرائيل إلى مملكتين، المملكة الجنوبية وكان يطلق عليها مملكة يهوذا، وذلك لأن قوامها كان سبطاً يهوذا وبنيامين، والمملكة الشمالية، وقوامها الأسباط العشرة الباقية، وكان يطلق عليها مملكة إسرائيل وقد عرف عن المملكة الجنوبية بأنها كانت أكثر استقراراً من المملكة الشمالية التي سرعان ما تحطمت على يد الملك الآشوري سرجون الثاني ٧٢٠ قبل الميلاد وقد انتهت من الوجود^(١) أما المملكة الجنوبية فكانت تتسم بالقوة واستمرت فترة أطول حتى انتهت عام ٥٨٦ ق.م على يد نبوخذ نصر، وهذا جعل لها شأنًا عظيمًا عن بقية الأسباط الذين شتتوا، وشردوا، مع بقاء مملكة لهم قائمة تحت سيطرة سبطي يهوذا وبنيامين مما دفعهم أن يتغنوا بهذه المملكة، والتي كان يطلق عليها مملكة يهوذا^(٢). فأصبح أي إنسان من بني إسرائيل يقول افتخاراً أنا من والسؤال الذي يطرح هنا هو: هل اليهود اليوم لهم علاقة بأسلافهم من اليهود القدامى الذين مر ذكرهم؟

وللإجابة على هذا السؤال لا بد لي من الرجوع سريعاً إلى علماء الأنثروبولوجيا (علم السلالات البشرية) حيث نرى أنهم يثبتون بما لا شك فيه أنهم من أجناس أخرى غير الجنس الإسرائيلي، اعتنقوا الديانة اليهودية خلال العصور الماضية فعرفوا باليهود دون أن يكون للدم دخل في تقرير يهوديتهم، ومن أشهر علماء الأنثروبولوجيا الذين قرروا هذه الحقيقة، اليهودي "فردريك هرتس" والمتخصص "ربلي" في كتابه (أجناس أوروبا)^(٣). إذ يقول في كتابه "أن تسعة أعشار اليهود في العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافاً واسعاً ليس له نظير، وأن الزعم بأن اليهود جنس نقي حديث خرافة"^(٤). ويورد سعد المرصفي أيضاً قولاً لـ: "أوجين بتار" الذي له بحثاً مطولاً عن اليهود في كتابه "الأجناس والتاريخ". "... ولا يمكننا

(١) سفر الملوك الأول، الإصحاحات ١٢، ١٣، ١٤. وانظر أيضاً: John Bright, A History of Israel, p.229-316.

(٢) سفر الملوك الثاني، الإصحاح ٢٥.

(٣) انظر: أحمد عبد الغفور العطار، اليهودية والصهيونية العالمية، دار الأنلس، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٨ نقلاً عن مجلة كلمة الحق، ع(١)، ١٩٦٧م. وانظر أيضاً: سعد المرصفي، الرسول واليهود وجهاً لوجه أسطورة الوطن اليهودي، دار المنار، الكويت، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٥٣.

(٤) نقلاً عن: سعد المرصفي، كتاب الرسول واليهود وجهاً لوجه، إذ أورد المرصفي هذا القول في كتابه، ص ٥٣.

اعتبار اليهود في العصر الحاضر ممثلين لمجموعة جنسية متجانسة، حتى ولا اليهود القاطنين في فلسطين، لأن الحركة الصهيونية جلبت إليها يهوداً من مناطق مختلفة، واليهود ينتسبون -حقيقة- إلى تشكيلات دينية اجتماعية، تتداخل فيها أفراد تنتمي إلى عروق مختلفة في كل الأزمان واختلط هؤلاء المتهمون وشكلوا الجاليات اليهودية، فما العلاقة الجنسية بين يهود الحبشة واليهود الألمان من العنصر الجرمانى واليهود السود "تبايل" في الهند أو اليهود الخزر الذين هم جد قريبين من العناصر التركية؟^(١).

المطلب الثالث: اليهود في السياق القرآني:

يدعي اليهود انتسابهم لبني إسرائيل نظراً لدلالاتها العرقية وحتى يعطوا أنفسهم بعداً تاريخياً فأصبحوا يقولون أن يهود وبني إسرائيل اسمان لمسمى واحد ولكن الذي أعجب منه أن كثيراً من الكتاب أنطلى عليهم ذلك علماً بأن القرآن الكريم قد فرق بينهما، لذا فمن الضروري ذكر الآيات التي ذكرت "اليهود" حتى تكون الصورة واضح ، حيث وردت هذه الكلمة في سبع آيات وهي:

١. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ...﴾^(٢).
٢. قال تعالى: ﴿وَكَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾^(٣).
٣. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...﴾^(٤).
٤. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ...﴾^(٥).
٥. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَغُلُّوا بِمَا قَالُوا...﴾^(٦).
٦. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾^(٧).
٧. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ غَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ...﴾^(٨).

وردت كلمة يهودياً مرة واحدة في القرآن الكريم، وهي:

(١) المصدر السابق، ص ٥٤. وهذا القول ملخص من كتاب "بيشيار" باللغة الفرنسية: الأجناس والتاريخ، ص ٤١٣ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة، الآية ١١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

(٤) سورة المائدة، الآية ١٨.

(٥) سورة المائدة، الآية ٥١.

(٦) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٧) سورة المائدة، الآية ٨٢.

(٨) سورة التوبة، الآية ٣٠.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

ووردت كلمة (هَادُوا) عشر مرات في القرآن الكريم، وهي:

١. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).
٢. قال تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْئًا بِالْأَسْنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾^(٣).
٣. قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدَهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(٤).
٤. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾^(٥).
٥. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَتُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتِيُّونَ وَالْأَنْحِبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾^(٦).
٦. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٧).
٧. قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ﴾^(٨).
٨. قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٩).
٩. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١٠).

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٦٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٤٦.

(٤) سورة النساء، الآية ١٦٠.

(٥) سورة المائدة، الآية ٤١.

(٦) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٧) سورة المائدة، الآية ٦٩.

(٨) سورة الأنعام، الآية ١٤٦.

(٩) سورة النحل، الآية ١١٨.

(١٠) سورة الحج، الآية ١٧.

١٠. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

ووردت كلمة (هودًا) ثلاث مرات في سورة البقرة، وهي:

١. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾^(٢).
٢. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَكُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣).
٣. قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾^(٤).

ووردت كلمة (هدنا) مرة واحدة في سورة الأعراف:

١. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٥).

اليهود ... يهوديًا ... هادوا ... هودًا ... هدنا:

هذه الصيغ التي وردت في القرآن الكريم كما رأينا في الآيات الواردة سابقاً ومن اللطيف عند جمعي لهذه الآيات من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وجدت المؤلف محمد عبد الباقي قد أورد اشتقاقات وتصريفات "هُودٌ" أو "اليهود" في الاستعمال القرآني: هادوا ... هودًا ... وهدنا، ولم يذكر ضمنها كلمة "اليهود" في باب "الهاء" لأنه يرى أنها ليست مشتقة من اليهود، بل جعل كلمة "اليهود" و"يهودي" في باب "الياء" وهو موضعها الطبيعي لأنها اسم أعجمي جامد^(٦).

ومن خلال هذه الآيات يمكن ملاحظة ما يلي:

أولاً: وردت كلمة "اليهود" في القرآن الكريم في سبع آيات، ويهوديًا مرة في آية واحدة والمتمعن في هذه الآيات يدرك عدة حقائق:

أ. إن القرآن الكريم لم يستعمل كلمة اليهود إلا في موقع الذم.

(١) سورة الجمعة، الآية ٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ١١١.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٣٥.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٤٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

(٦) راجع: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، ط٤، ١٩٩٤م، باب الهاء والياء.

ب. "أن اليهودية شرك بالله ﷻ وليست دعوة ربانية ولهذا نفاها عن إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فهذه الآية تبين أن اليهودية قائمة على الشرك بالله ﷻ" (١).

جاء في تفسير هذه الآية: أن اليهود كانوا يقولون: أن إبراهيم كان على ديننا، والنصارى كانوا يقولون: كان إبراهيم على ديننا، فأبطل الله عليهم ذلك بان التوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعده فكيف يعقل أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا؟! (٢) ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأنهم مشركون لإشراكهم به عزيزًا والمسيح ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام (٣).

ج. "إن اليهود بأكملهم قد استحقوا اللعنة من الله ﷻ وهذا دليل على كفرهم وضلالهم، وبعدهم عن المنهج الرباني، واستحقوا ذلك لأنهم وصفوا الله ﷻ وصفًا لا يليق بجلاله، حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَنُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٤) وهذا اللعن يشمل كل اليهود دون استثناء". وجاء في تفسير هذه الآية:

اليهود كانوا أكثر الناس مالا وثروة، فلما بعث الله محمدًا ﷺ وكذبوه ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قالت اليهود: يد الله مغلولة، أي مقبوضة عن العطاء على جهة الصفة بالبخل ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة، أو بغل الأيدي حقيقة يغفلون أسارى في الدنيا مسحوبين إلى النار في الآخرة، واللعن هو البعد عن رحمة الله (٥).

د. "بينت الآيات أن اليهود يحملون دينًا وضعيًا وليس ربانيًا (٦)، وبهذا حذرت الآيات الكريمة من إتباع ذلك الدين، يقول تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ

(١) بهجت عبد الرزاق الحباشنة، "كتاب اليهودية" للدكتور أحمد شلبي في ميزان القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة مؤتة للدراسات، مج ١٨، ٨٧، ٢٠٠٣م، ص ٩٨.

(٢) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٢٠٠١م، ج ١، ص ٣٩٨. محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين (ت ٦٠٤هـ)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تقديم: خليل محي الدين الزين، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ج ٤، ص ٩٧.

(٣) ناصر الدين عبد الله أبو عمر محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩١هـ)، تفسير البيضاوي والمسمى بآثار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٥٠.

(٤) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٥) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٤٣. والبيضاوي، البيضاوي، ج ٢، ص ٣٤٥. والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تقديم: خليل محي الدين الميس، بيروت، ١٩٩٤م، ج ٣، ص ١٧٥.

(٦) بهجت الحباشنة، "كتاب اليهودية" للدكتور أحمد شلبي في ميزان القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة مؤتة للدراسات، مج ١٨، ٨٧، ٢٠٠٣م، ص ٩٨.

هُوَ الْهَدَى ...» ومن عقائد هذه الملة الوضعية أنهم جعلوا الله ﷻ ولداً -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(١).

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ...﴾: "كأنهم قالوا: لن ترضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا، إقناطاً منهم لرسول الله ﷻ عن دخولهم في الإسلام فحكى الله كلامهم، ثم قال إن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى الحق"^(٢).

يقول البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ...﴾^(٣): "قال قتادة والسدي: ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود من قبل عزيز ابن الله، قال مجاهد: يضاؤون قول المشركين من قبل الذين كانوا يقولون اللات والعزى ومناة بنات الله، قاتلهم الله، قال ابن عباس: لعنهم الله، ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي أنى يصرفون عن الحق بعد قيام الأدلة عليه"^(٤).

إذن نلاحظ أن كلمة "اليهود" الواردة في الآيات تدل على الدين اليهودي الوضعي والمنتسبين لهذا الدين، وهذا واضح أيضاً من خلال التفسير لتلك الآيات والتعليق عليها، فإن دل على شيء فإنما يدل على أن القرآن الكريم قد فرق بين مصطلح اليهود ومصطلح بني إسرائيل بشكل واضح وصریح، وهذا سيتضح معنا أكثر في المطالب القادمة إن شاء الله -تعالى-.

ثانياً: وردت كلمة "هادوا" عشر مرات في القرآن الكريم -كما ذكرت سابقاً عند عرضي للآيات القرآنية- وهي في هذه المرات تتحدث عن اليهود الذين هادوا وهي إما أن تبين زعم الذين هادوا وكذبهم وافتراءهم، وإما أن تكشف عن سوء أخلاقهم وأفعالهم، وإما أن تقرنهم مع المؤمنين والنصارى والصابئين باعتبارهم يمثلون الطائفة اليهودية^(٥).

ثالثاً: وردت كلمة "هوداً" ثلاث مرات في سورة البقرة - كما ذكرت سابقاً عند عرضي للآيات القرآنية- وهي في المرات الثلاثة تبين نقض وافتراءات ومزاعم اليهود عن إبراهيم ﷺ ونبيته من الأنبياء ممن يحبهم الله ﷻ ويدخلهم الجنة، وتنفي أن يكون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً، وتنفي كذلك أن يكون الهدى

(١) سورة التوبة، الآية ٣٠.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٢٠٩.

(٣) سأتي على تفسير هذه الآية بالتفصيل إن شاء الله في الفصل القادم.

(٤) أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (٥١٦هـ)، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٤٢١.

(٥) انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، ص ٢٩.

في اليهودية أو النصرانية، وتنفي دخول الجنة لليهود والنصارى، ويبطل القرآن كل ما زعموا مما لا يقبله ديننا والعقل السليم^(١).

رابعاً: وردت كلمة "هدنا" مرة واحدة وذلك في سورة الأعراف كما ذكرت سابقاً، وللوقوف على معنى هذه الكلمة حسب الآية القرآنية نرجع إلى الآية التي قبلها وهي الحديث عن قصة موسى عليه السلام مع قومه فبعد أن تاب قومه من عبادة العجل، طلب موسى عليه السلام من قومه أن يختاروا منهم أصلح سبعين رجلاً صالحاً ليذهبوا معه ويبايعوا الله عند جبل الطور، ولما ذهبوا معه تراجع هؤلاء الصالحون ورفضوا أن يبايعوا فهددهم الله ورفع الجبل فوقهم، وخافوا وظنوا أنه واقع بهم، وعند ذلك أعطوا العهد وأعلنوا البيعة وأعلنوا توبتهم لله تعالى، ورجعهم عن المعاصي وقالوا في الآية بعدها (١٥٦): ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾^(٢) يقول المفسرون في تفسير معنى كلمة "هدنا" أي تبنا ورجعنا إليك، بهذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد، وأبو العالية، والضحاك، والسدي وقتادة، وغير واحد^(٣).

يقول البيضاوي: "إنا هدنا إليك" تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع، وقرئ بالكسر من هاده يهيده إذا أماله، ويحتمل أن يكون مبنياً للفاعل وللمفعول بمعنى أملنا أنفسنا، وأملنا إليك^(٤).

من هنا ندرك كيف استعمل القرآن الكريم مصطلح "اليهود" الدال على المنتسب للديانة اليهودية إذ سماهم -الله- بما سموا به أنفسهم تماماً كاستخدامه لمصطلح "نصارى" نسبة للديانة النصرانية حيث قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ تماماً كالمجوسية، والصائبية للدلالة على الديانة، ويتضح ذلك عندما نفى الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام أن يكون يهودياً أي على الديانة اليهودية ونفى عنه أن يكون نصرانياً أي على الديانة النصرانية وإنما كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين فاليهود يحاولون الالتصاق بإبراهيم عليه السلام وقد رد الله ﷻ هذا الالتصاق والادعاء بل جاء الرد مفحماً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

واستعمل القرآن الكريم مصطلح "اليهود" للدلالة على المنتسب للديانة اليهودية ولم يستخدم مصطلح بني إسرائيل للدلالة على اليهود أو على من انتسب للديانة اليهودية، وإنما استخدم مصطلح إسرائيل للدلالة على يعقوب عليه السلام وبني إسرائيل للدلالة على أولاد يعقوب أو الأسباط والأقوام

(١) صلاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، ص ٣١.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ١١٣. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ١٣٧. والشوكاني، فتح القدير، ج ٢، ص ٩٢.

(٤) البيضاوي، تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٣، ص ٦٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٦٨.

الذين أنحدروا منهم. وهذا الاستعمال إن دل على شيء فإنما يدل على تفريق القرآن بين مصطلح "يهود" ومصطلح "بني إسرائيل" فلا يمكن اعتبار إخوة يوسف يهوداً، ولا يمكن كذلك اعتبار بني إسرائيل في عهد موسى يهوداً إذ لا يوجد دليل في القرآن يقرن بين الأمرين، ولا يوجد دليل من التاريخ يؤيد ذلك.

المطلب الرابع: بنو إسرائيل:

يدعي اليهود انتسابهم إلى بني إسرائيل وهم يفتخرون بهذه التسمية نظراً لدلالاتها العرقية، ودرجو على تسمية أنفسهم (بني إسرائيل) أو (آل إسرائيل) أو (بيت إسرائيل) وأحياناً يذكرون اسم (إسرائيل) فقط كما جاء في مآثور التلمود، وكما ذكر عدد من الباحثين عن وجود ذلك في الوثائق الفرعونية والبابلية والآشورية^(١).

ويذكر أستاذ التاريخ عبد الرحمن غنيم نقلاً عن "سيرألن غاردنر" أن تسمية (بني إسرائيل) أقدم ذكر لها ورد في نص دُون على مسلة مرنبتاخ يعود إلى حوالي ١٢٢٠ ق.م^(٢).

و(إسرائيل) اسم أعجمي^(٣) أي أنها كلمة غير عربية أطلقت على يعقوب عليه السلام، ويذكر المؤرخون أن الاسم يعود إلى ما قبل الألفية الثانية ويطلق على الأسماء تبركاً بها^(٤) ومعناه في العبرية عبد الرب حيث أن "إسرا" تعني "عبد" و"إيل" تعني "الله أو الإله"^(٥) فهي إذن عبد الله أو عبد الإله، وقد ذهب بعضهم إلى القول بأن كلمة "إسرائيل" جاءت من اللغة الكنعانية وتعني عبد الله أو عبد الإله أيضاً^(٦).

وهذا المعنى لاسم (إسرائيل) له أصل يؤيده في كتب اللغة جاء في لسان العرب:

"وإيل: من أسماء الله ﷻ، عبراني أو سرياني، قال ابن الكلبي: "وقولهم جبرائيل، وميكائيل وشرابيل وإسرافيل وأشباهاها إنما تنسب إلى الربوبية، لأن إيلاً لغة في إل، وهو الله ﷻ، كقولهم عبد الله وقيم الله^(٧)."

(١) للمزيد حول الوثائق الفرعونية والآشورية ينظر: عبد الرحمن غنيم، اليهود بين القرآن والتوراة ومعطيات التاريخ القديم، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧. نقلاً عن: "سيرألن غاردنر"، سير مصر الفرعونية، ص ٣٠٢.

(٣) لفت د. صلاح الخالدي إلى أن القاموس المحيط للفيروزآبادي لم يورد اسم (إسرائيل) أصلاً، وعلل السبب كونه أعجمياً غير مشتق. انظر: الشخصية اليهودية، ص ١٢.

(٤) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، منشورات العربي للإعلان، دمشق، ط ٦، ١٩٨٦م، ص ٤١١.

(٥) سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص ١٣. وآلاء محمد عصام العشا، الجانب المادي في الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، ص ٩.

(٦) أحمد السحمراني، من اليهودية إلى الصهيونية، بيروت ١٩٩٣م، ص ١٩.

(٧) أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ١٢٥ (الجنر س را).

وقيل: (إيل) اسم الله تعالى، معناه في العبرانية القوي القدير^(١) وهذا المعنى لاسم إسرائيل له أصل يؤيده عند ابن عباس أيضًا، فقد ورد عن ابن عباس ؓ أنه قال: "إن كلمة إسرائيل جاءت من اللغة العبرية وتعني عبد الله، أو عبد الإله، حيث أن "إسرا" تعني "عبد"، و"إيل" تعني "الله أو إله"، فهي إذن عبد الله أو عبد الإله^(٢).

وعند رجوعنا إلى المصادر اليهودية، نجد أن كلمة "إسرائيل" ما هي إلا لقب أطلق على يعقوب بن إسحاق -عليهما السلام-، حيث ورد في التوراة النص التالي:

"وبقي يعقوب وحده، صارعه إنسان حتى مطلع الفجر وعندما رأى أنه لم يتغلب على يعقوب، ضربه على خُوق فخذه، فانخلع مفصل فخذ يعقوب في مصارعه معه، قال له: أطلقني، فقد طلع الفجر، فأجاب يعقوب، لا أطلقك حتى تباركني، فسأله: "ما أسمك؟" فأجاب يعقوب فقال: لا يدعي اسمك في ما بعد يعقوب، بل "إسرائيل" ومعناه: يجاهد مع الله، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، فسأله يعقوب: أخبرني ما اسمك؟ فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك"^(٣).

من خلال النص السابق نرى أن "إسرائيل" هو يعقوب بن إسحاق -عليهما السلام- وبنو إسرائيل هم الذين انحدروا من يعقوب عبر الإثني عشر سبطًا. لذا فلا يجوز إطلاق تسمية "بنو إسرائيل" إلا على الذين انحدروا من يعقوب ؑ كما لا يجوز لأحد أن ينتسب لهم بمحض إرادته، فالانتساب لهم يأتي من المولد فقط^(٤).

وأبناء يعقوب ؑ الاثنا عشر ولدًا، والذين يطلق عليهم الأسباط، فهذا العدد قد ثبت وروده أيضًا في القرآن الكريم إذ يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٥)، والمقصود بالاثني عشر هنا يوسف ؑ وأخوته الأحد عشر، وهذا بإجماع علماء التفسير.

والقرآن الكريم لم يذكر أسماء أبناء يعقوب إلا اسم يوسف ؑ ولكن التوراة التي يؤمن بها يهود ذكرت جميع أسماء أبناء يعقوب الاثني عشر^(٦)، حيث ورد في سفر التكوين، وتحت عنوان: "أبناء يعقوب" النص التالي:

(١) المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق، بيروت، ص ٢٢.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تهذيب: صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٥، ص ٣٣٠.

(٣) سفر التكوين: ٣٢: ٢٤-٢٩.

(٤) بهجت عبد الرزاق الحباشنة، كتاب "اليهودية" للدكتور أحمد شلبي في ميزان القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة مؤنة للدراسات، مج ١٨، ع ٧٤، ٢٠٠٣م، ص ٩٣.

(٥) سورة يوسف، الآية ٤.

(٦) بهجت عبد الرزاق الحباشنة، كتاب "اليهودية" للدكتور أحمد شلبي في ميزان القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة مؤنة للدراسات، مج ١٨، ع ٧٤، ٢٠٠٣م، ص ٩٣.

"أبناء ليئة: رأوبين بكر يعقوب، وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون، وأبناء راحيل، يوسف وبنيامين، وأبناء بلهة جارية راحيل: دان ونفتالي، وأبناء زلفة جارية ليئة، جاد وأشير، وهؤلاء هم أولاد يعقوب الذين ولدوا في سهل أرام"^(١).

المطلب الخامس: بنو إسرائيل في السياق القرآني:

وردت كلمة "بنو إسرائيل في القرآن الكريم أربعين مرة في خمس عشرة سورة، اثنا عشر منها مكية والأربع الباقي مدنية، وجاءت بصيغة "بنو إسرائيل" مرة واحدة وأرى أن أعرض الآيات القرآنية حتى تكون الصورة أوضح بإذن الله تعالى، حيث جاءت على النحو التالي:

- قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ...﴾^(٢).
- قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ...﴾^(٣).
- قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ...﴾^(٤).
- قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ...﴾^(٥).
- قال تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ...﴾^(٦).
- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى...﴾^(٧).
- قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾^(٨).
- قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًِّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾^(٩).
- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا...﴾^(١٠).
- قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا...﴾^(١١).
- قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا...﴾^(١٢).

(١) سفر التكوين، الإصحاح: ٣٥: ٢٦-٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٤٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٤٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٢٢.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢١١.

(٧) سورة البقرة، الآية ٢٤٦.

(٨) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

(٩) سورة آل عمران، الآية ٩٣.

(١٠) سورة المائدة، الآية ١٢.

(١١) سورة المائدة، الآية ٣٢.

- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ...﴾^(٢).
- قال تعالى: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى...﴾^(٣).
- قال تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...﴾^(٤).
- قال تعالى: ﴿فَإِذْ جِئْتَكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلَ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾^(٥).
- قال تعالى: ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾^(٦).
- قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا...﴾^(٧).
- قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ...﴾^(٨).
- قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ...﴾^(٩).
- قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ...﴾^(١٠).
- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَوَّنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ...﴾^(١١).
- قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾^(١٢).
- قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ...﴾^(١٣).
- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾^(١٤).
- قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ...﴾^(١٥).

(١) سورة المائدة، الآية ٧٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ٧٨.

(٤) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٠٥.

(٦) سورة الأعراف، الآية ١٣٤.

(٧) سورة الأعراف، الآية ١٣٧.

(٨) سورة يونس، الآية ٩٠.

(٩) سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

(١٠) سورة يونس، الآية ٩٠.

(١١) سورة يونس، الآية ٩٣.

(١٢) سورة الإسراء، الآية ٢.

(١٣) سورة الإسراء، الآية ٤.

(١٤) سورة الإسراء، الآية ١٠١.

(١٥) سورة الإسراء، الآية ١٠٤.

- قال تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُنَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾^(١).
- قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ...﴾^(٢).
- قال تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾^(٣).
- قال تعالى: ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعًا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٤).
- قال تعالى: ﴿وَبَلَدِكَ نِعْمَةٌ تَمَّتْهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٥).
- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٦).
- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَنْصُرَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٧).
- قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفْصُلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٨).
- قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٩).
- قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١٠).
- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^(١١).
- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ...﴾^(١٢).
- قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ...﴾^(١٣).
- قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ...﴾^(١٤).

(١) سورة طه، الآية ٤٧.

(٢) سورة طه، الآية ٨٠.

(٣) سورة طه، الآية ٩٤.

(٤) سورة الشعراء، الآية ١٧.

(٥) سورة الشعراء، الآية ٢٢.

(٦) سورة الشعراء، الآية ٥٩.

(٧) سورة الشعراء، الآية ١٩٧.

(٨) سورة النمل، الآية ٧٦.

(٩) سورة السجدة، الآية ٢٣.

(١٠) سورة الزخرف، الآية ٥٩.

(١١) سورة الدخان، الآية ٣٠.

(١٢) سورة الجاثية، الآية ١٦.

(١٣) سورة الأحقاف، الآية ١٠.

(١٤) سورة الصف، الآية ٦.

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ...﴾^(١).

بعد أن عرفنا أن "إسرائيل" هو يعقوب عليه السلام بناءً على ترجيح جمهور المفسرين فهم يرجحون أيضاً أن بني إسرائيل هم من نسل أولاد يعقوب عليه السلام (الأسباط) الذين هاجروا إلى مصر عقب دخول يوسف عليه السلام إلى مصر وتبوئه أمانة الخزانة واستدعائه لأبويه وإخوته الأسباط.

قال الزمخشري: الأسباط حفدة يعقوب، ذراري أبنائه الاثني عشر، وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ^(٢)، وقد نقله الرازي عنه وقرره ولم يعارضه، ويضيف الرازي ناقلاً قول الخليل بن أحمد: السبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب^(٣).

أما برجعنا إلى القرآن الكريم فنجد أن لفظ الأسباط قد ورد في خمس مواضع، الأربع الأولى منها وردت الأسباط فيها بعد يعقوب عليه السلام كما يلي:

قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٦).

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^(٧).

قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾^(٨).

(١) سورة الصف، الآية ١٤.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٢٢١.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٩٢.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٣٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٨٤.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٤٠.

(٧) سورة النساء، الآية ١٦٣.

(٨) سورة الأعراف، الآيتان ١٥٩، ١٦٠.

نلاحظ في الآية الأولى والثانية والرابعة التسلسل الزمني للأسباط، أما في الآية الثالثة ففيها نفي اليهودية عن الأسباط، فالأسباط ليسوا يهوداً ولا عرفوا الدعوة اليهودية وكذلك تنفي عنهم الانتساب للديانة النصرانية فهم ليسوا نصارى ولا عرفوا الدعوة النصرانية، إنما هم مسلمون^(١).

إذن بنو إسرائيل هم أولاد يعقوب عليه السلام ومن هؤلاء الأبناء الاثني عشر، تفرعت أسباط وأفخاذ وقبائل بني إسرائيل، وأقام هؤلاء الأسباط عند أخيهم يوسف عليه السلام، وهناك تكاثر أولادهم وتناسلوا فلما جاءهم موسى عليه السلام نبياً، خرجوا معه من مصر إلى الصحراء في سيناء، فلما عطشوا وشربوا الماء، أمر الله أن يضرب الحجر بعصاه، فخرج من الحجر اثنتا عشرة عيناً، على عدد أسباطهم وقبائلهم^(٢). قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ...﴾^(٣).

ومع هذا العدد من أبناء يعقوب عليه السلام لم يثبت لنا من نبوة أحد من الأسباط إلا ما ورد من نبوة يوسف عليه السلام لإخبار الله تعالى بذلك في عدة مواطن في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِمَّا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٥).

وكذلك يصف لنا القرآن الكريم "بني إسرائيل" بشكل مفصل على وجه التقريب حيث وصف لنا أن بني إسرائيل كانوا صنفين: منهم من كان مؤمناً بالله وموحداً مسلماً ومنهم من كان كافراً فاسقاً فقد وردت آيات كثيرة تذم بني إسرائيل الكافرين العصاة وتسجل عليهم تكذيبهم لأنبيائهم وكفرهم بالحق...

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا بَيْنَكُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾^(٦).

(١) عبد المجيد هسو، حقيقة إسرائيل، دار الحافظ، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ص٣٤.

(٢) صلاح الخالدي، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، لندن، ط٣، ١٩٩٨م، ص٩٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ٦٠.

(٤) سورة يوسف، الآية ٦.

(٥) سورة يوسف، الآية ١٠١.

(٦) سورة البقرة، الآية ٨٨.

فاللعن والتكذيب لم يكن عامًا بل اقتصر على من كفر وكذب منهم، ولهذا جاء قوله تعالى تأكيدًا على ذلك: **(لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)**^(١).

وفي المقابل مدح الله ﷻ الفئة المؤمنة من بني إسرائيل في عدة آيات منها: قوله تعالى: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَمَّا تَكُنْ فِي مَرْجَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)**^(٢).

وهنا جعل القرآن الكريم أولئك المؤمنين الصالحين من بني إسرائيل أمة هدى. بل إن الرعاية الإلهية قد حفتهم، لأنهم كانوا حملة رسالة ربانية في ذلك الزمان، فأنجاهم الله من بطش فرعون، وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى... الخ^(٣).

وتؤكد الآيات القرآنية أن موسى ﷺ ومن معه من بني إسرائيل كانوا يحملون دين الله ﷻ وهو الإسلام الذي جاء به جميع الأنبياء -عليهم السلام- حيث يقول تعالى: **(وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ)**^(٤). وقد أدرك سحرة فرعون دعوة موسى ﷺ عندما آمنوا به وتعرضوا للعذاب حيث ورد على لسانهم: **(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ)**^(٥).

وعندما تعرض فرعون للغرق ورد على لسانه في القرآن الكريم قوله تعالى: **(آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**^(٦).

وقد بينت الآيات القرآنية أن عصاة بني إسرائيل قد تنكروا للنعم التي أنعمها الله عليهم، فقد عبدوا العجل وطلبوا من موسى ﷺ أن يروا الله ﷻ جهرة، وكذلك اعترضوا على نوعية الطعام الذي رزقهم الله ﷻ وهو المن والسلوى، وكذلك رفضوا دخول فلسطين مع موسى ﷺ^(٧) وتبين الآيات القرآنية أيضًا أن الله قد وصف عصاتهم بقسوة القلب، قال تعالى: **(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)**^(٨).

(١) سورة المائدة، الآية ٧٨.

(٢) سورة السجدة، الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٣) صلاح الخالدي، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، ص ٨٢، ٨٣.

(٤) سورة يونس، الآية ٨٤.

(٥) سورة الأعراف، الآيات ١٢٠-١٢٦.

(٦) سورة يونس، الآية ٩٠.

(٧) بهجت عبد الرزاق الحباشة، كتاب "اليهودية" للدكتور أحمد شلبي في ميزان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مجلة

مؤنة للبحوث والدراسات، مج ١٨، ٧٤، ٢٠٠٣م، ص ٩٦.

(٨) سورة البقرة، الآية ٧٤.

من هنا ندرك أن القرآن الكريم قد فرق بين مسمى "يهود" ومسمى "بنو إسرائيل فبنو إسرائيل هم الذين انحدروا من يعقوب عليه السلام فالرابطة بينهم قائمة على أساس النسب والقرابة. أما "يهود" تدل على كل من انتسب للديانة اليهودية الدالة على الأيدلوجية والمعتقد، وهذا سيتضح أكثر في المبحث القادم بإذن الله -تعالى-.

المطلب السادس: تعلق اليهود بمسمى بني إسرائيل:

لاحظنا في الآيات السابقة التي ذكرت "اليهود" و"بني إسرائيل" نمطين من الخطاب وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تفريق القرآن الكريم بين المسميين وإلا لماذا وجد هذان النمطان إن كان بنو إسرائيل هم اليهود وبالعكس؟!

وأشرت سابقاً أن الكثيرين لا يفرقون بين بني إسرائيل واليهود ويعتبرونهم شيئاً واحداً وهذا تعزيز لما يريده اليهود بادعاء نسبتهم إلى بني إسرائيل، فهم باستغلالهم اسم "إسرائيل" ذي الأبعاد الدينية يهدفون إلى إضفاء البعد الديني على كيانه، وإسرائيل عليه السلام منهم براء.

وبينت من خلال عرضي للآيات القرآنية التي ذكرت "بني إسرائيل" والآيات القرآنية التي ذكرت "اليهود" أن هناك farkاً كبيراً بين المصطلحين، فالأول وهو "بنو إسرائيل" دال على النسب إذ أن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، والثاني وهو "اليهود" دال على الدين أي نسبة للديانة اليهودية وهذا يلتقي مع ما ورد في المصادر اليهودية نفسها.

والملاحظ أن كلمة "اليهود" لم ترد إلا في القرآن المدني، ووردت في سياق الذم وليس المدح. كما أن عدول القرآن المدني عن اسم بني إسرائيل إلى اسم اليهود وإطلاقه اسم اليهود، ما هو إلا إحياء لنا بوجوب إتباعنا لأسلوب القرآن في التفرقة بين الاسمين: "اليهود" و"بني إسرائيل" ^(١).

وعندما ألغى القرآن عنهم اسم بني إسرائيل، أراد أن يجردهم من الوراثة الحقيقية لإبراهيم وإسرائيل عليهما السلام، لأنهم ليسوا وارثين لهم، وليسوا على دينهم، ولا مقربون عند الله ﷻ ^(٢).

وبالنتيجة إننا لا ننكر كون بعض اليهود القدامى قد انحدروا من بني إسرائيل فهم لا شك الطائفة الكافرة من بني إسرائيل صاروا يهوداً لأن بني إسرائيل منهم المسلمون ومنهم الكافرون -كما أشرت سابقاً- بل إن بعضهم يقول: إذا سمعت الله يقول: ﴿يا بني إسرائيل﴾ فإن بني إسرائيل قد مضوا وإنما يعني أنتم لكون الاعتبار في القرآن هو بعموم لفظه لا بخصوص سببه ^(٣).

(١) صلاح الخالدي، حقائق قرآنية، ص ٩٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) عبد الله بن زيد آل حمود، الإصلاح والتعديل فيما طرأ على اسم اليهود والنصارى من التبديل، قطر، ص ٩.

يقول صاحب كتاب الإصلاح والتعديل: "إن بني إسرائيل في أصلهم مسلمون متبعون لشريعة موسى وعيسى وسائر النبيين يسировن على الهدى ودين الحق، فكانوا بسبب ذلك منصورين ومفضلين على سائر العالمين في زمانهم، فلما أحدثوا الأحداث وعبدوا الأصنام وصاروا يهودًا كفارًا، ذُلُّوا وساءت أحوالهم وسلط عليهم الجبابرة يسومونهم سوء العذاب^(١) وفي زمن النبي ﷺ كان اليهود يتمسكون بنسبهم ببني إسرائيل ولكن لم يكونوا على دين إسرائيل الذي هو الإسلام وإنما كانوا يدينون بالدين اليهودي الذي وضعوه.

يقول الدكتور بهجت الحباشنة: "وعندما قدم النبي ﷺ وجد اليهود قد تمسكوا بالنسب وافتخروا به، ولكنهم قد خرجوا عن دين الله ﷻ الذي جاء به موسى وعيسى -عليهما السلام- واستحدثوا لهم دينًا جديدًا أطلقوا عليه اسم "اليهودية" وذلك نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، وبذلك خرجوا عن دين الله ﷻ والذي جاء به جميع الرسل -عليهم السلام- ولهذا نجد القرآن الكريم في دعوته لليهود ركز على نقطتين أساسيتين هما:

الأولى: التذكير بالنعمة التي أنعمها الله ﷻ على أسلافهم من بني إسرائيل لأنهم كانوا حملة دين الله ﷻ، لذلك فضلهم على العالمين - عالمي زمانهم.

الثانية: أن النسب وحده لا يكفي، ولكن لا بد للعودة إلى منهج الله ﷻ وترك المعتقدات الباطلة حتى ينجو الإنسان من عذاب الله ﷻ"^(٢).

ومن الجدير بالذكر في التفريق بين المصطلحين "اليهود" و"بني إسرائيل" أنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه تسمية اليهود ببني إسرائيل لا في حديث صحيح ولا ضعيف وهنا اذكر بعض الأحاديث على سبيل المثال:

(١) عن عائشة رضي الله عنها وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزل^(٣) برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة^(٤) له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه^(٥) فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود، والنصارى،

(١) المصدر السابق، ص ١٤.

(٢) بهجت الحباشنة، كتاب "اليهودية" للدكتور أحمد شلبي في ميزان القرآن والسنة النبوية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج ١٨، ع ٧، ٢٠٠٣م، ص ٩٨.

(٣) نزل: أي الموت، وطفق: أي جعل. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٩٩.

(٤) الخميصة: كساء له أعلام. المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٩.

(٥) أي كشف الخميصة عن وجهه الشريف ﷺ. المصدر نفسه.

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر مثل ما صنعوا، قالت عائشة: "ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً"^(١).

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما - أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: "ما تجدون في التوراة في شأن الزنا؟" فقالوا: نفضحهم ويُجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتم أن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فجعل أحدهم يده على آية الرجم، ثم جعل يقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفعها فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، فقال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يحني على المرأة، يقبها الرجم"^(٢).

(٣) عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع النبي ﷺ، وهو بوادي القرى على فرسه، فسأله رجل من بلقين، وقال: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: "هؤلاء المغضوب عليهم" وأشار إلى اليهود، قال: فمن هؤلاء؟ قال: "هؤلاء الضالون"، يعني النصارى"^(٣).

(٤) عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: "أفاء الله ﷻ على رسوله خيبر فأقرهم رسول الله ﷺ كما كانوا، وجعلها بينه وبينهم، فبعث عبد الله بن رواحة فخرصها عليهم"^(٤)، ثم قال لهم: يا معشر اليهود، أنتم أبغض الخلق إليّ، قتلتم أنبياء الله ﷻ، وكذبتم على الله، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصتُ عشرين ألف رسق من تمر، فإن شئتم فلكم، وإن أبيتم فلي، فقالوا: "بهذا قامت السموات والأرض، قد أخذنا"^(٥).

(٥) ومن حديث جابر أن النبي ﷺ: خطب الناس فقال: "إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقال رجل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة، فإنه يطلي بها السفن ويستصبح بها الناس، فقال: لا، ثم قال: قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوها، أي أذابوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها"^(٦).

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، حديث (٤٣٥-٤٣٦). وكتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، حديث (١٣٩٠). وصحيح مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث (٥٢٩-٥٣١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب أحكام أهل الذمة، رقم (٦٨٤١). ومسلم في كتاب الحدود، باب رجم اليهود، رقم (١٦٩٩).

(٣) رواه البيهقي في سننه من طريق مسند عن حماد، ومن طريق حماد بن سلمة عن بديل، عن عبد الله بن شقيق به، ج٦، ص٣٣٦. وإسناده صحيح.

(٤) فخرصها: أي يكثر ما على النخل من الرطب تمرًا، سنن أبو داود، ط٣، ص٢٧٤.

(٥) رواه أحمد في سننه، أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة القاهرة، تحقيق: أحمد شاكر، ج٣، ص٣٦٧. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، كتاب البيوع، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، رقم (٣٤١٤). والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الزكاة، باب خرص التمر والنليل على أنه له حكمًا، وزارة الأوقاف المصرية، ط١، ١٣٤٤هـ، ج٤، ص١٢٣. وقال الهيثمي في المزارعة: "رجاله رجال الصحيح"، ج٤، ص١٢١.

(٦) صحيح البخاري، في كتاب البيوع، باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه، رقم (٢٢٢٤)، ج٥، ص٦١٤.

أما قول النبي ﷺ في حديثه: "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"^(١). وهنا لم يقصد النبي ﷺ ببني إسرائيل هنا "اليهود" وإنما قصد من أسلم من بني إسرائيل ومثال ذلك الحديث الذي رواه تميم الداري في حديث الجساسة عندما سمعة الرسول ﷺ وأقره^(٢).

إن نرى أنه ليس هناك تعارض في تفرقه عليه السلام بين المسميين.

يقول صاحب كتاب الإصلاح والتعديل: "إن تسمية اليهود بإسرائيل لا نجد له أصلاً في القرآن ولا في الحديث على كثرة مخاطبة الرسول ﷺ لليهود، وكثرة مخالطة الصحابة لهم ومخاطبتهم لهم فلم يثبت على أحد منهم تسمية اليهود بإسرائيل وإنما ثبت عن رسول الله ﷺ قوله فيهم: "يا أخوان القردة والخنازير" (*)^(٣).

لذلك تسمية اليهود بإسرائيل أو بني إسرائيل هو خطأ كبير، ويترتب عليه خطر عظيم من اختلاط اسم اليهود باسم إسرائيل الذين نزل فيهم كثير من آيات القرآن الكريم فأصل بني إسرائيل مسلمون وإن كان خرج منهم على طول الزمان مرتنون، أما اليهود فهم كفار وليس فيهم مسلمون أبداً"^(٤).

واختتم هذا المبحث بملاحظة جديرة بالذكر أشار إليها صاحب كتاب الإصلاح ووافقه عليها صلاح الخالدي في حقائق قرآنية: وهي:

أن اليهود يستغلون اسم إسرائيل في مرحلة قوتهم المعاصرة في هذا الزمان فحاولوا بمكرهم وكيدهم التلبس على الناس بإبدال تسمية "يهود" باسم "إسرائيل" فأخذوا يرددونها في إذاعاتهم، ومجلاتهم، وصحفهم فأطلقوا على دولتهم التي أقاموها في فلسطين "دولة إسرائيل" وكثير من مؤسساتهم ووزاراتهم ومرافقهم أخذت اسم إسرائيل مثل علم إسرائيل، وأرض إسرائيل، وصوت إسرائيل، وبنك إسرائيل، وجيش الدفاع الإسرائيلي ووزارة الخارجية الإسرائيلية وهكذا...

وهذه الحقائق تغيب عن بعضنا، عند كلامهم عن اليهود، ولا ينتبهون لذلك الاستغلال اليهودي لاسم إسرائيل فنرى في كلام الصحفيين والمذيعين، وبعضاً من الكتاب والباحثين العرب يقولون هذا

(١) رواه البخاري واللفظ له في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر في بني إسرائيل، رقم (٣٤٦١)، ج ٧، ص ١٧٢. في الحديث الذي رواه البخاري "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم" وقلوا: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، كتاب التفسير، باب ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾، رقم (٤٤٨٥)، ج ٩، ص ٢٣.

(٢) مسلم بن حجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم (٢٩٤٢)، ج ٩، ص ٩٣.

(٣) عبد الله بن زيد آل حمود الإصلاح والتعديل فيما طرأ على اسم اليهود والنصارى من التبديل ص ١٢. * أنظر ذلك في مسند أحمد بن حنبل، عن مسند أنس بن مالك، رقم (١٣٥٥٥)، ج ٣، ص ٢٤١.

(٤) عبد الله بن زيد آل حمود، الإصلاح والتعديل فيما طرأ على اسم اليهود والنصارى من التبديل، ص ١٢.

الكلام أي: دولة إسرائيل، وجيش إسرائيل ... الخ، ونرى هذا الفعل هو مظهر من مظاهر تأثيرنا نحن بما يردده ويقوله اليهود.

لذلك ندعو المتكلمين والكتاب والصحفيين والمذيعين إلى عدم إطلاق اسم "إسرائيل" على كيان اليهود، وإنما يقولون "يهود" بدل إسرائيل. ويقولون: دولة اليهود، وجيش اليهود، وصوت اليهود ... الخ. ندعوهم إلى إبقاء ذلك الاسم "إسرائيل" على نظافته ونقاؤه، وعدم تلويثه بإطلاقه على هذا الشعب الملعون، بذلك نبطل بعض أهدافهم من استغلال اسم "إسرائيل"^(١).

(١) عبد الله بن زيد آل حمود، الإصلاح والتعديل فيما طرأ على اسم اليهود والنصارى من التبديل، ص ١١. وصلاح الخالدي، حقائق قرآنية، ص ٩٣، ٩٤، ٩٩.

المبحث الثالث تعريف النصارى

المطلب الأول: النصارى لغة:

النصارى جمع نصران، قال سيبويه: "أما نصارى فذهب الخليل إلى أنه جمع نصريّ ونَصْران، كما قالوا ندمان وندامي"^(١) ونصران والأنثى نصرانه ونصرانية تأنيث نصرانية ولكن لم يستعمل نصران أو نصرانة إلا ببناء النسب لأنهم قالوا: رجل نصراني، امرأة نصرانية^(٢).

والناصرة: هي بلدة تقع على ثلاثة عشر ميلاً من طبرية، قاله الصاغاني وإليها نسبت النصارى، هكذا زعموا، قاله الليث^(٣) ونصورية أو نصرونة هي أسماء مدينة الناصرة^(٤).

ونقل ياقوت الحموي في معجمه: "وكان فيها -أي الناصرة- مولد المسيح عليه السلام، ومنها اشتق اسم النصارى، لكن أهل بيت المقدس يابون ذلك، ويزعمون أن المسيح إنما ولد في بيت لحم"^(٥). وتنصر الرجل: دخل في النصرانية، ونَصْرَه تنصيراً، جعله نصرانياً^(٦). ونَصْرَه أيضاً بمعنى عمَّده.

والنصرانية هي ديانة ومعتقد يذهب إليه النصارى ويدينون به^(٧).

وفي الحديث: "ما من مولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.." ^(٨).

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٢١٢. والزيبي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٣، ص ١٢٤.

(٢) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص ٨٢٩.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج ١٣، ص ١٢٤. ومجد الدين محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢٣٦، ٨١٧.

(٤) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٢٣٦. وأحمد رضا، معجم متن اللغة، ج ٥، ص ٤٧٢. الأصفهاني، المفردات، ص ٤٩٥.

(٥) ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج ٥، ص ٢٥١.

(٦) عبد الرحمن الخليل لفرايدي (ت ١٧٥)، كتاب العين، تحقيق: مهدي لمخرومي، وإبراهيم السامرائي، ج ٧، ص ١٠٩. والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٢٣٦. والجوهري، الصحاح، ج ٢، ص ٨٢٩. ويوسف شكري سرحان، معجم الطلاب، ص ٥٨٩. بطرس البستاني (ت ١٨٨٣م)، قلموس مطول اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٢١٧٨-٢١٨٩.

(٧) المنجد في اللغة والأعلام، المكتبة الشرقية، ص ٨١٢. والمنجد الأبجدي، دار الشروق، بيروت، ط ٣، ص ١٠٦٩. وبطرس البستاني، المعجم، ج ٢، ص ٧١٨٩.

(٨) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله، رقم (٤٧٧٥)، ج ٤، ص ١٣٧٣. وفي كتاب الجناز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٨٥)، ج ٣، ص ٣٤٠.

المطلب الثاني: النصارى اصطلاحاً:

بالرجوع إلى المصادر النصرانية نجدهم يعرفونه بما يلي: سُمي النصارى بهذا الاسم نسبة إلى مدينة الناصرة وهي قرية بشام شمال فلسطين والتي ينتمي إليها المسيح عليه السلام، لذلك سُمي بعيسى الناصري^(١) جاء في إنجيل لوقا تحت عنوان: "البشارة بميلاد يسوع".

"وفي شهرها السادس أرسل الملاك جبرائيل من قبل الله إلى مدينة بالجليل أسمها الناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود، واسم العذراء مريم...^(٢)".

وجاء في إنجيل متى: أن المسيح عيسى عليه السلام ولد في بيت لحم.

"وبعدها ولد يسوع في بيت لحم الواقعة في منطقة اليهودية على عهد الملك هيرودس"^(٣).

وهم أيضاً يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويسمون ديانتهم "بالمسيحية"، وأول ما دُعي النصارى "بالمسيحيين" كان في إنطاكية سنة ٤٢م وإنطاكية تعرف اليوم بالانطاكية^(٤). ويرى بعضهم أن هذه التسمية كانت في بداية الأمر من باب الشتم. جاء في قاموس الكتاب المقدس الذي ألفه نخبة من اللاهوتيين ومن ذوي الاختصاص.

"دُعي المؤمنون مسيحيين أول مرة في إنطاكية نحو سنة ٤٢ و٤٣م ويُرجح أن ذلك اللقب كان في الأول شتيمة"^(٥).

جاء في سفر أعمال الرسل تحت عنوان: "كنيسة أنطاكية". "وفي أنطاكية أطلق على تلاميذ الرب أول مرة اسم المسيحيين"^(٦).

وبالرجوع إلى المصادر الإسلامية نجدهم يعرفون النصارى والنصرانية بما يلي: "النصرانية" تطلق على أمة المسيح عليه السلام وهو التعبير الأول الذي أطلق على أمته عليه السلام، نسبة إلى الناصرة التي نشأ فيها، أما المسيحية فإنها تسمية أطلقت عليهم لأول مرة في مدينة أنطاكية. وكان النصارى يومئذ كلهم من اليهود^(٧).

(١) تأليف عدد من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٨٩.

(٢) إنجيل، لوقا: ٢٦: ٢٧.

(٣) إنجيل متى: ٢: ٢.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٥) تأليف عدد من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٨٩.

(٦) أعمال الرسل: ١١: ٢٦.

(٧) محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٨٧٥١هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: محمد الحاج، دار الشامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٨٠. وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم أحمد الشهرستاني الشافعي (ت ١١٥٣هـ)، الملل والنحل، تعليق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٢٦٢. ومحمد علي بن قاضي محمد الفاروقي الحنفي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، كان حياً سنة=

نلاحظ من هذه التعاريف اتفاق بين المصادر النصرانية والمصادر الإسلامية في تعريف النصاري. وهناك أقوال أخرى في تعريف النصاري "نكرها المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ...﴾^(١).

حيث قالوا: "وأما النصاري ففي اشتقاق هذا الاسم وجوه:

أحدها : أن القرية التي كان ينزلها عيسى عليه السلام تسمى ناصرة فنسبوا إليها وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريح.

الثاني : لتناصرهم فيما بينهم أي لنصرة بعضهم بعضًا.

وثالثها: لأن عيسى عليه السلام قال للحواريين من أنصاري إلى الله^(٢).

قال القرطبي: "وسُموا بذلك -أي النصاري- لقرية تُسمى (ناصره) كان ينزلها عيسى عليه السلام فنُسب إليها فقيل: عيسى الناصري، فلما نسب أصحابه إليه قيل النصاري. قاله ابن عباس وقتادة^(٣).

وهذا هو الرأي الراجح في تعريف النصاري لأنه يوافق المصادر النصرانية والإسلامية من جهة ومن جهة أخرى قال به ابن عباس وقتادة وابن جريح -عند الرازي.

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم عندما خاطب النصاري أو تحدث عنهم استعمل تسمية "نصاري" ولم يستعمل تسمية "مسيحيين" فهذه التسمية لا توافق واقعهم وذلك لتحريفهم دين المسيح عليه السلام، وتبديلهم التوحيد بالشرك، لذلك لم ترد لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية فالأولى أن يطلق عليهم نصاري، أو أهل الكتاب^(٤).

وليس هذا فحسب بل أن القرآن الكريم أطلق عليهم هذه التسمية لأنهم سُموا أنفسهم بذلك وذلك للدلالة على الانتساب للديانة النصرانية. قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ...﴾^(٥).

١١٥٨هـ، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٢، ص١٧٠٠. ومحمد حربي، ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص٤٠٥. ونهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، دار الأوانل، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م، ص٧٧.

(١) سورة البقرة، الآية ٦٢.

(٢) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٢، ص١١٣. والبيضاوي، تفسير البيضاوي، ج١، ص٣٣٤. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٤٠٥. والحافظ ابن كثير، صمد الدين، أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٥٧٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١، ص١٦٢.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٤٠٥.

(٤) سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ، ص١٠٣.

(٥) سورة المائدة، الآية ١٤.

ومن أمثلة مخاطبة القرآن لهم بهذه التسمية:

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى...﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا...﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ...﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ...﴾^(٦).

ومن أمثلة مخاطبة الرسول ﷺ لهم بهذه التسمية، ما يلي:

(١) عن أبي هريرة ؓ قال، قال رسول الله ﷺ: "لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"^(٧).

(٢) عن أبي سعيد الخدري، قال، قال رسول الله ﷺ: "لَتَتَّبِعَن سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جَحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَمَنْ؟"^(٨).

(٣) عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تطروني كما أطرت^(٩) النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله"^(١٠).

(٤) وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"^(١١).

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٣٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٠.

(٤) سورة المائدة، الآية ١٨.

(٥) سورة المائدة، الآية ٥١.

(٦) سورة التوبة، الآية ٣٠.

(٧) صحيح مسلم، في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ. من حديث أبي هريرة ؓ. بلفظ: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي..." الحديث، رقم (١٥٣)، ج ١، ص ٩٣.

(٨) صحيح البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٥٦). ومسلم، في كتاب العلم، باب إتباع سنن اليهود والنصارى، رقم (٢٢٦٩)، ج ٨، ص ١٨٩. وأحمد في مسنده، ج ٣، ص ٨٤.

(٩) الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والکذب فيه. قال ابن حجر: "أي مدح النبي ﷺ كما مدحت النصارى عيسى بن مريم في دعواهم فيه الألوهية". انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٩٠.

(١٠) رواه البخاري واللفظ له في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَأَنكَرَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦]، رقم (٣٤٤٥)، ج ٧، ص ١٤٩.

(١١) سبق تخريجه.

ومن هنا ندرك أن الديانة النصرانية هي ديانة وضعية ظهرت بعد عيسى عليه السلام لأنه عليه السلام جاء بالإسلام شأنه شأن جميع الأنبياء قبله وبعده وأنزل الله عليه الإنجيل كمتعم لما قبله من التوراة المشتملة على العقائد والشرائع والأحكام وأمور الحلال والحرام.

يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾^(١).

فالنصارى بدلوا دين المسيح عليه السلام، وقد صنف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - كتابه الموسوم "بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"^(٢). وذكر فيه أن النصارى بدلوا دين المسيح عليه السلام وغيروه عن حقيقته وكفروا بما جاء به من الحق.

وهذا سيتضح أكثر عند الحديث عن ذكر القرآن الكريم لعقائد النصارى في الفصول القادمة بإذن الله.

ويشير أحمد ديدات أن المؤسس الحقيقي للنصرانية حسب المصادر النصرانية لم يكن عيسى عليه السلام وإنما هو القديس بولس^(٣)، حيث يقول: "ورغم أنه يوجد الآن ١٢٠٠ مليون مسيحي في العالم، وأكثر من ١٠٠٠ مليون مسلم وفق الإحصاء الرسمي، فإن البروفيسور هارت يقسم فضل تأسيس المسيحية بين كل من القديس بولس، وبين عيسى عليه السلام، وهو الأفضل لبولس، ومن هنا كانت المرتبة الثانية لعيسى عليه السلام وكل مسيحي يعتدُ بديانته يعتبر أن المؤسس الحقيقي للمسيحية هو القديس بولس، وليس عيسى المسيح عليه السلام"^(٤).

(١) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٢) أبو عباس تقي الدين أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق وتعليق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٩٩٩م.

(٣) بولس الرسول: اسمه الحقيقي شاول، وهو مجهول الأصل فتارة يقول عن نفسه أنه يهودي: "أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس الواقعة في مقاطعة كلكية، ولكني نشأت في هذه المدينة" "أورشليم" أعمال الرسل: ٢٢: ٣. وتارة يقول عن نفسه أنه روماني "أعمال الرسل: ٢٢: ٢٥" "أيسمح لكم القانون بجلد مواطن روماني"، ويتميز بولس بعدة صفات أهمها: أنه كان نشيطاً دائم الحركة، وكان أمتعياً شديد الذكاء بارع الحيلة، وكان شديد التأثير في نفوس الجماهير، وبهذه الصفات استطاع أن يجعل نفسه محور الدعاة للنصرانية، وأن يفرض ما ارتآه عليهم، فيعتنقوه ديناً، ويتخذوا قوله حجة ومن أهم أفكاره: أن يسوع لم يكن نبياً بشرياً بل كان إلهاً. وأن المسيح مات من أجل التكفير عن خطايا البشر، وهو الذي أوضح فكرة الخطيئة الأولى، وأن الإنسان لا يستطيع أن يحقق هذا الخلاص من الخطايا بالإيمان بالكتب المقدسة فقط وإنما بالإيمان بيسوع. وإذا آمن بيسوع فقط فسوف تغفر خطاياهم. محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٨٥ وما بعدها. ومحمد الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص ١٣١.

(٤) أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ترجمة: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ص ٨.

المطلب الثالث: تعلق اليهود والنصارى بمسمى أهل الكتاب:

أولاً: الكتاب لغة:

الكتاب مصدر كتب كتباً وكتابة، أي قضى وألزم وفرض، وكتب الكتاب خطه، والكتاب ما يكتب فيه، والكتاب: الدواة يكتب فيها والكتاب: التوراة والصحيفة والحكم، وكتاب الله قدره وجمعه كتب^(١).

ثانياً: تعريف الكتاب اصطلاحاً:

هو الكتاب الموحى به من الله ﷻ إلى أحد الأنبياء، كالقرآن الكريم الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ، والتوراة التي أنزلت على سيدنا موسى ﷺ، والإنجيل الذي أنزل على سيدنا عيسى عليه السلام^(٢).

ثالثاً: هل اليهود والنصارى هم أهل الكتاب؟

لا خلاف في أن اليهود والنصارى هم أهل كتاب، سماهم القرآن كذلك لأن لهم كتباً منزلة هي التوراة، والإنجيل، ويتميزون عن عبدة الأوثان، ولأجل كتابهم جاز نكاح نسائهم، وأكل طعامهم، وضرب الجزية عليهم^(٣).

والنبي ﷺ خاطب اليهود والنصارى "بأهل الكتاب" ومثال ذلك:

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا)"^{(٤)(٥)}.

(٢) عن أنس رضي الله عنه "أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: إن أهل الكتاب يسلمون علينا فكيف نرد عليهم؟ قال: قولوا وعليكم"^(٦).

(٣) عن المعرور بن سويد رحمه الله - قال: خرجنا مع عمر في حجة حجها، فقرأ بنا في الفجر ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾^(٧) و﴿لِيَلْجَأِ قُرَيْشٌ﴾^(٨) فلما قضى حجه ورجع والناس

(١) الزبيدي، تاج العروس، ج ٤، ص ٥٦، ٥٧. وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسى المعروف بابن سيدة (ت ٤٥٨هـ)،

المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠، ج ٢، ص ٢٥١.

(٢) انظر: الإمام ابن حزم الأندلسي، توراة اليهود، تقديم: عبد الوهاب عبد السلام، دار القلم، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٢٤.

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٣٧٠.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكراهيته، رقم (٢١٦٣)، ج ٤، ص ١٧٠٥. وسنن أبي

داود، كتاب الأدب، باب السلام على أهل الذمة، رقم (٥٢٠٩)، ج ٤، ص ٥١٩.

(٧) سورة الفيل، الآية ١.

(٨) سورة قريش، الآية ١.

يبتدرون^(١) قال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فقال: هكذا هلك أهل الكتاب، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعة^(٢)، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل^(٣).

وأعود إلى القرآن الكريم لنلقي نظرة سريعة على "أهل الكتاب" في السياق القرآني، حيث استخدم القرآن الكريم صيغة (أهل الكتاب) إحدى وثلاثين مرة في ثماني سور، سبع منها مدنية وواحدة مكية وهي سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾^(٤).

ويظهر من هذه الآية إقرار قاعدة من قواعد الأدب القرآني في طريقة التعامل مع أهل الكتاب أنها تبدأ بالحسني^(٥).

أما السور المدنية فهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأحزاب والحديد والحشر والبيئة. ففي سورة البقرة جاءت آيتان وكلاهما في بيان ما يكنه أهل الكتاب وخاصة اليهود منهم. والمشركون من عداوة وحسد للمؤمنين وتحذير الله ﷻ للمؤمنين منهم^(٦).

وقال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾^(٧).

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُؤُونَكُمْ كُفَرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٨). ومن الملفت للنظر أن سورة آل عمران هي من أكثر السور التي ورد فيها استخدام هذه الصيغة حيث تكرر فيها لفظ (أهل الكتاب) اثنتا عشرة مرة نصفها جاء كنداء مباشر بصيغة (يا أهل الكتاب)^(٩)، منها:

(١) يبتدرون: أي أن الناس الذين مع عمر يسرعون إلى مكان. ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد السعادات (ت ٦٠٦هـ)، النهارية في غريب الحديث والأثر، تعليق: أبو صلاح بن محمد العويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ج ٧، ص ١٢٥.

(٢) البيعة بالكسر، متعبد النصاري. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١١٣.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، كتاب الصلاة، باب الصلاة عند قبر النبي ﷺ وإتيائه، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ، ج ٢، ص ٣٧٦-٣٧٧. عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن المعمر بن سويد... فذكره، وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، وقد صحح إسناده إن تيمية كما في الفتاوى، ج ١٠، ص ٤١٠.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٣١.

(٥) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ٢٨٧.

(٦) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٥. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٣٣.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٠٥.

(٨) سورة البقرة، الآية ١٠٩.

(٩) الآيات ٦٤، ٧٠، ٧١، ٩٨، ٩٩ من سورة آل عمران.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَتَّبِعُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا...﴾^(٣).

يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين وبغيهم والإضلال لهم، ثم ينكر ﷺ عليهم كفرهم بآيات الله وهم يعلمون صدقها، ويكتمون ما في كتبهم من صفة محمد ﷺ وهم يعرفون ذلك ويتحققونه ثم بين ﷺ المكيدة التي أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم^(٤).

وفي سورة النساء جاء ذكر (أهل الكتاب) متأخرًا في الربع الأخير من السورة في الآيات التالية: قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلُ الْكِتَابِ...﴾^(٥).

والمعنى المقصود هنا عموم أهل الكتاب، لأن الأمانى قد اشترك فيها اليهود والنصارى. وأما الآية التالية فهي أقرب للنصارى لأن سياق الحديث عن سيدنا عيسى ﷺ والهاء في قوله (به) عائد عليه.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(٦). أما الآية فقد جاء النداء فيها مخاطبًا لعموم أهل الكتاب بعدم الغلو لاشتراكهم في هذه الصفة فاليهود غلت في حط عيسى ﷺ، حتى رموه بأنه ولد بطريق غير شرعي، والنصارى غالوا في رفعه حتى اتخذوه إلهًا^(٧).

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ...﴾^(٨).

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ٧٠، ٧١.

(٤) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ١٠٥. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٨٥.

(٥) سورة النساء، الآية ١٢٣.

(٦) سورة النساء، الآية ١٥٩.

(٧) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٢٨٣. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٣٧٣.

(٨) سورة النساء، الآية ١٧١.

وفي سورة المائدة تكرر النداء بـ (يا أهل الكتاب) خمس مرات.

ففي الآية (٧٧) من نفس السورة جاءت الدعوة فيها إلى عدم الغلو في الدين، والآية (١٥) تبين أنهم يخفون بشاره محمد ﷺ في الإنجيل ويخفون كذلك آية الرجم.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(١).

وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢) أي يبين لكم الدين^(٣).

وقوله ﷺ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا...﴾^(٤).

في هذه الآيات يأمر الله ﷻ سيدنا محمد ﷺ أن يقول لهؤلاء الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً من

أهل الكتاب هل تتقون منا وتعيون إيماننا بالله وما أنزل علينا وقد علمتم أنا على حق^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾^(٦).

أي أنهم لو آمنوا بمحمد ﷺ واتقوا وأقاموا التوراة والإنجيل وعملوا بمقتضاها ولم يحرفوها

ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها^(٧).

أما في سورة الأحزاب فإن سياق الحديث عن أهل الكتاب كان في اليهود خاصة لأن الحديث

كان في بني قريظة الذين خانوا العهود وتآمروا مع الأحزاب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾^(٨)، وكذلك في

سورة الحديد الآية ٢٩.

أما في سورة الحشر فقد جاءت مرتين وبصيغة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وأجمع المفسرون

على أن المقصود هم يهود بني النضير بخلاف سورة البينة التي عنت اليهود والنصارى.

وقد وردت صيغة ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اثنتا عشرة مرة، أغلبها في ذم نفاقهم أو حسدهم أو

جبنهم أو خيانتهم.

(١) سورة المائدة، الآية ١٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٩.

(٣) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٣٠٨.

(٤) سورة المائدة، الآية ٥٩.

(٥) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٣٤١. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ١٧٢. ابن كثير، تفسير القرآن

العظيم، ج ٣، ص ١٢٣.

(٦) سورة المائدة، الآية ٦٥.

(٧) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٣٤٧. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ١٧٨.

(٨) سورة الأحزاب، الآية ٢٦.

وهناك ثلاث آيات منها فقط جاءت في مدحهم، اثنتان منها في سورة آل عمران (١١٢، ١٩٩)، وواحدة في سورة النساء (١٥٩).

وفي المقابل قد ذكر القرآن الكريم طائفة من أهل الكتاب يؤمنون بالله حق الإيمان ويؤمنون بما أنزل على سيدنا محمد ﷺ مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة ويتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون فهؤلاء ليسوا سواء مع أهل الكتاب الذين يكفرون بالله ويقتلون الأنبياء بغير حق فهؤلاء ذمهم الله في آيات كثيرة، أما الفئة الأولى من أهل الكتاب فقد مدحهم الله ﷻ عندما وصف حالهم بتلاوة القرآن وفي تهجدهم في ساعات الليل^(١)، حيث قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ...﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(٤).

أما صيغة «أَوْتُوا الْكِتَابَ» فقد وردت ست عشرة مرة. والملاحظ أن هناك فرقاً بين «أَوْتُوا الْكِتَابَ» و«أَوْتُوا الْعِلْمَ» في السياق القرآني فهذه الأخيرة أعم لأنه يدخل فيها طائفة موصوفة من أهل العلم ومن غيرهم، كما أنها لا تأتي إلا مع صفات المدح لأصحابها وقد تكررت في القرآن في تسعة مواضع في سورة النحل (٢٧)، وسورة الإسراء (١٠٧)، وسورة الحج (٥٤)، وسورة القصص (٨٠)، وسورة العنكبوت (٤٩)، وسورة الروم (٥٦)، وسبأ (٦)، وسورة محمد (٩)، وسورة المجادلة (١١)^(٥).

وفي الخطاب القرآني وردت أيضاً صيغة «أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ» ثلاث مرات، وهي:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾^(٧).

(١) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٨٠. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٦٢٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩٩.

(٤) سورة النساء، الآية ١٥٩.

(٥) آلاء عشاء، الجانب المادي في الشخصية اليهودية، رسالة ماجستير، ص ٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٢٣.

(٧) سورة النساء، الآية ٤٤.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾^(١).

جمهور المفسرين يقولون: إن المراد بالذين أُوتوه هم اليهود، إذ الآيات الثلاثة في موضع ذمهم، وقد ابتدأت جميعاً بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أما التعبير بالكتاب المقصود به التوراة فالتعريف للعهد وهو الظاهر عند أكثر المفسرين وقيل هو للجنس^(٢) أما من عني بالذين (أوتوا) هم اليهود والنصارى، قالوا: المراد بالكتاب هنا التوراة والإنجيل، كما جاء في تفسير الآية من سورة آل عمران وبه قال ابن كثير^(٣).

والنصيب: القسط والحظ، قال أبو السعود: "والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقاً من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للإيدان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضيغاً، وتتويه تخفيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجب من حالهم"^(٤).

وتتكبر "نصيياً" للنوعية، وليس للتعظيم، لأن المقام مقام تهاون بهم والبيضاي يشير أنه للتحقير^(٥) و"من" هنا قيل هي للتبعيض أو للبيان فإن كانت للتبعيض وهو الظاهر من لفظ النصيب فالمراد بالكتاب جنس الكتاب والنصيب هو كتابهم، والمراد أوتوا بعض كتابهم، تعريضاً بأنهم لا يعلمون من كتابهم إلا حظاً يسيراً.

إما إن كانت "من" للبيان، فيكون المعنى: أوتوا حظاً من حظوظ الكمال وهو الكتاب الذي أُوتوه^(٦). ويعلل صاحب المنار فيما نقله عن شيخه الإمام محمد عبده: "والتعبير عنه في الآيتين ﴿أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ لأنهم لم يأخذوا الكتاب كله، بل تركوا كثيراً من أحكامه، ولم يعملوا بها، أو زادوا عليها والزيادة فيه كالنقص منه"^(٧) وعليه يكون (نصيياً من الكتاب) أي حظاً من علم التوراة وإلى ذلك ذهب الزمخشري وابن عاشور^(٨).

(١) سورة النساء، الآية ٥١.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج ١ ص ٣٧٧، والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٥٧. البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٢١. وانظر: التعليق على حاشية البيضاوي لأبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب، المشهور بالكازروني.

(٣) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٥٨. أما في تفسيره للآيات من سورة النساء فذهب مذهب المفسرين في أن الذين أُوتوه هم اليهود والمراد بالكتاب هو التوراة، ج ٢، ص ٨٠١.

(٤) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى الصمادي الحنفي (ت ١٩٥٠هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٨٧.

(٥) انظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٢١.

(٦) انظر: محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٢٨٤هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م، ج ٣، ص ٧١.

(٧) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ج ٥، ص ١٣٦. في تفسيره للآية (٥) من سورة النساء.

(٨) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٥٥٣. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٧١.

المبحث الرابع الإسلام دين الأنبياء جميعاً

المطلب الأول: تعريف الإسلام لغة واصطلاحاً:

الإسلام لغة: الانقياد والاستسلام^(١) والطاعة قال ابن فارس (سلم) السين واللام والميم، معظم بابه من الصحة والعافية، ومنه: الإسلام وهو الانقياد لأنه يسلم من الإياء والامتناع^(٢). والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام بما أتى به النبي ﷺ^(٣) والسلام اسم من أسماء الله الحسنى لسلامته من النقص والعيب والفناء^(٤). وأسلم من الإسلام وقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾^(٥) فسرهُ ثعلب فقال: "كل نبي بعث بالإسلام غير أن الشرائع تختلف". وقوله تعالى: ﴿وَأَجَعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَهُ﴾^(٦) أراد مخلصين لك^(٧).

الإسلام اصطلاحاً:

للإسلام معنى عام ومعنى خاص: فالإسلام بمعناه العام بمفهوم القرآن المشرف: هو اسم للدين الإلهي الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل وانتسب إليه أتباعهم "قال الإسلام بهذا المعنى هو كل رسالة أرسل الله بها رسولا من رسله، وكل وحي أوحاه الله إلى نبي من أنبيائه.

أما الإسلام بمعناه الخاص: هو دين الله الذي أوحى بآله في أصوله وشرائعه إلى النبي محمد ﷺ وكلفه بتبليغه للناس كافة ودعوتهم إليه.^(٨)

ولا تناقض بين استعمال الإسلام بمعناه العام والخاص لأن الإسلام هو دين البشر جميعاً ودين كل الوجود، جاء به كل نبي من السابقين، وبه جاء خاتم النبيين محمد ﷺ وبه ختمت جميع الرسالات، وبه

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٢٨٣. ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٨، ص ٥١٤. والزبيدي، تاج العروس، ج ٣٢، ص ١٩٠. وابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٩٣.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٩٠.

(٣) ابن سيدة، المحكم والمحيط، ج ٨، ص ٥١٤. وابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٩٣.

(٤) أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ٣١. وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٩٠.

(٥) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٢٨.

(٧) ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٨، ص ٥١٤. وابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٩٤.

(٨) انظر: محمد عزت الطهطاوي، النصرانية في الميزان، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٤٠٩. وصلاح الخالدي، حقائق قرآنية، ص ٦٨-٦٩.

نسخت جميع الشرائع، فالإسلام هو الدين الذي رضي به الله ﷻ لنا ديناً^(١)، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢) وهو الدين المقبول عند الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٣).

المطلب الثاني: تعريف الدين لغة واصطلاحاً:

الدين في اللغة: دين: الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها وهو جنس من الانقياد والذل^(٤) وبهذا الاعتبار سميت الشريعة ديناً^(٥).
والدين: الطاعة^(٦)، وهو أصل المعنى^(٧) يقال دان له يدين ديناً. إذا أصحب وانقاد وأطاع، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾^(٨) أي في طاعته^(٩) وقد دنته ودنت له أي أطعته وفي الحديث "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله"^(١٠) قوله دان نفسه أي أذلها واستعبدتها وقيل حاسبها^(١١).
والدين: الجزاء والمكافأة، يقال: دنته بفعله ديناً أي جزيته ويوم الدين: يوم الجزاء يقال في المثل: كما تدين تدان: أي كما تجازي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت ومنه قوله تعالى: ﴿أَنَّا لَمَدِينُونَ﴾^(١٢).

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٣١٩.

(٥) محمد بن محمد بن عبد الجبار بن محمد السماوي اليماني (ت ١٣٣٠هـ)، الموسوعة العربية في الألفاظ الضدية والشنرات اللغوية، دار الأدب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٩م، ج ١، ص ١١٦.

(٦) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٣١٩. وابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٦٨.

(٧) اليماني، الموسوعة العربية، ج ١، ص ١١٦.

(٨) سورة يوسف، الآية ٧٦.

(٩) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٣١٩.

(١٠) رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم (١٧٠٥٩)، ج ١٣، ص ٢٧٢. والحديث إسناده حسن، وهو مشهور فقد صححه الحاكم، محمد بن عبد الله، أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، وعليه تعليقات الذهبي في التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٢٥١. ووافقه الذهبي.

(١١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٦٩.

(١٢) سورة الصافات، الآية ٥٣.

أي مجزيون محاسبون^(١). والدين: الحساب ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي^(٣).

والدين: الإسلام^(٤)، وقد دنت به بالكسر منه قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ﴾^(٥) يعني الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٦) وعلى هذا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾^(٧)، وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٨).

وللدين معان أخرى منها: العادة والسلطان، والقهر والغلبة، والعبادة والاستعلاء والملك، والحاكم وداينته أي حاكمته ومنه صفة "الديان" في صفة الله ﷻ أي الحكم القاضي^(٩). والجمع أديان^(١٠).

وقيل: الدين هو مرادف للشرعية، ويقال: الديانة والملة، والمذهب، وقيل الشرعية من حيث أنها تطاع تسمى ديناً، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنه يرجع إليها تسمى مذهباً^(١١).

ومما سبق يتضح لنا أن كلمة "دين" وهي من الفعل الثلاثي دان تؤخذ تارة من:

١. فعل متعدٍ باللام "دان له" فتكون بمعنى خضع له، وأطاعه، وعلى ذلك يكون المعنى للدين الخضوع والطاعة.

٢. من فعل متعدٍ بالباء "دان به" فتكون بمعنى اتخذها ديناً ومذهباً ومعتقداً وبذلك يكون المعنى اللغوي للدين هو المذهب والمعتقد الذي يتخذه المرء عملياً أو نظرياً.

٣. وتؤخذ من فعل متعدٍ بنفسه "دانه يذنيه" فتكون بمعنى ملكه وساسه وحاسبه، وجزاه، وحكمه وبذلك يكون المعنى للدين هو الملك والحكم، والمجازاة، والمحاسبة^(١٢).

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٦٩. وابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٩، ص ٣٩٩. ومعجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٣٢٠. والزبيدي، تاج العروس، ج ٣٥، ص ٢٦. وأبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ٢١٨.

(٢) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٧٠.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٥، ص ٢٧. وابن سيدة، المحكم والمحيط، ج ٩، ص ٣٩٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٨٣.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٧) سورة التوبة، الآية ٣٣.

(٨) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٩) محمد اليماني، الموسوعة العربية، ج ١، ص ١١٦. والزبيدي، تاج العروس، ج ٣٥، ص ٢٩.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٦٩.

(١١) حنا غالب، كنز اللغة العربية، موسوعة في المترلفات والأضداد والتعابير، مكتبة لبنان، لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٦٠٥.

(١٢) انظر: محمد عبد الله دراز، "الدين" بحوث ممهدة لدراسة الأديان، دار العلم، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ٢٧-٥٤. وبهجيت عبد=

الدين في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريف الدين اختلافاً واسعاً فمنهم من كان تعريفه قائماً على المعنى اللغوي للدين، أو المعنى الاصطلاحي عند الغربيين، أو من وجه نظر قائمة على اجتهاد بالرأي وفي معزل عن الدليل من القرآن أو السنة النبوية الشريفة^{(١)(٢)}.

أما الدكتور محمد عبد الله ذرار في تعريفه للدين فقد عرفه تعريفاً شاملاً إذ فرق في تعريفه "لدين" بين تعريف العلماء المسلمين، وتعريف العلماء غير المسلمين.

فالعالماء المسلمون عرفوا "الدين" بعدة تعريفات لخص في التعريف التالي:

"الدين هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات"^(٣) وهو الشرع الإلهي المنلق عن طريق الوحي"^(٤).

وهذا التعريف يجعل الدين مقصوراً على الدين السماوي^(٥) أي الدين المنزل من عند الله ﷻ ويخرج منه كل دين من وضع وصناعة البشر، ويتضح ذلك مما ورد في التعريف السابق "الدين وضع إلهي" و"المنلق عن طريق الوحي".

وعند الرجوع إلى الآيات القرآنية الكريمة نجد أن كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له هو دين، سواء أكان سماوياً من عند الله ﷻ أو وضعياً من صنع البشر^(٦). ومن هذه الآيات:

= الرزاق الحباشة، "الدين مفهومه وحقيقته في ضوء القرآن والسنة"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، مج ٥، ع ٢٤، ٢٠٠٤م، ص ٣-٤.

(١) من هؤلاء على سبيل المثال: "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب"، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٩٨٩م، ص ٤٩٩. وأمين القضاة وآخرون، أديان وفرق، المكتبة الوطنية، عمان، ١٩٩٠م، ص ٩. وسعيد البيشاوي وآخرون، دراسات في الأديان والفرق، دار الاتحاد، عمان، ١٩٩٠م، ص ٧-٩. وموسى أبو الريش، ومحمد مختار المفتي، إظهار الحق في الأديان والفرق، دار الإسرائ، عمان، ١٩٩٢م، ص ٩.

(٢) انظر: بهجت عبد الرزاق الحباشة، "الدين مفهومه وحقيقته في ضوء القرآن والسنة"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، مج ٥، ع ٢٤، ٢٠٠٤م، ص ٢.

(٣) عبد الله ذرار، "الدين"، ص ٣٠-٣١.

(٤) سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان، ص ٧.

(٥) السماوي: نسبة إلى السماء والمقصود بهذا: التعبير أن مصدره من عند الله ﷻ للتفريق بينه وبين غير السماوي أي مصدره من غير البشر. انظر: الإمام ابن حزم الأندلسي، توراة اليهود، تقديم: عبد الوهاب طويلة، ص ٢٤.

(٦) انظر: بهجت عبد الرزاق الحباشة، "الدين مفهومه وحقيقته في ضوء القرآن والسنة"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، ص ٤. وسعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان، ص ٧.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾^(٤).

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٥).

أما تعريف الدين عند غير المسلمين فقد جاء بعدة تعريفات نقلها دراز على النحو التالي:

١. يقول "كانت" في كتابه "الدين في حدود العقل: الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية".

٢. يقول الأب شتايل: في كتابه "قانون الإنسانية": "الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق وواجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه".

٣. يقول تايلور، في كتابه "المدنيات البدائية": "الدين هو الإيمان بكائنات روحية".

٤. ويقول رودلف يوكن: "الدين هو التجربة الصوفية التي يتجاوز الإنسان فيها متناقضات الحياة"^(٦).

نستنتج مما سبق أن كلمة "دين" في التعريف الغربي تطلق على الدين الإسلامي وتطلق كذلك على الدين الوضعي كالديانة اليهودية والديانة النصرانية والديانة البوذية، والزرادشتية، والسيخية ... الخ^(٧).

علاقة كلمة "دين" بالكلمات "ملة ونحلة وأمة":

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣.

(٤) سورة الفتح، الآية ٢٨.

(٥) سورة الكافرون، الآية ٦.

(٦) محمد عبد الله دراز، "الدين" بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص ٣٣. وانظر هذه التعريفات أيضاً في كتاب الإنسان والأديان، محمد كمال جعفر، دار الثقافة، قطر، ط ١، ١٤٠٦هـ، ص ١٦-١٨. وسعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان "اليهودية والنصرانية"، ص ٦-٧.

(٧) وإلى ذلك يشير الدكتور بهجت الحباشة في بحثه الموسوم بـ "الدين مفهومه وحقيقته في ضوء القرآن والسنة" إذ يقول: "عند تعريف الدين في اللغة والاصطلاح، نجد العلاقة بينهما أصيلة ووطيدة قائمة على معنى للمحاسبة والمحاكمة والالتزام، وذلك أن الدين التزام وامتثال لأوامر الله ﷻ ولكن عند الحديث عن المعنى الاصطلاحي للدين نرى أن العلماء المسلمين قد قصرُوا تعريفهم للدين على أنه من عند الله ﷻ وهو الإسلام بينما العلماء الغربيون قد عرفوا الدين بشكل عام دون النظر إلى مصدره، هل هو إلهي؟ أم بشري؟ ولكن عند الرجوع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية نجد أن الدين قد ذكر بمعناه الخاص وهو الإسلام وذكر أيضاً بمعناه العام، وهو كل معتقد قائم على الإيمان بالله مهما كان مصدره". بهجت الحباشة، "الدين مفهومه وحقيقته"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، ص ٢٨.

"ملة": وردت كلمة "ملة" في القرآن الكريم عشر مرات في سورة البقرة في موضعين في آية ١٣٠، وآية ١٣٥ وفي سورة آل عمران آية ٩٥، وفي النساء آية ١٢٥، وفي الأنعام آية ١٦١، ويوسف في الآيتين ٣٧، ٣٨، وفي النحل الآية ١٢٣، وفي الحج الآية ٧٨، وفي سورة ص الآية ٧.

ووردت صيغة "ملتكم" في آية واحدة في سورة الأعراف، الآية ٨٩. وصيغة "ملتهم" في آيتين في سورة البقرة ١٢٠، وسورة الكهف ٢٠، ووردت بصيغة "ملتنا" في موضعين، سورة الأعراف ٨٨، وسورة إبراهيم في آية ١٣. وقد اتفق المفسرون على أن معنى "ملة" الوارد في الآيات السابقة تعني الدين.

"تحلة": أما كلمة "تحلة" فقد وردت في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة النساء.

قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾^(١).

ومعنى "تحلة" هنا "الفريضة" وبه قال ابن عباس وقتادة وابن جريح وابن زيد لأن النحلة في اللغة معناها الديانة والملة والشرعة والمذهب، فقله ﷺ: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ أي أئوهن مهورهن، فإنها تحلة أي شريعة ودين ومذهب، قال الزجاج: "تحلة" تديننا، والنحلة الديانة والملة يقال هذا نحلته أي دينه^(٢).

يقول الزمخشري: "النحلة" الملة، ونحلة الإسلام خير النحل^(٣).

"أمة": أما كلمة "أمة" فقد قال ابن كثير في سياق قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾^(٤).

"أي ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها الدين ههنا"^(٥).

وفي سياق قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ

(١) سورة النساء، الآية ٤.

(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٢٣. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٩، ص ٩٨٧. وجمال الدين بن عبد الرحمن علي الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٣١.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٥٠١.

(٤) سورة الزخرف، الآية ٢٢.

(٥) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٢٠١.

النَّبِيَّاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١). يقول الرازي: "إنهم كانوا على دين واحد وهو الإيمان والحق"، ووافق القرطبي ويضيف الزمخشري "أنهم متفقون على دين الإسلام"^(٢). وهو كذلك قول أكثر المحققين^(٣).

المطلب الثالث : الإسلام دين الأنبياء جميعاً – عليهم الصلاة والسلام-؟:

هل الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً الذي أرسلوا به من عند الله ﷻ من آدم ﷺ إلى سيدنا محمد ﷺ؟

بناءً على ذلك هل جاء موسى ﷺ بالإسلام أم جاء باليهودية؟ وهل جاء عيسى ﷺ بالإسلام أم جاء بالنصرانية؟ وهل يجوز إطلاق اسم "دين سماوي" على غير دين الإسلام كالديانتين اليهودية والنصرانية؟

وللإجابة على هذه الأسئلة لا بد من الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، للوصول إلى القول الفصل فيها:

فقد جاءت عدة آيات قرآنية تبين أن الإسلام هو الدين الذي بعث الله ﷻ به جميع الأنبياء.

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٤).

ذهب المفسرون إلى أن المقصود بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ أن الدين المقبول عند الله ﷻ ليس إلا الإسلام^(٥) ويُشير الحافظ ابن كثير أن هذه الآية فيها إخبار من الله ﷻ على أن الدين المقبول هو الإسلام عند الله ﷻ وهو الذي بعث به جميع الأنبياء -عليهم السلام- حتى ختموا بسيدنا محمد ﷺ ومن لقي الله ﷻ بعد سيدنا محمد ﷺ بغير دين الإسلام فلن يقبله الله ﷻ منه^(٦).

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٢٨٣.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٥، ص ١٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٣٧٣، الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٢٢٦. وعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (٧٢٥هـ)، تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ص ٣٧٢. والبيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ١٨. محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع في الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، مصر ط ٢، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٥٨١.

(٦) انظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٥٥.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ في هذه الآية أخبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب أنه كان على علم منهم بالحقائق، وأنه كان بغيا وطلبًا للدنيا، قاله ابن عمر وغيره^(١).

واختلف في المراد هنا "بأهل الكتاب"، قال محمد بن جعفر بن الزبير: "المراد بهذه الآية النصارى وهي توبيخ لنصارى نجران^(٢) اختلفوا في أمر عيسى عليه السلام^(٣) وقيل المراد هم اليهود وبه قال الربيع بن أنس^(٤) اختلفوا بعد موسى عليه السلام^(٥)، وقيل المراد اليهود والنصارى واختلفوا هو أنه قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله وأنكروا نبوة محمد ﷺ، وقالوا: نحن أحق بالنبوة من قریش، لأنهم أميون ونحن أهل الكتاب^(٦).

ويشير الشهرستاني في كتابه الملل والنحل على أن اختلاف اليهود والنصارى لم يقتصر فقط على تغيير المبادئ والأسس التي جاء بها موسى وعيسى -عليهما السلام-، بل امتدت أيضا إلى تغيير اسم دين الله ﷻ "الإسلام" ليصبح بدلًا منه "دين اليهودية" نسبة إلى يهوذا أو "دين النصرانية" نسبة إلى عيسى الناصري^(٧).

وما هذه إلا تسميات من صنع البشر^(٨)، ولهذا نفاهما الله ﷻ عن سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٩).

(٢) قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١٠).

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه وكعب هذا من زعماء اليهود. قال الكلبي: إن كعب بن الأشرف وأصحابه اختصموا مع النصارى إلى النبي ﷺ،

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٤٣.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ١٩.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٤٣.

(٥) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ١٩.

(٦) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٢٢٧. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٤٣. والبيضاوي، تفسير

البيضاوي، ج ٢، ص ١٩.

(٧) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ٢٣٠-٢٤٤.

(٨) د. بهجت الحباشة، الدين مفهومه وحقيقته، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، ص ٧.

(٩) سورة آل عمران، الآية ٦٧.

(١٠) سورة آل عمران، الآية ٨٣-٨٥.

فقالوا: أينما أحق بدين إبراهيم؟ فقال النبي ﷺ: "كلا الفريقين برئ من دينه". قالوا: ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فنزل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ﴾ أي يطلبون^(١).

وقوله تعالى: ﴿... قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا...﴾ يشير الرازي إلى أن هذه الآية أخذ الميثاق من جميع الأنبياء أن يؤمنوا بكل من أتى بعدهم من الرسل وأخذ الميثاق على سيدنا محمد ﷺ بأن يؤمن بكل من أتى قبله من الرسل لأنهم كانوا بأسرهم على دين واحد وهو الإسلام منهجهم واحد في الدعوة إلى الله ﷻ وفي الانقياد لتكاليف الله ﷻ ولم يأخذ عليه -عليه الصلاة والسلام- لمن يأتي بعده من الرسل لأنه لا نبي بعده البتة^(٢).

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يقول الرازي: "أعلم أنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ اتبعه بأن بين في هذه الآية أن الدين ليس إلا الإسلام، وأن كل دين سوى الإسلام فإنه غير مقبول عند الله، لأن القبول للعمل هو أن يرضي الله ﷻ العمل، ويرضي عن فاعله ويثيبه عليه، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ثم بيّن تعالى أن كل من له دين سوى الإسلام فكما أنه لا يكون مقبولا عند الله، فكذلك يكون من الخاسرين، والخسران في الآخرة يكون بحرمان الثواب، وحصول العقاب"^(٣).

٣) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا بُتِلَ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾^(٤) ذكر الماوردي والخازن والسيوطي والشوكاني وابن كثير والقرطبي سبب نزول هذه الآية في تفسيرهم على النحو التالي: ^(٥).

"قال سعيد بن جببر، إن هاتين الآيتين نزلتا في سبعين من القسيسين الذين بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي ﷺ، قرأ عليهم ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ حتى ختمها، فجعلوا يبكون وأسلموا ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ...﴾ الآية.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ١٢٠. الخازن، تفسير الخازن، ج ٧، ص ٢٥٨-١٧٨ الشوكاني، فتح القدير، ج ٢، ص ١٧٨.

(٢) انظر: الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ١٣٧-١٣٨.

(٣) المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٩.

(٤) سورة القصص، الآية ٥٢-٥٣.

(٥) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٤٥٠هـ)، النكت والعيون المسمى تفسير الماوردي، تعليق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٣، ص ٤٧. الخازن، تفسير الخازن، ج ٥، ص ١١٠. والسيوطي (٩١١هـ)، أسباب النزول، دار إحياء التراث العربي، ص ٥٧. الشوكاني، فتح القدير، ج ٧، ص ١٢. والحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٦٥. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ١٠٧.

يقول القرطبي: "أخبر أن قوماً ممن أوتوا الكتاب من بني إسرائيل من قبل القرآن يؤمنون بالقرآن، كعبد الله بن سلام وسلمان، ويدخل فيه من أسلم من علماء النصارى، وهم أربعون رجلاً، قدموا مع جعفر بن أبي طالب المدينة، اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة، وثمانية نفر أقبلوا من الشام وكانوا من أئمة النصارى: منهم بحيرا الراهب وأبرهمة والأشرف وعامر وأيمن وإدريس ونافع، كذا سماهم الماوردي، وأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية والتي بعدها ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ قاله قتادة^(١).

نرى من خلال سبب النزول أن أهل الكتاب عندما سمعوا القرآن الكريم من رسول الله ﷺ لم يستغربوه لأن ما سمعوه ما هو إلا تأكيداً لما جاء به الأنبياء -عليهم السلام- فقد عرفوا محمداً ﷺ وعرفوا القرآن الكريم من خلال معرفتهم بما هو موجود في الكتب السماوية السابقة^(٢). ﴿وَإِذَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾^(٣) فهو من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى أكثر من تلاوته فيعرف الذين عرفوا الحق من قبل أنه من ذلك المعين، وإنه صادر من ذلك المصدر الواحد الذي لا يكذب^(٤).

٤) قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٥).

قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾، ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ ملة: نصبت على تقدير ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي من ضيق بل وسعه عليكم كملة إبراهيم عليه السلام كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦).

قوله أبيكم: إنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله ﷺ وهو كالأب لأمة من حيث أنه سبب لحياتهم الأبدية، أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ١٠٧.

(٢) انظر: بهجت الحباشنة، "الدين مفهوم وحقيقته"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، ص ١٢.

(٣) سورة القصص، الآية ٥٣.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٢٢، ٢٠٠٣م، ج ٦، ص ٢٢٥٧.

(٥) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٦) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٣٩١.

(٧) سورة الأنعام، الآية ١٦١.

قال القاشاني: "معنى أبوته كونه مقدماً في التوحيد، مُقْبِضاً على كل موحد، فكلهم من أولاده^(١)، وإبراهيم هو أبو العرب قاطبة، وقيل: الخطاب لجميع المسلمين وإن لم يكن الكل من ولده لأن حرمة إبراهيم على المسلمين كحرمة الوالد على ولده"^(٢).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾، اختلف العلماء في الضمير "هو" هل يعود إلى الله ﷻ أي أن الله هو الذي سماكم المسلمين من قبل أم يعود إلى إبراهيم عليه السلام أي أن إبراهيم عليه السلام هو الذي أطلق هذه التسمية على قولين:

الأول: أن "الضمير" يعود إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ومعنى ذلك أن إبراهيم عليه السلام هو الذي سماكم المسلمين من قبل النبي محمد ﷺ، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) فاستجاب الله تعالى له فجعلها أمة محمد ﷺ.

وهذا الرأي قال به ابن زيد^(٤) والحسن^(٥) وإلى هذا القول ذهب أبو حيان الأندلسي في تفسيره إذ يقول: "والظاهر أن الضمير في "هو سَمَّاكُم" عائد على إبراهيم عليه السلام وهو أقرب مذكور"^(٦).

الثاني: "أن الضمير يعود إلى الله ﷻ والمعنى أن الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب السماوية السابقة وفي الذكر أيضاً أي في القرآن الكريم" وإلى هذا ذهب مجاهد والفراء وقتادة، والنحاس، ويرى النحاس أن القول بخلاف ذلك أي القول أن إبراهيم هو من أطلق هذه التسمية مخالف

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ج ٧، ص ٢٩٢٩.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج ٣، ص ٣٠٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٨.

(٤) عبد الرحمن بن إدريس ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧)، تفسير القرآن العظيم مسنداً إلى رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩م، ج ٨، ص ٢٥٠٧. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢٥٦-٢٥٧ والعز، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي (ت ٨٦٠هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد الله إبراهيم بن عبد الله الوهيبي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٣٦٧. والقرطبي، الجامع لأحكام، ج ٢، ص ١٠١ والبغوي، معالم التنزيل، ج ٤، ص ٣٧٠. والخازن، تفسير الخازن، ج ٤، ص ٣٧٠ وجلال الدين السيوطي (ت ٨٩١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تقديم: عبد الرزاق المهيدي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٦، ص ٧٩. والقاسمي، محاسن التأويل، ج ٧، ص ٢٩. وعبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٤١٤، ٤١٥.

(٥) الطبرسي، أمين الدين أبو علي الفضل بن علي (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م، ج ١٧، ص ١٣٢.

(٦) أبو حيان الأندلسي، النهر الماد من البحر المحيط، تحقيق: عمر الأشقر، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ج ٤، ص ٢١١.

لقول عظماء الأمة، حيث روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؓ قال: "سماكم الله ﷻ المسلمين من قبل أي في الكتب المتقدمة وفي القرآن"، وإلى هذا القول ذهب أكثر المفسرين^(١).

ونورد هنا طائفة من بعض أقوال المفسرين الذين يقولون أن الضمير يعود على الله ﷻ :

- يقول ابن كثير: "وهذا هو الصواب لأنه تعالى قال: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه ملة أبيكم إبراهيم الخليل، ثم ذكر منته -تعالى- على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء يتلى على الأحرار والرهبان^(٢).
- قال النسائي في تفسيره ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾: "أنبأنا هشام بن عمار حدثنا محمد بن شعيب أنبأنا معاوية بن سلام أن أخاه زيد بن سلام أخبره عن أبي سلام أنه أخبره، قال قال: أخبرني الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺ، قال: "من دعا دعوة الجاهلية فإنه من جنى جهنم" قال رجل: يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: "نعم وإن صام وصلى" فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله^(٣) قال عنه ابن كثير: وهذا حديث حسن^(٤).
- يقول الرازي: "الكناية راجعة إلى الله تعالى في قوله: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ فروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما - أنه قال: "أن الله سماكم المسلمين من قبل" أي في كل الكتب، وفي هذا أي في القرآن، وهذا الوجه أقرب، لأنه تعالى قال: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فبين أنه سماهم بذلك لهذا الغرض، وهذا لا يليق إلا بالله^(٥).

(١) هذا مذهب أكثر المفسرين مع اشتراك بعضهم في القول الأول مثل: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٤، ص٣٩٩. والنحاس، أعراب القرآن، ج٣، ص١٠٦، ١٠٧ ابن وهب (٣٠٨هـ)، الواضح في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٤٧، ٤٨. وابن أبي حاتم، تفسير القرآن الكريم، ج٨، ص٢٥٠٧. والطبري، تأويل أي القرآن، ج٥، ص٤٦٤. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٨، ص٢٥٦-٢٥٧. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، ص١٠١. والبغوي، تفسير البغوي، ج٤، ص٣٧٠ والخازن، تفسير الخازن، ج٤، ص٣٧٠ والقاسمي، محاسن التأويل، ج٧، ص٢٩٢٩. وفيصل بن عبد العزيز بن فيصل (ت ١٣٦٦هـ)، توفيق الرحمن في دروس القرآن، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٩٩٦م، ج٣، ص١٨٦.

(٢) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٥، ص٣٩١-٣٩٢.

(٣) ذكره النسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير، باب ٢٥٠، رقم (١١٣٤٩)، ج٦، ص٤١٢.

(٤) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٥، ص٣٩٢.

(٥) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٨، ص٢٥٧.

- يقول ابن جرير الطبري: "قول ابن زيد في قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني إبراهيم، وذلك قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ هذا لا وجه له، لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يُسم هذه الأمة في القرآن مسلمين، وقد قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(١).

- يقول الثعالبي: "قال ابن عباس وقتادة ومجاهد الضمير لله ﷻ، وقوله (من قبل) معناه في الكتب القديمة (وفي هذا) أي في القرآن وهذه اللفظة تُضعف قول من قال الضمير لإبراهيم عليه السلام ولا يتوجه إلى على تقدير محذوف من الكلام مستأنف"^(٢).

٥) قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٣).

في هذه الآية إشارة بقرر الله ﷻ فيها وحدة الدين ووحدة الرسالة التي جاء بها جميع الرسل والأنبياء -عليهم السلام-^(٤).

أما الأدلة من السنة النبوية فهي:

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحدة"^(٥).

(٢) قوله ﷺ: "مثلي ومثل الأنبياء قبلي، كمثل رجل بني بيتاً، فأحسنه وجملته إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاً وضعت هذه اللبنة، فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم النبيين"^(٦).

(١) الطبري، جامع البيان، ج ٧، ص ١٥٧.

(٢) الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٤١٥.

(٣) سورة الشورى، الآية ١٣.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣١٣٩.

(٥) صحيح البخاري رواه من حديث أبي هريرة أيضاً بلفظ متقارب في كتاب الأنبياء، باب ﴿وَأَنْذَرْنَا فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، ج ٤، ص ١٤٢. وأخرجه مسلم بنحوه في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، ج ١٥، ص ١١٩. وأبو داود في السنن، باب التخيير بين الأنبياء، حديث رقم (٤٦٧٥)، ج ٥، ص ٥٥. ورواه أحمد في المسند، حديث رقم (٤٣٧)، ج ٢٥، ص ٣١٩. وفيه زيادة (وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربع إلى الحمرة والبياض...) الحديث، ورواه في ج ٢، ص ٤٦٣، حديث رقم (٤٥١)، وأخرجه الحاكم في المستدرک بنحوه، كتاب التاريخ، باب ذكر عيسى بن مريم، ج ٢، ص ٥٩٢.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ختم النبيين ﷺ، رقم (٣٥٣٤)، ج ٣، ص ١٣٠٠.

وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح" وقد عقد فصلاً في كتابه اسماء "فصل في أن دين الأنبياء كلهم واحد هو الإسلام" يقول: "قدين الأنبياء والمرسلين دين واحد، وإن كان لكل من التوراة والإنجيل والقرآن، شرعة ومنهاج"^(١).

ويقول في موضع آخر: "وكان دينه الذي ارتضاه لنفسه هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد ديناً غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو دين الأنبياء وأتباعهم"^(٢).

من خلال هذه الأدلة نصل إلى حقيقة واضحة وجلية وهي أن كل نبي جاء بالإسلام، ورسالته هي الإسلام، وأتباعه الذين آمنوا به هم المسلمون^(٣)، وهذه حقائق قرآنية واضحة يؤكدتها القرآن الكريم في كثير من آياته من وصف الأنبياء بالمسلمين فهذا نوح عليه السلام كان مسلماً، ورسالته هي الإسلام وأتباعه هم المسلمون، قال تعالى مخبراً عن قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ * فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤).

وكذلك لوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥).

وليس هذا فحسب بل إن القرآن الكريم يؤكد أن الأنبياء الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل كانوا مسلمين وينفي عنهم صفة اليهودية أو النصرانية^(٦).

فاليهود يرفضون اعتبار أنبيائهم مسلمين، واعتبار دينهم هو الإسلام، ويصرّون على أنهم يهود، وأن ديانتهم هي اليهودية فهم يعتبرون إبراهيم ويعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان يهوداً، وإن رسالتهم هي اليهودية، ويعتبرون أتباعهم يهوداً^(٧).

(١) تقي الدين أحمد ابن تيمية، الجواب الصحيح عن بدل دين المسيح، ج ١، ص ٦٦.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٨١.

(٣) انظر: صلاح الخالدي، حقائق قرآنية، ص ٦٨.

(٤) سورة يونس، الآيتان ٧١، ٧٢.

(٥) سورة الذاريات، الآيات ٣١-٣٦.

(٦) انظر: عبد الرحمن غنيم، اليهود بين القرآن والتوراة، ص ٢١.

(٧) انظر: صلاح الخالدي، حقائق قرآنية، ص ٧٠.

لكن القرآن الكريم يفند هذا ويعتبر أولئك الأنبياء الكرام -عليهم الصلاة والسلام- مسلمين ورسالتهم هي الإسلام وأتباعهم مسلمون^(١) فهذا إبراهيم عليه السلام، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

كما يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَآرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

كما يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤). كما يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٥).

وهذا يعقوب عليه السلام هو "إسرائيل" وهو جد بني إسرائيل، واليهود يدعون انتسابهم إليه، ويزعمون أنهم على دينه، لكن القرآن يقرر ويؤكد أنه كان مسلماً بل يوصي بنيه بالإسلام^(٦) يقول ﷻ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٧).

وهذا يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٨).

وهذا موسى عليه السلام، يدعو إلى الإسلام.

(١) المصدر السابق، ص ٧١.

(٢) سورة البقرة، الآيات ١٣٠-١٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآيتان ١٢٧، ١٢٨.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان ٦٧، ٦٨.

(٥) سورة البقرة، الآيتان ١٣٥، ١٣٦.

(٦) انظر: صلاح الخالدي، حقائق قرآنية، ص ٧٢.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٣٣.

(٨) سورة يوسف، الآية ١٠١.

فموسى عليه السلام كان مسلماً مؤمناً وهو أول المسلمين المؤمنين من قومه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وفي موضع آخر من القرآن الكريم نرى موسى يطلب من قومه أن يسلموا لله، ويؤمنوا به، ويتوكلوا عليه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

فاستجاب قوم موسى المؤمنون به لدعوته، وأعلنوا أنهم مسلمون^(٣) ودعوا الله أن يتوفاهم مسلمين، وقرر القرآن هذه الحقيقة كما هو الحال في سحرة فرعون فقد أدركوا أن ما جاء به موسى عليه السلام إنما هو الإسلام.

﴿وَأَنقِيَ السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نَنقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^(٤).

بل إن فرعون كان يدرك هذه الحقيقة وهي أن دعوة موسى كانت إلى الإسلام لا إلى اليهودية^(٥). قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٦).

فهذه النصوص القرآنية تقرر أن موسى وهارون مسلمان، وأن دينهما هو الإسلام ومن اتبعهما كانوا من المسلمين، وفي هذا جواب للسؤال الذي طرحناه في بداية هذا المبحث وهو أن موسى عليه السلام جاء بالإسلام وليس باليهودية. وهذا بشهادة الآيات القرآنية السالفة الذكر ومن قال إن موسى عليه السلام جاء باليهودية أو بما يسمى باليهودية الحقّة فقد جانب الصواب، لأنه بذلك يخالف قول الله ﷻ فليس هناك يهودية حقّة ويهودية غير حقّة فهذا تزييف وقلب للحقائق، فالأمر واضح لا يحتاج سوى تدبر وتأمل في الآيات القرآنية، والله ﷻ بين ذلك بشكل واضح وجلى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٧).

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٢) سورة يونس، الآية ٨٤-٨٥.

(٣) انظر: صلاح الخالدي، حقائق قرآنية، ص ٧٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٢٠-١٢٦.

(٥) انظر: بهجت الحباشنة، "الدين مفهومه وحقيقته"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، ص ١٥.

(٦) سورة يونس، الآية ٩٠.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٩.

و﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ...﴾^(١) ففيهما القول الفصل ثم إن الديانة اليهودية لم تكن في زمن موسى عليه السلام فلا يوجد آية واحدة في القرآن الكريم تقرر ما بين موسى واليهودية.

فاليهود على سبيل المثال كانوا في زمن عزير لذلك قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيرُ ابْنُ اللَّهِ...﴾^(٢) فلو كانت في زمن موسى لقال الله تعالى وقال اليهود موسى ابن الله. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً والغريب أن بعض من كتب في الأديان يقولون أن موسى جاء باليهودية أو أن اليهودية دين سماوي^(٣)، وهم بذلك قد خالفوا صريح القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وأما ما ورد بشأن عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

وقد أدرك الحواريون أنصار عيسى عليه السلام أن رسالته هي الإسلام وأقروا بأنهم مسلمون حيث يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٦).

فهذا دليل قاطع وصريح على أن عيسى عليه السلام كان مسلماً ودعوته كانت للإسلام وأتباعه ومن آمن به مسلمون وهذه الآيات أيضاً ترد على من يقول أن عيسى عليه السلام جاء بالنصرانية أو أن النصرانية هي دين سماوي^(٧).

(١) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٠.

(٣) على سبيل المثال انظر: حسن الباس، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفتقران، ص ٧٤. حيث يقول: "إن نشوء اليهودية على يد موسى برز في هذه البيئة... وعبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الديانة اليهودية، دار الأوانل، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤، ص ١٥. حيث يقول: "إن الدين اليهودي دين سماوي، وعقيدة اليهود الحق هي عقيدة إلهية مقدسة". ومحمد الصادقي، عقائدنا، دار الصادق، بيروت، ط ١، ١٩٧٢م، في الصفحة التي بعد الغلاف "على ضوء ما جاء في الديانات السماوية الثلاث... وحسين علي حمد، قاموس المذاهب والأديان، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٢٢٩. حيث يقول: "اليهودية من أقدم الأديان السماوية، اعتنقها العبرانيون المتحذرون من إبراهيم عليه السلام، نبيهم موسى عليه السلام (١٣٠١ ق م - ١٢٣٤ ق م)".

(٤) سورة البقرة، الآيتان ١٣٥، ١٣٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٥٢.

(٦) سورة المائدة، الآية ١١١.

(٧) انظر على سبيل المثال: حسين علي حمد، كتاب قاموس المذاهب والأديان، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٢٠٩. حيث جاء فيها "الديانة النصرانية هي التي أسست على تعاليم السيد المسيح الجملة لتعاليم موسى ولما جاء في التوراة".

من هنا ندرك أن تعبير "الديانات السماوية" هو تعبير خاطئ من وجهة نظر إسلامية، إذ ليس هناك إلا ديناً واحداً منزل من عند الله ﷻ وهو الإسلام ولكن يجوز إطلاق تعبير "الكتب السماوية" لأنها متعددة وكثيرة، كما يجوز استعمال تعبير "الشرائع السماوية" و"الرسالات السماوية" فهذه الأخيرة قد وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، تارة بصيغة الجمع وتارة بصيغة الإفراد^(١)، كما يلي:

قال تعالى: **(أَبْلَغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)**^(٢).

وقال تعالى: **(فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ)**^(٣).

وقال تعالى: **(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَكَأَيُّ خَشْيَةٍ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا)**^(٤).

وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)**^(٥).

وقال تعالى: **(فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)**^(٦).

وبهذا نكون قد اجبنا على السؤال الثالث الذي طرحناه في بداية هذا المبحث.

وهذا سليمان عليه السلام تشهد الآيات القرآنية أنه كان مسلماً ودعوته كانت للإسلام وأتباعه ومن آمن به مسلمون ولنتأمل الآيات القرآنية وهي تحدثنا عن ذلك فقد أرسل سيدنا سليمان كتابه إلى ملكة سبأ بواسطة الهدد يدعوها إلى الإسلام.

- والندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة، ص ٤٩٩. حيث جاء فيها "النصرانية هي الديانة المسيحية التي أنزلت على عيسى عليه السلام".

- وأمين القضاة وآخرون، أديان وقرآن، ص ٩٥. وجاء فيها "أن المسيحية دعوة إلهية مكملية لرسالة موسى لبني إسرائيل".

- وسيد البشاي وآخرون، دراسات في الأديان والفرق، ص ٦١. "وقد جاء المسيح مبشراً بالمسيحية".

- وسعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان، ص ١٠٤. "الديانة النصرانية في الأهل تعود إلى المسيح عليه السلام والنصرانية دين سماوي...".

وهذه الأخطاء وقع فيها المحدثون ممن كتبوا في الأديان أما العلماء القدامى فلم يقعوا في هذه الأخطاء كالمفسرين وغيرهم، ومن كتب في الأديان والفرق. كابن تيمية، وابن الجوزي، وابن حزم الأندلسي، والشهرستاني.

(١) بهجت الحباشنة، "الدين مفهومه وحقيقته"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، ص ١٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٦٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٩٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٣٩.

(٥) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية ٧٩.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(٢).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾^(٣).

وقد أجابت ملكة سبأ دعوة سليمان إليها بالإسلام.

قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

وهذا سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي جاء مكملًا لمنهج ومسيرة من سبقه من الرسل من الدعوة إلى الإسلام ولنستمع إلى الآيات القرآنية وهي تحدثنا عن ذلك.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾^(٥).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأَمِرتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٧).

وإلى هذا الدين الوحيد المنزل من عند الله ﷻ وجه سيدنا محمد ﷺ رسائله إلى الملوك والرؤساء، وأشهدهم على إسلامه، وإسلام من معه، ومن قبله أيضًا^(٨) يقول ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٩).

فالإسلام إذن هو دين الله ﷻ المتواصل الذي لم ينقطع قط وجاء به جميع الأنبياء -عليهم السلام- فسيدنا محمد ﷺ لم يأت بأمر عقدي يختلف فيه عن بقية الرسل -عليهم السلام-^(١٠).

(١) سورة النمل، الآيات ٢٩-٣١.

(٢) سورة النمل، الآية ٣٨.

(٣) سورة النمل، الآية ٤٢.

(٤) سورة النمل، الآية ٤٤.

(٥) سورة المائدة، الآية ٣.

(٦) سورة النمل، الآية ٩١.

(٧) سورة الزمر، الآيتان ١١، ١٢.

(٨) انظر: عبد الرزاق رحيم الموحى، العبادات في الديانة اليهودية، ص ١٢٠.

(٩) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(١٠) بهجت الحباشة، "الدين مفهومه وحقيقته"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، ص ٩.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَكَأَ بِكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(١).

يقول سيد قطب معلقاً على هذه الآية "... إن محمداً ﷺ ليس أول رسول، فقد سبقته الرسل، وأمره كأمرهم، وما كان بدعاً من الرسل، بشر يعلم الله أنه أهل للرسالة فيوحي إليه، فيصدع بما يؤمر"^(٢).

فمقيدة الإسلام وشريعته لم يبتدعها محمد ﷺ ولكن الله أوحى إليه أحكامها كاملة في قرآنه^(٣) وسنة نبيه ﷺ، وينبه الدكتور بهجت الحباشنة في بحثه "الدين مفهومه وحقيقته" أن بعض العلماء يحصر كلمة "الإسلام" بالدين المنزل على سيدنا محمد ﷺ فقط عند تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤).

ويقول: "وهذا من وجهة نظري قد جانب الصواب، ولو رجعنا إلى الآيات التي سبقت هذه الآية، لأدركنا أن كلمة الإسلام "المقصود بها دين الله تعالى المنزل على جميع الرسل والأنبياء عبر جميع العصور وليست مقصورة على رسالة محمد ﷺ"^(٥).

فالآيات السابقة لهذه الآية يقول فيها تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦).

وليس هذا فحسب بل إن الإسلام هو دين أهل السموات والأرض^(٧)، فالملائكة كلهم مسلمون وجميع المخلوقات التي في السماء أعلمناها أم لم نعلمها وكذلك مخلوقات الأرض فالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب كلها مخلوقات مسلمة لله ﷻ خاضعة ومنقادة ومستسلمة له ﷻ^(٨).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

(١) سورة الأحقاف، الآية ٩.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٢٥٧.

(٣) محمد الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص ٤١١.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٥) بهجت الحباشنة، "الدين مفهومه وحقيقته"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، ص ١٧.

(٦) سورة آل عمران، الآيتان ٨٤، ٨٥.

(٧) عبد الرزاق رحيم الموحى، العبادات في الديانة اليهودية، ص ١١.

(٨) صلاح الخالدي، حقائق قرآنية، ص ٦٧-٦٨.

مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ»^(١).

وأخيراً نرى أن الله ﷻ في سورة آل عمران قد أخذ العهد والميثاق على المسلمين أن يصدق بعضهم بعضاً في الحق ودعوة الناس إلى الإسلام الذي هو أصل التوحيد إذ من غير المعقول بل من المستحيل عليهم أن يأمرهم الله ﷻ بعبادة غيره من الملائكة والنبیین لأن في ذلك تكفيراً لهم من بعد أن كانوا مسلمين^(٢).

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّيْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

يقول ابن كثير في تعليقه على هذه الآية قال محمد إسحاق: حدثنا محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال، قال رافع القرظي: "حين اجتمعت الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أو ذلك تريد منا يا محمد وإليه تدعون؟ أو كما قال: فقال رسول الله ﷺ: "معاذ الله إن نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني"، أو كما قال عليه السلام فأنزل الله في ذلك "ما كان لبشر..". وقوله تعالى: "ولا يأمركم..." أي ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله: لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله، ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء جميعاً إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له^(٤).

من خلال هذا العرض للآيات القرآنية والأحاديث النبوية أخلص إلى ما يلي:

أولاً : أن جميع الأنبياء والرسل -عليهم السلام- قد جاءوا بدين واحد هو الإسلام وهو دين الله الوحيد الذي أرسله إلى جميع الأمم منذ سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ وهذا الذي حسمه القرآن الكريم في الآيات القرآنية السابقة.

ثانياً : أن موسى عليه السلام جاء بالإسلام، ودعوته كانت للإسلام، وعيسى عليه السلام جاء بالإسلام ودعوته كانت للإسلام شأنهم في ذلك شأن جميع الأنبياء الذين كانوا قبلهم وبعدهم.

(١) سورة الحج، الآية ١٨.

(٢) محمد عزت الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص ٤١٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ٧٩، ٨٠.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٩١-٥٩٢، وانظر السيوطي، أسباب النزول، ص ٥٤.

ثالثًا : أن تعبير "الديانات السماوية" تعبير خاطئ من وجهة النظر الإسلامية، لأن لفظ دين جاء مفسرًا ولم يأتي بلفظ مثني أو بلفظ الجمع في القرآن.

رابعًا: يقرر القرآن الكريم أن الإسلام هو دين أهل السماوات وأهل الأرض.

المبحث الخامس

المصادر المقدسة عند اليهود والنصارى

المطلب الأول: المصادر الدينية المقدسة عند اليهود:

العهد^(١) القديم (Old Testament):

ويطلق عليه اليهود اسم (تاناخ - Tanakh)، ويؤمن اليهود -على اختلاف فرقهم- بأسفار "العهد القديم" ويزعمون أن هذه الأسفار قد وصلت إليهم بواسطة أنبيائهم فهي عندهم وحى وتنزيل، ويستمدون منها عقيدتهم وشريعتهم ونظمهم وأخلاقهم، ويستندون إليها في معرفة تاريخهم وأيامهم. ويتكون "العهد القديم" من تسعة وثلاثين كتابًا أو سفرًا حسب رأي البروتستانت^(٢)، أختلف علماء الأديان في تقسيمها، فمنهم من قسمها إلى قسمين^(٣)، ومنهم من قسمها إلى ثلاثة أقسام أو مجموعات^(٤)، ومنهم من قسمها إلى أربع مجموعات^(٥) أما المصادر اليهودية والنصرانية فقد قسمت أسفار العهد القديم إلى ثلاثة مجموعات.

(١) يراد بكلمة العهد "Testament": الميثاق، أي أن هذه الأسفار تمثل ميثاقًا أخذ الله على الناس وارتبطوا به معه سبحانه وهذه التسمية "العهد القديم" قد أطلقت على مجموعة الأسفار النصرانية التي اعتمدها النصارى لأنفسهم من بين عشرات الكتب التي وضعت وزعم لها القداسة والعصمة، وقد أطلق النصارى على أسفارهم الخاصة بالعصر المسيحي "العهد الجديد" "New Testament" أي الميثاق الذي واثق الله به الناس في العهد العيسوي، والعهد معناه: "الشهادة"، يراجع قاموس الكتاب المقدس، ص ١٨٢ محمد عبد الله الشرقاوي، "في مقارنة الأديان"، بحوث ودراسات، دار الهداية، مدينة نصر، ط١، ١٩٨٦م، ص ١٣.

(٢) محمد عبد الله الشرقاوي، في مقارنة الأديان، ص ١٣.

(٣) رحمة الله بن خليل الرحمن الكندهلولي العثماني الهندي (ت ١٣٠٨هـ)، إظهار الحق، تحقيق: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة، الرياض، ١٩٨٩م، ج ١، ص ٩٩ وما بعدها. وابن حزم الأنلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مطبعة عكاظ، ١٩٨٢م، ص ٢٧.

(٤) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ج ٥، ص ٨٤. وحسن ظاظا، الفكر اليهودية أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧م، ص ١٢-١٣.

(٥) علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٤م، ص ١٤. ومصطفى حلمي، الإسلام والأديان، دراسة مقارنة، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٣، ١٩٩١م، ص ١٥٣. ومحمد الشرقاوي، في مقارنة الأديان، ص ١٤ وما بعدها. وموريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة والعلم، دار الأفكار، بيروت، ط١،

وعند الحديث عن المصادر الدينية اليهودية فلا بد من الرجوع في ذلك إلى المصادر اليهودية نفسها.

فالعهد القديم - بناءً على المصادر اليهودية يتكون من ثلاثة أقسام أو مجموعات^(١) أوضحها بإيجاز كما يلي:

المجموعة الأولى: التوراة المكتوبة^(٢) (Written Torah):

هي الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام وتسمى "Pentateuch"^(٣). وهي كما يلي:

١. التكوين، ويسمى سفر الخليفة: (Genesis).
٢. سفر الخروج (Exodus).
٣. سفر اللاويين ويسمى سفر الأحبار^(٤) (Leviticus):
٤. سفر العدد: (Numbers)
٥. سفر التثنية أو تثنية الاشتراع^(٥) (Deuteronomy):

أما المجموعة الثانية:

فتسمى أسفار الأنبياء "Nevi'im"^(٦)، وهي كما يلي:

١. سفر يشوع: Joshua.
٢. سفر القضاة: Judges.

١٩٩١م، ص ٢٦ وما بعدها. ومحمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية، نهضة مصر، ط ٢، ١٩٦٤م، ص ١٤.

(١) Barry W. Holtz, Back to the Sources Reading the Classic Jewish Texts, p34.

(٢) التوراة: لفظ عبراني بمعنى: التعليم والشرية. Brian E. Glose, Judaism, p1-2.

(٣) Pentateuque: هو تعبير يوناني أعطى لكلمة Pentateuque الفرنسية والتي تعني مؤلفاً يتكون من خمسة أجزاء هي:

التكوين، والخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية، وهي الأسفار التي كُتبت العناصر الخمسة الأولى لكتاب العهد

القديم. ويطلق عليها باللغة العبرية Chumash. Alan Unterman, Dictionary of Jewish Lore and Legend, p53.

(٤) واللاويين: هم نسل (لاوي Levi) أحد أبناء يعقوب، ومنهم موسى وهارون -عليهما السلام-، وقد كان اللاويون سدنة

الهيكل والمشرفين على شؤون المذبح والقرايين، وأحبار الشريعة الموسوية وكهنتها، وقد أناطت بهم التوراة مهام دينية

رفيعة -ومن ثم سُمي السفر باسمهم، وذلك لأنهم قد رجعوا من تلقاء أنفسهم إلى عبادة الرب بعد فتنة بني إسرائيل بعبادة

العجل ونقض عهد الرب.

- Jacob Neusner, An Introduction to Judaism, p145-151.

(٥) سمي بالتثنية لأن فيه إعادة وتكرار للتعاليم التي تلقاها موسى عن ربه. محمد الشرقاوي، مقارنة الأديان، ص ٢٠.

والمترجمون اليونانيون هم الذين أطلقوا عليه هذا الاسم متأثرين بعدد الشرائع التي يحتويها. عبد الواحد وافي، الأسفار

المقدسة، ص ١٤.

(٦) Barry W. Holtz, Back to the sources, Reading the classic Jewish Texts, p34.

٣. سفر صموئيل الأول: 1 samuel.
٤. سفر صموئيل الثاني: 2 samuel.
٥. سفر الملوك الأول: 1 Kings.
٦. سفر الملوك الثاني: 2 Kings.
٧. سفر إشعياء: Isaiah.
٨. سفر إرميا: Jeremiah.
٩. سفر حزقيال: Ezekiel.
١٠. سفر هوشع: Hosea.
١١. سفر يونس: Joel.
١٢. سفر عاموس: Amos.
١٣. سفر عوبديا: Obadiah.
١٤. يونا: Jonah.
١٥. سفر ميخا: Micah.
١٦. سفر ناحوم: Nahum.
١٧. سفر حبقوق: Habakkuk.
١٨. سفر صفينا: Zephaniah.
١٩. سفر حجي: Haggai.
٢٠. سفر زكريا: Zechariah.
٢١. سفر ملاخي: Malachi.

هذه الأسفار تتضمن ما وقع من أحداث بعد موت موسى عليه السلام والتي تمتد ما بين القرن الثامن والقرن الثاني قبل الميلاد^(١) وتنقسم هذه الأسفار إلى قسمين:

أ. الأنبياء المتقدمون:

وعدد أسفاره ستة^(٢) وهي:

(١) موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص ٣٥. وعبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥، ص ٨٤. ونخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، إشراف: بطرس عبد الملك وآخرون، ص ٧٦٢.

(٢) يشوع: هو يوشع بن نون الذي تولى زمام قيادة الأمة والذي أصبح قائداً لبني إسرائيل بعد موسى عليه السلام طوال الحقبة التي تم فيها الاستيلاء على أرض كنعان. مقدمة سفر يشوع، ص ٢٢٧.

سفر يشوع، وسفر القضاة^(١)، وسفرا صموئيل الأول والثاني^(٢)، وسفرا الملوك الأول والثاني^(٣).

ب. الأنبياء المتأخرون^(٤):

وهذا القسم يضم مجموعة من النبوءات والمواظ والقصص، وعددها خمسة عشر سفرًا، منها ثلاثة لأنبياء كبار (أشعيا^(٥)، وإرميا^(٦)، وحزقيال^(٧))، واثنان عشر لأنبياء صغار (هوشع^(٨)، ويونيل^(٩)، وعاموس^(١٠)، وعوبديا^(١١)، ويونان، وميخا^(١٢)، وناحوم^(١٣)، وحبقوق^(١٤)، وصفينا^(١٥)، وحجي^(١٦)، وزكريا^(١٧)، وملاخي^(١٨)).

- (١) على أثر دخول بني إسرائيل أرض كنعان، وبعد وفاة يشوع بن نون خليفة موسى تولى قيادة الشعب طائفة من الرجال دعوا بالقضاة أو المخلصين. مقدمة سفر أو كتاب القضاة، ص ٣١١.
- (٢) اشتملت التوراة العبرانية على كتابي صموئيل الأول والثاني في كتاب واحد على اعتبار أنهما يكونان تاريخاً متصلًا يروي مهمة حياة كل من النبي صموئيل، والملك شاول والملك داود. مقدمة سفر أو كتاب صموئيل الأول، ص ٣٥١.
- (٣) يشكل كتاب الملوك الأول وكتاب الملوك الثاني سفرًا واحدًا في التوراة العبرانية، وقد صنف هاذين الكتابين معًا في نحو القرن السادس قبل الميلاد، ويغطي هذان الكتابان حقبة تاريخية تقارب ثلاثة مئة وخمسين سنة، حكم في خلالها عدد من الملوك على إسرائيل لهذا دعي هاذان الكتابان بهذا الاسم. مقدمة كتاب الملوك، ص ٤٣٤.
- (٤) نخبة من اللاهوتين، قاموس الكتاب المقدس، إشراف: بطرس عبد الملك وآخرون، ص ٧٦٢.
- (٥) دون هذا السفر من قبل إشعيا في القرن الثامن ق.م. مقدمة كتاب إشعيا، ص ٨٢٤.
- (٦) دون هذا السفر من قبل النبي إرميا في نحو القرن السادس ق.م. مقدمة كتاب إرميا، ص ٨٨٩.
- (٧) كان حزقيال أحد الذين سبوا إلى بابل مع بقية اليهود الذين أجلوا عن المدينة المجيدة في سنة ٥٩٧ ق.م. مقدمة كتاب حزقيال، ص ٩٧٢.
- (٨) دون هوشع هذا السفر في القرن الثامن ق.م. مقدمة كتاب هوشع، ص ١٠٦١.
- (٩) يمثل معظم دارسي الكتاب المقدس إلى عزو هذا الكتاب إلى القرن التاسع ق.م. مقدمة سفر يونيل، ص ١٠٧٢.
- (١٠) دون النبي عاموس هذا السفر في القرن الثامن ق.م. مقدمة سفر عاموس، ص ١٠٧٧.
- (١١) في القرن السادس ق.م أوحى الرب بالنبوءات إلى عوبديا. مقدمة كتاب عوبديا، ص ١٠٨٦.
- (١٢) دون في القرن الثامن ق.م حيث شرع ميخا في إنذار كل من مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل. مقدمة كتاب ميخا، ص ١٠٩٢.
- (١٣) دون في القرن السابع ق.م حيث تتبأ ناحوم بدمار نينوى عاصمة مملكة آشور. مقدمة كتاب ناحوم، ص ١٩٩٩.
- (١٤) ظهر حبقوق في أثناء السنوات الأخيرة قبل سقوط أورشليم في سنة ٥٨٦ ق.م. مقدمة كتاب حبقوق، ص ١١٠٢.
- (١٥) من المرجح أن صفنيا قد دون هذا الكتاب في وقت سابق لسنة ٦٢١ ق.م. مقدمة كتاب صفنيا، ص ١١٠٦.
- (١٦) دون حجي هذا الكتاب في نحو سنة ٥٢٠ ق.م. مقدمة كتاب حجي، ص ١١١٠.
- (١٧) دون زكريا هذا الكتاب في مستهل سنة ٥٢٠ ق.م، وكان زكريا معاصرًا للنبي حجي. مقدمة كتاب زكريا، ص ١١١٣.
- (١٨) في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد المسيح أي ما بين سنتي ٤٥٠-٤٢٥ ق.م دون ملاخي هذا الكتاب. مقدمة كتاب ملاخي، ص ١١٢٥.

أما المجموعة الثالثة: الكتابات (Ketuvim)^(١)، وهي:

١. المزامير: Psalms
٢. الأمثال: Proverbs
٣. أيوب: Job
٤. نشيد الأنشاد: Song of Songs
٥. راعوت: Ruth
٦. مراثي إرميا: Lamentations
٧. الجامعة: Ecclesiastes
٨. آستير: Esther
٩. دانيال: Daniel
١٠. عزرا: Ezra
١١. نحميا: Nehemiah
١٢. أخبار الأيام الأول: 1 chronicles
١٣. أخبار الأيام الثاني: 2 chronicles

ثانيًا: التلمود (التوراة الشفوية) (Oral Torah):

أما المصدر الثاني من المصادر الدينية عند اليهود: فهو التلمود:

وكلمة تلمود مستخرجة من كلمة "Lamud" التي تعني تعاليم. وهذه الكلمة تعني الكتاب الذي يحتوي على التعاليم (اليهودية) التي تسمى منذ زمن طويل باسم "التلمود" أي الكتاب العقدي الذي وحده يُفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه^(٢).

أصل التلمود:

يعتقد اليهود أنه بالإضافة إلى القانون المكتوب على ألواح من الحجر، الذي تسلمه موسى من ربه على جبل سيناء والذي مر ذكره تحت اسم التوراة المكتوبة^(٣) فقد تسلم موسى أيضًا ما يُدعى بالقانون الشفوي حيث يؤمنون أن موسى قد تلقى من ربه في صحراء سيناء ٦١٣ وصية مشافهة.

(١) Barry W.Holtz, Back to the sources, Reading the classic Jewish texts, p34. Jacob Veusner, An Introduction to Judaism, p131-151.

(٢) الأب، أي، بي، براناتيس، فضح التلمود، إعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م، ص٢٢.

(٣) وهذا القانون يُدعى عند اليهود باسم توراة شيبكستاب (Torah Schebi'ktab). أي بي براناتيس، فضح التلمود، ص٢٢.

بقي يتناقلها علماء بني إسرائيل من جيل إلى جيل مشافهتاً حتى عام ٢٠٠ م حيث جاء العالم اليهودي يهوذا هاناسي والذي قام بتدوين الوصايا سائلة الذكر مع شروحات وتعليقات العلماء وأطلق عليها اسم (المشناة) Mishnah، ثم شرح هذا الكتاب باللغة الآرامية والتي أطلق عليها جماراً^(١). وينبغي أن نذكر أن (الجمارا) قد وضعتها مدرستان يهوديتان:

(أحدهما) مدرسة يهود فلسطين، وقد ألف علماءها شروحهم باللهجة الآرامية الغربية، واستغرق تأليفهم لهذه الشروح فترة طويلة تمتد من القرن الثاني إلى الخامس بعد الميلاد وتجمع شروحهم هذه إلى المتن (المشناة) لتشكل ما يعرف بالتلمود الأورشليمي أو تلمود القدس^(٢). ومؤلف هذه النسخة هو الرابي (جو شانان، Jochanan) الذي كان كبير اليهود في القدس لمدة ثمانين سنة وقد فرغ منها سنة ٢٣٠ م^(٣). (والثانية) مدرسة يهود بابل، وقد ألف علماءهم شروحهم بإحدى اللهجات الآرامية الشرقية، وشرعوا فيها منذ أوائل القرن الرابع بعد الميلاد ولم يفرغوا منها إلا في القرن السادس الميلادي، وتآلف من شروحهم تلك إلى جانب المتن (المشناة) ما يعرف بتلمود بابل، ولم تجمع جمارا بابل من قبل شخص واحد أو في زمن واحد، ولكن أنجزها حاخامات كثيرون^(٤).

أقسام التلمود:

يتكون التلمود من ستة أجزاء رئيسية:

- (١) قسم القوانين الدينية الزراعية وتسمى زيرائيم Zeraim.
- (٢) قسم الأعياد، وتسمى مويد Moed.
- (٣) قسم المرأة (النساء)، وتسمى ناشيم Naschim.
- (٤) قسم الأضرار والتعويض عنها، ويسمى Nezikin.
- (٥) قسم القداسة والمقدسات Holiness ويسمى كوداشيم Kodashim.
- (٦) قسم الطهارات، وتسمى توهوروت Tohoroth.
- (٧) وكل قسم من هذه الأقسام يحتوي على عدة رسائل أو كتب أو كرسات تسمى "ما سيكتوث Massiktoth" وهذه بدورها مقسمة إلى فصول تسمى "بيراكيم Perakim"^(٥).

(١) Back to the sources, Edited by Barry W. Holtz, p129-179.

(٢) وكان يطلق عليه في الماضي تلمود فلسطين لكن الطبقات الحديثة الآن يطلق عليها تلمود أرض فلسطين وآخر طبعة كانت سنة ١٩٩٢م، وقد طبعت في مطابع جامعة شيكاغو في أمريكا ويتألف من ٣٦ مجلداً.

(٣) براناتيس، فضح التلمود، ص ٢٤.

(٤) المصدر السابق، دائرة المعارف البريطانية مادة Talmud، ص ٥٢٥. ومحمد عبد الله الشرفاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٢٦.

(٥) Barry W. Holtz, Back to the sources, p129-179

والمجال هنا لا يتسع لذكرها مفصلة.

وهناك مصادر دينية ثانوية أخرى أختلف اليهود في الاعتماد عليها مثل "أبوكريفا"^(١) و"سيود ابيجرفا"^(٢).

فهذه مصادر ثانوية غير معتمدة عند اليهود، وهناك مصادر أخرى عند اليهود قسم منها أُعترف به وقسم لم يعترف به. وتحتاج هذه المصادر إلى تفصيل لا يتسع المقام لذكره هنا، لذلك اقتصر في الحديث على المصادر المتفق عليها عند اليهود.

المطلب الثاني: المصادر الدينية المقدسة عند النصارى:

أولاً: الكتاب المقدس:

عرف نخبة من اللاهوتيين الكتاب المقدس بقولهم: "هو مجموع الكتب الموحاة من الله والمتعلق بخلق العالم وفدائه وتقديسه وتاريخ معاملة الله لشعبه، ومجموعة النبوءات عما سيكون حتى المنتهى، والنصائح الدينية والأدبية التي تناسب جميع بني البشر في كل الأزمنة ويبلغ عدد الكتاب الملهمين الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتباً، من جميع الطبقات، واستغرقت مدة كتابته ١٦٠٠ سنة، وكان جميع هؤلاء الكتاب من الأمة اليهودية ما عدا لوقا كاتب الإنجيل... وفي الكتاب المقدس جميع أنواع الكتابة من نثر وشعر، وتاريخ، وقصص، وحكم، وأدب، وتعليم، وإنذار، وفلسفة، وأمثال"^(٣).

أمّا عن أصل الكتاب المقدس: فيقول موريس بوكاي: "كان الكتاب المقدس، قبل أن يكون مجموعة أسفار، تراثاً شعبياً لا سند له إلا الذاكرة، وهي العامل الوحيد الذي أعتمد عليه نقل الأفكار"^(٤).

ويقسمونه إلى قسمين رئيسيين هما:

أ. العهد القديم: Old Testament:

وهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الناموس (التوراة) والأنبياء، والكتابات، وهذا هو التقسيم اليهودي للعهد القديم وقد مر بيانه بالتفصيل^(٥).

(١) "أبو كريفا" هي كلمة يونانية معناها السرية، وتسمى عند اليهود الكتب الخارجية أو الخفية أو غير القانونية، وهذه الأسفار لم يدخلها اليهود في كتابهم المقدس فهذه لا يجوز للعامة أن تقف عليه. قاموس الكتاب المقدس، ص ١٨.

(٢) "سيود ابيجرفا" هي تابعة للكتب الخارجية وتسمى الكتب المنسوبة. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥، ص ٨٣.

(٣) نخبة من اللاهوتيين ومن ذوي الاختصاص، قاموس الكتاب المقدس، إشراف: بطرس عبد الملك وآخرون، ص ٧٦٢.

(٤) موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص ٢٠.

(٥) راجع المصادر المقدسة عند اليهود، ص ٦٥.

أما النصارى فقد قسموا العهد القديم إلى أسفار تاريخية وشعرية ونبوية حسب ترتيبها في الترجمة اليونانية^(١).

ب. العهد الجديد: New Testamet:

وينقسم العهد الجديد إلى: الأناجيل^(٢) الأربعة، وأعمال الرسل، ورسائل بولس، والرسائل الجامعة، والرؤيا.

وقد يقسم أيضاً إلى: الكتب التاريخية، والكتب التعليمية، والنبوية^(٣)، ولكل من هذه الأعمال، والرسائل والكتب تعريفات وتفصيلات لا يتسع المقام لذكرها هنا.

وأساس هذا التقسيم هو مبعث عيسى عليه السلام فما كان قبله فهو العهد القديم وما كان بعده فهو الجديد. وجرت العادة بأن تجتمع أسفار العهدين معاً في كتاب واحد، يطلق عليه الكتاب المقدس (Holy Bible)، أي الموحى به من عند الله، وسُمي مقدساً، لأن أسفاره كلها كتبها رجال الله القديسون بإلهام (الروح القدس) الذي كان يسدهم، ويجنبهم مواطن الزلل والتحريف، ولأنه أيضاً يبحث في أمور مقدسة^(٤). ويقس النصارى جميعاً -إلى جانب أسفار العهد القديم- أسفار "العهد الجديد" "New Testament" ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين سفرًا أقرها علماء النصارى من بين عشرات الكتب الأخرى المماثلة لها في القرن الخامس الميلادي^(٥). وتنقسم هذه الأسفار إلى أربعة مجموعات على النحو التالي:-

أ) الأناجيل الأربعة: متى، مرقس، لوقا، يوحنا.

تعريف موجز بالأناجيل الأربعة:

أولاً: إنجيل متى^(٦):

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٦٤.

(٢) الأناجيل جمع إنجيل: والإنجيل كما جاء في الكتاب المقدس: "هو كلمة الله التي أوحى بها للرسل بواسطة الروح القدس، وفيه يعلن لجميع البشر البشارة، والمحبة، والنعمة، والخلاص، والحياة الأبدية". الكتاب المقدس، العهد الجديد، انظر المقدمة. ويذكر العلامة -رحمه الله- الهندي في كتابه: إظهار الحق "أن لفظ الإنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة، وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد مثلما تطلق كلمة "التوراة" مجازاً على جميع كتب العهد القديم، وهذا اللفظ معرب كان في الأصل اليوناني "انكليون" بمعنى البشارة والتعليم، ج ١، ص ١٠٣.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٦٥.

(٤) قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٦٢-٧٦٣. والأنلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٢، ص ١٠٨.

(٥) العهد: أي الميثاق الجديد الذي أخذه الله على الناس في زمان عيسى عليه السلام. الشرقاوي، في مقارنة الأديان، ص ٢٥.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٧) متى من الاسم العبري "مثنيا" الذي معناه "عطيه يهوه"، وكان في الأصل جابياً في كفرناحوم، وهو كاتب هذا الإنجيل، ويعتبر عند النصارى من حوارى عيسى عليه السلام، وقد ورد أنه توفي في الحبشة وهو يبشر بالمسيحية سنة (٧٠م) وقد كتب هذا الإنجيل باللغة العبرية لأن متى كتبه لليهود لنشر المسيحية بينهم، ثم ترجم فيما بعد إلى اليونانية. قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٣٢.

يحتل إنجيل متى بين الأناجيل الأربعة المكانة الأولى في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد، وهي مكانة لها ما يبررها فهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم^(١). ويرجح أن هذا الإنجيل قد كتب في فلسطين^(٢)، ويركز هذا الإنجيل على أن المسيح هو الملك الذي كان اليهود ينتظرونه، عندما جاءهم رفضوه وصلبوه، مع أنه ابن داود الذي تمت به نبوءات العهد القديم^(٣).

ثانيًا: إنجيل مرقس^(٤):

هذا الإنجيل هو أقصر الأناجيل، وأقدمها، ولكنه ليس كتاب أحد الحواريين بل هو على أكثر تقريب كتاب حرره تلاميذ أحد الحواريين^(٥).

ثالثًا: إنجيل لوقا^(٦):

١. لوقا أديب وثني آمن بالمسيحية، وإنجيله عمل أدبي، يخلو من حواشي الكلام^(٧). وإنجيل لوقا هو الإنجيل الثالث من بين الأناجيل وقد وجه إلى شخص شريف يدعى ثاوفيلس يرجح أنه أحد المسيحيين من أصل أعجمي^(٨).

رابعًا: إنجيل يوحنا^(٩):

-
- (١) موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص ٧٩.
- (٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٣٢.
- (٣) مقدمة الإنجيل متى والإصحاح: ١٢، الفقرات: ٤٦-٤١.
- (٤) مرقس: اسم لاتيني معناه "مطرقة" ويرجح أنه ولد في اورشليم وهو كاتب هذا الإنجيل وأهم ما يميزه أنه ينكر ألوهية المسيح وكتب هذا الإنجيل بناءً على طلب من أهل رومية، وكتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية سنة (٦٣م). قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٥٣. محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٥٢.
- (٥) موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص ٨٤.
- (٦) هناك خلافات كثيرة بين علماء المسيحيين حول شخصية لوقا، وهناك خلافات أيضًا حول السنة التي كتب فيها هذا الإنجيل، فمنهم من يقول أنه دون سنة ٥٣م، ومنهم من يقول سنة ٥٦٤، ٦٨٤م، وقد كتبت هذه الأناجيل باللغة اليونانية. واسم لوقا كما جاء في قاموس الكتاب المقدس: لوقا: اسم لاتيني ربما كان اختصارًا ل"لوقانوس" أو "لوكيوس"، ص ٨٢٢.
- (٧) موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص ٨٧.
- (٨) المعجم المفهرس للكتاب المقدس، ص ٨٢٢.
- (٩) هناك خلافات كثيرة بين علماء النصارى حول شخصية يوحنا فهو شخصية غير ثابتة، أو معروفة، أو محددة على حسب ما ورد في دائرة المعارف البريطانية، وفي قاموس المفهرس للكتاب المقدس، ص ١١٠٦، واختلف أيضًا في زمن تدوين هذا الإنجيل فقول أنه في سنة ٦٨، ٦٩. وقيل في سنة ٧٠. وقيل في ٨٩، ٩٥، ٩٨م. وجاء في قاموس الكتاب المقدس أن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الرسول، ص ١١١٠. ويوحنا: هي صيغة عربية للاسم "يوحنا" في الأسفار الأبوكرفا والعهد الجديد، ص ١١١٠.

يقول بوكاي: "يختلف إنجيل يوحنا عن الأناجيل الثلاثة الأخرى، فهو يختلف في الترتيب وفي اختيار الموضوعات والروايات، والخطب، وله اختلافات أسلوبية وجغرافية، وأخرى خاصة بالتعاقب الزمني للأحداث، بل أنه يحتوي على اختلاف في الآفاق اللاهوتية"^(١).

(ب) أعمال الرسل وهو سفر واحد ينسب إلى "لوقا" صاحب الانجيل.

(ج) الرسائل المقدسة (Epistles) وهي إحدى وعشرون رسالة منها أربع عشرة رسالة كتبها بولس، كما يلي:-

١. رسالة بولس إلى أهل رومية (روما) Romans .
 ٢. رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس 1 Corinthians .
 ٣. رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس 2 Corinthians .
 ٤. رسالته إلى أهل غلاطية Galatians .
 ٥. رسالته إلى أهل أفسس: Eph sians .
 ٦. رسالته إلى أهل فيلبي Philippians .
 ٧. رسالته إلى أهل كولوسي Colossians .
 ٨. رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى 1 Thessalonians .
 ٩. رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكى 2 Thessalonians .
 ١٠. رسالته الأولى إلى تيموثاوس 1 Temothy .
 ١١. رسالته الثانية إلى تيموثاوس 2 Temothy .
 ١٢. رسالته إلى تيطس Titus .
 ١٣. رسالته إلى فيلمون Philemon .
 ١٤. رسالته إلى العبرانيين^(٢) Hebrews .
- والرسائل السبعة الباقية يطلق عليها: "الرسائل الكاثوليكية" Epistles Catholic وهي كما يلي:-

١. رسالة يعقوب James .
٢. رسالة بطرس الأولى 1 Peter .
٣. رسالة بطرس الثانية 2 Peter .
٤. رسالة يوحنا الأولى 1 John .

(١) موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص ٩٠.

(٢) محمد عبد الله الشرقاوي، في مقارنة الأديان، ص ٢٩. وانظر أيضاً: فهرس العهد الجديد من الكتاب المقدس. والملفت أن قائمة رسائل بولس تشكل ثلث حجم العهد الجديد، فهي مسهبة في ذكر التفاصيل الفرعية. الشرقاوي، في مقارنة الأديان، ص ٢٩.

٥. رسالة يوحنا الثانية John 2.

٦. رسالة يوحنا الثالثة John 3.

٧. رسالة يهوذا Jude.

د. سفر "رؤيا يوحنا" ، ويطلق عليه كذلك: "مشاهدات يوحنا"^(١) Revelation to John, or Apocalypse.

(١) المصدر السابق، ص ٣٠. والكتاب المقدس فهرس العهد الجديد من الكتاب المقدس.

الفصل الثاني عقائد اليهود في القرآن الكريم وعلاقتها بكتبهم المقدسة

المبحث الأول عقائد اليهود في القرآن الكريم المتعلقة بالألوهية وعلاقتها بكتبهم المقدسة.

- المطلب الأول : اليهود وعبادة العجل في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب الثاني : عقيدة اليهود أنهم شعب الله المختار من خلال الفهم الخاطئ لقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب الثالث : عقيدة اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب الرابع : إساءة اليهود للذات الإلهية من خلال قولهم "يد الله مغلولة" وقولهم "أن الله فقير ونحن أغنياء" في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب الخامس : عقيدة اليهود في السبت في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب السادس : تكفير اليهود غيرهم واعتبار أن دينهم هو الدين الحق في السياق القرآني والمصادر اليهودية.

- المطلب السابع : زعم اليهود أن العزيز ابن الله في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب الثامن : اتخاذ اليهود أحبارهم أرباباً من دون الله في السياق القرآني والمصادر اليهودية.

تمهيد:

إن المعتقد في حياة أي إنسان هو أمر بالغ الأهمية لأنه هو الموجه الحقيقي للدوافع والتصرفات السلبية والإيجابية على عكس الحيوان الذي يتسم سلوكه من حيث غرائزه المنضبطة فطرياً بحدود حاجاته^(١).

يقول الشيخ الميداني: "ومتى بلغ شعورنا بالشيء إلى حد أصبح يحرك عواطفنا ويوجه سلوكنا حمل اسم عقيدة"^(٢).

والعقيدة اليهودية التي نحن بصدد دراستها من خلال القرآن الكريم نتعامل معها ابتداءً من منطلق إنها عقيدة منحرفة بيّنها لنا القرآن الكريم، كان لها آثارها المنحرفة في أقوالهم، وأفعالهم والأحكام التي يصدرونها منذ نشأة هذه الديانة.

يقول الشيخ محمد الغزالي: "العقيدة المنحرفة أسباب نفسيه وأخرى علمية تظهر في أقوال المرء وأفعاله، ونلاحظ ذلك مما يصدر من أحكام على الأشخاص والأشياء، وتتفاوت هذه الأشياء قوة وضعفاً، وقلة وكثرة ولكنها على كل حال ذات أثر عميق في تحديد المواقف والاتجاهات"^(٣).

ومن المعلوم أن الإله الحقيقي -وفق المنطق السليم وكما حددته القاعدة القرآنية- لا بد وأن يختلف عن خلقه ويمتاز بكماله عنهم وقصورهم عن إدراكه والإحاطة به، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٥).

والإله منزّه عن التجسيم والحلول والتحديد الذي يمكن أن يتصوره ذهن البشري كذلك، ولكن اليهود في تصورهم للإله ابتعدوا عن ذلك كل البعد حتى وصل إلى التطاول على مقام الألوهية وهذا ما أخبرنا به القرآن الكريم والذي سيظهر من خلال الصفحات القليلة القادمة، وإنني إذ استشهد بعدة نصوص من كتابات اليهود في كتبهم المقدسة (اعتذر) عن محتوى ما تقدمه هذه النصوص من بشاعة وفضاعة - في حديثها عن الإله - يدحضها العقل وترفضها أدنى درجات الذوق.. ولكن الأمانة العلمية تقتضي أن أدمج حديثي مع ما اختاره القرآن في تسجيل جرأتهم على الله، وصولاً إلى معرفة عقائدهم.

اضطربت عقيدة الألوهية عند اليهود اضطراباً بالغاً، فبينما تتحدث بعض أسفار التوراة عن الإله بصفته "الله" الخالق المتفرد وحده بالخلق والإحياء كما جاء في قصة بدء الخلق في سفر التكوين،

(١) آلاء عشاء، الجانب المادي في الشخصية اليهودية، رسالة ماجستير، ص ٢٣.

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط ٧، ١٩٩٤م، ص ٣١.

(٣) محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ١٤٠٢هـ، ص ١١٤.

(٤) سورة الشورى، الآية ١١.

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

بالإضافة إلى بعض النصوص الواردة في سفر الخروج تدل على الوجدانية كما جاء في الوصية الأولى من الوصايا العشر التي كلم الله موسى ﷺ عليها "أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ديار عبوديتك لا يكن لك آلهة أخرى سواي لا تتحت لك تمثالاً، لا تضع صورة ... لا تسجد لهن، ولا تعبدن، لأنني أنا الرب إلهك، إله غيور"^(١) فهذه الوصية واضحة كل الوضوح على عبادة الله الواحد فقط.

ومن ناحية أخرى نجد أن معظم الأسفار تتحدث عن الله بصفته "إلهاً" خاصاً ببني إسرائيل، وقد أطلقوا على إلههم اسماً خاصاً هو "يهوه" أو "ياهو" فالقارئ للمصادر اليهودية يرى بوضوح أن كتابة التوراة من اليهود يطلقون على الله ﷻ اسم "يهوه" والسبب في ذلك حسب معتقدتهم أنه لا يجوز التلفظ باسم الله في الدنيا وإنما يتلفظون به في الآخرة عندما يدخلون النار ويتطهرون ثم يخرجون منها عند ذلك يتلفظون باسمه^(٢)، واسم "يهوه" حسب معتقد يهود هو الاسم الذي أمر الله ﷻ موسى ﷺ أن يعلمه لبني إسرائيل^(٣).

ويظهر ذلك من خلال النص التالي: "فقال موسى لله: "حينما أقبل على بني إسرائيل وأقول لهم: "إن إله آبائكم قد بعثني إليكم وسألوني: ما اسمه؟ فماذا أقول لهم؟" فأجابه الله: أهية الذي أهية" (ومعناه أنا الذي هو أنا، أو الكائن الدائم) وأضاف: "هكذا تقول لبني إسرائيل: "أهية (أنا الكائن)، هو الذي أرسلني إليكم"^(٤).

و(أهية) هي صيغة المتكلم من يهوه^(٥)، وهكذا غيروا اسم الإله إلى "ياهو"، وهو اسم لا معنى له ولا يُعرف اشتقاقه على التحقيق.

وفي بيان معنى هذا الاسم، أو تفسير هذه التسمية يقول الأستاذ العقاد: "وهو اسم لا يعرف اشتقاقه على التحقيق - فيصح أنه من مادة الحياة- ويصح أنه نداء لضمير الغائب لأن بني إسرائيل كانوا يتقون ذكره توقيراً له، ويكتفون بالإشارة إليه، ويصح غير ذلك من الفروض"^(٦).

(فيهوه) أو (ياهو) إذن هو الاسم الأعظم الذي يضم كل وجوه السمو والكمال حسب معتقدتهم^(٧) فقد نسبت الكتب المقدسة إلى يهوه عددًا من الصفات التي تصور اليهود أنها مظاهر قداسة وجوانسب

(١) سفر الخروج: ٢٠: ٢-٥.

(٢) Philip S, Alexander, Judaism, (Glasgow, 1984), p.24.

(٣) سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، مكتبة التابعين، القاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ، ص٣٠٩.

(٤) سفر الخروج: ٣: ١٣-١٤.

(٥) قاموس الكتاب المقدس، ص٩٣١.

(٦) عباس محمود العقاد، الله، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ص١٠٨.

(٧) رفقي زاهر، قصة الأثيان، ط١، ١٩٨٠م، ص٩١.

كمال، أو أنها لا تتنافى مع مقتضيات الألوهية على أقل تقدير^(١).

هذا وقد أطلق الكتاب المقدس على لفظ الجلالة (الله) عدة أسماء أخرى أهمها:

١. (إيل): وهو اسم جنس يدل على الألوهية بصفة خاصة، وهو اسم يدل على المسمى المحدد الذي هو (الله) كما أنه ورد في بعض اللغات السامية الأخرى، التي يتكلم بها الوثنيون عن (الله)^(٢). وكان هذا الاسم لا يزال قائماً بين عشائر بني إسرائيل وبداية أسماء هذه العشائر كما ترد في سفر الخروج حيث نجد بين أسماء بني إسرائيل الأسماء الإيلية التالية: يموئيل من بني شمعون، وعزيئيل من بني قهات وميشائيل من بني عزيئيل، فإله إذن كان معروفاً لدى بني إسرائيل باسمه إيل^(٣).
 ٢. (ألوهيم): وهو صيغة جمع، ليست للتضخيم، أطلقتها الأسفار الأولى في التوراة على (الله)، لا سيما في سفر التكوين، والمزامير من ٤٢-٧٤، ولذلك سُميت مزامير (ألوهيم) ويرى المستشرق (غوستاف لوبون) أن كلمة (ألوهيم) هي بمعنى الإله الأعلى^(٤). "ويقول الأب شربنتيه اصطفان: "إيل أو إيلوهيم الطريقة الأولى في تسميته هي استعمال اسم الجنس إيل إله، منذ الألف الثالث ق.م. كان الساميون يُسمّون إلههم الرئيس الإله إيل... فكلمة الله مشتقة من الإله. فكان اليهود يقولون إيل إبراهيم وإسحاق ويعقوب..."^(٥).
 ٣. (بعل): ويعني في اللغة السامية (السيد) أو (الرب) وهو إله كان يعبد الكنعانيون، واليهود يعتبرون اسم (بعل) مرادفاً لاسم الله، أو الرب^(٦).
- إلا أن أشهر هذه الأسماء هو اسم (يهوه) الذي غالباً ما يترجم في الكتاب المقدس باللفظ (الرب) والذي يعني الكائن الأزلي، وهو الأطلاق الخاص بمعبود اليهود وحدهم، والكلمة العبرية المعتادة للإشارة إلى الله هي (أيلوهيم) كما استعمل اليهود كلمة (أدناي) (Adany) ومعناها (ربي)^(٧).

(١) المصدر السابق.

(٢) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الديانة اليهودية، دار الأوتل، دمشق، ٢٠٠٤م، ص ٢٣. نقلاً عن: مجموعة باحثين، معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م، ص ٩١. مترجم عن الفرنسية من كتاب: Rcoa bular de theologie biblique edition, 1974, les Editiond Du Cerf Peris. وجورجي كنعان، مفهوم الألوهية في

الذهن العربي القديم، دار بيان، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦م، ص ٣٠٨.

(٣) عبد الرحمن غنيم، اليهود بين القرآن والتوراة، ص ٤٢.

(٤) عبد الرزاق رحيم الموحى، العبادات في الديانة اليهودية، ص ٢٣. نقلاً عن: غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٦٣.

(٥) عبد المجيد همو، كتاب الله أم يهوه أيهما إله اليهود، تحقيق: إسماعيل الكردي، دار الأوتل، دمشق، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٥٧. نقلاً عن كتاب: الأب شربنتيه اصطفان، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، ص ٥٠.

(٦) عبد الرزاق الموحى، العبادات في الديانة اليهودية، ص ٢٣.

(٧) عبد الرزاق رحيم الموحى، العبادات في الديانة اليهودية، ص ٢٣، ٢٤.

وقد اتخذ (يهوه) خلال تطور مفهومه الزمني عند اليهود الكثير من خصائص آلهة إسرائيل المتعددة^(١) وهذا إن دل على شيء فيدل على أن هذه الديانة ديانة متطورة^(٢).

ولكن ما العلاقة بين حقيقة (الله) وحقيقة (يهوه) إله اليهود؟

يجيبنا على ذلك الدكتور سعد الدين السيد صالح بقوله: "الواقع أن لفظ "الله" ومعناه لا علاقة له على الإطلاق (بياهو) إله اليهود ذلك أن فكرتهم عنه تختلف تمامًا عن فكرة "الله" عند المسلمين، فهو عندهم اسم لإله خاص ببني إسرائيل وهم شعبه دون سائر الخلق وهو إله الحرب، إله الانتقام من أعداء بني إسرائيل السريع الغضب المتقلب المتغير المتجسد، أما فكرة "الله" عندنا فهي الألوهية العامة الشاملة، فالله هو رب العالمين، لا شريك له في ملكه، ولا مدبر معه، رب للجميع، وخالق لكل شيء ومتصف بكل صفات الجلال والجمال، ومنزه عن كل صفات النقص، ومن هنا فإن (ياهو) لا يمثل صفات الإله الحق، وإنما يمثل انعكاسًا لصفات اليهود وأخلاقهم، فهو ليس خالقًا لهم وإنما هو مخلوق لهم وهو لا يأمرهم، بل يسير على هواهم، وكثيرًا ما يأتمر بأمرهم فيأمرهم بالسرقة إذا أرادوا أن يسرقوا، ويعلم منهم ما يريدونه أن يعلم، وهو يميزهم عن سائر الخلق بصرف النظر عن إيمانهم أو طاعتهم، فلقد كان إلهًا لعشيرتهم وحدهم دون سائر العشائر"^(٣).

إلا أن فكرة الألوهية عند اليهود قد تعرضت لتطور ملحوظ مرتبط بالظروف والأحوال التي مروا بها في حياتهم، ويظهر ذلك من خلال أربعة مراحل:

المرحلة الأولى: تصوروا أنه إله خاص بهم أطلقوا عليه اسم إله الحرب، فهو إله إقليمي، بحيث كان لكل قبيلة إله ينصرها في معاركها ضد أعدائها، فكان "يهوه" هو رب الحرب المتكفل بنصرتهم^(٤)، وقد ورد في سفر الخروج عبارات تصف الإله إله الحرب: منها:

"الرب محارب" الرب "اسمه"^(٥).

"بيمينك يا رب تسحق العدو"^(٦).

"بعضمة جلالك تصرع مقاوميك"^(٧).

(١) المصدر السابق، ص ٢٤. وموسوعة الكتاب المقدس، ص ٤٠. وعبد المجيد حمو، الله أم يهوه أيهما إله اليهود، ص ١١١. ورفقي زاهر، قصة الأديان، ص ٩١.

(٢) Philip S. Alexander, Judaism, (Glasgow, 1984), p.14

(٣) سعد الدين سيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٣١٠.

(٥) سفر الخروج: ١٥: ٣.

(٦) سفر الخروج: ١٥: ٦.

(٧) سفر الخروج: ١٥: ٧.

المرحلة الثانية: في هذه المرحلة تغيرت فكرة اليهود عن (يهوه) وذلك حين لحقت بهم الهزائم على أيدي الآشوريين والبابليين والفلسطينيين وغيرهم، وقد تصور اليهود أن هزيمتهم هي هزيمة (ليهوه) نفسه وأنها دليل على قوة آلهة الشعوب الأخرى، ومن هنا شكوا في قدرة (يهوه) وتركوه وعبدوا آلهة الأمم المنتصرة^(١).

وهذا ما يشير إليه سفر القضاة حيث يقول: "عاد بنو إسرائيل يرتكبون الإثم في عيني الرب، وعبدوا البعليم، وعشتاروت، وآلهة آرام، وآلهة حيدون، وآلهة بني عمّون، وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه"^(٢).

وجاء في سفر إرميا: "يقول الرب: "كما أنكم تخليتم عني وعبدتم الأوثان الغريبة في أرضكم، كذلك تستعبدون للغرباء في أرض ليست لكم..."^(٣).

المرحلة الثالثة: محاولة أنبيائهم ردهم إلى عبادة (يهوه) فأخبروهم بأن هزيمتهم لم تكن بسبب قوة آلهة الأمم الأخرى وإنما بسبب غضب (يهوه) عليهم ومن هنا عادوا مرة ثانية لعبادة (يهوه)^(٤).

المرحلة الرابعة والأخيرة: حلت بهم مراحل الأسر والتشرد وهدم الهيكل، وشرّدوا في أرجاء الأرض شرقاً وغرباً، وهنا تساءلوا إلى أين ذهب "يهوه" بعدما هدم الهيكل؟ وأين ممكن أن يكون؟ وهنا تولّد الاعتقاد بأن "يهوه" مع كل منهم أين كان، في كل مكان فعبدوه إله عام غير مقيد بمكان أو زمان^(٥).

وفي كل الأحوال لم تكن مسألة الألوهية سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد لم تكن عميقة الجذور في نفوس اليهود. فقد كانت المادة هي الأساس الذي سيطر على تفكيرهم قديماً وحديثاً ولا أدل على ذلك أكثر مما جاء في البروتوكولات من الدعوة إلى الإلحاد والمادية^(٦).

وأستطيع القول هنا إن النظرة الإجمالية لموقف اليهود من الله تعالى تتجلى بالتأثير والنفعيّة الخاصة، فعبّر قرون مسيرتهم نهجوا سبيل تقليد الشعوب المجاورة لهم، ذلك النهج البين الواضح في خط التوراة العام ونظراً لتعلقهم الشديد، وحبهم المفرط للمادة، فقد أسبغوا على "يهوه" كل الصفات البشرية التي تحقق رغباتهم المادية^(٧).

(١) سعد الدين سيد صالح، العقيدة اليهودية، ص ٣١٠. نقلاً عن: أوتولد تويني، "مشكلة اليهودية العالمية"، ص ٣٠. وعبد المجيد همو، الله أم يهوه أيهما إله اليهود، ص ٣٥.

(٢) سفر القضاة: ١٠: ٦.

(٣) سفر إرميا: ٥: ١٩.

(٤) سليمان مظهر، قصة العقائد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٣١٧.

(٥) المصدر السابق، وسعد الدين سيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص ٣١١.

(٦) أحمد شلبي، اليهودية، ص ٢٠٠. وسعد الدين سيد صالح، العقيدة اليهودية، ص ٣١٢.

(٧) عبد الرزاق الموحى، العبادات في الديانة اليهودية، ص ٢٩.

ولا يفوتني أن أشير إلى أن إيمانهم بوحداية الإله لا يخولهم أن يستحقوا صفة مسلمين، لأنهم رفضوا بعناد كلاً من عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ وما أنزل عليهما...^(١).

وهنا أستطيع أن أطرح السؤال التالي: ألم يك إبراهيم الخليل الذي حاولوا الانتساب إليه موحداً؟ وإذا كانوا من أتباعه ألم يعرفوا ديانتهم؟ لقد عرفت ديانتهم بالحنيفية، وأتباعه في الجزيرة العربية كانوا الحنفاء، ولم يكونوا يعبدون الأصنام، وظلوا حتى أيام الرسول ﷺ سنة ٦١٠م، فلماذا شذ بنو إسرائيل عن هذه القاعدة، ولم يكونوا موحدين؟

ثم أتاهم موسى عليه السلام فكان داعية موحداً آمن به المسلمون على أساس أنه رسول من رسل الله أتاهم بالدين الذي أتى به الأنبياء قبله وهو الإسلام (ولكن الكتاب المقدس شوّه رسالته، فبدأ أنه لم يكن موحداً، وأنه لم يكن يعبد إلا إله البراكين)^(٢).

ثم تتالى الأنبياء على بني إسرائيل، فكان داود، وسليمان، وآخر رسلهم عيسى عليه السلام، ولكنهم لم يؤمنوا، وظلوا سائرين في غيهم فعبدوا الأصنام، وعبدوا العجل. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في عددٍ من الآيات القرآنية فقد عبد بنو إسرائيل العجل وعبده اليهود من بعدهم وهذا ما سأني على بيانه في الصفحات القليلة القادمة ثم أتابع بيان وصف القرآن الكريم لعقائد اليهود المتعلقة بمقام الألوهية بإذن الله -تعالى-.

المطلب الأول: اليهود وعبادة العجل في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلاً جَسَداً لَهُ خَوَارِ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣).

خبر الله ﷻ عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل، وكان هذا بعد ذهاب موسى لميقات ربه^(٤)، أي إلى الجبل لمناجاة ربه ﷻ، و"المتخذ" هنا هو السامري ولكنهم -أي قوم

(١) Prof, 'Abdu' L. Ahad Dawud (Former Bishop of Uramiah), Muhammad in the Bible, (Doha, 1980), 3ed edition, p.63.

(٢) عبد المجيد همو، الله أم يهوه أيهما إله اليهود، ص ٣٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٤٨، ١٤٩.

(٤) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٤٠٧.

موسى - رضوا بذلك فاسند الفعل إليهم^(١) (من حليهم) التي استعاروها من قوم فرعون. وذلك ان بني إسرائيل كان لهم عيد، فاستعاروا من القبط الحلي ليترينوا بها في عيدهم، فبقي إلى أن أهلك الله ﷻ فرعون وقومه فبقي الحلي لبني إسرائيل ملكاً لهم بذلك قال الله ﷻ من حليهم فلما أبطا موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي، وكان رجلاً مطاعاً في بني إسرائيل، وقيل أنه كان رجلاً صائغاً^(٢) فصاغ لهم من تلك الحلي، وهي الذهب والفضة، عجلًا جسدًا، وألقى في ذلك العجل من تراب أثر فرس جبريل ﷺ، فتحول عجلًا جسدًا (له خوار) والخوار الصياح يقال خار يخور إذا صاح^(٣) وهو صوت البقر. واختلف المفسرون في هذا العجل هل صار لحمًا ودماً له خوار، أم استمر على كونه من ذهب إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصدر صوتًا كصوت البقر^(٤).

﴿وَكَمَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا على ما فعلوا، وهذه كناية عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر يعرض يده غمًا فتصير مسقوطة فيها، وقيل معناها سقط الندم على أنفسهم. ولهذا قال تعالى: **﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** أي أنهم عندما علموا أنهم ضلوا باتخاذهم العجل قالوا لأن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ويتجاوز عن ذنبنا لنكونن من الهالكين وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاءهم إلى الله ﷻ^(٥).

ويقول ﷻ في موضع آخر: **﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾** * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِنَسَمَا يَا مُرْكُمُ بِهِ إِيْمَاتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^(٦).

والمعنى أن سيدنا موسى ﷺ جاء بالمعجزات الباهرة والدلالات الواضحة على صدق دعوته ثم اتخذوا العجل معبودًا من دون الله بعد ذهابه للميقات، وهم ظالمون لأنفسهم في هذا الصنيع الذي صنعوه من عبادتهم للعجل مع علمهم أنه لا إله إلا الله.

وقوله تعالى: **﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾** هنا يأمر الله ﷻ بني إسرائيل بأخذ التوراة أخذًا قويًا وسماع ما أمرهم به فيها سماع قبول وعمل، إلا أنهم سمعوا وعصوا **﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾** سمعنا

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج ٢، ص ٣٥٢. وسعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م، ج ٤، ص ٢٠١٥.

(٢) الخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٢٥١. والشوكاني، فتح القدير، ج ٢، ص ٣٥٢. والبيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٣، ص ٦٠.

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ج ٢، ص ٣٥٢.

(٤) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٤٠٧. الخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٢٥١. البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٣، ص ٦٠. والشوكاني، فتح القدير، ج ٢، ص ٣٥٢.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٤٠٨. والبيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٣، ص ٦١.

(٦) سورة البقرة، الآيتان ٩٢، ٩٣.

قولك وعصينا أمرك، أمروا أن يكون سماعهم سماع طاعة، فكان سماعهم عصيان فعاقبهم الله ﷻ بأن أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أي أشربوا حبه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم فداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب قاله أبو العالية وقتادة، والربيع بن أنس، وهذا بسبب كفرهم **﴿قُلْ بِنَفْسٍ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِمَاتُكُمْ﴾** أي بنس الإيمان إيمان يأمر بعبادة العجل من دون الله إن كنتم تزعمون أنكم مؤمنون^(١).

ويؤكد القرآن الكريم ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم للعجل في موضع آخر في القرآن الكريم يقول ﷻ: **﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾**^(٢).

والرأي الراجح عند المفسرين أن السائلين من أهل الكتاب هم اليهود^(٣)، يقول ابن كثير: قال محمد بن كعب القرظي والسدي وقتادة: سأل اليهود رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة، قال ابن جريج: سألوه أن ينزل عليهم صحفًا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به، وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد^(٤).

فأخبر الله ﷻ سيدنا محمد ﷺ أنهم سألوا موسى عليه السلام سؤالاً أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله عياناً. وجملة **﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾** جواب شرط مقدر أي أن استكبرت هذا السؤال منهم فقد سألوا موسى أكبر من ذلك، فعوقبوا بالصاعقة، وهي نار نزلت من السماء لعظم ما جاءوا به من السؤال، والظلم من بعد ما رأوا من المعجزات^(٥).

وفي هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ وتوبيخ، وتقريع لليهود على سؤالهم الذي يدل على مدى جهلهم، واجترأهم على الله ﷻ^(٦).

(١) الخازن، تفسير الخازن، ج ١، والشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ١٢٥. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١، ص ١٨٨.

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٣.

(٣) الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٤٣، والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٩٦. والشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٥٩٨. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٣٧٠ وسعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ٢، ص ١٢٢٠.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٩٠٨.

(٥) الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٥٩٩. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٣٧٠.

(٦) الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٤٣.

وفي موطن آخر عن عبادة بني إسرائيل للعجل يقول ﷺ: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(١).

في هذه الآيات يتوجه موسى ﷺ بالخطاب لمن عبد العجل من قومه فيقول: (يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) أي إلها تعبدونه من دون الله فيأمرهم ﷺ بالتوبة في قوله تعالى: «فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ» أي إلى خالقكم، وبه قال أبو العالية وسعيد بن جببر، والربيع بن أنس^(٢). (والبارئ) هو الخالق الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت^(٣)، وفي هذا تنبيه لهم على عظم جرمهم، والمعنى ارجعوا إلى خالقكم بالتوبة، وكأنهم يقولون كيف نتوب، فقال ﷺ: (فاقتلوا أنفسكم).

يروى ابن كثير أثرًا مرفوعًا عن ابن عباس في كيفية هذا القتل فيقول قال ابن جرير: حدثني عبد الكريم بن الهيثم حدثنا إبراهيم ابن بشار حدثنا سفیان بن عينية قال: قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس، قال: قال موسى لقومه «فتوبوا إلى باريكم فاقتلوا أنفسكم» الآية قال: أمر موسى قومه عن أمر ربه ﷺ أن يقتلوا أنفسهم، قال: وأخبر الذين عبدوا لعجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضًا، فانجلت الظلمة عنهم وقد جلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قتل منهم له توبة، وكل من بقى له توبة^(٤)، والقصة مطولة ذكرت في أغلب كتب التفسير^(٥) بروايات مختلفة لا يتسع المقام لذكرها.

يعلق القرطبي على هذه الآية فيقول: «لما قال لهم: فتوبوا على باريكم، قالوا كيف؟ قال: (فاقتلوا أنفسكم)، قال أرباب الخواطر: ذللوها بالطاعات وكفوها عن الشهوات، والصحيح أنه قتل على الحقيقة هنا، قال سفیان بن عينية: التوبة نعمة من الله أنعم الله بها على هذه الأمة دون غيرها من الأمم وكانت توبة بني إسرائيل القتل...»^(٦) وقد يسأل سائل: كيف استحقوا القتل وهم قد تابوا من الردة والتائب من الردة لا يقتل؟ يجيب الرازي والخازن على ذلك بقولهم أن ذلك يرجع إلى اختلاف الشرائع

(١) سورة البقرة، الآية ٥٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٤٥.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٨٦.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٤٥.

(٥) الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٦، ٤٧. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٨٧، ٨٨. والبيضاوي،

تفسير البيضاوي، ج ١، ص ٣٢٤. والشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٩٣. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ذكرت

باختصار)، ج ١، ص ٣٧٦.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٣٧٦.

فعل شرع موسى ﷺ كان يقتضي قتل التائب عن الردة إما عامًا في حق الكل أو كان خاصًا بذلك القوم^(١).

ثم يبين ﷺ أن إطاعتهم وتنفيذهم لأمر الله في القتل، وتحمل هذه الشدة هي خيرًا لهم عند بارئهم، فلما فعلوا ما أمروا به تاب الله عليهم أنه هو التواب الرحيم^(٢). والتواب هو المفضل بقبول التوبة مرة بعد مرة ولو كثرت الذنوب، والرحيم في هذا السياق يشير إلى معنى أن رحمته من السعة بحيث يعفوا عن الذنب وأن عظم، إذا تاب صاحبه^(٣).

- في المصادر اليهودية:

بدأ اليهود بعبادة العجل منذ بكورة خروجهم من مصر، فقد اتهمت التوراة هارون بأنه صاغ لهم العجل الذهبي، وعبدوه.

"ولما رأى الشعب أن موسى قد طالت إقامته على الجبل، اجتمعوا حول هارون وقالوا له: "هيا، اصنع لنا إلهًا يتقدمنا في مسيرنا، لأننا لا ندري ماذا أصاب هذا الرجل موسى الذي أخرجنا من ديار مصر"، فأجابهم هارون "أنزعوا أفرط الذهب التي في آذان نساكنكم وبناتكم وبنيتكم وأعطوني إياها". فنزعوها من آذانهم، وجاءوا بها إليه، فأخذها منهم وصهرها وصاغ عجلًا عندئذ، قالوا: "هذه إلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من ديار مصر"، وعندما شاهد هارون ذلك شيد مذبحًا أمام العجل وأعلن: "غداً هو عيد الرب" فبكر الشعب في اليوم التالي واصعدوا محرقات، وقدموا قرابين سلام ثم احتفلوا فأكلوا وشربوا ومن ثم قاموا للهو والمجون^(٤)، ويعتقد اليهود أن الله قد أخبر موسى ﷺ أن قومه قد عبدوا العجل في غيابه وأن الله قد غضب عليهم وقد عزم على أبادتهم". فأمر الرب موسى: "قم وأنزل فإن الشعب الذي قد أخرجته من ديار مصر قد فسد، إذ انحرفوا سريعًا عن الطريق الذي أمرتهم به، فصاغوا لهم عجلًا وعبدوه، وذبحوا له الذبائح هاتفين: هذا هو إلهك يا إسرائيل الذي أخرجك من ديار مصر، وقال الرب لموسى: "لقد تأملت في هذا الشعب فإذا به شعب عنيد متصلب القلب، والآن دعني وغضبي المحتدم فأفنيهم، ثم أجعلك أنت شعبًا عظيمًا"^(٥). وجاء موسى ﷺ فأعلن غضبه، وكسر العجل، وذراه على وجه الماء. "وما أن اقترب موسى من المخيم وشاهد العجل والرقص حتى احتدم غضبه وألقى باللوحين من يده وكسرها عند سفح الجبل ثم أخذ العجل الذهبي وأحرقه بالنار وطحنه

(١) الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٦. والرازي، التفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٨٩.

(٢) الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٦.

(٣) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١، ص ٥٠٨.

(٤) سفر الخروج: ٣٢: ١-٦.

(٥) سفر الخروج: ٣٢: ٧-١٠.

حتى صار ناعماً وذّراه على وجه الماء وأرغمهم على الشرب منه^(١) وفي موضع آخر من التوراة: "أما خطيئتك العجل الذي سبكتموه، فقد أخذته وأحرقته ودققتّه وطحنته جيداً حتى استحال إلى غبار ثم طرحت غباره في النهر المنحدر من الجبل"^(٢).

غير أنهم عادوا، فعبدوا العجل من جديد، كما تحدثنا التوراة، وخاصة بعد انقسام دولة سليمان إلى مملكتين الدولة السامرية دولة يربعام بن نباط ودولة الجنوب دولة رحبعام بن سليمان^(٣). حيث اتهموا يربعام بن نباط أنه صاغ لهم عجولين من ذهب، وقال لهم: هاذان آلهتكم التي أخرجتكم من مصر.

وقام يربعام بعد انقسام بني إسرائيل إلى مملكتين بعد عهد سليمان عليه السلام وبني لهم تمثالين، واحد في بيت إيل والآخر في دان:

"وحصّن يربعام مدينة شكيم في جبل أفرام وأقام فيها ثم انطلق من هناك وبني مدينة فنوئيل. وحدث يربعام نفسه قائلاً: "من المرجح أن ترجع المملكة إلى بيت داود، ولا سيما إن صعد الشعب ليقرّبوا ذبائح في هيكل الرب في أورشليم فيميل قلبهم نحو سيدهم رحبعام ملك يهوذا ويقتلونني، ثم يلتفون حوله". وبعد المشاورة سبك الملك عجلي ذهب، وقال للشعب: "إن الذهاب إلى أورشليم للعبادة يعرضكم لمشقة عظيمة، فها هي آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من ديار مصر"، وأقام واحداً في بيت إيل والآخر في دان فصار هذا العجل إثماً كبيراً، لأن الشعب شرع في عبادة العجلين حتى ولو اضطّر بعضهم للارتحال إلى دان، وشيّد يربعام مذابح عبادة على التلال كرس لها كهنة من عامة الشعب، لا ينتمون إلى سبط لاوي، واحتفل يربعام في اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن (تشرين الثاني - نوفمبر)، مثل العيد الذي يحتفل به في يهوذا، وقدم محرقات على المذبح، وقرب في بيت إيل ذبائح للعجلين اللذين سبكهما"^(٤).

ويعتقد اليهود كذلك أن موسى عليه السلام قد لام أخيه هارون لأنه صنع لهم ذلك العجل، وأمر موسى اللاويين بالتوبة وكيفية هذه التوبة أن ينقلد كل واحد منهم سيفاً ويقتل كل من يصادفه سواء أكان أخاً أم صاحباً أو ابناً أو قريباً، وهذا يتضح من خلال النص التالي:

"وخطب موسى هارون: "ماذا فعل بك هذا الشعب حتى جلبت عليهم هذه الخطيئة العظيمة؟" فأجاب هارون: "لا يحتدم غضب سيدي، إنك تعرف شر هذا الشعب، لقد قالوا لي: أصنع لنا إلهاً

(١) سفر الخروج: ٣٢: ١٩-٢٠.

(٢) سفر التثنية: ٩: ٢١.

(٣) عبد المجيد هم، الله أم يهوه أيهما إله اليهود، ص ٣٧.

(٤) سفر الملوك الأول: ١٢: ٢٥: ٣٢.

يتقدمنا في مسيرنا، لأننا لا ندري ماذا أصاب هذا الرجل موسى الذي أخرجنا من ديار مصر فقلت لهم من لديه ذهب فلينزعه ويعطني إياه، فطرحته في النار فخرج هذا العجل" ولما رأى موسى هذا أن الشعب غارق في مجونه ... وقف في باب المخيم وصاح: "كل من يتبع الرب فليقبل إليّ هنا فاجتمع حوله اللاويون فهتف بهم: "هذا ما يعلنه الرب إله بني إسرائيل: ليتقلد كل واحد سيفه وجولوا في المخيم ذهاباً وإياباً من مدخل إلى مدخل، واقتلوا كل داعر سواء أكان أخاً أم صاحباً أم قريباً، فأطاع اللاويون أمر موسى، فقتل من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل، عندئذ قال موسى لللاويين: "لقد كرستم اليوم أنفسكم لخدمة الرب، وقد كلّف ذلك كل واحد منكم قتل أخيه أو أخيه. ولكن لينعم عليكم الرب في هذا اليوم ببركة"^(١).

ثم طلب موسى عليه السلام من الله تعالى أن يغفر لهم هذه الخطيئة وهذا الذنب العظيم، وهذا يتضح من خلال النص التالي:

"ورجع موسى إلى الرب وتضرّع قائلاً: "يا رب لقد اقترف هذا الشعب خطيئة عظيمة، وصاغوا لأنفسهم إلهاً من ذهب والآن إن شئت أغفر لهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت" فأجاب الرب موسى "الذي أخطأ إليّ أمحوه من كتابي"^(٢).

والمتمعن بهذه النصوص يرى شيئاً من التقارب بينها وبين الآيات القرآنية السابقة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وجود بقايا من وحي، وهناك حقيقة لا بد من الإشارة إليها، وهي ليس كل ما هو موجود في القرآن الكريم نجده موجوداً في التوراة والإنجيل لأنهم حرفوا وبدلوا فيه تصديقاً لقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٣). فهناك ما نجده متشابهاً بعض الشيء وهناك ما نجده مختلفاً، ولكنه يتشابه في المضمون مع العلم أن الكتاب المقدس يختلف باختلاف الزمان والمكان.

ثم يصفهم الله تعالى في سفر التثنية بقسوة القلب لعبادتهم العجل. قال الرب لموسى: "لقد تأملت في هذا الشعب وإذا به شعب عنيد متصلب القلب"^(٤). وفي موضع آخر: "قد تأملت هذا الشعب وإذا به شعب متصلب القلب"^(٥).

(١) سفر الخروج: ٣٢: ٢٦-٢٩.

(٢) سفر الخروج: ٣٢: ٣١-٣٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ٧٩.

(٤) سفر الخروج: ٣٢: ٩.

(٥) سفر التثنية: ٩: ١٤.

وجاء وصفهم كذلك بقسوة القلب في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(١).

ثم تذكر التوراة توبتهم من عبادة العجل وإن الله قبل توبتهم، وهم بناءً على ذلك يحتفلون بيوم قبول توبة الله لهم وأطلقوا على هذا اليوم بيوم "الغفران" كما ورد في سفر العدد تحت عنوان "تقدمات عيد يوم التكفير".

"وفي اليوم العاشر من الشهر السابع تقيمون لكم محفلاً مقدساً، تصومون فيه وتمتنعون عن أي عمل، وتقربون محرقة للرب رائحة رضى ثوراً واحداً وكبشاً واحداً وسبعة حملان حولية سليمة، تكون تقدمتها ثلاثة أعشار (نحو سبعة لترات ونصف اللتر) من دقيق معجون بزيت الثور، وعشرين (نحو خمسة لترات) للكبش الواحد، وعشراً واحداً (نحو لترين ونصف اللتر) لكل حمل من السبعة الحملان، كما تقدمون تيساً واحداً من المعز ذبيحة خطيئة للتكفير عنكم، فتكون هذه علاوة على ذبيحة الخطيئة السنوية المقدمة في يوم الكفارة، والمحرقة اليومية الدائمة مع ما يرافقها من سكائب الخمر"^(٢). فهذا اليوم يُعتبر مقدساً عندهم كذلك، لأن موسى تلقى فيه الألواح من ربه ويأتي هذا العيد في العاشر من تشرين، وذلك حسب التقويم القمري عند اليهود ويمسي هذا اليوم عندهم كذلك بسبب الأسبات^(٣).

المطلب الثاني: عقيدة اليهود أنهم شعب الله المختار من خلال الفهم الخاطئ لقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٤). في هذه الآيات يخاطب الله ﷻ اليهود مذكراً بأياهم بالنعم التي أنعمها على أسلافهم من بني إسرائيل في قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

والتعبير في هذه الآية عام في الظاهر، وقد يعمله أناس على كل زمان ومكان، فيجعل بني إسرائيل -أو اليهود- أفضل من الشعوب والأمم الأخرى في أي زمان ومكان، بل يجعل هذا التفضيل إلى قيام الساعة، وهذا غير صحيح.

(١) سورة البقرة، الآية ٧٤.

(٢) سفر العدد: ٢٩: ٧-١١.

(٣) Gordon M. Freeman, The Heavenly Kingdom, (London, 1986), p.26.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٢.

فالمراد من هذا التعبير هو الخصوص، فالتفضيل خاص بفريق من بني إسرائيل في زمان خاص^(١) والكلام في هذه الآيات عن بني إسرائيل المؤمنين زمن موسى عليه السلام حيث يقول لهم إني فضلتكم على العالمين الذين كنتم تعيشون معهم وفي زمانهم وبه قال قتادة^(٢)، وقال أبو العالية: "فضلهم الله لما أعطوا من الملك، والرسل والكتب، على عالم من كان في ذلك الزمان، فإن لكل زمان عالماً"^(٣). وقال ابن وهب: "سألت ابن زيد عن قول الله ﷻ: **(وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)** قال: فضلهم الله على عالم أهل ذلك الزمن حيث قال الله تعالى: **(وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ)**"^(٤) وهذا لمن أطاع الله، واتبع أمره، وقد كان فيهم فيما بعد القردة، وهو أبغض الخلق إلى الله"^(٥).

- في المصادر اليهودية:

يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار الذي اصطفاه الخالق لنفسه وفضله على العالمين، ولئن غضب الله عليه مدة من الزمن، فإنه لا ينساه. وجاءت أسطورة الشعب المختار من نصوص التوراة التي تحدثت عن العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم عليه السلام والذي كان يتضمن الاعتقاد بإله واحد قدير اختار بني إسرائيل من بين الأمم لحمل رسالته ووعد به بأرض كنعان لنسله، تقول التوراة: "وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض وترثها"^(٦).

لذلك استند المفهوم الديني لدى اليهودية على مقولة أنهم شعب الله المختار، وقد ورد هذا في كثير من نصوص التوراة.

تقول التوراة: "وأنا أخرجكم من تحت أنقال المصريين واتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً"^(٧). وجاء أيضاً: "فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده"^(٨).

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٢٢٩ هـ)، تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تهذيب: صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٧ م، ج ١، ص ٢١٤.

(٢) جلال الدين السيوطي (ت ٨٩١ هـ)، تفسير السيوطي المسمى الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تقديم: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م، ج ١، ص ١٥١. والطبري، جامع البيان، ج ١، ص ٢١٤. وجمال الدين القاسمي الدمشقي، محاسن التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفان المشا حسونة الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥ م، ج ١، ص ٢٦٧.

(٣) السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ١، ص ١٥٢. والطبري، جامع البيان، ج ١، ص ٢١٤.

(٤) سورة الدخان، الآية ٣٢.

(٥) الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ٢١٥.

(٦) سفر التكوين: ١٥-٨.

(٧) سفر الخروج: ٦: ٣.

(٨) سفر التكوين: ١٨-١٩.

وقد أسس بنو إسرائيل تصورهم العقدي للإله على أساس أنهم شعب خاص له، وهذا الإله اختارهم لوحدهم ليكون لهم دون غيرهم^(١). وأن الله اختار أولاد إبراهيم آباء لليهود وأنهم سيكونون له شعباً خاصاً أخص من شعوب الأرض ويتضح هذا من خلال النصوص التالية:

"ورأوا إله إسرائيل وتحت قدميه أرضية كأنها مصنوعة من الياقوت الأزرق..."^(٢).

"حينئذ بنى يشوع مذبحاً للرب إله إسرائيل في جبال عيبال"^(٣).

من خلال هذه النصوص يؤسس كتابة التوراة خصوصية الإله فهو إله إسرائيل دون سواهم، ونجد في كافة الأسفار تفضل خصوصية الإله الإسرائيلي مستمرة^(٤). ومثال ذلك:

"لا يدخل عموني ولا مؤابي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد جماعة الرب إلى الأبد"^(٥).

"لأنني أنا الرب الذي أخرجكم من ديار مصر لأكون لكم إلهًا، فكونوا قديسين لأنني أنا قدوس"^(٦).

"لأن نصيب الرب هو شعبه، وأبناء يعقوب قرعة ميراثه، وجدهم في أرض قفر وفي خلاء موحش، فأحاط بهم ورعاهم وصانهم كحدقة عينه"^(٧).

وأذكر مزيداً من النصوص التي يعتبر فيها اليهود أنهم شعب الله المختار وأن الله هو إله خاص لليهود.

"لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم، فإياكم قد اختار الرب إلهكم من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص"^(٨).

"هذا ما يقوله الرب إله إسرائيل"^(٩).

"تعالوا يا شعبي وادخلوا إلى مخادعكم، وأوصدوا أبوابكم خلفكم تواروا قليلاً حتى يعبر السخط"^(١٠).

"لا تجزعي يا أورشليم التي اخترتها"^(١١).

(١) حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، ص ٧٥.

(٢) سفر الخروج: ٢٤ : ٩.

(٣) سفر يشوع: ٨ : ٣٠.

(٤) حسن الباش، القرآن والتوراة، ص ٧٨.

(٥) سفر التثنية: ٢٣ : ٢.

(٦) حسن الباش، القرآن والتوراة، ص ٨٠.

(٧) سفر التثنية: ٣٢ : ٩-١١.

(٨) سفر التثنية: ٧ : ٦.

(٩) أخبار الأيام الثاني: ٣٤ : ٢٣. وانظر أيضاً: ٣٤ : ٢٦ من نفس السفر.

(١٠) سفر إشعياء: ٢٦ : ٢٠. وانظر أيضاً: ٢٧ : ٢-٣ من نفس السفر.

(١١) سفر إشعياء: ٤٤ : ٢. وانظر أيضاً: ٤٣ : ٢١ من نفس السفر.

"أنا الرب أستجيب لهم، أنا إله إسرائيل لا أتخلى عنهم"^(١). وأيضًا تأتي صيغة أخرى مثل: "قدوس إسرائيل".

"لأنني أنا هو الرب إلهك، قدوس إسرائيل مخلصك"^(٢).

وتأتي كذلك بصيغة ملك إسرائيل: "هذا ما يقوله الرب القدير ملك إسرائيل وفاديه: "أنا هو الأول والآخر ولا إله غيري، من مثلي؟ فليخبر بذلك، ويعلنه ويعرض أمامي أحداث الأيام الغابرة منذ أن أنشأت شعبي القديم"^(٣).

"اسمعوا لي يا شعبي، وأصغي إليّ يا أمتي"^(٤).

"وهذا ما يعلنه الرب القدير إله إسرائيل ... إنما أوصيتهم أن يطيعوا صوتي فأكون لهم إلهًا. ويكونون لي شعبًا وأن في كل الطريق الذي أوصيتهم به، فينالوا خيرًا"^(٥).

وهناك عنوان في سفر إشعيا "الخلاص المستقبلي لشعب الله"^(٦) وعنوان آخر "ازدهار شعب الله"^(٧).

ولا شك أن هذه العقيدة تورث العجب والكبرياء كما تورث الغرور والعنصرية والتعصب للجنس واحتقار الغير وكراهيته بلا سبب.

وبما أنهم يعتبرون أنهم شعب الله المختار وأن الله إله خاص بهم فهم يعتقدون بناءً على ذلك أن الله وعدهم بإعطائهم أرض فلسطين دون غيرهم وأنها أرض خاصة لليهود وسوف يبنون الهيكل عليها. والحقيقة أن الله ﷻ أعطى الأرض المقدسة لبني إسرائيل لأنهم كانوا مسلمين في قوله تعالى على لسان موسى ﷺ: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾^(٨).

إلا أن اليهود يعتقدون أنها كتبت لهم رغم خروجهم عن الإسلام الذي جاء به موسى ﷺ واتباعهم الديانة اليهودية، ويتضح ذلك في كثير من النصوص أذكر على سبيل المثال: "ووعدكم أن تراثوا ديارها، وأنا أهبكم إياها لتمتلكوها أرضاً تفيض لبناً وعسلاً فأنا الرب إلهكم، ميزتكم عن بقية الشعوب"^(٩).

(١) سفر إشعيا: ٤١: ١٧. وانظر أيضًا: ٤٥: ١٥ من نفس السفر.

(٢) سفر إشعيا: ٤٣: ٣. انظر أيضًا: ٤٣: ١٤ و ٤٥: ١١ من نفس السفر.

(٣) سفر إشعيا: ٤٤: ٦، ٧.

(٤) سفر إشعيا: ٥١: ٤.

(٥) سفر إرميا: ٧: ٢١، ٢٣.

(٦) سفر إشعيا: ٢٩.

(٧) سفر إشعيا: ٤١.

(٨) سورة المائدة، الآية ٢١.

(٩) سفر اللاويين، ٢٠: ٢٤.

"أصعدوا لامتلاك الأرض التي وهبتها لكم"^(١).

"الذين لهم وحدهم وهبت الأرض ولم يدخل بينهم غريب"^(٢).

ونظرًا لإيمانهم بنظرية "الشعب المختار" وأن الله إلهًا قديمًا خاصًا بهم نشأت عندهم كذلك فكرة المسيح المنتقد الذي يحقق ما وعدهم به، وتولدت لديهم فكرة أن الإله سينزل عليهم بنفسه بواسطة أحد الملوك ليعيد لهم سلطانهم وتتسع مملكتهم^(٣).

المطلب الثالث: عقيدة اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٤).

جاء في نزول هذه الآية ما رواه ابن عباس: قال: خوف رسول الله ﷺ قومًا من اليهود العقاب فقالوا: لا نخاف فإننا أبناء الله وأحباؤه، فنزلت الآية^(٥).

وفي رواية أخرى رواها ابن إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه: "أتى رسول الله ﷺ نعمان بن أصا وبحر بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه، وكلمهم رسول الله ﷺ. ودعاهم إلى الله، وحذرهم نقمته، فقالوا: ما نخوفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصاري، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾"^(٦).

وقول اليهود: "نحن أبناء الله وأحباؤه" لم يدعوا لأنفسهم النبوة التي ادعتها النصاري في عيسى عليه السلام وإنما أرادوا بيان معزتهم وحظوتهم عند الله ﷻ بقولهم نحن منتسبون إلى أنبياء الله ﷺ فكانوا بذلك يرون لأنفسهم فضلاً على سائر الخلق حتى انتهوا في تعظيم أنفسهم إلى أن قالوا: "نحن أبناء الله

(١) سفر التثنية: ٩: ٢٣.

(٢) سفر أيوب: ١٥: ١٩.

(٣) وهذا سيأتي بيانه تفصيلاً في مسألة المسيح المنتظر عند اليهود.

(٤) سورة المائدة، الآية ١٨.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٧٩.

(٦) السيوطي، أسباب النزول، ص ٦٨. والشوكاني، فتح القدير، ج ٣، ص ٤٤.

وأحباؤه" فيرد الله ﷻ عليهم زعمهم هذا بقوله: **(فَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ)** أي لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباؤه، فلم أعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم واقترائكم؟؟^(١).

ولماذا عذبكم في الدنيا عند عبادتكم للعجل؟؟ ولم مسخ منكم قردة وخنازير؟؟ ولماذا عذب من قبلكم من اليهود بأنواع العذاب وهم أمثالكم، وقد أقررتم بذلك في كتبكم، فلو كنتم أحباؤه لما عذبكم فالحبيب لا يعذب حبيبه^(٢).

ثم يقول ﷻ راداً دعوهم مبطلاً زيف قولهم: **(بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ)** أي ليس الأمر على ما قلتم أنكم أبناء الله وأحباؤه بل أنتم خلق من بني آدم إن أحسنتم جوزيتهم على إحسانكم وإن أسأتم جوزيتهم على إساءتكم كما يجازى غيركم وليس لكم عند الله إلا ما لغيركم من خلقه^(٣).

ثم يعلق ﷻ العذاب بالمشيئة مع أنه سبحانه لا يشاء العقوبة إلا ممن كان عاصياً وذلك فيه من البلاغة والإيجاز برد الأمور إلى العالم الحكيم الذي يجريها على وجه الحكمة^(٤) فيغفر ﷻ لمن تاب من اليهود ويعذب من مات على اليهودية، والله خزائن السماوات والأرض وما بينهما من الخلق والعجائب وإليه يؤول مصير أمر العباد والخلائق فلا يملك ضرهم ونفعهم غيره ﷻ^(٥).

- في المصادر اليهودية:

يعتقد اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه وليس المقصود بها هنا البنية المعروفة وإنما يقصد بها هم الأتقياء من بني إسرائيل من سلالة شيث ابن نوح^(٦) أي المؤمنون القريبون من الله ﷻ المتبعون أوامره، أما إن خرجوا عن طاعته فلا يكونون أبناء له، كما ورد في سفر التثنية: "لقد اقترفوا الفساد أمامه، ولم يعودوا له أبناء بل لطحّة عار، انهم جيل أعوج وملنّوا، أبهذا تكافئون الرب أيها الشعب الغيبي؟ أليس هو أباكم وخالفكم الذي عملكم وكونكم"^(٧)، وهناك نصوص متفرقة في العهد القديم جاء فيها قولهم أنهم أبناء الله وأحباؤه أذكر منها ما يلي:

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٧٩. والحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٥٩.

(٢) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٦، ص ١٩٧. والحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٥٩.

(٣) الطبرسي، تفسير الطبرسي، ج ٣، ص ٢٣٠. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٨٠. والطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ١٨٤.

(٤) الطبرسي، تفسير الطبرسي، ج ٣، ص ٢٣١.

(٥) محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري (ت ٨٣٠ هـ)، إوضح في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣ م، ج ١، ص ١٩٢.

(٦) M.G. Easton, Illustrated bible Dictionary, P 602.

(٧) سفر التثنية: ٣٢: ٥-٦.

"يقول الله ليعقوب: "أجمع أبنائي من بعيد وبناتي من أقاصي الأرض كل من يدعى باسمي ممن خلقته لمجدي وجبلته وصنعتة"^(١).

"هذا ما يقوله الرب قدوس إسرائيل وصانعه: أتسألونني في سياق الأحداث الآتية عن أبنائي، أم توصونني بعمل يدي؟"^(٢).

"هذا ما يقوله الرب: أين كتاب طلاق أمكم الذي طلقتها به؟ لمن من دائني بعثكم؟ إنما من أجل ذنوبكم قد تم بيعكم ومن جراء خطاياكم قد طلقت أمكم"^(٣).

"وفي الموضع الذي قيل لهم فيه: أنتم لستم شعبي، يقال لهم: أنتم أبناء الله الحي"^(٤). يخاطب الله شعب إسرائيل قائلاً: "ألم تدعني الآن قائلة: 'يا أبي، أنت رفيق صباي؟ أياي غاضباً دائماً؟ أبقى ساخطاً إلى الأبد؟ أنظري هذا ما نطقت به.. ولكنك ارتكبت كل ما استطعت من شر'"^(٥). "فارجعوا أيها الأبناء المرتدون فأشفي ارتدادكم" ويقولون: "ها نحن نقبل إليك لأنك أنت الرب إلهنا"^(٦).

"وفي تلك الحقب كان في الأرض جبابرة، وبعد أن دخل أبناء الله على بنات الناس، ولدن لهم أبناء صار هؤلاء الأبناء أنفسهم الجبابرة المشهورين منذ القدم"^(٧). "كيف أعفوا عن أعمالك؟ تخلصني أبنائك وأقسموا بأوثان، وعندما أشبعتم ارتكبوا الفسق، وهرولوا طوائف إلى مواخير الزانيات"^(٨).

فيلاحظ من خلال هذه النصوص كيف يعتبر اليهود أنفسهم أنهم أبناء الله وأحباؤه -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- كما ذكر الله ﷻ قولهم هذا في القرآن الكريم وأقام الحجة عليهم بقوله جل شأنه: **(قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ)** فالأب لا يعذب أبناءه ولا يحرقهم لكنهم بشر كسائر الناس أو ممن كفر من الناس، وسيعذبهم الله بذنوبهم. والقول بالعقاب ورد كذلك في النص السابق الذي يظهر فيه التناقض واضح وجلي إذ كيف يكونون أبناءه ويعذبهم ويعاقبهم لينتقم لنفسه مما اقترفوه من الذنوب. ففي بداية إصحاح إرميا ورد النص التالي الذي يبين عقاب الله لهم:

(١) سفر إشعياء: ٤٣: ٦-٧.

(٢) سفر إشعياء: ٤٥: ١١.

(٣) سفر إشعياء: ٥: ١.

(٤) سفر هوشع: ١: ١٠.

(٥) سفر إرميا: ٣: ٤، ٥.

(٦) سفر إرميا: ٣: ٢٢.

(٧) سفر التكوين: ٦: ٤. وانظر أيضاً: ٦: ٢ من نفس السفر.

(٨) سفر إرميا: ٥، ٩.

"ذلك ينقض عليهم أسد من الغاب ويقتلهم، ويفترسهم ذئب من الصحراء ويكمن النمر حول مدنهم، فيمزق إرباً كل من يخرج منهم، لأن آثامهم كثيرة، وارتداداتهم متعظمة"^(١).
فكيف يكونون أبناء الله أو الأتقياء منهم ويحدث لهم هذا؟!!

المطلب الرابع: إساءة اليهود للذات الإلهية من خلال قولهم "يد الله مغلولة" وقولهم "إن الله فقير" في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقِتْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

يخبرنا الله ﷻ في هذه الآية عن جراءة اليهود على ربهم، ووصفهم له بما ليس من صفته، وفيها توبيخ لليهود على جرأتهم، ووقاحتهم، وتعريف من الله ﷻ لرسوله ﷺ، قديم جهل اليهود واغترارهم وإنكارهم لنعم الله ﷻ عليهم مع كثرتها^(٣).

يقول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ نزلت في فنحاص اليهودي^(٤)، رأس يهود قينقاع.

والمعنى أنهم: لا يعنون بذلك يد الله موثوقة، ولكن يقولون أنه بخيل، أمسك ما عنده، ويروي الضحاك في قوله "مغلولة" أنهم يعنون أنه بخيل وليس بجواد^(٥)، وأنه ممسك عن العطاء وبه قال قتادة، وابن عباس، وبه قال الفراء، وابن قتيبة والزجاج^(٦).

وقيل أنهم يعنون أن يد الله ممسكة عن عذابهم، فلا يعذبهم إلا بقدر عبادتهم للعجل^(٧).

(١) سفر إرميا: ٥: ٦.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٣، ص ٢٦٩.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ج ٣، ص ١٠٦.

(٥) ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١١٦٧. الشوكاني، فتح القدير، ج ٣، ص ١٠٦.

(٦) أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير،

المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٤م، ج ٢، ص ٤٠٣. والطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٧١. والماوردي، النكت والعيون

تفسير الماوردي، ج ٢، ص ٥١.

(٧) الماوردي، النكت والعيون، ج ٢، ص ٥١. وابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٤٠٤.

وفي قوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ جاء في معناها ثلاثة أقوال:

- أ. غلت في جهنم وبه قال الحسن.
 - ب. أمسكت عن الخير وبه قال مقاتل.
 - ج. جُعِلُوا بخلاء فهم أبخل قوم وبه قال الزجاج^(١).
- وليس هذا فحسب بل لعنهم الله ﷻ بأن طردهم من رحمته، وعذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار ومسحوا قردة وخنازير^(٢)، بما قالوا من الكلمة الشنيعة التي لا تصح في حق الله ﷻ حقيقة ولا مجازاً^(٣).

فيرد ﷻ عليهم قولهم هذا بقوله ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ينفق كيف يشاء أي: بل يد الله ﷻ مبسوطتان بالبذل والإعطاء غير مغلولتين ولا مقبوضتين، فهو ينفق كيف يشاء، يرزق ويعطي هذا ويمنع ويقتل الرزق على ذلك حسب مشيئته ﷻ^(٤).

ويعزز ذلك ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سقاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغيض ما في يمينه قال: وعرشه على الماء وفي يده الأخرى القبض يرفع ويخفض"^(٥).

واختلف علماء الكلام في معنى "اليَد" وفسروها بعده تفسيرات كلاً على حسب مذهبه، وهذه تفصيلات لا يتسع المقام لذكرها هنا لذلك أذكر فقط ما ذكره ورجحه الطبري من بين الأقوال إذ أنه الأقرب إلى أهل السنة والجماعة يقول: "... المراد باليد في الآية: اليد التي هي صفة لله ﷻ تليق بجلاله الله، وليست كأيدي البشر، وقد تظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ وبه قال العلماء"^(٦). قولهم أن الله فقير ونحن أغنياء:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَتَكُنُّبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٧).

جاءت هذه الآيات كذلك تتحدث عن جرائم اليهود، وأساليبهم الخبيثة في محاربة الدعوة الإسلامية،

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٤٠٤. والماوردي، النكت والعيون، ج ٢، ص ٥١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٢هـ)، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة

التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ٩٩٤م، ج ٣، ص ١٦٤.

(٤) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٣، ص ٢٧١.

(٥) صحيح البخاري في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، رقم (٦٩٨٣). ج ٦، ص ٢٦٩٩. ومسلم في كتاب الزكاة،

باب الحث على النفقة، رقم (١٦٥٩)، ج ٢، ص ٦٩٠.

(٦) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٣، ص ٢٧٢.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٨١.

عن طريق الطعن في الذات الإلهية، فقد اتهم اليهود -عليهم لعنة الله- الله ﷻ بالفقر كما اتهموه بالبخل^(١).

وقد نسب العلماء القول الوارد في هذه الآيات إلى اليهود واحتجوا على ذلك بما يلي:

أولاً: إن الله تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: إن يد الله مغلولة، ويعنون بذلك أنه بخيل بالعطاء وذلك الجهل مناسب للجهل المذكور في هذه الآية^(٢).

ثانياً: إن أكثر الروايات على أن هذا القول إنما صدر عن اليهود، روى أنه ﷺ كتب مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً، فقال فنحاص اليهودي: إن الله فقير حتى سألنا القرض. فلطمه أبو بكر على وجهه، وقال: لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله ﷺ وجحد ما قاله، فنزلت هذه الآية تصديقاً لأبي بكر ﷺ، وقال آخرون: لما أنزل الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^(٣)، قالت اليهود: نرى إله محمد ﷺ يستقرض منا، فنحن إذن أغنياء وهو فقير، وهو ينهانا عن الربا ثم يعطينا الربا، وأرادوا قوله: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ وظاهر الآية أن القائلين هم جماعة، وما روى أن قائل هذا القول هو فنحاص اليهودي، واليهود لما رضوا بما قال عوملوا معاملة الجماعة^(٤) وسماع الله ﷻ لهم في هذه الآية أنه لم يخف عليه قولهم وأنه ﷺ أعد لهم جزاءً من العقاب، و﴿سَتَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ أي سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا في الصحائف^(٥).

وأريد من هذه الكتابة عدم الصفح ولا العفو بل تثبيت ما قالوه ومجازاتهم عنه فتكون الكتابة بذلك كناية عن المحاسبة^(٦).

- في المصادر اليهودية:

في الآيات السابقة نلاحظ كيف وصف القرآن الكريم عدم تأدب اليهود الذي طال حتى مقام الألوهية والمتصفح للكتاب المقدس يرى أن هذا لا يزال موجوداً في كثير من النصوص ولا يزال

(١) الصابوني، قبس من نور القرآن، ج ١، ص ٧٥.

(٢) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٤٤٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

(٤) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٢٤٦. الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٧. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ١٠٠. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ١٨٣.

(٥) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تقديم: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٩٨٩م، ج ١، ص ٢٧٥.

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ١٨٤.

موجوداً حتى يومنا هذا، وهذه الصفات لا تقبل إذا وصف بها الإنسان فكيف إذا وصف بها ﷻ تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهذا سيتضح أكثر من خلال النصوص التالية:

(أ) نسبوا إلى الله الكذب -تعالى عن ذلك علواً كبيراً- عندما قال لآدم إنه إذا أكل من الشجرة فسوف يموت فأكل آدم منها ولكنه لم يموت.

"ولكن إياك أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر لأنك حين تأكل منها حتماً تموت" (١).
 "ما عدا ثمر الشجرة التي وسطها، فقد قال الله: لا تأكلها منها ولا تلمسها لكي لا تموتاً" (٢).

(ب) نسبوا إلى الله -تعالى الله عما يقولون- الجهل:

"ثم سمع الزوجان صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاخترأ من حضرة الرب الإله بين شجرة الجنة، فنادى الرب الإله آدم: "أين أنت" فأجاب: "سمعت صوتك في الجنة واخترأت خشية منك لأنني عريان" فسأله: "من قال لك إنك عريان؟ هل أكلت من ثمر الشجرة التي نهيتك عنها؟" فأجاب آدم: إنها المرأة التي جعلتها رفيقة لي هي التي أطعمتني من ثمر الشجرة فأكلت". فسأل الرب الإله المرأة: "ماذا فعلت؟" فأجابت: "أغوتني الحية فأكلت" فقال الرب الإله للحية: "لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من بين جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين ومن التراب تأكلين طوال حياتك" (٣).

"وقال الرب: "لأن الشكوى ضد مظالم سدوم وعمورة قد كثرت وخطيئتهم قد عظمت جداً أنزل لأرى إن كانت أعمالهم مطابقة للشكوى ضدهم وإلا فأعلم" (٤).

"فتجلى الله لبلعام وسأله: "من هم هؤلاء الرجال الذين عندك" (٥).

(ج) نسبوا إلى الله التعب يوم خلق السماوات والأرض فاستراح في اليوم السابع:

"وهكذا اكتملت السماوات والأرض بكل ما فيها، وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به فاستراح فيه من جميع ما عمله، وبارك الله اليوم السابع وقسسه، لأنه استراح فيه من جميع أعمال الخلق" (٦).
 "لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع فرغ من العمل واستراح" (٧).

(١) سفر التكوين: ٢: ١٧.

(٢) سفر التكوين: ٣: ٣-٤.

(٣) سفر التكوين: ٣: ٨-١٥.

(٤) سفر التكوين: ١٨: ٢٠-٢٢.

(٥) سفر العدد: ٢٢: ٩-١٠.

(٦) سفر التكوين: ٢: ١-٤.

(٧) سفر الخروج: ٣١: ١٧-١٨.

(د) نسبوا إلى الله الحزن:

"فملاً قلبه الحزن والأسف لأنه خلق الإنسان وقال الرب: "أمحو الإنسان الذي خلقتَه عن وجه الأرض مع سائر الناس والحيوانات والزواحف وطيور السماء لأنني حزنت لأنني خلقتَه"^(١).

(هـ) نسبوا إلى الله -تعالى عما يقولون- العجز:

إنه عجز عن التغلب على يعقوب عندما تصارعا وصرعه يعقوب.
"وبقي وحده صارعه إنسان حتى مطلع الفجر، وعندما رأى أنه لم يتغلب على يعقوب ضربه على حق فخذه، فانخلع مفصل فخذ يعقوب..."^(٢).

وأنه عجز عن تميّز بيوت المصريين عن بيوت الإسرائيليين:
"لأن الرب سيجتاز ليلاً ليهلك المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضربكم"^(٣).

(و) نسبوا إلى الله -تعالى عما يقولون- الندم:

"تقبلها الرب برضى، وقال في نفسه: "لن العن الأرض مرة أخرى من أجل الإنسان لأن أهواء قلب الإنسان شريرة منذ حادثته ولن أقدم على إهلاك كل حي كما فعلت"^(٤).

(ز) نسبوا إلى الله -تعالى عما يقولون- النسيان:

"فأصغى الله إلى أنينهم، وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونظر إلى بني إسرائيل"^(٥).
"كذلك أصغيت على أنين بني إسرائيل المسترقين لعبودية المصريين وتذكرت ميثاقي"^(٦).

(ح) نسبوا إلى الله -تعالى عما يقولون- الظلم:

وذلك عندما قالوا أن العهد يكون لذرية إبراهيم من إسحاق فقط: "وأقودكم إلى الأرض التي أقسمت أن أهبها لإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب لأعطيها لكم ملكاً أنا هو الرب"^(٧).

"فإن هذه الأرض التي تراها، سأعطيها لك ولذريتك إلى الأبد، وسأجعل نسلك كتراب الأرض فإن استطاع أحد أن يحصى تراب الأرض يقدر أننذ يحصى لك نسلك، قم وامش في طول الأرض

(١) سفر التكوين: ٦: ٦-٨.

(٢) سفر التكوين: ٣٢: ٢٤-٣١.

(٣) سفر الخروج: ١٢: ٢٣-٢٤.

(٤) سفر التكوين: ٨: ٢١-٢٢.

(٥) سفر الخروج: ٢: ٢٤.

(٦) سفر الخروج: ٦: ٥-٦.

(٧) سفر الخروج: ٦: ٨.

وعرضها لأنني لك أعطيها"^(١).

(ط) نسبوا إلى الله -تعالى عما يقولون- التجسد في صورة رجل:

ومن ذلك ما جاء في التوراة، أن الله نزل في صورة رجل مع ملكين وذهبوا إلى إبراهيم وجلسوا يستريحون من التعب ثم غسلوا أرجلهم وأكلوا وشربوا: "وظهر له الرب عند بلوطات ممرا (اسم مكان) وهو جالس في باب الخيمة وقت اشتداد حر النهار، فرفع عينيه وإذا به يرى ثلاثة رجال ماثلين لديه فأسرع لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال: "يا سيدي، إن كنت قد حظيت برضائك فلا تعبر عن عبدك، بل دعني أقدم لكم بعض ماء تغسلون به أرجلكم وتتكونون تحت الشجرة، ثم أتى لكم بلقمة خبز تُسندون بها قلوبكم، وبعد ذلك تواصلون مسيرتكم لأنكم قد ملتم إلى بيت عبدكم". فأجابوه: "حسنا، ليكن كما قلت"^(٢).

هذه فقط بعض النصوص التي توضح بشكل جلي لا لبس فيه سوء أنب اليهود مع مقام الألوهية وهناك كثير من النصوص لكني أكتفي بما ذكرت.

المطلب الخامس: عقيدة اليهود في السبب في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْتَذِرُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٣).

تذكر هذه الآيات نوعاً آخر من مخالفات اليهود وعصيانهم، فتذكر قصة احتياليهم على صيد الأسماك، [والضمير في ﴿وَأَسْأَلُهُمْ﴾ عائد على من بحضرة الرسول ﷺ من اليهود] وتبدأ بمخاطبة الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ بأن يسأل يهود عصره عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجئهم غضبه ونقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتياليهم^(٤). وذكر أن بعض اليهود المعارضين للرسول ﷺ قالوا له: لم يكن من بني إسرائيل عصيان ولا معاندة لما أمروا به، فنزلت هذه الآية موبخة لهم ومقررة كذبهم،

(١) سفر التكوين: ١٣: ١٥-١٧.

(٢) سفر التكوين: ١٨: ٢: ٥.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٦٣.

(٤) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ج ٩، ص ١٤٢.

ومعلنة لما جرى على أسلافهم من الإهلاك والمسح، وكانت اليهود تكتنم هذه القصة فهي مما لا يعلم إلا بكتاب أو وحي من الله، فإذا أعلمهم بها من لم يقرأ كتابهم علم أنه وحي من الله ﷻ^(١).

والسؤال هنا للتوبيخ والتفريع لا سؤال استفهام "عن القرية التي كانت حاضرة البحر".

والمراد بالقرية أهلها، كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت، وهو من بدل الاشتمال^(٢).

وأسلاف اليهود خالفوا أمر الله ﷻ في العمل يوم السبت الذي يعظمونه بترك العمل فيه، وتخصيصه للعباد: فخالفوا أمره واصطادوا السمك، وقد نهوا عنه، فكان السمك يأتيهم شرعاً أي ظاهراً على سطح الماء يوم تعظيم السبت ولا يحتاج صيده إلى عناء، ويوم لا يسبتون أي في سائر الأيام غير السبت، تختفي الأسماك ولا تظهر ولا تأتيهم كما كانت تأتيهم يوم السبت.

فاحتالوا على صيدها بإقامة الأحواض حيث يأتي المد بالسمك ثم إذا انحسر الماء بالجزر، تبقى الأسماك في الأحواض، فيأخذونها يوم الأحد، ومثل هذا البلاء بظهور السمك يوم السبت المحرم عليهم صيده، وإخفائه عنهم في الأيام التي يحل لهم صيده، وذلك بسبب فسقهم المستمر، وخروجهم عن طاعة الله^(٣).

ويذكر الشوكاني سبب هذا الابتلاء فيقول: "وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: أن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم يوم الجمعة، فخالفوا إلى يوم السبت فعظموه، وتركوا ما أمروا به، فلما ابتدعوا السبت ابتلوا به فحرمت عليهم الحيتان..."^(٤). وفي موضع آخر يقول الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٥).

وفي موضع آخر يقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلْزَمْنَا مَوْثِقَ الْمِيثَاقِ لَكُمْ لَمَّا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(٦).

(١) تفسير الطبرسي، ج ٤، ص ٢٩٣. والنسفي، مدارك التنزيل، ج ٢، ص ١٢٠. وأبو حيان الأنلسي، النهر المعاد من البحر المحيط، ج ٢، ص ٦٣٦. وأحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٤٢٤.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ١٢٥. النسفي، مدارك التنزيل، ج ٢، ص ١٢٠.

(٣) وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج ٩، ص ١٤٣. والقصة مذكورة في أغلب كتب التفسير.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ج ٣، ص ٥٣١.

(٥) سورة النساء، الآية ١٥٤.

(٦) سورة النساء، الآية ٤٧.

واللعن في هذه الآيات لعن مقيد بقوله: **﴿كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾** وأصحاب السبت هم أهل إيله^(١) والمعنى أو نلعنكم أو نخزيكم ونجعلكم قردة كما لعنا أصحاب السبت وأخزيناهم لاعتدائهم في السبت فاحذروا أن يصيبكم ما أصاب أسلافكم أصحاب السبت. **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾** لأن أمر الله كائن موجود لا يمتنع عليه شيء من خلقه، والمراد بالأمر هنا المأمور، أي وكان المأمور الذي أمر الله به مفعولاً ومخلوقاً وموجوداً^(٢).

- في المصادر اليهودية:

عقيدة السبت عند اليهود تسمى بالعبرية (shabat) ومعنى عقيدة السبت عند اليهود أن الله خلق العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت كما ورد في سفر التكوين. "وهكذا اكتملت السماوات والأرض بكل ما فيها، وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به فاستراح فيه من جميع ما عمله وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه استراح فيه من جميع أعمال الخلق"^(٣). ويبدأ يوم السبت من غروب يوم الجمعة إلى غروب يوم السبت. "تستريحون من مساء اليوم التاسع حتى مساء اليوم التالي"^(٤). ويعتبر هذا اليوم هو يوم راحة لهم كذلك.

"اعمل ستة أيام فقط، وفي اليوم السابع تستريح لكي يستريح أيضاً ثورك وحمارك، وينتفش ابن أمتك والغريب"^(٥). وحسب اعتقاد اليهود فإنه يحرم عليهم القيام بأي عمل في هذا اليوم مهما كان نوعه لأنه من يقيم بذلك يترتب عليه القتل كما ورد في سفر الخروج: "احفظوا يوم السبت لأنه مقدس لكم، من يدنسه حتماً يموت، فكل من يقوم فيه بعمل تستأصل تلك النفس من بين قومها، في ستة أيام تعملون، أما يوم السبت فهو يوم عطلة مقدس للرب كل من يقوم بعمل في يوم السبت يقتل حتماً"^(٦).

"هذه هي الأمور التي أوصى الرب أن تطيعوها: ستة أيام تتصرفون فيها إلى أعمالكم. أما السابع فيكون يوم راحة لكم مقدساً لعبادة الرب كل من يقوم فيه بأي عمل يقتل"^(٧).

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٧٨.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ٦٢٧.

(٣) سفر التكوين: ٢: ٢-٤.

(٤) سفر اللاويين: ٢٣: ٣٢.

(٥) سفر الخروج: ٢٣: ١٢.

(٦) سفر الخروج: ٣١: ١٤-١٥.

(٧) سفر الخروج: ٣٥: ٢.

"وأبيد كل من لا يتوقف عن عمله في هذا اليوم، وإياكم القيام بعمل ما"^(١). وقد ورد عندهم "تسع وثلاثون" نوعًا من الأعمال المحرمة كالبيع والشراء والطبخ وركوب السيارة أو الدابة أو الكتابة والزراعة، والحرق، والزواج، وإنارة الضوء... الخ"^(٢)، أذكر على سبيل المثال: "لا توقدوا نارًا في بيوتكم في يوم السبت"^(٣)، وهم يعتقدون أن الله -تبارك وتعالى- قد عاقب آباءهم لأنهم قاموا بالعمل يوم السبت -خاصًا للبيع والشراء- فعصوا أمر الله فأنزل الله عليهم العذاب كما ورد في سفر نحيا "أي شر تركبونه إذ تدنسون يوم السبت؟ ألم يتصرف آباؤكم هكذا؟ ألم يصب إلها كل غضبه علينا وعلى هذه المدينة؟ ومع ذلك فإنكم تجلبون مزيدًا من السخط على إسرائيل إذ تدنسون يوم السبت"^(٤).

المطلب السادس: تكفير اليهود غيرهم واعتبار دينهم هو الدين الحق في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

٧٠٧٥٣٧

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥).

جاء في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال عبد الله بن سوريا الأعور لرسول الله ﷺ: "ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾"^(٦). من مزاعم اليهود أن قالوا للمؤمنين: كونوا يهودًا تهتدوا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا، ومعنى "تهتدوا"، أي تصيبوا طريق الحق والهدى^(٧).

(١) سفر اللاويين: ٢٣: ٣٠، ٣١.

(٢) Philip S. Alexander, Judaism, (Glasgow, 1984), p.74-78.

(٣) سفر الخروج: ٣٥: ٣.

(٤) سفر نحيا: ١٣: ١٧-١٨.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٣٥.

(٦) السيوطي، الدر المنثور، ج ١، ص ٣٠٦. والحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٩١. والطبري، جامع البيان،

ج ١، ص ٤٥٧. وعبد الرحمن بن أبي حاتم، تفسير القرآن مفسدًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ج ١، ص ١٢٥٧.

السيوطي، أسباب النزول، تحقيق: عصام عبد المحسن الحميدان، وقام بتخريج أسانيده وقال عن هذا الحديث إسناده حسن.

(٧) الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ٤٥٧.

فيرد الله ﷻ دعوة اليهود والنصارى بقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي قل يا محمد، لا نريد ما دعوتونا إليه، بل نتبع "ملة إبراهيم حنيفاً" ^(١) والحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ^(٢).

وجاءت كلمة "ملة" منصوبة لعدة أسباب منها أن فعل "كونوا" بمعنى اتبعوا، أي قالت اليهود والنصارى اتبعوا اليهودية أو النصرانية تهتدوا قل بل نتبع ملة إبراهيم لأنه مستقيماً، متبعاً للحق، منفذاً لأحكام الله وما كان من المشركين العابدين للأوثان والأصنام ^(٣).

يقول القاسمي معلقاً على هذه الآية: "وقد أفادت الآية الكريمة أن ما عليه اليهود والنصارى محض ضلال وارتكاب بطلان، وأن الدين المرضي عند الله ﷻ هو الإسلام ومنها دعوة الخلق إلى توحيد الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له، ولما خالف المشركون هذا الأصل العظيم بعث الله نبيه محمد ﷺ خاتم النبيين لدعوة الناس جميعاً إلى هذا الأصل" ^(٤).

فقال ﷺ: "إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة" ^(٥). وعن عباس قال، قيل يا رسول الله أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: "الحنيفية السمحة" ^(٦).

- في المصالح اليهودية:

يعتقد اليهود أنهم من جنس مميز على سائر الأجناس وأنهم من عنصر ممتاز يختلف تماماً عن كل عناصر بني البشر الذين يطلق عليهم اسم (جويم) أي (الأمميون) ومعناه: البهائم أو الشعوب غير اليهودية، أو الشعوب الأجنبية الكافرة ^(٧). ويشعرون بالتميز لاعتقادهم أنهم أصحاب رسالة سماوية أنزلت على موسى ﷺ، الذي أرسله الله لهمدون غيرهم، لأنهم شعبه المختار، -كما سبق وأن اشرت- ويقول سفر التثنية "ولم يظهر بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى .." ^(٨) لذلك نراهم لا يندمجون مع غيرهم، بل أنهم ينكرون المساواة مع الذين يشتركون معهم في النسب إلى النبي إبراهيم ﷺ. ومن أجل ذلك لم نجدهم يسعون إلى التبشير بدينهم، لأنهم يعتبرون "اليهودية" تؤخذ من المولد لذلك فهي دين خاص

(١) فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك (ت ١٣٦٦هـ)، تفسير توفيق الرحمن في دروس القرآن، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٠٥.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ١٣١.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ٤٥٨. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ١٣١.

(٤) جمال الدين القاسمي، محاسن التلويل، ج ١، ص ٣٥٥.

(٥) مسند الإمام أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث أبي أمامة الباهلي، رقم (٢١٧٨٨)، ج ٥، ص ٢٦٦.

(٦) مسند الإمام أحمد، مسند بني هاشم، باب بداية مسند عبد الله بن العباس، رقم (٢١٠٨)، ج ٣٦، ص ٦٢٤.

(٧) B.T. Abodah Zarah, 104b.

(٨) سفر التثنية ٣٤: ١٠-١٢.

بهم، الدين الحق، الدين القيم الذي لا يجوز لمن هم أقل من العنصر اليهودي "الجويم" أن يدينوا به، لأن الله قد خلقهم (أي الجويم) لخدمتهم وليكونوا تحت أقدامهم ، يقول سفر ملاخي: " ...أما أنتم أيها المتقون أسمى فتشرق عليكم شمس البر حاملة في أجنحتها الشفاء فتطلقون متواثبين كعجول المعلف وتطئون الأشرار، إذ يكونون رماداً تحت بطون أقدامكم ... (١).

المطلب السابع: زعم اليهود أن العزيز ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ غَزِيرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (٢).

جاء في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مكشيم، ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس وهم جماعة من اليهود فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيزاً ابن الله؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ غَزِيرٌ ابْنُ اللَّهِ) (٣) وأخرج ابن المنذر عن ابن جريح أن قائل ذلك فحاص بن عازوراء اليهودي وهو على ما جاء في بعض الروايات القائل "أن الله فقير ونحن أغنياء" (٤). وقد يسأل سائل لماذا أطلق اليهود على عزيز أنه ابن الله؟؟

وجواب ذلك نجده فيما رواه ابن عباس في قوله: "إنما قالوا ذلك لأنهم لما عملوا بغير الحق، وأضاعوا التوراة، أنساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم، فدعا عزيز الله ﷻ وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدره فبينما هو يصلي نزل عليه نور من السماء فدخل في جوفه، فعاد إليه الذي نسخ من صدورهم، فأذن في قومه، قد أتاني الله التوراة، فقالوا: ما أوتيها إلا لأنه ابن الله (٥).

(١) سفر ملاخي ٣: ٤.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٠.

(٣) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ١٧٨١. والآلوسي، روح المعاني، ج ١٠، ص ٣٨٤. وابن حبان، البحر المحیط، ج ٣، ص ٧٩. والبغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٤٢٠. وابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٤٢٣. وسيد قطب، الظلال، ج ٤، ص ١٥.

(٤) الطبري، ج ٤، ص ١٤٦. وابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣٢٠. ابن حبان، البحر المحیط، ج ٣، ص ٧٩. وسعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ٤، ص ٢٢٤٩.

(٥) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ١٧٨١. وابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣٢٠. والبغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٤٢٠. والآلوسي، روح المعاني، ج ١٠، ص ٣٨٤.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس، أن نبوخذ نصر لما ظهر على بني إسرائيل، وهدم بيست المقدس، وقتل من قرأ التوراة، كان عزيز غلامًا، فتركه فلما توفي عزيز ببابل مائة عام، ثم بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل، فقال: أنا عزيز فكذبوه وقالوا قد حدثنا آباؤنا أن عزيزًا مات ببابل، فإن كنت عزيزًا فأملل علينا التوراة، فكتبها لهم، فقالوا هذا ابن الله^(١).

وفي رواية أخرى يذكرها ابن حبان في تفسيره: "أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فرجع الله تعالى عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم، فخرج عزيز، وهو غلام يسبح في الأرض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له: إلى أين تذهب؟ قال: أطلب العلم. فحفظه التوراة فأملأها عليهم، فقالوا ما جمع الله له التوراة في صدره وهو غلام إلا أنه ابنه^(٢).

ويشير الآلوسي في تفسيره إلى أن العلماء اختلفوا في شخصية عزيز هل هو نبي أم لا، ويقول: إن أكثر العلماء يقولون أنه ليس بنبي^(٣).

ولعل اختلافهم هذا يرجع إلى قوله تعالى: ﴿أَوِ كَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

واختلف أهل العلم في تحديد شخصية "الذي مر على قرية" على عدة أقوال:

أولاً: هو عزيز حبر بني إسرائيل، وبه قال سليمان بن بريدة، وقتادة والسدي، وابن عباس، والربيع، وعكرمة، والضحاك وأخرجه الحاكم عن علي كرم الله وجهه، وعبد الله بن سلام، وإسحاق بن بشر، وخلق كثير هو المشهور^(٥).

ثانياً: أنه رجل من بني إسرائيل غير مسمى، وبه قال مجاهد^(٦).

(١) وابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣٢٠. والبغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٤٢٠. والآلوسي، روح المعاني، ج ١٠، ص ٣٨٥.

(٢) أبو حيان الأندلسي، النهر الماد من البحر المحيط، ج ٣، ص ٧٩.

(٣) الآلوسي، روح المعاني، ج ١٠، ص ٣٨٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

(٥) القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق:

المجلس العلمي بفاس، ١٩٧٥م، ج ١، ص ٢٩٠. وأبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي

المعروف بابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، تفسير ابن عربي، تقديم: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،

٢٠٠١م، ج ١، ص ١٠٦. وابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٠٠. والطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ٣٠

والآلوسي، روح المعاني، ج ٢، ص ٢١.

(٦) وابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٠٠. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٢٩٠.

ثالثاً: هو إرمياء، وبه قال وهب ابن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وبكر بن مضر^(١)، وبه قال عطاء عن ابن عباس^(٢) وقال ابن إسحاق أرمياء هو الخضر وحكاه النقاش عن وهب بن منبه والخضر الكوفي هو رجل من سبط هارون بن عمران -عليهما السلام- وهو قول محمد بن إسحاق، وقال وهب بن منبه، إن أرمياء هو النبي الذي بعثه الله عندما ضرب نبوخذ نصر بيت المقدس وأحرق التوراة^(٣).

رابعاً: هو كافر شك في البعث وبه قال مجاهد.

وخامساً: قيل هو غلام لوط الكوفي^(٤)، واختلف أهل العلم أيضاً هل كان مؤمناً وكان نبياً أم كان كافراً. أما الرأي الثاني فقد ضعفه الرازي في تفسيره^(٥).

وأما الرأي الأول فقد ذهب إليه ورجحه الرازي وذكر لهذا الترجيح عدة وجوه:

- (١) قول الله ﷻ على لسانه: «أَنِّي يُخَيِّي هَذِهِ اللَّاهُ بَعْدَ مَوْتِهَا» يدل على أنه كان عالماً بالله، وعلى أنه كان عالماً بأن الله ﷻ يصح منه الإحياء في الجملة.
- (٢) قول الله ﷻ «كَمْ لَبِثْتَ» فقال ذلك الإنسان «لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» فقال الله تعالى: «بَلْ لَبِثْتَ مِئَّةَ عَامٍ» ومما يؤكد أن قائل هذا القول هو الله ﷻ قوله: «وَلَنَجْزِيَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ» ومن المعلوم أن القادر على جعله آية للناس هو الله تعالى، ثم قال: «وَنَنْظُرُ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا» ولا شك أن قائل هذا القول هو الله تعالى، فثبت أن هذه الآية دالة من هذه الوجوه الكثيرة على أنه تكلم معه، ومعلوم أن هذا لا يليق بحال هذا الكافر^(٦).
- (٣) إن إعادته حياً وإيقاء الطعام والشراب على حالهما، وإعادة الحمار حياً بعدما صار رميماً مع كونه مشاهداً لإعادة أجزاء الحمار إلى التركيب وإلى الحياة إكرام عظيم وتشريف كريم، وذلك لا يليق بحال الكافر له^(٧).

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٢٩٠. الطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٠، ٢١. وابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٠٠.

(٢) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٢٦.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٠. و ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٢٩٠. الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٢٦.

(٤) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ١٨٣. والآوسي، روح المعاني، ج ٢، ص ٢١.

(٥) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٢٧.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) المصدر السابق نفسه.

٤) أن الله -تعالى- قال في حق هذا الشخص **﴿وَلَجَعَلْنَا آيَةً لِلنَّاسِ﴾** وهذا اللفظ إنما يستعمل في حق الأنبياء والرسل قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**^(١) فكان هذا وعداً من الله تعالى بأن يجعله نبياً، وأيضاً فهذا الكلام لا يدل على النبوة صراحةً فلا شك أنه يفيد التشريف العظيم، وذلك لا يليق بحال من مات على الكفر وعلى الشك في قدرة الله تعالى^(٢).

٥) ما وري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في سبب نزول الآية قال: إن نبوخذ نصر غزا بني إسرائيل فسبى منهم الكثيرين، ومنهم عزيز وكان من علمائهم، فجاء بهم إلى بابل، فدخل عزيز يوماً تلك القرية ونزل تحت شجرة وهو على الحمار، فربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها أحداً فعجب من ذلك وقال: "أنى يحيى هذه الله بعد موتها" لا على سبيل الشك في القدرة، بل على سبيل الاستبعاد بحسب العادة، وكانت الأشجار مثمرة، فتناول من الفاكهة التين والعنب، وشرب من عصير العنب ونام، فأماته الله في منامه مائة عام وهو شاب،^(٣) ثم أعمى عن موته أيضاً الإنس والسباع والطير، ثم أحياه الله تعالى بعد المائة ونودي من السماء يا عزيز "كم لبثت" بعد الموت، فقال: "يوماً" فأبصر من الشمس بقية، فقال: "أو بعض يوم"، فقال الله تعالى: **﴿بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾** من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير طعمهما، فنظر فإذا التين والعنب كما شاهدتهما ثم قال: **﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾** فنظر فإذا هو عظام بيض تلوح وقد تفرقت أوصاله، وسمع صوتاً أيتها العظام البالية إني جاعل فيك روحاً فانضم أجزاء العظام والذراع إلى مكانه ثم جاء الرأس إلى مكانه ثم العصب والعروق، ثم أنبت اللحم عليه، ثم أنبسط الجلد عليه، ثم خرجت الشعور من الجلد، ثم نفخ فيه الروح. فإذا هو قائم ينهق، فخر عزيزاً ساجداً، وقال: **﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** ثم أنه دخل بيت المقدس فقال القوم: حدثنا أبائنا، أن عزيز بن شرخيا مات ببابل، وقد كان نبوخذ نصر قتل ببيت المقدس أربعين ألفاً ممن قرأ التوراة وكان فيهم عزيز، والقوم ما عرفوا أنه يقرأ التوراة، فلما أتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة وأملاها عليهم عن ظهر قلبه، لم يحذف منها حرفاً، وكانت التوراة قد دفت في موضع، فأخرجت وعورض لما أملاه فما اختلف في حرف فعند ذلك قالوا عزيز ابن الله، وهذه الرواية مشهورة فيما بين الناس، وذلك يدل على أن ذلك المار كان نبياً^(٤).

(١) سورة الأنبياء، الآية ٩١.

(٢) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٢٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٢٩. وذكر البغوي في تفسيره معالم التنزيل طرماً من هذه القصة، ج ١، ص ١٨٦.

ولما رأى اليهود ذلك من عزيز شابه قولهم قول النصارى والكفار في الكفر والشناعة^(١) وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة^(٢).

- في المصادر اليهودية:

عند رجوعنا إلى المصادر اليهودية نرى أن عزيزاً يحتل مكانة عظيمة عند اليهود حتى لقبوه أنه ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - كما وصفهم القرآن الكريم.

وأصل نسب عزيز عند اليهود أو ما يسمى بعزرا حسب تسميتهم له أنه "عزرا بن سريا بن عزريا بن حلقيا ... بن فينحاس بن هارون"^(٣).

أي أنه ينتهي نسبه إلى هارون عليه السلام، ومعنى هذا الاسم حسب ما جاء في قاموس الكتاب المقدس أنه اسم عبري معناه "عون" والاسم نشأ كاختصار لاسم عزريا^(٤).

وقد لقبه اليهود بالكاهن وبالكاتب، لأنه كان دارساً مجتهداً، ومفسراً عميقاً لوصايا الله وعهده لبني إسرائيل كما ورد في سفر عزرا:

"وكان عزرا كاتباً ماهراً في شريعة موسى التي أعلنها الرب إله إسرائيل وقد منحه الملك كل سؤله بفضل الرب إلهه"^(٥).

"وهذا نص الرسالة التي سلمها الملك ارتحششتا لعزرا الكاهن الكاتب، العالم بكلام وصايا الرب وفرائضه التي أبلغها لإسرائيل: "من ارتحششتا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء (سلام) كامل وبعد ..."^(٦).

ولم يصل إلى هذه الدرجة - حسب اعتقادهم - إلا لأنه أخلص نيته لله عزرا فكان كذلك:

"لأن عزرا أخلص نيته لطلب شريعة الرب وممارستها، وتعليم الشعب فرائضها وأحكامها"^(٧) ويعتبرونه كذلك مؤلف كتاب عزرا الذي سمي باسمه وعندما تعرض اليهود للسبي البابلي كان عزرا في نظرهم رجلاً تقياً حتى في المنفى كما ورد في سفر نحميا "وهذا بيان بأسماء الكهنة واللاويين

(١) الألويسي، روح المعاني، ج ١٠، ص ٣٨٥.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣٢١.

(٣) سفر عزرا: ٧: ٢-٥.

(٤) قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٢١. وانظر أيضاً: M.G. Easton, The illustrated Bible dictionary, p.248.

(٥) سفر عزرا: ٧: ٦-٧.

(٦) سفر عزرا: ٧: ١١-١٢.

(٧) سفر عزرا: ٧: ١٠.

الذين عادوا من السبي مع زربابل بن شاتيثيل ويشوع: سرايا ویرميا، وعزرا^(١) فكان عزرا واحداً من هؤلاء الكهنة.

ومن الأسباب التي جعلت عزرا يحتل مكانة عالية عند اليهود أنه استطاع أن ينال ثقة ملك الفرس (قورش) أيام السبي الذي تعرض له اليهود فقد تمكن من كسب ثقة الملك به وأعانه ومن معه من اليهود من العودة إلى القدس وإقامة حكم ذاتي لهم في فلسطين، بحيث يقيمون مجتمعهم على التقاليد العبرانية مع موالاتهم للفرس وخضوعهم لهم. وكانت هذه العودة سنة ٥٣٦ ق.م^(٢). وبناءً على ذلك فهم يعتبرونه قائداً لبني إسرائيل وخاصةً عندما عاد عزرا إلى فلسطين ومعه من سبي من بني إسرائيل وأعادوا بناء الهيكل وأعادوا دوره كما كان في عهد سليمان حيث ورد في سفر عزرا النص التالي: "في السنة الأولى لحكم قورش ملك فارس وإتماماً لكلام الرب الذي نطق به على لسان إرميا، نبه الرب روح قورش فأصدر نداءً مكتوباً في كل أرجاء مملكته ورد فيه: "هذا ما يقوله كورش ملك فارس: لقد وهبني الرب إله السماء جميع ممالك الأرض، وأوصاني أن أسيد له هيكلًا في أورشليم في مملكة يهوذا، فعلى كل واحد من أبناء شعبه -ليكن الرب معه- أن يصعد إلى أورشليم في أرض يهوذا فيبني هيكل الرب إله إسرائيل، إنه الله الذي في أورشليم، وعلى أهل المواضع التي يقيم فيها الآن المَسبُيون المتغربون أن يمدُّوهم بالذهب والفضة والدواب، فضلاً عما يتبرعون به لبناء هيكل الرب الذي في أورشليم"^(٣).

إذاً هو في نظرهم الذي قام بإعادة بناء الهيكل وأقام شعائر سليمان فيه كما ورد في سفر نحemia: "وعند تدشين سور أورشليم استدعوا اللاويين من جميع مواطنهم إلى أورشليم لكي يذسبوا بفرح وبحمد وترنيم بالصنوج والرباب والعيدان .. يتقدمهم عزرا الكاتب ... ثم اجتمعت الفرقتان المرتلتان بالحمد في هيكل الله، وكذلك أنا ونصف القادة"^(٤).

وعُرف عزرا في القدس عند اليهود بإخلاصه ونشاطه في سبيل طائفته التي كان كاهناً عليها، فحاز ثقة وإعجاب وولاء اليهود المعاصرين له، من نبلاء وكهنة، حتى أنهم لم يعارضوه في أعماله وإصلاحاته^(٥).

ويتضح ذلك من خلال جهود عزرا في تنقية الدم اليهودي من خلال فصل الزيجات المختلفة وإبعاد الزوجات الأجنبية مع أبنائهن وموافقة الكهنة والشعب له على ذلك من خلال النص التالي:

(١) سفر نحemia: ١٢: ١.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٢١. M.G. Easton, The illustrated Bible dictionary, p.173-174.

(٣) سفر عزرا: ١: ٤-١.

(٤) سفر نحemia: ١٢: ٢٧، ٣٦، ٤٠.

(٥) M.G. Easton, Illustrated Bible Dictionary, (London, 1989), p. 248.

قال شكنيا بن يحيئيل لعزرا: "لقد خنا إلهنا وتزوجنا من نساء غريبات من أمم الأرض، ولكن على الرغم من هذا فلا يزال هناك رجاء لإسرائيل، لذلك لنبرم عهدًا مع إلهنا بأن نخرج كل النساء الغريبات، ومن أنجب من أبناء بموجب رأي سيدي، ومشورة سائر الذين بطيعون وصايا الله مطبقين بذلك نص الشريعة فانهض الآن فإن عبء هذا الأمر يقع على مسئوليتك، ولكننا معك، نَسْجَعُ وَنَصْرَفُ" فقام عزرا واستخلف رؤساء الكهنة واللاويين وسائر بني إسرائيل أن ينفذوا العهد، فخلفوا^(١).

ويعتقد اليهود أن عزرا بمجرد عودته إلى القدس قام بقراءة ناموس موسى أمام اليهود وتفسيره لهم بمعونة اللاويين فكان يدرّس قانون موسى، ويعظ الناس أن يكونوا قريبين من الله ﷻ^(٢). وكان اليهود يقبلون على الاستماع لشريعتهم ويعلمون ولاءهم لها وهذا ما جعل اليهود المتأخرين عنه يعتبرونه زعيمًا لهم بعد موسى الذي أخرجهم من مصر، ويعتبرونه أيضًا مؤسس نظم اليهودية المتأخرة (أي التي وضعت في القرن الخامس قبل الميلاد) ويعتقدون كذلك أنه هو الذي جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها^(٣).

لكل هذه الإنجازات لعزرا مجتمعة استحق أن يكون في نظر اليهود "ابن الله" -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا-. هذا من ناحية من ناحية أخرى لأنه من نظرهم قد أحرز شرطها: أولاً: أن يكون من سلالة سام بن نوح^(٤). ثانياً: أن يكون قدم شيئاً لله ولبنى إسرائيل^(٥).

ومن الجدير بالذكر عندما تقرأ لبعض من كتب عن عزيز نراه يتناول شخصه الكريم من وجهة النظر اليهودية ولا يتناوله من وجهة النظر الإسلامية فنراه ينعته تارة بالكاهن الابن وتارة بنشوء اليهودية على يديه وأن الديانة اليهودية هي ديانة عزيز^(٦). وهذا في رأي تحريف للحقيقة لاعتمادهم في ذلك على المصادر اليهودية فقط^(٧).

(١) سفر عزرا: ١٠: ٢-٤.

(٢) Cecil Roth, A history of the Jews, (New York, 1989), p.57-69.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٢١. M.G. Easton, Illustrated Bible Dictionary, (London, 1989), p. 248.

(٤) Gen. 6: 2-4.

(٥) Hosea. 1: 10

(٦) عبد المجيد همو، مثل كتاب ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية، مراجعة وتنقيح: إسماعيل الكردي، دار الأوانسل، دمشق، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١٩٣.

(٧) والملفت -حسب إطلاعي- عدم وجود كتابات تتناول شخص عزيز من وجهة النظر الإسلامية.

المطلب الثامن: اتخاذ اليهود "الأخبار" أرباباً من دون الله في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١).

جاء في سبب نزول الآية أن عدي بن حاتم قال: "أُتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عدي أطرح عنك هذا الوثن وسمعه يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ﴾ فقلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال ﷺ: "أليس يحرمون ما أحل الله تعالى فيرحمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه؟ فقلت: بلى، قال: فذلك عبادتهم"^(٢).

والأخبار مفرداها حبر ويجمع على حبور وهو لقب يطلق على العالم سواء كان ذمياً أو مسلماً، فقد كان يقال لأبن عباس ؓ حبر الأمة والمراد من الآية اتخاذ اليهود علماءهم "أرباباً من دون الله" بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله تعالى وتحليل ما حرمه سبحانه فهم بذلك جعلوهم كالأرباب وإن لم يقولوا إنهم أرباب^(٣).

وفي موضع آخر من سورة التوبة بين الله ﷻ ضلال الأخبار واقتراؤهم على الناس بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِئْسَ لَهُم بِعَاقِبِ الْأَعْمَالِ﴾^(٤).

يقول ابن حبان معلقاً على هذه الآية "لما ذكر تعالى أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ذكر ما عليه كثير منهم، تنقيصاً من شأنهم وتحقيراً لهم، وأن مثل هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم فضلاً عن اتخاذهم أرباباً لما اشتملوا عليه من أكل المال بالباطل وصددهم عن سبيل الله، واندرجوا في عموم الدين يكنزون الذهب والفضة فجمعوا بين الخصلتين الذميتين، أكل المال بالباطل وكنز المال، وأكل المال بالباطل هو أخذهم من أموال أتباعهم ضرائب باسم الكنائس والبيع وغير ذلك مما يوهموهم به أن النفقة فيه من الشرع والتقرب إلى الله تعالى، وصددهم عن سبيل الله وهو دين الإسلام وإتباع

(١) سورة التوبة، الآية ٣١.

(٢) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، حديث رقم (١٠٠٥٧)، ج ٦، ص ١٧٨٤. والحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥٦٧. والآلوسي، روح المعاني، ج ١٠، ص ٣٨٧. والبيهقي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٢٤١. والحديث أخرجه الترمذي في

سننه، محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة التوبة، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم (٣٠٩٥). وقال الألباني أنه حسن، ج ٥، ص ٢٧٨.

(٣) الآلوسي، روح المعاني، ج ١٠، ص ٣٨٧. والبيهقي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٢٤١.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣٤.

رسول الله ﷺ^(١).

- في المصادر اليهودية:

يُسمى رجال الدين اليهود بالكهنة، وهؤلاء ينحدرون من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام حيث يعتبرونهم الوسيلة بين البشر وبين الله في تقديم القرابين. ولهم مجلس يضم كبار الكهنة يسمى "المجمع" الذي يدير شؤون اليهود، ويعتقدون أن هذا المجمع هو امتداد لمجلس السبعين رجلاً الذين أختارهم موسى عليه السلام ليقدموا التوبة عن المذنبين من عبدة العجل بعد الخروج -حسبما ورد في توراتهم- وهكذا وضع الكهنة أنفسهم واسطة بين الناس وبين الله فلم تكن تقبل توبة ولا قرابين إلا إذا باركها الكاهن^(٢).

ومن أمثلة التشريعات التي صدرت عن علمائهم فأخذها الناس وكأنها أحكام ربانية ما يلي:

(أ) استحلال الخمر، فقد حرم الله ﷻ عليهم شرب الخمر إلا أن أحبارهم أو كهانهم أطلوا لهم شرب الخمر وباركوه^(٣) وليس هذا فحسب بل جعلوا شرب الخمر فيه مرضاة للرب فجعلوا يشربونه في جميع الأعياد وأثناء ممارسة الطقوس الدينية مثل وجبات يوم السبت ووجبات يوم الغفران، ويظهر ذلك من خلال النصوص التالية:

"هذه هي أعياد الرب التي تحتفلون فيها احتفالاً مقدساً لتقريب محرقات للرب، محرقة وتقدمة وذبيحة وخمرًا للرب كل يوم بيومه..^(٤)

"فتكون هذه علاوة على المحرقة الشهرية وتقدمتها من الدقيق، مع ما يرافقها من سكائب الخمر هي محرقة رائحة رضى للرب"^(٥).

(ب) تحريم ما أحل الله مثل: "تحريم طبخ اللحم باللبن" كما جاء في سفر الخروج: "ولا تطبخ جدياً بلبن أمه"^(٦).

(ج) تحريم أكل الخبز المخمر في الأعياد: "لا تقرب لي ذبيحة مع خبز مختمر"^(٧).

(د) كما حرم أحبارهم التعامل بالربا مع اليهود، أي لا يجوز أن يتعامل اليهودي مع اليهودي بالربا ولكن أجازوا ذلك مع غير اليهودي^(٨) ويظهر ذلك من خلال النص التالي:

(١) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج ٣، ص ٨٩، ٨٠.

(٢) انظر سفر اللاويين حيث يتحدث جميعه عن ذلك. وانظر أيضاً: Philip S, Alexander, Judaism, (Glasgow, 1984), p.9-10.

(٣) Philip S. Alexander, Judaism (Glasgow, 1984), p.75.

(٤) سفر اللاويين: ٢٣: ٣٧.

(٥) سفر العدد: ٢٩: ٦.

(٦) سفر الخروج: ٢٣: ١٩.

(٧) سفر الخروج: ٢٣: ١٨.

(٨) Philip S. Alexander, Judaism (Glasgow, 1984), p.173.

"لا تتقاضوا فوائد عما تقرضونه لإخوتكم من بني إسرائيل سواء كانت القروض فضة أو أطعمة أو أي شيء آخر، أما الأجنبي فأقرضوه برّاً، إنما إياكم إقراض أخيكم بفائدة..."^(١).
 والمنصفح للتلמוד بقسميه المشناة والجمارا، يرى أنه يحتوي على عقائد وأحكام، وتشريعات وضعها الأحبار أو ما يسمي (بالرباي) لليهود أذكر على سبيل المثال:
 (أ) يجوز أخذ الربا من (الجويم) ولا يجوز أخذ الربا من اليهود^(٢).
 (ب) جواز الكذب على غير اليهودي في جميع الظروف^(٣).
 (ج) إن المفقود إذا وجدته اليهودي لا يعيده (للجويم) ويجوز لليهودي أن يحتال على (الجويم)^(٤).

(١) سفر التثنية: ٢٣: ١٩-٢٠.

(٢) B.T. Abodah Zara, 54a.

(٣) Baba Kama, pl 13a.

(٤) Baba Kama, pl 13a.

المبحث الثاني عقائد اليهود في القرآن الكريم المتعلقة بالنبوات وعلاقتها بكتبهم المقدسة:

- المطلب الأول :** عقيدة قتل اليهود في الأنبياء في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب الثاني :** عقيدة اليهود في إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب الثالث :** الدبّيح في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب الرابع :** طالوت وجالوت في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب الخامس ::** داود عليه السلام في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب السادس :** إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب السابع :** عقيدة اليهود في مريم -عليها السلام- في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب الثامن ::** عقيدة اليهود في عيسى عليه السلام في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب التاسع :** عقيدة اليهود في سيدنا محمد ﷺ في السياق القرآني والمصادر اليهودية.
- المطلب العاشر :** عقيدة اليهود في جبريل عليه السلام في السياق القرآني والمصادر اليهودية.

تمهيد:

الرسول والأنبياء بصفة عامة: هم الصفوة المختارة من البشر، يختارهم الله ﷻ ويصطفاهم لهداية الناس إلى طريق الحق، ومن هنا كانت النبوة والرسالة اختياراً خالصاً لله يختص بها من يشاء من خلقه، يقول ﷻ: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ»^(١) ويقول: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»^(٢).

وقال في معرض الحديث عن بعض الرسل: «وإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ»^(٣)، وإنما كانت النبوة اصطفاً واختياراً من الله لأنها مسؤولية كبرى لا يستطيع أن يقوم بأعبائها إلا أولو العزم والقوة من الرجال، قال تعالى: «إِنَّا سَخَّلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا»^(٤)، ومن هنا كانت حكمته ﷻ أن يجعلهم أكمل البشر خلقاً وأفضلهم علماً وأشرفهم نسباً وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً وأكثرهم فطنة وعقلاً^(٥).

لذلك كان حديث القرآن الكريم عن أنبياء الله حديثاً يتناسب مع هذه المكانة الكبرى لهم حيث يقول ﷻ: «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ»^(٦).

وما تحدث القرآن الكريم عن نبي من أنبياء الله إلا وقرن الحديث بوصف النبي بأسمى الصفات والمواهب، فقال عن إبراهيم عليه السلام: «إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا»^(٧)، وأنه كان «أُمَّةً قَاتِنًا لِلَّهِ حَنِيفًا»^(٨). وقال عن إسماعيل عليه السلام: «إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا»^(٩)، وقال عن يحيى عليه السلام: «وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا»^(١٠). وهكذا كان حديث القرآن عن أنبياء الله حديثاً يتلاءم مع مكانتهم السامية، إلا أن اليهود تحدثوا عن الأنبياء بطريقة لا تليق بهم وهذا ما يدعونا لبيان صفات الأنبياء كما وردت في الإسلام بشيء من الاختصار أولاً، ثم أبين بعد ذلك عقيدة اليهود في الأنبياء.

(١) سورة الحج، الآية ٧٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣٣.

(٣) سورة ص، الآية ٤٧.

(٤) سورة المزمل، الآية ٥.

(٥) سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص ٣١٩.

(٦) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

(٧) سورة مريم، الآية ٤١.

(٨) سورة النحل، الآية ١٢٠.

(٩) سورة مريم، الآيتان ٥٤، ٥٥.

(١٠) سورة مريم، الآية ١٤.

صفات الأنبياء:

من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية صاغ علماء الكلام صفات للأنبياء، وهي: الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفتانة، والسلامة من العيوب المنفرة، والعصمة من الوقوع في الخطأ^(١). وهذه الصفات يجب أن تتوافر مجتمعة في الأنبياء لأن هذا أمر يحتمه العقل الصحيح، ذلك أنه لا يمكن أن يصدر عن النبي ما يخل بالمروءة كالكذب أو الخيانة، أو الوقوع في الأخطاء، أو غيرها من الصفات القبيحة لأن هذه الصفات لا تليق برجل عادي، فكيف بنبي مقرب أو رسول مكرم؟^(٢). ولو جاز وقوع مثل هذه الأشياء منهم لفقدت الثقة فيهم واستحال على العقل أن يقبل كلامهم لاحتمال أن يكون ما جاءوا به هو من كذبهم ومفترياتهم وحاشا لله أن يختار أنبياء بهذه الصفات^(٣). ويلاحظ أن أهم صفة من صفات الأنبياء هي العصمة فهي الصفة الجامعة لكل ما ينبغي أن يوصف به النبي، وهي عبارة عن حفظ الله سبحانه - للأنبياء ورسوله من الوقوع في الذنوب والمعاصي وارتكاب المنكرات والمحرمات، وهذه الصفة من الخصائص الذاتية للأنبياء بمعنى أن الله سبحانه - لم يخص بها أحداً سواهم^(٤). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنبي معصوم والمعجزة دالة على النبوة بل على متابعة النبي وصحة دين النبي"^(٥)، والحكمة من ذلك: أن الله ﷻ أمر بإتباعهم والإقتداء بهم، فلو جاز وقوعهم في المعصية والآثام لأصبحت المعصية مشروعة أو أصبحت طاعتهم علينا غير واجبة، وهذا أمر مستحيل، فالأنبياء هم القادة فكيف يأمر القائد بالفضيلة وينهى عن الرذيلة ثم يرتكب الفواحش والمنكرات!!؟.

أي كيف يجوز أن يكون نبياً ويكون سارقاً أو قاطع طريق أو شارب خمر أو زانياً أو غير ذلك من الصفات التي أطلقها اليهود عليهم، والتي تمنع الإقتداء بهم؟ على ما سنرى. فلا بد إذاً أن تكون حياة النبي حياة فاضلة كريمة حتى يكون مثلاً يحتذى لمن يدعوهم إلى الحق^(٦). يقول الإمام الرازي: "هو الذي يكون كاملاً في نظامي المعارف والأعمال ويقدر أيضاً على معالجة الناقصين، ويمكنه السعي في نقل الناقصين من حضيض النقصان إلى أوج الكمال"^(٧).

(١) انظر تفصيل ذلك في: الأيجي: المواقف، ج ٨، ص ٢٨٠ وما بعدها. وابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٥٦ وما بعدها. والتفتازاني، شرح المقاصد، ج ٥، ص ٥٠ وما بعدها.

(٢) سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص ٣٢.

(٣) محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، مكتبة داود، ط ٢، ١٩٨٠م، ص ١.

(٤) سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص ٣٢١.

(٥) تقي الدين أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨)، النبوة والأنبياء، تحقيق: عبد العزيز الطويان، دار العلم للجميع، بيروت، ص ١٤٣.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٢١. ومحمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، ص ٥١.

(٧) ويتابع الرازي قوله: "كمال حال الأنبياء عليهم السلام - في حصول أمور أربعة: أولها: كمال القوة النظرية، ثانيها: كمال القوة العقلية، ثالثها: قدرته على تكميل القوة النظرية لغيره، رابعها: قدرته على تكميل القوة العملية لغيره، ولا شك أن كمال حاله في القوتين مقدم على قدرته من القوة العملية..، وهناك وجوهاً استدلت بها الإمام الرازي على أن النقصان وإن كان -

ثم إذا كان المقصود من تعاليم الأنبياء وتذكيرهم وإرشادهم هو تحقيق أمرين: أحدهما: إزالة الأخلاق الذميمة عن النفس، والثاني: تحصيل الصفات الحميدة الروحانية في النفس^(١).

فكيف يمكن بحال أن نتصور النبي متصفاً بغير صفات الكمال وهو المختار لأداء هذه المهمة. ويلاحظ أن النبي يقابله عند أصحاب الديانات الأخرى (الرجل الملهم أو المقدس أو السفير)، وتتفاوت درجة التقديس حتى تصل إلى رتبة التقديس المطلق عند بعضهم كالبودية مثلاً، فالطبيعي إذن أن ينظر إلى النبي كواسطة أو كل ما يعبر عن الإله - من أشكال الواسطات الأخرى - بهالة من الاحترام والتبجيل لكونه كاملاً أو قريباً من الكمال، وهذا المعنى يشترك فيه حتى أهل الوثنية والجاهلية بصورها المتعددة في نظرهم إلى النبي أو ما يحل محله من أشكال أخرى للواسطة (كالصنم مثلاً) فأبي من هذه التصورات موجودة عند اليهود في نظرهم للنبوّة والأنبياء!^(٢).

أما كيف يتعامل اليهود مع أنبيائهم فهي معاملة بالتأكيد تختلف، ليس في سلب الأنبياء مكانتهم المستحقة في الكمال والعصمة وإنما شيئاً يتجاوز ذلك هبوطاً إلى جعله في انحطاط يصل إلى مستوى أقذر الناس - والعياذ بالله - مما ينم عن خلل عميق في تركيبة الشخصية اليهودية، والتي تضع دعاة القيم والسمو الإنساني في صف العداوة والسوداوية^(٣).

من أجل ذلك سأبدأ أولاً بذكر مفهوم النبوّة عند اليهود، وكيف يصفون أنبياءهم، السنين جاء ذكرهم في القرآن الكريم.

مفهوم النبوّة عند اليهود:

وضحت فيما سبق المفهوم الصحيح للنبوّة، وهو أنها اصطفاء من الله تعالى واختصاص منه لعباد من عباده يوحى إليه الحق ﷻ.

ولكن النبوّة عند اليهود كان لها مفهوم آخر، فهي لا تقتصر على من أختارهم الله لذلك وإنما تتسع لكي تشمل كل من يدعي النبوّة من الكهنة والسحرة والمخادعين والكاذبين، وإلى هذا يشير سفر حزقيال بقول: "وأوحى إلى الرب بكلمته قائلاً: يا ابن آدم تنبأ على أنبياء إسرائيل الكذبة المتنبئين من عند أنفسهم وقل لهم: اسمعوا كلمة الرب ويل للأنبياء الحمقى الضالين وراء أرواحهم من غير أن يروا شيئاً، أنبياءوك يا إسرائيل هم كالثعالب في الخرائب ... يقولون: يقول الرب، والرب لم يرسلهم..."^(٤).

شاملاً عاملاً للخلق - فلا بد أن يوجد شخص فيهم كامل بعيد عن النقصان... لمعرفة الوجوه. انظر: الرازي، النبوات، ص ١٦٤.

(١) الرازي، النبوات، ص ١٧١.

(٢) صابر عبد الرحمن طعيمة، التراث الإسرائيلي في العهد القديم، فصل: النبوّة في العهد القديم، رسالة جامعية القاهرة، ص ٩٢.

(٣) آلاء محمد عصام عشا، الجانب المادي في الشخصية اليهودية، رسالة ماجستير، ص ٥٨.

(٤) سفر حزقيال: ١٣: ٢-٥، ٦.

ولدى العودة إلى موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، نجد تعريف (نبي) على النحو الآتي:
 "نبي: تعني كلمة (نافي) في اللغة العبرية (من يتحدث باسم الإله) أو (من يتحدث الإله من خلاله)، ويعلق صاحب الموسوعة بقوله: "نلاحظ أن النبي رغم كل هذه المقدرات ليس تجسداً للكلمة الإلهية، وإنما مجرد مبلغ لها فحسب، وفي تقسيم العهد القديم تستخدم كلمة (الأنبياء) للإشارة إلى قسمين مختلفين:
 أ. الأنبياء الأولون (بالعبرية نفيئيم إلوشنيم).
 ب. الأنبياء المتأخرون (نفيئيم أحروريم).

ويسمون أيضاً بالأنبياء الأدبيين أي الذين دونت أسفارهم^(١).

ويعرف موسى بن ميمون النبوة "بأنها فيض من الله ﷻ بواسطة العقل الفعال على القوة الناطقة أولاً ثم على القوة المتخيلة بعد ذلك وهذه هي أعلى مراتب الإنسان وغاية الكمال الذي يمكن أن يوجد لنوعه، وتلك الحالة هي غاية كمال القوة المتخيلة وهذا أمر لا يكمن في كل إنسان ولا هو أمر يصل إليه بالكمال في العلوم النظرية وتحسين الأخلاق"^(٢).

ولدى العودة إلى قاموس الكتاب المقدس نجدهم قد عرفوا النبي وفقاً للمفهوم اليهودي على النحو التالي: "عنت النبوة عند اليهود الإخبار عن الله وخفايا مقاصده، وعن الأمور المستقبلية ومصير الشعوب والمدن، والأقدار، بوحى خاص منزل من الله على فم أنبيائه المصطفين"^(٣).

وعلى هذا فإن المعنى المتفق عليه لكلمة "نبي" هو أن النبي شخص مدعو من الله لتوصيل رسالة إلهية إلى قومه، وهذا المعنى هو الذي اعتمدته الترجمة السبعينية^(٤) حين استخدمت الكلمة اليونانية Prophets للتعبير عن هذا المعنى، والكلمة تعني حرفياً شخص يتحدث نيابة عن الإله^(٥).
 ويقسم اليهود أنبياءهم إلى قسمين:
 (١) الأنبياء الكبار: مثل إشعيا - إرميا - دانيال.

(١) رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري، ط٢، ٢٠٠٠م، ج٢، ص١١١. وعبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٣٩٤.

(٢) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين وعارضة بأصول العربية والعبرية، تحقيق: حسين أتابي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص٤٠٠.
 (٣) قاموس الكتاب المقدس، ص٩٤٩.

(٤) الترجمة السبعينية عند اليهود: سميت بالسبعينية وذلك لأن سبعين مترجماً قد قاموا بترجمتها سنة ٢٥٠ ق.م، من العبرية إلى اليونانية. القس حارث قريصة، دروس عن الكتاب المقدس، دار الثقافة المسيحية، ط٤، ١٩٧٩م، ج٢، ص١١. نقلاً عن: علي حسين قاسم، الله والإيمان في الفكر اليهودي المعاصر، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، ص١١٨.

(٥) علي قاسم، الله والإيمان في الفكر اليهودي المعاصر، ص١١٨. وعبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى =الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠٠١م، ص٢٧.

(٢) والأنبياء الصغار: مثل: هوشع - عاموس - يونس، وعوبديا، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفينا، وحجي، وزكريا، وملاخي. "ومعيار هذا التقسيم يستند إلى حجم نبوءاتهم وليس إلى كيفيتها"^(١). وفي الوقت ذاته يدعون أن النبوة بدأت بموسى عليه السلام وانتهت بملاخي أما من كان قبل موسى من أمثال إبراهيم وإسحاق ويعقوب فيسمونهم الآباء أو البطارقة^(٢). فالمتصفح لسفر التكوين والذي جاء بذكر الأنبياء آدم، ونوح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف يجد أنه لم يصفهم بالنبوة. من هنا أرى أن وجود أسماء كثيرة لأنبياء ورد ذكرهم في التوراة، منهم من ذكرهم القرآن الكريم ومنهم من لم يرد لهم ذكرٌ على الإطلاق، والذي يعنينا الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم على ما سيأتي في الصفحات القادمة - بإذن الله تعالى -.

ويطلق العهد القديم على الأنبياء مجموعة من الألقاب من أهمها: رجل الله، والرائي، والرقيب وحالم الأحلام^(٣).

فإذا نظرنا إلى لقب رجل الله نجد أن هذا اللقب قد جاء في سفر التثنية وقد أطلق على موسى عليه السلام، وعلى غيره.

"وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته"^(٤) "فقال شاول لغلامه: "حسنا ما تقول هلم نذهب"، وانطلقا إلى المدينة التي فيها رجل الله"^(٥) أما لقب الرائي فقد جاء في سفر صموئيل الأول: "وكان النبي حينذاك يدعى الرائي، فكان الرجل عند ذهابه يستشير الرب: "هيا نذهب إلى الرائي"^(٦)، كذلك فقد جاء لقب الرقيب في سفر حزقيال في قول الرب: "يابن آدم قد جعلتك رقيباً لشعب إسرائيل، فأصغ إلى كلمتي وأنذرهم بها على لساني"^(٧). أما حالم الأحلام فهذا يستخدم جنباً إلى جنب مع لفظت النبي بدون تفرقه، إذ كلاهما يقدر على الآيات والخوارق كما يذكر ذلك سفر التثنية: "إذا ظهر بينكم نبي أو صاحب أحلام، وتنبأ بوقوع آية أو أعجوبة، فتحققت تلك الآية أو الأعجوبة التي تنبأ بها، ثم قال: "هلم نذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ونعبدها، فلا تصغوا إلى كلام ذلك النبي أو صاحب الأحلام .."^(٨).

(١) علي حسين قاسم، الله والإنسان في الفكر اليهودي، ص ١١٨.

(٢) سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص ٣٢٣.

(٣) علي حسين قاسم، الله والإنسان في الفكر اليهودي المعاصر، ص ١٩١، نقلاً عن: القس حارث قريصة، دروس عن الكتاب المقدس، ص ٦٩. عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص ٢٩.

(٤) سفر التثنية: ٣٣: ١.

(٥) صموئيل الأول: ٩: ١٠.

(٦) سفر صموئيل الأول: ٩: ٩.

(٧) سفر حزقيال: ٣: ١٧.

(٨) سفر التثنية: ١٣: ٢-٣.

ومن الجدير بالذكر أن النبوة عند اليهود لم تنقطع عن نبي أو رسول معين بل أن باب النبوة يبقى مفتوحاً لأن هذا حسب معتقدهم إحدى هبات الله لإسرائيل وحسب تصور حاخاماتها أن الله ﷻ أرسل وسيرسل لشعب إسرائيل دائماً عدداً من الأنبياء^(١).

وكذلك الوحي حسب معتقدهم ليس مقصوراً على نبي أو رسول بل نجده ينتقل من نبي إلى نبي وهو مستمر باستمرار النبوة ونراهم يطلقون على الوحي عبارة روح الله أما كيفية حلول الوحي أو مجيئه حسب معتقدهم هي حلول روح الله على النبي فيتنبأ بعدها كما جاء في سفر صموئيل الأول: "وعندما وصل جبّة قابله مجموعة من الأنبياء، فحلّ عليه روح الله وتنبأ في وسطهم، وحين شاهدته الذين كانوا يعرفونه من قبل يتنبأ، تساءلوا فيما بينهم، ماذا جرى لابن قيس؟ أشاول أيضاً بين الأنبياء؟"^(٢).

وإذا ما حلت الروح بالنبي انطرح أرضاً طوال النهار والليل عارياً حسب زعمهم كما جاء في سفر صموئيل الأول: "فمضى إلى هناك ولكن في أثناء الطريق حلّ عليه روح الرب، فشرع يتنبأ حتى بلغ نايوت في الرّامة، فخلع هو أيضاً ثيابه وراح يتنبأ أمام صموئيل، ثم أنطرح عارياً طول ذلك النهار والليل، لذلك قيل: "أشاول أيضاً بين الأنبياء؟"^(٣).

كما أن النبي حسب معتقدهم أيضاً كان وقت حلول الوحي عليه يشاهد الله ﷻ كما جاء سفر الملوك الأول: "فأجاب ميخا: "إذاً فاسمع كلام الرب: قد شاهدت الرب جالساً على كرسيه وكل أجناد السماء ماثلة عن يمينه وعن يساره..."^(٤).

ومن الملاحظ في باب النبوة عند اليهود ورود مصطلح نبية مرة واحدة في سفر الخروج، فقد وصفت التوراة شقيقة موسى المدعوة مريم حسب زعمهم بالنبية عندما قالت إنها جمعت نساء بني إسرائيل ورحن ينقرن على الدفوف، ويغنين نشيداً يمجّدن الإله لأنه أنقذهم من فرعون "عندئذٍ أخذت مريم النبيرة أخت هارون، الدف بيدها، فتبعها جميع النساء بالدف والرقص، فكانت مريم تجاوبهن "رنموا للرب لأنه قد تمجد جداً، الفرس وراكبه قد طرحهما في البحر"^(٥). وقد ورد مصطلح نبية في أكثر من موضع في العهد القديم^(٦).

ويعلق حسن الباش على ذلك بقوله: "قوصف مريم بالنبية جاء عرضاً دون مقدمات تشير إلى ميزات وصفات خاصة بالنبوة، والواقع أن اليهود لا يعرفون معنى هذه الكلمة، وربما استعارها كاتب

(١) عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص ٣٩٥.

(٢) سفر صموئيل الأول: ١٠: ١٠-١١.

(٣) سفر صموئيل الأول: ١٩: ٢٣-٢٤.

(٤) سفر الملوك الأول: ٢٢: ١٩.

(٥) سفر الخروج: ١٥: ٢٠-٢١.

(٦) انظر ذلك في: سفر الملوك الثاني: ٢٢: ١٤. سفر القضاة: ٤: ٤. واصحاح: ١: ٥. سفر صموئيل الأول: ٢١: ٩.

التوراة من التراث القديم، وألصقها بهذه المرأة، ولو كانوا يدركون دلالة النبوة لوصفا موسى وهارون بها لأنهما على الحقيقة نبيان مرسلان^(١).

وبالمحصلة فإن مفهوم النبوة لدى اليهود ليس هو مفهوم النبوة الحقيقي كما أورده القرآن الكريم، فالنبي حسب ما ورد في سفر الملوك الثاني إما خادماً للإله أو مستشاراً للملوك، أو متنبأً متكهناً بالمستقبل^(٢).

والمتصفح لنصوص الكتاب المقدس يظهر له جلياً أن رجال الكتاب المقدس على اختلاف أزمئتهم وأسلوبهم في التحريف كلهم متفقون على جامع رئيسي يجمعهم في نظرهم إلى النبي هو "نزع صفة القداسة"^(٣).

يقول الشيخ محمد الغزالي: "ويبدو أن الفكر اليهودي يحسب النبوة ميراً دنياً يمكن الاستيلاء عليه بالشطارة والمهارة، وليست هبة علياً يمنحها رب العالمين لمن اصطفاهم من أجل الطهارة والنظارة"^(٤).

فاليهود يعتقدون أن الأنبياء كسائر البشر، وإن كل ما يجوز على البشر من الوقوع في المعاصي وعدم العصمة من الخطأ يجوز عليهم ومن هنا نسبوا إليهم ما لا يليق بهم من المعاصي والذنوب سواء كانت من الكبائر أو من الصغائر، وأويد الآن ما قلته بالشواهد من أسفار اليهود المقدسة حتى نعرف إلى أي حد كانت هذه الأسفار تصور مفهوم الشعب اليهودي لطبيعة الأنبياء الأجلاء فنراهم تارة ينسبون إليهم أفضع ما يمكن أن يوصف به شخص وهو زنا المحارم فيمكن لأي متصفح للكتاب المقدس تصور فضاة أن يرد زنا المحارم في التوراة أكثر من سبعة مواضع منسوبة لأنبياء ورسلاً^(٥). فلننظر على سبيل المثال ما نسبوه إلى سيدنا لوط عليه السلام كما في سفر التكوين، وأني لأعتذر على ذكر مثل هذه الافتراءات التي تقشع منها الأبدان في حق نبي من أنبياء الله ﷺ لكن طبيعة البحث تقتضي ذلك للوقوف على بطلان عقائد هؤلاء ولبيان زيف افتراءاتهم ومدى تصورهم لأنبيائهم.

جاء في سفر التكوين: "قصعد لوط وسكن الجبل وابنتاه... فقالت الكبرى منها للصغرى: إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض رجل نستطيع أن يتزوجنا كعادة الناس، فتعالى نسقيه خمرًا ونضطجع معه، فلا تنقطع نرية أبينا" فسقتا في تلك الليلة أباهما خمرًا وأقبلت الابنة الكبرى وضاجعت أباهما فلم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وفي اليوم التالي قالت الابنة البكر لأختها الصغرى: "إني قد اضطجعت

(١) حسن الباش، الكتاب والتوراة عندما باع الحاخامات موسى عليه السلام، دار قتيبة، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١٧١-١٧٢.

(٢) انظر ذلك في: سفر الملوك الثاني: ٣: ١٠-١٢. سفر الملوك الثاني: ٣: ١٦. سفر الملوك الثاني: ٦: ٩-١٠.

(٣) آلاء عشا، الجانب المادي في الشخصية اليهودية، رسالة ماجستير، ص ٧٦.

(٤) محمد الغزالي، اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٣١٩.

(٥) سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص ٣٢٥.

مع أبي ليلة أمس، فتعالى نسقيه الليلة أيضاً خمرًا ثم ادخلي واضطجعي معه فتجبي من أبينا نسلًا فسقنا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضاً وأقبلت الأبنة الصغرى وضاجعت أباهما، فلم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وهكذا حملت الابنتان كلتاها من أبيهما، فولدت الكبرى إيناً دعتة (موآب) (ومعناه من الأب) وهو أبو الموآبيين إلى اليوم^(١).

افتراء ما بعده افتراء، نبي من أنبياء الله المطهرين يشرب الخمر ثم يزني ببناته!! حاشاه عليه السلام الذي صور له القرآن الكريم أروع المثل في الطهارة والنقاء، ولندع الآيات القرآنية تصف لنا ذلك: ﴿وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَتَجْنِيَاهُ مِنَ الْفِرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسَقِينَ﴾^(٢). ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَنْ نَمْنَحَكَ نَفْسَكَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾^(٣). ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾^(٤).

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

ويصفون نوح عليه السلام بأنه شارب للخمر مسرف في سكره حتى يتعري ويكون أضحوكة لبعض بنيهِ كما جاء في سفر التكوين: "واشتغل نوح بالفلاحة وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خيمته، فشاهد حام أبو الكنعانيين عري أبيه، فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا خارجاً، فأخذ سام ويافث رداءً ووضعاه على أكتافهما ومشيا القهقري إلى داخل الخيمة، وسترا عري أبيهما من غير أن يستديرا بوجهيهما نحوه فيبصرا عريه، وعندما أفاق نوح من سكره وعلم ما فعله به أبناه الصغير قال: "ليكن كنعان ملعوناً، وليكن عبد العبيد لإخوته ثم قال: "تبارك الله إله سام، وليكن كنعان عبداً له، ليوسع الله ليافث فيسكن في خيام سام، وليكن كنعان عبداً له"^(٦).

صورة مهينة جداً يصورها اليهود لنوح عليه السلام ويصفونه بها، أما الصورة التي يصورها القرآن الكريم لنوح عليه السلام فهي صورة راقية نقية ولندع الآيات القرآنية تحدثنا عن ذلك:

(١) سفر التكوين: ١٩: ٣٠-٣٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٧٤.

(٣) سورة الشعراء، الآيات ١٦١-١٦٧.

(٤) سورة النمل، الآيات ٥٤-٥٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٨٦.

(٦) سفر التكوين: إصحاح: ٩: ٢٠-٢٧.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).
 ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^(٣).

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٤).
 ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَتَجَبَّأَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦).
 ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٧).

وهذا هارون عليه السلام يصفه اليهود بصفات لا يتصورها عقل وينسبون إليه ما لا يليق فنجد التوراة المحرفة تتحدث عن هارون بصفته رجلاً وثنيًا يصنع الأصنام ويسجد لها من دون الله، بل ويدعوا اليهود إلى السجود للعجل الذهبي، كما ورد في سفر الخروج.

"ولما رأى الشعب أن موسى قد طالت إقامته على الجبل اجتمعوا حول هارون، وقالوا له: "هيا اصنع لنا إلهًا يتقدمنا في مسيرنا ... فأجابهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائك وبناتكم وبنيتكم، وأعطوني إياها..."^(٨).

وواقعة عبادة بني إسرائيل للعجل هي واقعة صحيحة - كما بينت سابقاً - من خلال الآيات القرآنية، فبين لنا القرآن الكريم أن الذي صنع لهم العجل هو "السامري" أحد المنحرفين عن رسالة

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٩.

(٣) سورة نوح، الآيات ٢٦-٢٨.

(٤) سورة الشعراء، الأيتان ١٠٥-١٠٦.

(٥) سورة الصافات، الآيات ٧٥-٨١.

(٦) سورة الأنعام، الآية ٨٤.

(٧) سورة الحديد، الآية ٢٦.

(٨) سفر الخروج: ٣٢: ٢.

سيدنا موسى عليه السلام، وسيدنا هارون عليه السلام هو الذي حذرهم من فتنة هذا الضال، ولكنهم لم يلتفتوا إلى كلامه وعبدوا العجل من دون الله تعالى.

وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا أَغْوَيْنَا عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(١).
 ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْنًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْمًا وَلَا يَمُوتُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا تَفْعًا * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَبْنَؤُنِي أَمْرُ الْإِنْسَانِ أَن يُبَدِّلَ قَوْلِي * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾^(٢).

وليس الحال بأفضل فيما نسبوه لسيدنا يعقوب عليه السلام من الصفات التي لا تليق بنبي من أنبياء الله ﷺ، كالظلم، وانتهاز الفرص والخداع، والمكر، والاحتتيال، والكذب^(٣).

ولندع الآيات القرآنية تحدثنا عن هذا النبي الكريم:

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

وأما سليمان عليه السلام فلم يكن أقل حظاً مما نسبته اليهود إليه من الصفات التي لا تجوز في حق نبي من أنبياء الله أكرام.

فنسبوا له القتل، والسجود للأوثان، وترك الإله الحق من أجل النساء. وهذا ما يشير إليه سفر الملوك الأول بقوله: "وأولع سليمان بنساء غريبات كثيرات ... الخ"^(٥).

كذب وافتراء على نبي من أنبياء الله، ولنستمع إلى الآيات القرآنية وهي تحدثنا عن سليمان

(١) سورة طه: الآيات ٨٣-٨٥.

(٢) سورة طه: الآيات ٨٨-٩٦.

(٣) سفر التكوين: ٣١: ٢٠-٢١.

(٤) سورة البقرة، الآيتان ١٣٢، ١٣٣.

(٥) سفر الملوك الأول: ١١: ٢-١٠.

لتطيب به أسمعنا، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٣).

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾^(٤).
 ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٥).

هؤلاء هم الأنبياء كما تحدث عنهم القرآن، وهم يختلفون عن الأنبياء الذين تحدثت عنهم التوراة المحرفة ونسبت إليهم الأكاذيب، التي يرفضها العقل والنقل معًا.

وأني لأتساءل كيف يصفون هذه الطائفة من الأنبياء وغيرهم بهذه الصفات الذين هم باعتراف كتبه التوراة أنهم من سلالة بني إسرائيل المفضلة والمختارة على العالمين.

ويلحق ابن حزم على هذا قائلًا: "ليست هذه صفات الأنبياء ولا صفات من فيه شيء من الخير، لكن صفات الكلاب الذين وضعوا لهم الخرافات الباردة التي لا فائدة فيها ولا موعظة ولا عبرة حتى ضلوا بها ونعوذ بالله من هذا الخذلان"^(٦).

ومن الجدير بالذكر أن تكذيبهم للأنبياء نراه واضحاً وجلياً في ثنايا العهد القديم بل أن تعبير الأنبياء الكذبة قد ورد عشرات المرات بل نرى هذا التعبير قد تصدر عناوين لبعض الفقرات الواردة في العهد القديم أذكر على سبيل المثال:

ما ورد في سفر الملوك الأول تحت عنوان الأنبياء الكذبة "ثم قال يهوذاشافاط لملك إسرائيل: "أطلب اليوم مشورة الرب، فجمع ملك مؤاب نحو أربع مئة من أنبياء الأصنام وسألهم..."^(٧).

(١) سورة ص، الآية ٣٠.

(٢) سورة النمل، الآية ١٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٧٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٨١.

(٥) سورة النمل، الآيات ١٦-١٩.

(٦) ابن حزم الطاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ص ١٠٧.

(٧) سفر الملوك الأول: إصحاح: ٢٢: ٥-٦.

وفي نفس السفر ورد أيضاً عنوان "النبي الكاذب"^(١).

وفي سفر أخبار الأيام الثاني ورد عنوان: "مشورة الأنبياء الكذبة"^(٢).

وفي سفر إرميا ورد كذلك عنوان: "الأنبياء الكذبة المنادون بالسلام"^(٣).

وبعد هذه الجولة السريعة في وصف اليهود للأنبياء وعرضي لبعض النماذج انتقل إلى بيسان عقائد اليهود في الأنبياء التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.

التي تبدأ أولاً ببيان أفضع ما يرتكبه قوم مع أنبيائهم وهو القتل فيذاء اليهود لأنبيائهم، لم ينحصر في تليفق التهم وصنع الأكاذيب ولا في مجرد الانصراف عنهم ورفض دعواتهم وإنما وصلوا في الإيذاء إلى أقصى غاياته وأبعد حدوده فقد قتلوا عدداً من أنبيائهم^(٤) في محاولة منهم لإطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون.

المطلب الأول: عقيدة قتل اليهود في الأنبياء في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

بين الله ﷻ في آيات كثيرة أن اليهود هم قتل الأنبياء، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٥).

في هذه الآيات يبين الله ﷻ ما حل باليهود من الذل والهوان والمسكنة وضرب الذلة والمسكنة عليهم كناية عن لزومها لهم، وإحاطتهما بهم^(٦)، فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة، إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خوفاً من أن تضاعف عليهم الجزية وبه قال الحسين وقتادة، وهذا من جملة الأخبار عن الغيب الدال على كون القرآن وحياً نازلاً من السماء على محمد ﷺ، وأما حالهم في الآخرة، يقول تعالى: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي صاروا مستحقين لغضبه (ذلك) من ضرب الذلة والمسكنة والغضب بسبب كفرهم بآيات الله أي القرآن الكريم بل وبالتوراة، وبسبب قتلهم الأنبياء، وقد

(١) سفر الملوك الأول: ١٣: ١١.

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني: إصحاح: ١٨.

(٣) سفر إرميا: إصحاح: ١٤. وللمزيد انظر: ١٤: ١٣-١٤، ٢٣: ١٦ من نفس السفر.

(٤) رفق زاهر، قصة الأديان، دار الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٧٨.

(٥) سورة البقرة، الآية ٦١.

(٦) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م، ج ١، ص ١٥٣.

قتلت اليهود -لعنهم الله- زكريا، ويحيى، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام ولكن الله نجاه من مكرهم وقتلوا غيرهم من الأنبياء -عليهم السلام- (١).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، العصيان: هو الخروج عن طاعة الله، والاعتداء: تجاوز الحد الذي حده الله ﷻ لعباده (٢). وللمفسرين في مرجع الإشارة "ذلك" رأيان: الأول: أنه يعود إلى كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء، وعليه يكون المعنى: أن هؤلاء اليهود قد تعودوا على عصيانهم لخالقهم، وتعديهم حدوده بكل جرأة وعدم مبالاة فكانت نتيجة هذا التمرد والطغيان أن كفروا بآيات الله -تعالى- وامتدت أيديهم الأثيمة إلى قتل الأنبياء الذين جاءوهم بالهدى ودين الحق (٣).

الثاني: أن اسم الإشارة الثاني يعود على نفس المشار إليه باسم الإشارة الأول، وعليه يكون المعنى: أن هؤلاء اليهود قد لزمته الذلة والمسكنة، وصاروا أحقاء لسخط الله بسبب كفرهم بآياته، وقتلهم أنبياءه، وخروجهم عن طاعته وتعديهم لحدوده.

وعلى هذا الرأي يكون ذكر أسباب العقوبة التي حلت باليهود في الدرجة العليا من حسن الترتيب، فقد بدأ سبحانه بما فعلوه في حقه وهو كفرهم بآياته، ثم ثنى بما يتلوه في العظم وهو قتلهم لأنبيائه، ثم وصفهم بعد ذلك بالعصيان والخروج عن طاعته، ثم ختم أسباب العقوبة بدفعهم بالاعتداء، وتخطي الحدود، وعدم المبالاة بالعهود كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤)، وهذا الترتيب من لطائف أسلوب القرآن الكريم في سوق الأحكام (٥).

والباء في ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ سببية فكان ذلك بسبب عصيانهم، وما اقترفوه (٦)، وفي موضع آخر عن قتل اليهود للأنبياء، يقول ﷻ: ﴿ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ

(١) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ترجمة: عادل أحمد عبد الجواد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م، ج ١، ص ١٤٨. نظام الدين الحسن بن محمد حسين النيسابوري (ت ٧٢٨هـ)، تفسير غرائب القرآن وغرائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٣٠٠. والطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ١٣٧. والسيوطي، الدر المنثور، ج ١، ص ٧٣. والشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٩٣..

(٢) محمد سيد طنطاوي، المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٥.

(٣) النيسابوري، تفسير غرائب القرآن، ج ١، ص ٣٠١.

(٤) سورة النساء، الآية ١٥٥.

(٥) النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ج ١، ص ٣٠١.

(٦) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٣، ص ٣٤٨.

النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبِ مَنْ اللَّهَ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ^(١).

والمعنى أن هؤلاء اليهود أحاطت بهم الذلة في جميع أحوالهم أينما وجدوا وحيثما حلوا إلا في حال اعتصامهم بعهد الله أو بعهد من الناس وهي الذمة والأمان الذي يأخذونه من المؤمنين بإذن الله، فيحقن دماءهم، ويمنع خروجهم وأموالهم من الاغتنام والسبي^(٢).

وفي موضع آخر يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣).

وقد يسأل سائل أن اليهود لم يقتلوا كل الأنبياء، فلماذا أخبر القرآن الكريم عنهم أنهم يقتلون النبيين ولم يقل يقتلون بعض النبيين؟!.

والجواب على ذلك: أنهم يقتلهم لبعض النبيين فقد استهانوا بمقام النبوة، ومن استهان بمقام النبوة بقتله لبعض الأنبياء فكأنه قد قتل الأنبياء جميعاً. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كِتَابًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٤).

وقيد القتل بأنه «بِغَيْرِ حَقٍّ» مع أن قتل الأنبياء لا يكون بحق أبداً وإنما ذكر هذا للتصريح بموضع الاستتكار، لأن موضع الاستتكار هو اعتداؤهم على الحق بقتلهم الأنبياء، وللإشارة إلى أنهم لتوغلهم في الظلم والعدوان قد صاروا أعداء لله للحق لا يألفونه ولا تميل إليه نفوسهم^(٥)، وقتلهم للأنبياء مخالفاً لما في شريعتهم فإنها قد نهتهم عن قتلهم بل عن مخالفتهم، وهذا من باب الاحتجاج عليهم لتخليد مذلتهم في كل زمان ومكان^(٦).

ثم وصفهم الله ﷻ: بأنهم «وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ»، فهم لا يكتفون بقتل النبيين الذين جاءوا لهدايتهم وسعادتهم، وإنما يقتلون مع ذلك الذين يأمرهم بالعدل من مرشديهم وناصحيهم، والقسط هو العدل وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ النَّاسِ﴾ إشارة إلى أنهم ليسوا بأنبياء، بل من

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٢.

(٢) أبو الحسن النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٤٨٠. والطنطاوي، التفسير الوسيط، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٢١.

(٤) محمد سيد الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج ٢، ص ٦٢.

(٥) سليمان بن عمر العجلي الشافعي الشهير بالجمال (ت ١٢٠٤هـ)، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للذائق الخفية، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٣٨٨. ومحمد طنطاوي، التفسير

الوسيط، ج ١، ص ٦٣.

(٦) محمد سيد الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج ٢، ص ٦٣.

الناس غير المبعوثين، وفي قرنهم بالأنبياء إشارة ودلالة على بيان علو منزلتهم، وأنهم ورثة الأنبياء الذين يدعون بدعوتهم^(١).

وعبر تبارك وتعالى عن جرائمهم بصيغة الفعل المضارع **(يَكْفُرُونَ)** **(وَيَقْتُلُونَ)** وذلك لاستحضار صور أفعالهم تلك، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى للإفادة أن أفعالهم هذه متجددة كلما استطاعوا إليها سبيلاً وللإشعار بأن اليهود المعاصرين للنبي ﷺ كانوا راضين بفعل آبائهم وأسلافهم^(٢).
و حاول اليهود في العهد النبوي أن يقتلوا النبي ﷺ، ولكن الله -تعالى- نجاه من شرورهم.

ونكر ابن كثير في تفسيره آثار متعددة تصرح بأن اليهود قد دأبوا على قتل الأنبياء والمصلحين، ومن ذلك ما جاء عن أبي عبيدة بن الجراح أنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً، أو قتل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر"، ثم قرأ رسول الله ﷺ **(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ...)** الآية، ثم قال: "يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلاً منهم فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلهم جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم"^(٣).

وفي موضع آخر -في قتل اليهود للأنبياء- يقول تبارك وتعالى: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)**^(٤).

(١) عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت ١١٩٥هـ)، حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، ومعه مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي (ت ٨٨٠هـ)، حاشية ابن المجدد، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤، ٢٠٠١م، ج ٦، ص ٧٥. ومحمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط.

(٢) عصام الدين الحنفي، حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، ج ٦، ص ٧٦. ومحمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ٢، ص ٦٣.

(٣) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١١١٧، وابن جرير الطبري، جامع البيان، ج ٦، ص ٢٨٥ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، .. والنيسابوري، غرائب القرآن، ج ٣، ص ١٧٠ والنيسابوري، والوسيط في تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٤٢ وكذلك في السيوطي، الدر المنثور، ج ٢، ص ١٣، والشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٣٢٨، ص ١٧٠، كلهم من حديث أبي عبيدة. ودرجة الحديث قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة أنه ضعيف وعلته إسناده ضعيف مجهول وفيه أبو الحسن وهو مجهول قال ذلك الذهبي في الميزان وابن حجر في اللسان وإسناده هو حديثنا أبو الحسن مولى بني أسد عن مكحول عن قبيصة عن ذؤيب عن أبي عبيدة وقال الألباني إسناده صحيح عند أبي داود الطيالسي إذا كان من طريق عبد الله بن مسعود حيث ورد بنفس اللفظ لأنه على شرطه وقال الألباني هو موقوف. محمد ناصر الدين بن الحاج الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، دار المعارف، الرياض، ١٩٩٢م، ج ١١، ص ٨١٣.

(٤) سورة البقرة، الآية ٩١.

في هذه الآيات أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يكذبهم في دعواهم في الإيمان بما أنزل عليهم فقال: **﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** بالتوراة فإنها تنهاكم عن قتل الأنبياء^(١) وفي هذا تكذيب لقولهم **﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾** لأنه ليس هناك دين ولا كتاب ولا شريعة تجوز قتل الأنبياء^(٢).

- في المصادر اليهودية:

عند رجوعنا إلى المصادر اليهودية نرى تلك العقيدة متأصلة في نفوسهم كما وصفها القرآن الكريم، حيث ورد في سفر التثنية إصحاح يحمل عنوان: "الأمر بقتل الأنبياء الكذبة وعابدي الأوثان"، وجاء فيه: "إذ ظهر بينكم نبي أو صاحب أحلام، وتنبأ بوقوع آية أو أعجوبة فتحققت تلك الآية أو الأعجوبة التي تنبأ بها، ثم قال: "هلم نذهب وراء آلهة أخرى لم نعرفوها ونعبدها"، فلا تصغوا إلى كلام ذلك النبي أو صاحب الأحلام، لأن الرب إلهكم يجربكم ليرى إن كنتم تحبون من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم، فاتبعوا الرب إلهكم واثقوه، وأطيعوا وصاياه واسمعوا صوته، واعبدوه وتمسكوا به، أما ذلك النبي أو الحاكم فإنه يُقتل، لأنه نطق بالبهتان ضد الرب إلهكم الذي أخرجكم من ديار مصر، وفداكم من غير العبودية ليضلحكم عن الطريق التي أمركم بسلوكها، فتستأصلون الشر من بينكم"^(٣).

وفي سفر الملوك الثاني وردت أحداث مقتل سيدنا زكريا عليه السلام على أيديهم، ويتضح ذلك من خلال النص التالي: "وفي السنة الثامنة والثلاثين لحكم عزريا ملك يهوذا، أعتلى زكريا بن يربعام عرش إسرائيل في السامرة مدة ستة أشهر، وارتكب الشر في عيني الرب على غرار آبائه ولم يعدل عن أي من خطايا يربعام بن نباط التي استغرى بها الإسرائيليون فأخطأوا، وتمرد عليه شلوم بن يابيش واغتاله أمام الشعب واغتصب منه الملك"^(٤).

وبرجوعنا إلى التلمود نجد هناك عنوان "الدم الذي يغلي" حيث تحدث عن قتل اليهود للنبي يحيى عليه السلام يقول النص: "عندما قتل بنو إسرائيل يحيى وقطعوا رأسه بقي الدم يغلي ولم يهدأ حتى نبح عليه آلاف اليهود ثم هدا بعد ذلك..."^(٥).

(١) طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ١٧٥.

(٢) النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ١٧٥.

(٣) سفر التثنية: ١٣: ٥-٢.

(٤) سفر الملوك الثاني: ١٥: ٨-١٠.

(٥) B.T. Aboda Zarah 60b وانظر أيضا: Jacob Neusher, An introduction to Judaism, (U.S.A, 1932), p.17.18.

المطلب الثاني: عقيدة اليهود في إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَلَيْسَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهِ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

في هذه الآيات ينكر الله ﷻ على اليهود والنصارى دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء، كانوا على ملتهم اليهودية.

وقد أخبر سبحانه أنهم كانوا على ملة الإسلام ولم يكونوا هودًا أو نصارى^(٢)، كما قال ﷻ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣)، وقد أحتج على انتفاهما عنه بقوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٤). قال الحسن البصري: "كانوا يقرعون في كتاب الله الذي أتاهم: إن الدين هو الإسلام، وأن محمد ﷺ رسول الله، وأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، كانوا براء من اليهودية، فشهدوا لله بذلك، وأقروا على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم"^(٥).

فهم إذاً كاذبون في دعواهم، فهؤلاء الأنبياء كانوا قبل ظهور اليهودية التي ما ظهرت إلا بعد موسى عليه السلام.

وفائدة هذا الأسلوب، الإشارة إلى أن أحدهما كافٍ في الذم، فكيف إذا اجتمعا؟!^(٦).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَلَيْسَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ﴾ تقرير على فساد دعواهم، يقول سيد قطب: "وهو سؤال لا جواب عليه، وفيه من الاستنكار ما يقطع الالسنه دون الجواب عليه، ثم أنكم لتعلمون الاستنكار قبل أن تكون اليهودية والنصرانية، وكانوا على الحنيفية الأولى التي لا تشرك بالله شيئاً، ولديكم كذلك شهادة في كتبكم أن سيبعث نبي في آخر الزمان دينه الحنيفية، دين إبراهيم ولكنكم تكتُمون هذه الشهادة"^(٧).

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٠.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٨٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٦٥.

(٥) الحسن البصري، تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق: محمد عبد الرحيم، دار الحديث، القاهرة، ص ٣٧.

(٦) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١، ص ٢٨٥.

(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١١٩.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي لا أحد أظلم منه، وأراد الله سبحانه اليهود والنصارى بكتمان الشهادة.

قال مجاهد: "قالذي كتموه هو ما في كتبهم من أن الأنبياء على الحنيفية لا على ما أدعوه"^(١).

- في المصادر اليهودية:

زعم اليهود أنهم أولى الناس بإبراهيم عليه السلام، وفي هذا تعبير عن النزعة العنصرية الكامنة من ناحية واختلال الموازين التي يوزن بها الرجال في أيديهم من ناحية أخرى، إذ زعموا أن هذه الأخيرة في الحسب والنسب فحسب^(٢) لذلك يعتقد اليهود أنهم من سلالة هؤلاء الأنبياء وأن جذورهم الأولى ترجع إليهم، وبناءً على ذلك فهم في معتقدهم كانوا يهودًا ويعتقد النصارى أنهم كانوا نصارى.

لكننا رأينا كيف أن الآية القرآنية السابقة الذكر قد ردت عليهم دعواهم تلك، وأقامت عليهم الحجة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد إبراهيم عليه السلام إلا أنهم بدلوا وحرفوا وزيفوا في الحقائق بشكل لا يخفى على ذي بصيرة، وبرجعنا إلى التوراة نجد هناك نصوصًا يتحدثون فيها عن هذا الارتباط المزعوم في محاولة لنسب اليهودية لهؤلاء الأنبياء.

فهذا إبراهيم عليه السلام الذي يطلقون عليه اسم (أبرام) يزعمون أن الرب قد ظهر له وأن إبراهيم عليه السلام قد بنى له مذبحًا. في إشارة إلى إظهاره وهو يمارس الشعائر اليهودية: "وظهر الرب لأبرام وقال له: "سأعطي هذه الأرض لذريتك"، فبنى ابرام هناك مذبحًا للرب الذي ظهر له، وانتقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل حيث نصب خيامه ما بين بيت إيل غربًا وعاي شرقًا وشيد هناك مذبحًا للرب ودعا باسمه"^(٣).

وأن الرب اختاره وذريته من بين جميع الأمم الأخرى وسماه إبراهيم. "أنت هو الرب الإله الذي اخترت أبرام وأخرجته من أور الكلدانيين ودعوته إبراهيم، وقد وجدت قلبه خالص الولاء لك، فقطعت له عهدًا أن تهبه أرض الكنعانيين، والحيثيين، والأموريين، والغريزيين، واليبوسيين، والجرجاشيين، فيرثها نسله، وقد حققت وعدك لأنك صادق"^(٤).

ويطلق اليهود والنصارى على إبراهيم عليه السلام لقب "الأب في إشارة أنه أب لليهود والنصارى"^(٥) ويتضح ذلك من خلال النص التالي: "خاطب الله إبراهيم قائلاً: "ها أنا أقطع لك عهدي، فتكون أبًا للأمم

(١) سيدي عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد الغامري الإبريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج١، ص١١٨-١١٩.

(٢) السيد رزق الطويل بنو إسرائيل في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ص١١٢.

(٣) سفر التكوين: ١٢: ٧-٨.

(٤) سفر نحصيا: ٩: ٧-٨.

(٥) قاموس الكتاب المقدس: ٤٧٦.

كثيرة، ولن يُدعى اسمك بعد الآن أبرام (ومعناه الأب الرفيع) بل يكون اسمك إبراهيم (ومعناه أب لجمهور) لأنني أجعلك أباً لجمهور من الأمم، وأصيرك مثمراً جداً، وأجعل أمماً تنفرد منك، ويخرج من نسلك ملوك، وأقيم عهدي الأبدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك جيلاً بعد جيل، فأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع أرض كنعان، التي نزلت فيها غريباً، ملكاً أبدياً، وأكون لهم إلهاً" (١).

والمتعمّن في هذا النص يرى أن كتبة التوراة بصورون الله ﷻ إلهاً خاصاً لإبراهيم وذريته فقط وأنه له ولذريته فقط يهب لهم الأرض في إشارة إلى شعب الله المختار، وللإشارة إلى أن تحديد هذا الشعب بدأ من إبراهيم ﷻ وذريته التي منها إسحاق، ويعقوب، والأسباط الذين يحاول يهود الانتساب إليهم، وإن الله ﷻ لا يقيم عهده إلا معه، ومع ذريته من بعده.

أما نظرتهم لإسماعيل ﷻ فنها تختلف اختلافاً كلياً عن نظرتهم لباقي ذرية إبراهيم ﷻ (إسحاق ويعقوب، والأسباط) ذلك لأن أمه كانت من المصريين ولهذا السبب يرون أن الله ﷻ لن يبرم عهده معه بل سيقمه مع إسحاق عندما يولد لذلك نراهم لا يتوانون عن الإساءة إلى شخصه الكريم ويظهر ذلك من خلال النص التالي:

"يقول ملاك الرب لهاجر: "هوذا أنت حامل، وستلدن أبناً تدعيه إسماعيل (ومعناه: الله يسمع) لأن الرب قد سمع صوت شقائك ويكون إنساناً وحشياً يعادي الجميع والجميع يعادونه، ويعيش مستوحشاً متحدياً كل إخوته" (٢).

أما إسحاق ﷻ فهو الذي سيقم الرب عهده معه ومع ذريته من بعد إبراهيم ﷻ حسب زعمهم كما يظهر من خلال النص التالي: "وقال إبراهيم لله: "ليت إسماعيل يحيا في رعايتك"، فأجاب الرب: "إن سارة زوجتك هي التي تلد لك أبناً وتدعو اسمه إسحاق (ومعناه يضحك) وأقيم عهدي معه ومع ذريته من بعده عهداً أبدياً، أما إسماعيل فقد استجبت لطلبك من أجله، سأباركه حقاً، وأجعله مثمراً، وأكثر ذريته جداً فيكون أباً لأثني عشر رئيساً. وبصبح أمة كبيرة، غير أن عهدي أبرمه مع إسحاق الذي تنجبه لك سارة في مثل هذا الوقت من السنة القادمة ولما أنهى من محادثته فارق الله إبراهيم" (٣).

نلاحظ كيف يصور هذا النص أن الإله إلهاً عنصرياً ويظهر منه كذلك محاولة حصر العرق اليهودي - حسب زعمهم - في إبراهيم وإسحاق وذريتهما من خلال عهد الرب.

(١) سفر التكوين: ١٧: ٤-٨.

(٢) سفر التكوين: ١٦: ١١-١٢.

(٣) سفر التكوين: ١٧: ١٨-٢٢.

أما يعقوب عليه السلام والأسباط فلم يختلف الحال معهما فكتبة التوراة يصورون أن الرب قد خصهما دون سائر خلقه بالعهد وميراث الأرض لأنهما من نسل إسحاق عليه السلام، في إشارة إلى حصر ذلك في نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط. بهدف نسبهم إلى الدين اليهودي ولكن بشكل غير مباشر عن طريق إعطاء الأرض لهم ولذريتهم من بعدهم لهم دون غيرهم، وعن طريق عهد الرب الذي لا يكون إلا معهم دون غيرهم كذلك.

ولنستمع إلى التوراة وهي تحدثنا عن ذلك: "أما يعقوب فتوجه من بئر سبع نحو حاران، فصادق موضعاً قضى فيه ليلته لأن الشمس كانت قد غابت، فأخذ بعض حجارة الموضع وتوسدها وبات هناك، ورأى حلمًا شاهد فيه سلمًا قائمة على الأرض ورأسها يمس السماء، وملائكة الله تصعد وتنزل عليها، والرب نفسه واقف فوقها يقول: "أنا هو الرب إله أبائك إبراهيم، وإله إسحاق، إن الأرض التي ترقد عليها الآن أعطيتها لك ولذريتك التي ستكون كتراب الأرض وتمتد غربًا وشرقًا، وتشمالًا وجنوبًا، وتتبارك بك وبذريتك جميع شعوب الأرض ها أنا معك وأرعاك حينما تذهب، ... ثم بكر يعقوب في الصباح، وأخذ الحجر الذي توسده ونصبه عامودًا وصب عليه زيتًا ودعا المكان "بيت إيل" (ومعناه: بيت الله)" (١).

نلاحظ الإساءة للذات الإلهية من خلال النص السابق من حيث أنهم يجسمونه من ناحية ومن ناحية أخرى يكررون عبارة إعطاء الرب الأرض ليعقوب وذريته فقط دون غيرهم، ويتكرر هذا في أكثر من موضع في سفر التكوين لذلك اكتفي بذكر هذا المثال.

وفي موضع آخر يذكر كتبة التوراة أن الله ﷻ قد ظهر له وأمره أن يشيد له مذبحًا: "ثم قال الله ليعقوب: "أصعد إلى بيت إيل واسكن هناك وشيد مذبحًا لله الذي ظهر لك عندما كنت هاربًا من أمام أخيك عيسو فأمر يعقوب أهل بيته، وكل من كان معه "تخلصوا من الآلهة الغريبة التي بينكم، وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، ثم تعالوا لنذهب إلى بيت إيل لأشيد هناك مذبحًا لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي، ورافقتني في الطريق التي سلكتها" (٢).

هذا وقد بينت في بداية هذه الرسالة كيف يحاول اليهود الالتصاق بـيعقوب عليه السلام والأسباط في محاولة لنسبهم إلى اليهودية حتى يعطوا لأنفسهم بعدًا تاريخيًا.

(١) سفر التكوين: ٢٨: ١٠-١٥، ١٨-١٩.

(٢) سفر التكوين: ٣٥: ٢-٤.

من ذلك أخلص إلى ما يلي:

أن اليهود في عهد النبي ﷺ كانت تحدث بينهم وبين النبي ﷺ محاورات ومناقشات يحاولون من خلالها التلميح والقول إن إبراهيم عليه السلام ونزريته كانوا منهم، وأنهم أي اليهود على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، الذين كانوا يعبدون الله باسم (إيل) كما يعبد يهود اليوم، فيل هو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذراريهم لهم وحده يعطي الأرض قال الله لموسى عليه السلام: "أنا إله أبك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب"^(١)، أما أنت يا محمد ﷺ قد جئت بشيء جديد يختلف عما كان عليه هؤلاء فجاءت الآيات القرآنية تبطل وتفند هذه المزاعم بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كُنَّا أَهْلَ الْكِتَابِ قُلْ أَتَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣)، وتبين إن أولى الناس باتباع إبراهيم عليه السلام هم من كانوا على دين إبراهيم وإذا كان الانتساب لإبراهيم يهم أهل الكتاب فأولى الناس به من استقام على نهجه كالنبي محمد ﷺ وأصحابه، قال ﷺ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

وهناك ملاحظة أود التأكيد عليها، وهي أن هناك حوارات دارت بين اليهود وبين النبي محمد ﷺ ذكرها القرآن الكريم كما في الآيات السابقة، ولم يذكرها اليهود في كتبهم وإنما بقيت فيما بينهم، وحدثنا عنها القرآن الكريم، لذلك لدى محاولتي للرجوع إلى المصادر اليهودية للبحث عن هذه العقائد لم أجدها بشكل مباشر وإنما وجدت ما يشير إلى ذلك كما في الأمثلة السابقة.

المطلب الثالث: الذبيح في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

القارئ للآية الكريمة التالية يرى بوضوح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام أما في العقيدة اليهودية فالذبيح هو إسحاق عليه السلام.

ولنستمع إلى الآيات الكريمة وإلى أقوال المفسرين لنرى القول الفصل في هذه المسألة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشِّرْنَاهُ بِعِصْمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ

(١) سفر الخروج: ٣: ٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٦٨.

مَا تُؤْمَرُ سَجْدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَتَدَيَّنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَقَدَّيْنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ^(١).

يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال: **(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدُهُنِ)** سيهدين إلى ما فيه صلاح ديني ومقصدي، **(رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ)** يعني أولاداً مطيعين عوضاً عن قومه وعشيرته الذين فارقهم^(٢). **(فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)** وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق عليه السلام باتفاق المسلمين وأهل الكتاب^(٣) والحليم: أن يكون حليماً عند كبره، فكانه بشر ببقاء ذلك الغلام حتى يكبر ويصير حليماً لأن الصغير لا يوصف بالحليم^(٤).

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) في الكلام حذف كما تشعر به الفاء والتقدير: فوهبنا له الغلام فنشأ حتى صار إلى السن التي يسعى فيها مع أبيه في أمور دنياه^(٥)، قال مجاهد، وابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعطاء الخرساني، وزيد بن أسلم في معنى الآية: أي شب وأدرك سعيه سعي إبراهيم، قال الفراء وابن السائب: كان يومئذ ابن ثلاثة عشر سنة، وقال ابن زيد هو السعي في العبادة^(٦).

(إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) أكثر العلماء على أنه لم ير أنه ذبحه في المنام، وإنما المعنى أنه أمر في المنام بذبحه، ويدل عليه قوله: **(افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)** وذهب بعضهم إلى أنه رأى أنه يعالج ذبحه، ولم يرَ إراقة الدم^(٧).

قال مقاتل: رأى إبراهيم ذلك ثلاثة ليالٍ متتابعات، وقال قتادة: رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئاً، فعلوه^(٨).

(١) سورة الصافات، الآيات ٩٩-١١٣.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٢١. والآوسي، روح المعاني، ج ٨، ص ١٢١.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣١٤. الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٥٣١.

(٥) الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٥٣١.

(٦) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣١٤. والشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٥٣١.

(٧) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣١٤.

(٨) الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٥٣١.

أما في شخص الذبيح فقد اختلف أهل العلم على قولين:

(١) منهم من قال هو إسماعيل عليه السلام، ومن قال بذلك أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وأبو الطفيل عامر بن وثلة، وهؤلاء من الصحابة.

ومن التابعين: سعيد ابن المسيب والشعبي، ويوسف بن مهران، ومجاهد والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرطبي، والكلبي، وعلقمة، والأصمعي^(١)، فعن الأصمعي قال: "سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عزب عنك عقلك، ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة"^(٢).

(٢) ومنهم من قال هو إسحاق عليه السلام، وممن قال بذلك العباس عن عبد المطلب وابنه عبد الله، وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود، ورواه أيضاً عن جابر وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر وعمر بن الخطاب، فهؤلاء سبعة من الصحابة، ومن التابعين: علقمة، والشعبي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وكعب الأحبار، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، والقاسم بن أبي برزة، وعطاء ومقاتل، وعبد الرحمن بن سابط، والزهرري، والسدي، وعبد الله بن أبي الهذيل، ومالك بن أنس كلهم قالوا: الذبيح إسحاق، وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى واختاره غير واحد، منهم النحاس، وابن جرير، والطبري وغيرهما. وبهذا قال الأكثرون^(٣)، وإلى ذلك مال القرطبي^(٤).

أما ابن كثير فقد مال إلى أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وهو الصواب قال ابن كثير: "وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة عليه السلام أيضاً، وليس في ذلك كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقى إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلم من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فإنه ذكر البشارة بغلام حلیم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك: (وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ)^(٥).

فمن قال من العلماء أنه إسحاق فما هو إلا تحسين للظن من المسلمين لبعض من أسلم من أهل الكتاب والصحيح أنه إسماعيل عليه السلام كما هو اتفاق الأمة"^(٦).

(١) وابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣١٤، والطبري، جامع البيان، ج ٧، ص ١٨١، الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٥٣١، وابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج ٤، ص ٢١. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٩٩.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣١٤. والطبري، جامع البيان، ج ٧، ص ١٨١. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥، ص ١٠٠. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٢١ والشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٥٣١.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥، ص ١٠٠.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٢١.

(٦) المصدر السابق في الحاشية، وكذلك انظر حاشية كتاب الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٥٣٢.

ومن جملة ما أحتج به من قال أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام أن الله تعالى وصفه بالصبر دون إسحاق عليه السلام كما في قوله: **﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾**^(١) وهو صبره على الذبح، ووصفه بصدق الوعد في قوله: **﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾**^(٢) لأنه وعد أباه الصبر على الذبح، فوفى به، ولأن الله سبحانه - قال: **﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا﴾** فكيف يأمره بذبحه، وقد وعده أن يكون نبياً؟ وأيضاً فإن الله تعالى قال: **﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾**^(٣) فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب؟

وأيضاً ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة، فدل على أن الذبيح إسماعيل، ولو كان إسحاق لكان الذبيح واقعاً في بيت المقدس^(٤).

﴿وَقَدِّمْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ والذبح: اسم المذبوح، ومعنى عظيم: عظيم القدر ولم يرد في معنى عظيم أنه كان عظيم الجنة^(٥)، وإنما عظم قدره لأنه فدى به الذبيح، أو لأنه مقبل. أو لأنه من كباش الجنة في رواية عن ابن عباس قال النحاس: العظيم في اللغة يكون للكبير وللشريف، وأهل التفسير ذهبوا إلى أنه ها هنا للشريف، أي المتقبل^(٦).

قال الواحدي: "قال أكثر المفسرين: "أنزل عليه كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً"^(٧).

والمعنى جعلنا الذبح فداءً له وخلصناه به من الذبح^(٨).

ثم بشر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بولد يكون نبياً بعد هذه القصة، جزاءً لطاعته وصبره في قوله: **﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾**.

قال ابن الجوزي: "من قال: إن إسحاق الذبيح، قال: بشر إبراهيم بنبوة إسحاق، وأثبت لإسحاق بصبره النبوة، وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة، وبه قال قتادة، والسدي.

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٥.

(٢) سورة مريم، الآية ٥٤.

(٣) سورة هود، الآية ٧١.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٥٣٢.

(٥) إلا عند الألوسي فقد قال: أي عظيم الجنة وهو كبش أبيض أقرن أعين" لكنه يتفق مع باقي المفسرين في عظم القدر.

(٦) والآلوسي، روح المعاني، ج ٨، ص ١٢٦ الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٥٣٥.

(٧) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ٩١٣. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٢٥.

(٨) الألوسي، روح المعاني، ج ٨، ص ١٢٦. والنيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ٣، ص ٥٣٠. الشوكاني: فتح

القدير، ج ٤، ص ٥٣٤.

ومن قال الذبيح إسماعيل، قال بشر الله إبراهيم بولد يكون نبياً بعد هذه القصة، جزاءً لطاعته وصبره، وهذا قول سعيد بن المسيب^(١).

(وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ) أي على إبراهيم وعلى إسحاق بكثرة نعم الله عليهما وبكثرة ذريتهما وهم الأسباط كلهم^(٢).

- في المصادر اليهودية:

وبرجعنا إلى المصادر اليهودية نرى أن الذبيح حسب العقيدة اليهودية والنصرانية هو إسحاق عليه السلام وليس إسماعيل عليه السلام حيث ورد هذا في العهد القديم تحديداً في سفر التكوين حيث جاء فيه: "وبعد هذا امتحن الله إبراهيم، فناداه: "يا إبراهيم" فأجابه: "لبيك"، فقال له: "خذ أبنك وحيدك، إسحاق الذي تحبه، وانطلق إلى أرض المريا وقدمه محرقة على أحد الجبال الذي أهديك إليه". فاستيقظ إبراهيم مبكراً في الصباح التالي، وأسرج حماره وأخذ اثنين من غلمانته، وابنه إسحاق وجهاز حطباً لمحرقة، وانطلق ماضياً إلى الموضع الذي قال له الله عنه، وفي اليوم الثالث تطلع إبراهيم فشاهد المكان من بعيد، فقال إبراهيم لغلّاميه: "امكنا هنا مع الحمار، ريثما اصعد أنا والصبي إلى هناك لنتعبد لله ثم نعود إليكما". فحمل إبراهيم إسحاق حطب المحرقة، وأخذ هو بيده النار، والسكين وذهبا كلاهما معاً، وقال إسحاق لإبراهيم أبيه، "يا أبي" فأجابه: "نعم يا بني" فسأله: "ها هي النار والحطب، ولكن أين خروف المحرقة؟" فرد عليه إبراهيم: "إن الله يُدبرُ لنفسه الخروف للمحرقة يا ابني"، وتابعاً مسيرهما معاً.

ولما بلغا الموضع الذي أشار إليه الله شيد إبراهيم مذبحاً هناك ونضد الحطب ثم أوثق إسحاق ابنه ووضعته على المذبح فوق الحطب ومد إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء قائلاً: "إبراهيم، إبراهيم"، فأجاب: "نعم"، فقال: "لا تمد يدك إلى الصبي ولا توقع به ضرراً لأنني علمت أنك تخاف الله ولم تمنع ابنك وحيدك عني"، وإذ تطلع إبراهيم حوله رأى خلفه كبشاً قد علق بفروع أشجار الغابة، فذهب وأحضره وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه، ودعا إبراهيم اسم ذلك المكان "يهوه يراه" (ومعناه: الرب يدبر) ولذلك يقال حتى اليوم "في جبل الرب الإله يرى" ونادى ملاك الرب إبراهيم من السماء مرة ثانية. وقال: ها أنا أقسم بذاتي، يقول الرب: لأنك صدقت هذا الأمر، ولم تمنع ابنك وحيدك عني، لأباركنك وأكثرن ذريتك فتكون كنجوم السماء وكرمل شاطئ البحر، وترث ذريتك مدن أعدائها، وبذريتك تتبارك جميع أمم الأرض، لأنك أطعنتني"، ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه، وعادوا جميعاً إلى بئر سبع حيث أقام إبراهيم^(٣).

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣١٧.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣١٧. والوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ٣، ص ٥٣١.

(٣) سفر التكوين: ٢٢: ١٩-٢٠.

نلاحظ من خلال النص السابق ما يلي:

أولاً: تكرار عبارة "ابنك الوحيد إسحق" والذي يظهر من النص أنه ليس لإبراهيم عليه السلام أبناء غير إسحاق عليه السلام وهذا تناقض واضح لأنهم ذكروا في هذا السفر مولد إسماعيل عليه السلام كما أشرت إلى ذلك سابقاً، ويتضح كذلك من خلال النص التالي: "ثم ولدت هاجر لأبرام ابناً، فدعا أبرام ابنه الذي أنجبته له هاجر إسماعيل، وكان أبرام في السادسة والثمانين من عمره عندما ولدت له هاجر إسماعيل"^(١). فكيف بعد ذلك يكون إسحاق ابنه الوحيد؟!

ثانياً: يحاول كتبة التوراة الإساءة إلى إبراهيم عليه السلام من خلال التمييز بين ولديه في أنه يحب إسحاق عليه السلام في قولهم: "إسحق الذي تحبه" وليس هذا الشيء بغريب فهذا يدينهم في الإساءة للأنبياء. ثالثاً: أن السبب في قولهم أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام هو أن أمه لم تكن غريبة كأم إسماعيل، فأم إسماعيل هاجر كانت من المصريين وكانت -حسب زعمهم- جارية عند سارة (ساراي) أم إسحاق عليه السلام كما يظهر من خلال النص التالي:

"وأما ساراي زوجة أبرام فقد كانت عاقراً، وكانت لها جارية مصرية تدعى هاجر، فقالت ساراي لأبرام: "هوذا الرب قد حرمني من الولادة، فادخل عليها لعنني أرزق منها بنين، فسمع أبرام لكلام زوجته، وهكذا بعد إقامة عشر سنوات في أرض كنعان أخذت ساراي جاريته المصرية هاجر وأعطتها لرجلها أبرام لتكون زوجة له"^(٢).

بمعنى آخر دم إسحاق عليه السلام لم يختلط بدم إسماعيل عليه السلام حسب تصورهم.

لذلك يقولون إن إبراهيم عليه السلام حرص على عدم تزويج إسحاق من امرأة غريبة.

"وقال إبراهيم لرئيس عبيده، المتولي جميع شؤون بيته: "ضع يدك تحت فخذي، فاستحلفك بالرب إله السماء والأرض أن لا تأخذ لابني زوجة من بنات كنعان الذين أنا مقيم في وسطهم، بل تمضي إلى بلدي وإلى عشيرتي، وتأخذ زوجة لابني إسحق"^(٣).

بعكس إسماعيل عليه السلام الذي اتخذ له أمة زوجة من مصر بعد أن طردها سارة وابنها عندما كان صغيراً. كما يتضح من خلال النص التالي والذي يظهر فيه الإساءة لشخص سارة زوجة إبراهيم عليه السلام. "ورأت سارة أن ابن هاجر المصرية الذي أنجبته لإبراهيم يسخر من ابنها إسحق، فقال لإبراهيم: "أطرد هذه الجارية وابنها فإن ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحق"^(٤).

(١) سفر التكوين: ١٦: ١٥-١٦.

(٢) سفر التكوين: ١٦: ٢: ٣.

(٣) سفر التكوين: ٢٤: ٢: ٤.

(٤) سفر التكوين: ٢١: ٩-١٠.

"وكان الله مع الصبي، فكبر، وسكن في صحراء فران، وبرع في رمي القوس، واتخذت له أمه زوجة من مصر"^(١).

المطلب الرابع: طالوت وجالوت في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَغْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجَتْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

يبين الله سبحانه - في هذه الآيات حال أولئك القوم من بني إسرائيل الذين كانوا بعد وفاة موسى عليه السلام ولم يحدد السياق القرآني شخصية هذا النبي واكتفى بذكر أنه نبي من أنبيائهم، وعند الرجوع إلى كتب التفسير نرى أن أغلبها إن لم يكن جميعها ذكرت أنه "شمويل بن بال" على الراجح^(٣) وهذا من الإسرائيليات إذ لا دليل عليه، وهذا سيتضح أكثر عند ذكر ذلك عند اليهود .

وقول الله ﷻ ﴿مِنْ بَغْدِ مُوسَى﴾ فيه بيان للزمن الذي كان يعيش فيه أولئك الملأ من بني إسرائيل، والملأ هم الأشراف من الناس وهو اسم للجماعة كالقوم والرهط وإنما سمي الأشراف بذلك لأن هيبتهم تملأ الصدور أو لأنهم يتمالؤون أي يتعاونون في شئونهم وقيل لأنهم يملئون العيون هيبة، أو هم الذين يملئون المكان إذا حضروا، وقيل: "الملأ هم الرؤساء"^(٤).

قالوا له: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. يقول الفخر الرازي: "قال وهب الكلبي: "إن المعاصي كثرت في بني إسرائيل، والخطايا عظمت فيهم، ثم غلب عليهم عدو لهم فسبي كثيرًا من

(١) سفر التكوين: ٢١: ٢٠-٢١.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٢٠٩. والنيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٥٧ والزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٣١٩. الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٧٠. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٢٢. والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج ١، ص ٥٣٩. وطنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ٥٦٥.

(٤) النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٥٧. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٨٤. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٢٢.

نراريهم، فسألوا نبيهم ملكاً لهم تتنظم به كلمتهم ويجتمع به أمرهم، ويستقيم حالهم في جهاد عدوهم^(١). فقال لهم ذلك النبي: **﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾** في سبيل الله، ويبدوا أنه كان يتوجس منهم خيفة لأنه أعرف بطبيعتهم، والاستفهام هنا للتقرير والتحذير، أي أتوقع عدم قتالكم إذا فرض عليكم القتال، وعسى هنا بمعنى التوقع والمقاربة.

قال صاحب الكشاف: "والمعنى: هل قاربتم ألا تقاتلوا؟ يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون؟ أراد أن يقول: عسيتم ألا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال، فأدخل "هل" مستفهماً عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه^(٢).

ثم حكى القرآن الكريم ردهم على نبيهم فقال: **﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾**، وهنا أجابوا نبيهم بأن قالوا: إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا، فأما إذا بلغ الأمر هذا فلا بد من الجهاد^(٣).

ثم حكى القرآن أن نبيهم كان صادقاً فيما توقعه منهم، وأنهم قوم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فقال تعالى: **﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾**.

أي: فحين فرض عليهم القتال بعد أن ألحوا في طلبه، أعرضوا عن القيام به ونفروا منه إلا قليلاً منهم، ثبتوا على الحق.

ثم بين القرآن ما أخبرهم به نبيهم ليحملهم على الطاعة والامتثال فقال تعالى: **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا﴾**.

أي قد أجابكم إلى ما سألتكم من بعث الملك يقاتل وتقاتلون معه، وهذا من أجل مصلحتكم ليكون ملكاً عليكم وقائداً لكم في قتالكم لأعدائكم فأطيعوه، واتبعوا ما يأمركم به^(٤).

ثم يحكي القرآن اعتراضهم على ذلك الملك بقولهم: **﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾**، فقد انكروا ملكه وقالوا: كيف يكون ملكنا؟ ونحن أحق بالملك منه^(٥).

"وأنى" أداة استفهام بمعنى كيف، والاستفهام هنا للتعجب من جعل طالوت ملكاً عليهم -فقد قالوا لنبيهم منكرين ومتعجبين من اختيار طالوت ملكاً عليهم: كيف يكون له الملك علينا والحال أننا أحق بالملك منه لأننا أشرف منه نسباً، إذ منا من هو من نسل الملوك أما طالوت فليس من نسلهم وفضلاً

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٨٥.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٢٩١.

(٣) النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٥٧.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) المصدر السابق نفسه.

عن ذلك فهو لا يملك من المال ما يملكه بعضنا فكيف يكون هذا الشخص ملكاً علينا؟ ونحن أحق بالملك منه^(١).

فلهذا قالوا: **(أَنْتَى يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا)** أي كيف يكون ملكاً علينا **(وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ)**، أي هو مع هذا فقير لا مال لديه حتى يقوم بالملك، وقيل أنه كان سقاءً، وقيل دباغاً وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتعنت، وكان الأولى بهم الطاعة^(٢)، فقال ذلك النبي لهم **(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ)** أي اختصه بالملك، **(وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ)** قال ابن عباس: "كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله وأتمه"^(٣).

والبسطة: الزيادة في كل شيء^(٤) قال الكلبي: زاده بسطة في العلم بالحرب، والجسم بالطول، وكان يفوق الناس برأسه ومنكبيه^(٥).

فيرد الله ﷻ عليهم بقوله: **(وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَةً مَنْ يَشَاءُ)** أي أن الملك ليس بالوراثة، وإنما هو بإيتاء الله واختياره وفق حكمته، والله واسع الرزق والفضل والرحمة، فرحمته وسعت كل شيء^(٦).

ثم حكى القرآن أن نبيهم لم يكتف بهذه الدلائل الدالة على صلاحية طالوت للقيادة من سعة العلم، والمعرفة والعقل والحكمة في التفكير، بالإضافة إلى القوة الجسدية، فساق لهم من العلامات التي تشهد بأحقيته في هذا المنصب^(٧)، فقال تعالى: **(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ)**^(٨).

فيقول لهم نبيهم إن علامة ملك طالوت عليهم، أن يرد الله عليكم التابوت الذي كان أخذ منكم، وهذا التابوت **(فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ)** أي فيه وقار وجلاله قاله قتادة، وقال ابن الربيع: فيه رحمة، وكذا روي عن العوفي عن ابن عباس^(٩).

(١) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ج ١، ٥٦٦.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٣٠٤.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٢٥٨. والسيوطي، الدر المنثور، ج ١، ص ٣١٦.

(٤) النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٥٧.

(٥) الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٣١٣ البغوي، تفسير البغوي، ج ١، ص ٢٥٦. وأبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٢٥٨.

والسيوطي، الدر المنثور، ج ١، ص ٣١٦. والشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٦) النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٥٧. وطنطاوي، الوسيط في القرآن، ج ١، ص ٥٦٧.

(٧) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج ١، ص ٥٦٧.

(٨) سورة البقرة، الآية ٢٤٨.

(٩) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٧٢. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٢٦.

والتابوت كما يقول الزمخشري هو صندوق التوراة كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرّون لأن فيه سكون وطمأنينة^(١).

يقول الرازي: إن مجيء ذلك التابوت لا بد وأن يقع على وجه يكون خارقاً للعادة حتى يصح أن يكون آية من عند الله والتابوت صندوق كان موسى عليه السلام يضع التوراة فيه، وكان من خشب، وكانوا يعرفونه، ثم إن الله تعالى رفعه بعدما قبض موسى عليه السلام لسخطه على بني إسرائيل، ثم قال نبي ذلك القوم: إن آية ملك طالوت أن يأتيكم التابوت من السماء^(٢).

وقوله تعالى: **(وَبَقِيََّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ)**، اختلف في البقية على أقوال: فقيل: عصا موسى وعصا هارون ورضاض الألواح، لأنها انكسرت حين ألقاها موسى، قاله ابن عباس.

وقيل: هي التوراة قاله عكرمة.

وقيل: هي عصا موسى وثيابه وثياب هارون ولوحان من التوراة، قاله أبو صالح.

وقيل: هي عصا موسى وعصا هارون وثيابهما ورضاض الألواح، قاله عطية بن سعد.

وقيل: البقية: هي الجهاد وقتال الأعداء، وبه قال الضحاك^(٣).

والراجح من هذه الأقوال أن "البقية" هي التوراة وهو الرأي الذي ذهب إليه عكرمة.

وهذا ما رجحه الرازي بقوله: "لا يبعد أن يكون المراد بقية مما ترك آل موسى وآل هارون من الدين والشريعة، والمعنى أن بسبب هذا التابوت ينتظم أمر ما بقي من دينهما وشريعتهما"^(٤).

وقوله **(آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ)**: قال القفال رحمه الله: إنما أضيف ذلك إلى آل موسى وآل هارون، لأن ذلك التابوت قد تداولته القرون بعدهما على وقت طالوت، وما في التابوت أشياء توارثها العلماء من أتباع موسى وهارون، فيكون الآل هم الأتباع^(٥).

وقوله **(تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ)** قال ابن كثير: قال ابن عباس: "جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون"^(٦).

ثم ختم الله ﷻ الآية بقوله: **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ)** أي إن هذه العلامات والآيات

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٢٧، ٢٢٨. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٧٣.

(٤) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٩٣.

(٥) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٤.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٣٠١.

دلائل معجزة دالة على صدق ذلك النبي فيما جاءهم به من النبوة وفيما أمرهم به من طاعة جالوت إن كنتم مؤمنين بالله واليوم الآخر^(١).

ثم بين - سبحانه - ما دار بين طالوت وجنوده فقال: **﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**^(٢).

واتصال هذه الآيات بما قبلها يظهر بتقدير محذوف يدل عليه باقي الكلام، والتقدير إنه لما أتاهم بآية التابوت أذعنوا له، وأجابوا إلى المسير تحت رايته^(٣). فلما سار بهم، وفارق بهم حد بلده وانقطع عنه^(٤). **﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾**، يقول الرازي: "في حكمة هذا الابتلاء وجهان: الأول: كان مشهوراً بين بني إسرائيل أنهم يخالفون الأنبياء والملوك مع ظهور الآيات الباهرة، فأراد الله تعالى إظهار علامة قبل لقاء العدو يتميز بها من يصبر على الحرب ممن لا يصبر لأن الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتأثيره حال لقاء العدو، فلما كان هذا هو الصلاح قبل مقاتلة العدو لا جرم قال: **﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾**. الثاني: أنه تعالى ابتلاهم ليتعودوا الصبر على الشدائد"^(٥). و"النهر" للعلماء فيه أقوال:

أحدها: أنه نهر بين الأردن وفلسطين وهو قول قتادة والربيع.
والثاني: أنه نهر فلسطين وهو قول ابن عباس والسدي.

قال القرطبي: والتوفيق بين القولين أن النهر الممتد من بلد قد يضاف إلى أحد البلدين^(٦).

﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي ليس من أهل ديني وطاعتي، **﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾** وطعم كل شيء ذوقه، يقال طعمت الماء أطعمته بمعنى ذقته، وهو يقع على الطعام والشراب^(٧).
ثم أباح لهم أن يغترفوا من النهر غرفة يخفون بها من عطشهم، فقال: **﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾** وتلك الغرفة لم تكن ملء الكف، ولكن المراد بـ"الغرفة" أن يغترف مرة واحدة بقربة أو جرة، وما أشبه ذلك تكفيه وتكفي دابته^(٨).

(١) ابن كثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥٠٨.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٢٩٤.

(٥) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ص ٥٠٩.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٥٩. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥١٠.

(٨) النيسابوري، تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٦٠. وطنطاوي، الوسيط في تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٥٦٩.

قال ابن عباس: "كانت الغرفة يشرب منها هو ودابته وخدمه، ويحمل منها"^(١).

ومعنى الآيات أن الذين يكونون أهلاً لهذا القتال هم الذين لا يشربون من هذا النهر، وأن كل من شرب منه فليس مأذوناً له في القتال، لذلك أقدموا على الشرب، فتميّز الصديق من العدو، والمخالف من الموافق، ويروى أن أصحاب طالوت لما هجموا على النهر بعد عطش شديد وقع أكثرهم في النهر، وأكثروا الشرب، وأطاع قوم قليل منهم أمر الله تعالى، فلم يزدوا على الاغتراف، وأما الذين شربوا وخالفوا أمر الله فأسودت شفاههم وغلبهم العطش ولم يرووا، وبقوا على شط النهر، وجبنوا على لقاء العدو، وأما الذين أطاعوا أمر الله تعالى، فقوي قلبهم وصح أيمانهم، وعبروا النهر سالمين^(٢).

وكان عدد هؤلاء المؤمنين ثلثمائة وبضعة عشر وهذا هو المشهور وهو قول الحسن، والدليل عليه أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: "أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه إلا مؤمن"، قال البراء بن عازب: وكنا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً^(٣).

ثم بين سبحانه ما كان من أتباع طالوت بعد اجتيازهم للنهر معه، فقال: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾، أي: فلما جاوز طالوت ومن معه النهر، وشاهدوا كثرة جند جالوت، قال بعض الذين كانوا مع طالوت بقلق ووجل: لا قدرة لنا اليوم على محاربة أعدائنا ومقاومتهم فهم أكثر منا عدداً.

والقائلون بذلك هم بعض المؤمنين الذين عبروا النهر، ولم يقولوا ذلك هرباً أو نكوصاً عن القتال، وإنما قالوه كمظهر من مظاهر الوجل الذي يعتري بعض النفوس عند الاستعداد للقتال، لأن الذين عصوا الله وخالفوا طالوت بشربهم من النهر جبنوا عن لقاء العدو ولم يسيروا معه لقتالهم^(٤).

يقول الرازي: "لا خلاف بين المفسرين أن الذين عصوا الله، وشربوا من النهر رجعوا إلى بلدهم، ولم يتوجه معه إلى لقاء العدو إلا من أطاع الله تعالى - في باب الشرب من النهر"^(٥).

أما المؤمنون الصادقون الذين اتصلت قلوبهم بالله، الذين يتيقنون أنهم ملاقو الله يوم القيامة فيحاسبهم على أعمالهم، قالوا مشجعين إخوانهم الذين تهيّبوا قتال أعدائهم كم من جماعة قليلة بإيمانها

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥١١. والنيسابوري، غرائب الألفاظ، ج ٢، ص ٣٩٩. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٣٠١.

(٢) النيسابوري، تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٦٠. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥١١.

(٣) البخاري، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، ج ٣، ص ٤. والبيهقي، دلائل النبوة، ج ٣، ص ٣٦. ومسند أحمد، ج ٤، ص ٢٩٠.

(٤) طنطاوي، الوسيط في تفسير القرآن، ج ١، ص ٥٧٠.

(٥) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥١٢.

وصبرها تغلبت بإذن الله على جماعة كثيرة بسبب كفرها، والله ﷻ بعونه وتأيدته مع الصابرين^(١).

ثم حكى القرآن الكريم بعد ذلك ما قاله المؤمنون الصادقون عندما برزوا للقاء أعدائهم فقال: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢).

فهذا الدعاء كناية عن أن يمنحهم - سبحانه - الثبات عند الزحف، وعدم الفرار عند القتال. ثم ختموا دعاءهم بأن قالوا: ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ يريدون جالوت وجنوده، أي أجعل لنا النصر والغلبة عليهم^(٣).

﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ هذه الآية تتصل بما قبلها بتقدير محذوف، كأنه قيل: فأنزل الله صبرًا ونصرًا مؤزرًا على الأعداء، وهزموهم، أي كسروهم، واصل الهزم في اللغة الكسر، والفاء هنا سببية أي أنهم بسبب دعائهم المخلص وإيمانهم القوي، واستجابتهم لأمر الله، استطاعوا أن يكسروا أعداءهم ويهزموهم، وقوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بتوفيقه وتيسيره وتأيدته^(٤).

- في المصادر اليهودية:

ذكر العهد القديم أن الإسرائيليين قد تعرضوا للهزائم المتتالية والمتوالية من قبل الفلسطينيين كما يذكر ذلك النص التالي: "واحتشد الإسرائيليون عند حجر المعونة، لمحاربة الفلسطينيين، وتجمع الفلسطينيون في أفيق، واصطف الفلسطينيون للقاء إسرائيل وما لبثت أن دارت رحى الحرب، فانهزم الإسرائيليون أمام الفلسطينيين الذين قتلوا منهم في ميدان المعركة نحو أربعة آلاف رجل، ورجع الناجون إلى معسكرهم، فتساءل شيوخ إسرائيل: لماذا هزمنا الرب اليوم أمام الفلسطينيين؟ لنأت بتابوت عهد الرب من شيلوه وندخله في وسطنا فينقذنا من قبضة أعدائنا"^(٥).

ولم يتعرض الإسرائيليون إلى الهزائم وحسب بل قد تم الاستيلاء على التابوت من قبل الفلسطينيين.

(١) طنطاوي، الوسيط في تفسير القرآن، ج ١، ص ٥٧١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٠، ٢٥١.

(٣) النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٦١.

(٤) المصدر السابق، وطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن، ج ١، ص ٥٧٣-٥٧٤.

(٥) سفر صموئيل الأول: ٤: ٢-٤.

"فحارب الفلسطينيون وانهزم الإسرائيليون، وفر كل واحد إلى خيمته وكانت المجزرة عظيمة جداً، وقتل من إسرائيل ثلاثون ألف رجل، واستولى الفلسطينيون على تابوت الله، ومات أبناء عالي حفني، وفنحاص"^(١).

ثم ذكر العهد القديم أن الإسرائيليين بناءً على ذلك طلبوا من نبيهم صموئيل أن ينصبّ عليهم ملكاً: "فاجتمع شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل في الرامة، وقالوا له: "ها أنت قد شخت، ولم يسلك أبنائك في طريقك، فنصبّ علينا ملكاً يحكم علينا كبقية الشعوب"^(٢).

وفي موضع آخر ورد أيضاً: "ولكن الشعب أبى أن يستمع لتحذيرات صموئيل وأصرّ قائلاً: "لا بل نصبّ علينا ملكاً، فنكون كسائر الشعوب، لنا ملك يقضي بيننا ويقودنا ويحارب معاركنا" فسمع صموئيل لكلام الشعب ورددته أمام الرب، فقال الرب لصموئيل: "لب طلبهم ونصبّ عليهم ملكاً"^(٣). ويذكر العهد القديم صفات ذلك الملك الذي يدعى شاول بن قيس على النحو التالي:

أ. أنه من سبط بنيامين، ومن المعلوم أن الملك في بني إسرائيل لا يكون إلا في سبط يهوذا فقط، لذلك قال شاول: "يا سيدي أنا أنتمي لسبط بنيامين، أصغر أسباط إسرائيل، وعشيرتي أصغر عشائر بنيامين شأنًا، فلماذا تحدثني بهذا الكلام"^(٤).

ب. أنه من أكثر شباب إسرائيل وسامة، وأكثرهم طولاً، وهذا يتوافق مع قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾.

وهذا إن دل على شيء فيدل على وجود بقايا من وحي بعد ذلك التحريف والتبديل.

وهذه الصفات موجودة في النص التالي: "وكان رجلاً من سبط بنيامين من ذوي النفوذ يُدعى قيس بن أبيتيل بن صرور بن بكورة بن أفيح، وكان له ابن اسمه شاول من أكثر شبان إسرائيل وسامة وأكثرهم طولاً، لم يزد طول قامته أحد من الشعب عن ارتفاع كتفيه"^(٥).

يتحدث هذا السفر عن تنصيب صموئيل شاول ملكاً على شعب إسرائيل بأمر من الرب .. ثم ينصبّ صموئيل شاول ملكاً على شعب إسرائيل: "وكان الرب قد أعلن لصموئيل في اليوم السابق لحضور شاول: "غداً في مثل هذا الوقت أبعث إليك رجلاً من أرض بنيامين فامسحه حاكماً على شعبي

(١) سفر صموئيل الأول: ٤: ١٠-١١.

(٢) سفر صموئيل الأول: ٨: ٤-٥.

(٣) سفر صموئيل الأول: ٩: ١٩-٢٢.

(٤) سفر صموئيل: ٩: ٢١.

(٥) سفر صموئيل الأول: ٩: ٢.

إسرائيل، فيخلصهم من قبضة الفلسطينيين فقد رق قلبي لشعبي، لأن استغاثتهم قد ارتفعت إليّ، فما أن شاهد صموئيل شاول حتى قال له الرب: "ها هو الرجل الذي أخبرتك عنه هذا الذي يحكم شعبي"^(١).

وفي موضع آخر ورد ما يلي: "ولكنكم اليوم تنكرتم لإلهكم، مخلصكم من جميع المسيئين إليكم ومن مضايقيكم، وقتلتم له: نصّب علينا ملكاً، والآن امثلوا أمام الرب حسب أسباطكم وعشائركم، وطلب صموئيل من كل سبط أن يتقدم بدوره للمثول أمام الرب، فاختار الرب سبط بنيامين، ثم تقدمت عشائر مطري، ومنها وقع الاختيار على شاول بن قيس فبحثوا عنه فلم يعثروا عليه، فسألوا الرب "ألم يسأت الرجل إلى هنا بعد؟ فأجاب هوذا قد أختبئ بين الأمتعة" فتراكضوا وأحضره من هناك، فوقف بين الشعب، فكان أطولهم قامّة من كتفيه فما فوق، فقال صموئيل لجميع الشعب: "أشاهدتم من أختاره الرب ليكون ملكاً عليكم؟ ليس له نظير في كل الشعب" فهتفوا: "ليحيى الملك!"^(٢).

"فتوجه الشعب إلى الجلجال، وملّكوا هناك شاول أمام الرب، وقربوا ذبائح سلام في حضرة الرب، وغمرت الفرحة شاول وسائر رجال إسرائيل"^(٣).

"وقال صموئيل لكل الإسرائيليين: "ها أنا قد لبّيت طلبكم وحققت لكم كل ما سألتكم ونصّبت عليكم، وقد صار لكم ملكٌ يسير أمامكم، وأما أنا فقد شُخِنت وغزا الشيب شعر رأسي"^(٤).

ثم يحكى هذا السفر أن هناك جماعة منهم قد اعترضت على شاول أن يكون ملكاً عليهم سُموا (بالغوغاء) ويظهر ذلك من خلال النصوص التالية:

"غير أن فئة من الغوغاء قالوا: "كيف ينقذنا هذا؟" فاحتقروه ولم يقدموا له هدايا، أما شاول فاعتصم بالصمت"^(٥).

"وقال بنو إسرائيل: "أين هؤلاء الذين تسألوا: أيملك شاول علينا؟ سلموهم لنا فنقتلهم" فقال شاول: "لا يقتل أحد في هذا اليوم، لأن الرب قد صنع اليوم خلاصاً في إسرائيل"^(٦).

ثم بيّن هذا السفر أن شاول قد خاض مع بني إسرائيل عدداً من المعارك ضد أعداءهم وانتصر عليهم، كانتصاره على العمونيين^(٧) ولكن الحال لم يكن كذلك عند قتال شاول للفلسطينيين فقد جبن

(١) سفر صموئيل الأول: ٩: ١٥-١٧.

(٢) سفر صموئيل الأول: ١٠: ١٩: ٢٤.

(٣) سفر صموئيل الأول: ١١: ١٥.

(٤) سفر صموئيل الأول: ١٢: ٢.

(٥) سفر صموئيل الأول: ١٠: ٢٧.

(٦) سفر صموئيل الأول: ١١: ١٢-١٣.

(٧) انظر تفصيل ذلك في: سفر صموئيل الأول: ١١: ٨-٩، ١٣: ٤-٩ من نفس السفر.

جيش إسرائيل عندما شاهدوا أن الفلسطينيين يفوقونهم عُدّة وعتادًا وعندما شاهد جيش شاول ذلك جبنوا وتفرّقوا عنه^(١).

ثم يشير هذا السفر أن النصر عاد وحالف شاول وجنوده وذلك بسبب وجود التابوت الذي أحضروه بينهم لأنهم كانوا ينتصرون به ويظهر ذلك من خلال النص التالي:

"فقال شاول لأخيّا: "أحضر تابوت الله"، لأن تابوت الله كان في ذلك اليوم مع بني إسرائيل وبينما كان شاول يتحدث مع الكاهن تزايد ضجيج معسكر الفلسطينيين، فقال شاول للكاهن: "كف يدك" وهتف شاول وجميع القوم الذين معه، وأقبلوا على ساحة المعركة، وإذا بهم يشهدون سيف كل فلسطيني مسلطاً على صاحبه، وقد فشا بينهم اضطراب عظيم، وانظم العبرانيون الذين التحقوا بالفلسطينيين من قبل وأقاموا معهم في المعسكر وما حوله إلى الإسرائيليين الذين مع شاول ولوناثان، وسمع جميع رجال إسرائيل الذين اختبئوا في جبل أفرام أن الفلسطينيين فروا، فجدوا هم أيضاً في تعقبهم وقتلهم، وهكذا انقذ الرب إسرائيل في ذلك اليوم وما لبثت ساحة الحرب أن انتقلت إلى ما وراء حدود بيت آوان"^(٢).

نلاحظ من خلال النص السابق الإشارة إلى وجود التابوت الذي كان سبباً في نصرهم ولم يبين هذا السفر كيف انتقل هذا التابوت إلى بني إسرائيل بعد أن استولى عليه الفلسطينيون كما مر معنا في نص سابق.

وبالمحصلة فأنهم كانوا يتبركون ويستبشرون بل يتيقنون بالنصر بوجود تابوت الله، كما هو واضح من خلال النص السابق.

ومن الجدير بالذكر أنه لم يرد في هذا السفر وصف الملك شاول بالصلاح أو بالرجل التقى، وإنما وصف تارةً بالمتسلط كما يظهر من خلال النص التالي:

"يقول الرب لصموئيل: "والآن لَبَّ طلبهم، إنما أشهد عليهم وحذرهم مما يجريه الملك المتسلط عليهم من قضاء"^(٣).

وتارةً بالجائر الذي يستولي على حقوق الآخرين ويتضح ذلك من خلال النص التالي: "وأبلغ صموئيل الشعب بكل ما قاله الرب وقال: "أسمعوا هذا ما يقضي به الملك الذي سيحكم عليكم: يجند أبنائكم ويجعلهم فرساناً وخداماً وجنوداً يركضون أمام مركباته، ويعين بعضهم قادة ألوف وقادة خماسين يحرقون حقوله، ويحصدون غلاته، ويصنعون أسلحته، ومركباته الحربية ويأخذ من بناتكم ليجعل منهن طبابخات وخبازات وصانعات عطور، ويستولي على أجود حقولكم، وكرومكم، وزيتونكم

(١) انظر تفصيل ذلك في سفر: صموئيل الأول: ١٤: ٢٣-١٨.

(٢) سفر صموئيل الأول: ١٤: ٢٣-١٨.

(٣) سفر صموئيل الأول: ٨: ٩.

ويهبها لعبيده، ويجني عُشر محاصيلكم ليوزعها على أصدقائه وحاشيته، ويسخر عبيدكم وجواريكم وخيرة شبانكم وحميركم في أعماله، ويستولي على عشر غنمكم ويستعبدكم فتستغيثون في ذلك اليوم من جور ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم، فلا يستجيب لكم الرب" (١).

ويظهر التناقض جلياً واضحاً هنا لأنهم لم يختاروا شخص شاول وإنما طلبوا تنصيب ملكاً عليهم والذي اختار شاول هو الرب ويظهر ذلك من خلال النص التالي: "فاختار الرب سبط بنيامين، ثم تقدمت عشائر سبط بنيامين، فاختار الرب عشيرة مطري، ومنها وقع الاختيار على شاول بن قيس" (٢). وليس هذا فحسب بل يذكر السفر أن الله ﷻ قد ندم على تنصيب شاول ملكاً: "وقال الرب لصموئيل: لقد ندمت لأنني جعلت شاول ملكاً، فقد ارتد عن أتباعي ولم يطع أمري" (٣). "أما الرب فقد أسف لأنه أقام شاول ملكاً على إسرائيل" (٤).

وأنه ارتكب الشر (أي المعاصي) ولم يطع أمر الرب: "فقال صموئيل: ألم تكن تحسب نفسك حقيراً، ولكن الرب جعلك على رأس أسباط إسرائيل وأقامك ملكاً عليهم وكلفك بمحاربة عماليق والقضاء عليه قضاءً مبرماً؟ فلماذا لم تطع أمر الرب، بل تهافتت على الغنيمة وارتكبت الشر في عيني الرب" (٥). وتزداد الصورة عتامة عندما يصوره هذه السفر بمحاولته لقتل داود ﷺ أكثر من مرة لحقه وغيرته منه، وذلك لأن الشعب أعجب بشجاعة داود وانتصاراته أكثر منه على ما سيأتي بيانه في الصفحات القليلة القادمة بإذن الله - تعالى -.

ونلاحظ أن الصورة التي رسمها له هذا السفر تختلف اختلافاً كلياً عن الصورة التي حدثنا عنها القرآن الكريم، وهذا إن دل على شيء فيدل بما لا يخفى على كل ذي بصيرة مدى التناقض والتحريف والتبديل والتزييف الذي ألحقه هؤلاء بالحقائق والأحداث.

المطلب الخامس: داود ﷺ في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٦).

(١) سفر صموئيل الأول: ٨: ١٠-١٨.

(٢) سفر صموئيل الأول: ١٠: ٢١.

(٣) سفر صموئيل الأول: ١٥: ١٠.

(٤) سفر صموئيل الأول: ١٥: ٣٥.

(٥) سفر صموئيل الأول: ١٥: ١٧-١٩.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥١.

هذه الآية مكملّة للآيات السابقة من سورة البقرة التي رأينا فيها كيف أن الفئة المؤمنة الصابرة التي قاتلت مع طالوت الفئة الكافرة بقيادة جالوت وجنوده، فأبدها الله بنصرة وتأييده على عدوها لأنها أطاعت أمر ربها ونبيها والملك الذي عيّنه الله لها وصبرها وثباتها في أرض المعركة فكانت النتيجة أن هزمهم بإذن الله، يقول الفخر الرازي: "أعلم أن قوله: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ يدل على أن هزيمة عسكر جالوت كانت من طالوت وأن كان قتل جالوت ما كان إلا من داود، ولا دلالة في الظاهر على أن انهزام العسكر كان قبل قتل جالوت أو بعده لأن الواو لا تفيد الترتيب"^(١).

وقول الرازي هذا يدل عليه سياق الآيات السابقة، ومن جملة هذا النصر أيضًا أن قتل داود عليه السلام جالوت الذي كان يقود جيش الكفر، فداود عليه السلام كان ممن عبر النهر مع طالوت، وفي أرض المعركة وأثناء القتال قتله ولم يرد في القرآن الكريم أو السنة النبوية كيفية هذا القتل، ولكن عند رجوعنا إلى كتب التفسير نراهم يفصلون في كيفية القتل وهذا محض إسرائيليّات ليس أكثر وسيوضح ذلك عند رجوعنا إلى العهد القديم وهو يحدثنا عن ذلك.

يقول ابن كثير: "ذكروا في الإسرائيليات أنه قتله بمقلاع كان في يده، رماه به فأصابه فقتله، (ويضيف بعض المفسرين "فوقع الحجر بين عيني جالوت وخرج من قفاه فخر قتيلاً"، ذكره وهب بن منبه)، ويكمل ابن كثير قوله فيما ذكر في الإسرائيليات فيقول: "وكان طالوت قد وعده أن قتل جالوت أن يزوجه ابنته، ويشاطره نعمته، ويشركه في أمره، فوفى له ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله به من النبوة العظيمة"^(٢).

ثم بيّن ما منحه لداود عليه السلام من النعم، ومن هذه النعم أن جمع الله له ما بين الملك والنبوة، ولم يجمع الملك والنبوة لأحد قبله في بني إسرائيل، وبه قال ابن عباس والضحاك والسدي، والكلبي^(٣) وهذا زيادة لداود عليه السلام في ترقّيته في درجات الشرف والكمال، والمراتب العالية.

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥١٦.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٣٥٥. والنيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٦١. والحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٣٠٣ وذكر المفسرون قصة مطولة في كيفية قتل داود لجالوت، أرى أنها من الإسرائيليات إذ لم ينص القرآن الكريم على شيء من هذه الكيفية.

(٣) النيسابوري، تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٣٦١. والطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٣٧٢. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥١٦. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٣٠٣. السيوطي، الدر المنثور، ج ١، ص ٣١٩. والبيهقي، تفسير البيهقي، ج ١، ص ٢٦٤. وابن حبان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٢٦٩. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٢٥٨. والقاسمي، تفسير القاسمي، ج ١، ص ٥٩٣.

(وَالْحِكْمَةُ) هي وضع الأمور مواضعها على الصواب والصلاح، وكمال هذا المعنى إنما يحصل بالنبوة فلا يبعد أن يكون المراد بالحكمة هنا هنا النبوة^(١)، كما في قوله تعالى: **(أَمْ يَخْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)**^(٢). وللعلماء في إيتاء الملك والنبوة لداود عليه السلام أقوال يذكرها الرازي في مسألتين على النحو التالي:

المسألة الأولى: قال بعضهم آتاه الله الملك والنبوة جزاء على ما فعل من الطاعة العظيمة، وبذل النفس في سبيل الله مع أنه تعالى كان عالمًا بأنه صالح لتحمل أمر النبوة، والنبوة لا يمتنع جعلها جزاء على الطاعات. وقال الأكثرون: إن النبوة لا يجوز جعلها جزاء على الأعمال، بل ذلك محض التفضيل والإنعام، قال تعالى: **(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)**^(٣).

المسألة الثانية: قال بعضهم: ظاهر الآية يدل على أن داود حين قتل جالوت آتاه الله الملك والنبوة، وذلك لأنه تعالى ذكر إيتاء الملك والنبوة عقيب ذكره لقتل داود جالوت، وترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بكون ذلك الوصف علة لذلك الحكم.

وقال الأكثرون: أن حصول الملك والنبوة له تأخر عن ذلك الوقت بسبع سنين على ما قاله الضحاك، قالوا والروايات وردت بذلك قالوا: لأن الله تعالى كان قد عين طالوت للملك فبعد أن يعزله عن الملك حال حياته، والمشهور في أحوال بني إسرائيل أن نبي ذلك الزمان كان يدعى "شمويل" وملك ذلك الزمان طالوت، فلما توفي ذلك النبي أعطى الله تعالى النبوة لداود، ولما مات طالوت أعطى الله - تعالى - الملك لداود، فاجتمع الملك والنبوة فيه^(٤).

وهذا القول الأخير هو ما أراه من بين الأقوال إذ لا يعقل أن يعين الله ﷻ لبني إسرائيل على لسان نبيهم ملكاً ثم يعطي الملك لداود عليه السلام أو يكون بين ظهور نبيهم نبياً ثم يكون داود عليه السلام نبياً والله أعلم. وقد يسأل سائل أن الله ﷻ قد آتاه الحكمة وكان المراد بالحكمة النبوة والعلم داخل في ذلك فلماذا قال ﷻ بعدها **(وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ)**.

أجاب المفسرون على ذلك بقولهم: "إن في ذلك إشعاراً بأن الإنسان لا يستغني عن التعليم سواء أكان نبياً أم لم يكن، فداود عليه السلام لم يستغن عن تعليم الله إياه^(٥) ولهذا السبب قال الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ: **(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)**^(٦).

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥١٧.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٤.

(٣) سورة الحج، الآية ٧٥.

(٤) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥١٦، ٥١٧.

(٥) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥١٧. طنطاوي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ٥٧٤.

(٦) سورة طه، الآية ١١٤.

- في المصادر اليهودية:

أما عقيدة اليهود في داود عليه السلام والصورة التي رسموها له فلندع العهد القديم يحدثنا عن ذلك، وبالتحديد سفر الملوك الأول.

يحدثنا هذا السفر بداية أن الله تعالى قد اختار داود ملكاً بعد أن نزع الملك من شاول، ويظهر ذلك من خلال النصوص التالية:

"وقال الرب لصموئيل: إلى متى تظل تتوح على شاول وأنا رفضته أنه يكون ملكاً على إسرائيل؟ أملاً قرنك بالزيت وتعال أرسلك إلى يَسَّى ^(١) المقيم في بيت لحم، لأنني قد اخترت أحد أبنائه ليكون ملكاً" ^(٢).
 .. وعندما انتهى يَسَّى من تقديم أبنائه السبعة، قال صموئيل ليَسَّى: "إن الرب لم يختَر واحداً من هؤلاء"، ثم استطرد: "هل لك أبناء آخرون؟ فأجاب يسي "بقي أصغرهم وهو يرعى الغنم فقال صموئيل ليَسَّى: أرسل من يأتي به لأننا لن نتكئ حتى يصل إلى هنا"، فبعث يَسَّى من استدعاه وكسان فتي أشقر، أخذ العينين وسيم الطلعة فقال الرب: "قم امسحه، لأن هذا هو من اخترته"، فتناول صموئيل قرن الزيت ومسحه أمام إخوته، ومنذ ذلك اليوم فصاعداً حل روح الرب على داود، ثم رجع صموئيل إلى الرامة" ^(٣).

انضمام داود إلى شاول وجيشه: "فطلب شاول من خدامه أن يبحثوا له عن رجل ماهر في العزف فيحضره إليه فقال واحد من الغلمان: "لقد شاهدت أبناً ليسَّى البتلتحمي ماهراً في العزف وهو بطل جبار ورجل حرب، فصيح اللسان وبهي الطلعة والرب معه" فأوفد شاول رسلاً إلى يَسَّى قائلاً: "أرسل إليّ داود ابنك الذي يرعى الغنم، فأعد يَسَّى حماراً حملاً خبزاً وزقّ خمر وجدي معزى أمام شاول فأحبه وجعله حامل سلاحه، وأرسل شاول إلى يَسَّى يقول: دع داود يبقى في خدمتي لأنه قد حظي بإعجابي" ^(٤).

لا تخلو هذه النصوص من الإساءة للأنبياء فهي تصور داود عليه السلام وهو يحمل الخمر لذلك الملك. ثم يحدثنا هذا السفر عن المعركة التي دارت رحاها بين جيش شاول وجيش (جالوت) الذي أطلق عليه الكتبة اسم (جليات) وكيف استعرض هذا الأخير قوته وتحدى جيش شاول أن يخرج منهم من يقوى على مبارزته، وهزيمته ثم يصف لنا مقتله أي جليات على يد داود عليه السلام ويصور كيفية هذا القتل على النحو التالي:

(١) يَسَّى: هو أبو داود عليه السلام حسب زعمهم.

(٢) سفر صموئيل الأول: ١٦: ٢.

(٣) سفر صموئيل الأول: ١٦: ١٠-١٣.

(٤) سفر صموئيل الأول: ١٦: ١٧-٢٢.

"وحشد الفلسطينيون جيوشهم للحرب واجتمعوا في سوكونه التابعة لسبط يهوذا، وعسكروا ما بين سوكونه وعزريقة في أفس رميم" ... وتجمع شاول ورجاله ونزلوا في وادي البطم واصطفوا للحرب للقاء الفلسطينيين ووقف الفلسطينيون على جبل من ناحية والإسرائيليون على جبل آخر مقابلهم يفصل بينهم واد، فخرج من بين صفوف جيوش الفلسطينيين رجل مبارز من جت يدعى جليات طوله ست أذرع وشبر... فوقف جليات ينادي جيش الإسرائيليين: "ما بالكم خرجتم تصطفون للحرب؟ ألسنت أنا الفلسطيني، وأنتم خدام شاول؟ انتخبوا من بينكم رجلاً يبارزني، فإن استطاع محاربتني وقتلني نصبح لكم عبيداً، وإن قهرته وقتلته تصبحون أنتم لنا عبيداً وتخدموننا أنني أعير وأتحدى اليوم جيش إسرائيل، ليخرج من بينكم رجل يبارزني، وعندما سمع شاول وجميع إسرائيل تحديات الفلسطيني ارتعبوا وجزعوا جداً"^(١).

"وتحدث رجال إسرائيل فيما بينهم: "أرأيتم هذا الرجل المبارز من صفوف الفلسطينيين؟ أنه يسعى لتحدينا وتعيرنا، إن من يقتله يُعقد عليه الملك ثروة طائلة، ويزوجه من ابنته ويعفي بيت أبيه من دفع الضرائب ومن التسخير"، فسأل داود الرجال الواقفين إلى جواره: "بماذا يكافأ الرجل الذي يقتل ذلك الفلسطيني ويمحو العار عن إسرائيل؟ لأنه من هو هذا الفلسطيني الأغلف حتى يُعير جيش الله الحي، فتلقى داود من الجنود جواباً مماثلاً لما سمعه من قبل عن المكافأة التي ينالها الرجل الذي يقتل جليات"^(٢).

"وقال داود لشاول: "لا يذوبن قلب أحد خوفاً من هذا الفلسطيني، فإن عبدك يذهب ليحاربه"، فقال شاول لداود: "أنت لا يمكنك الذهاب لمحاربة هذا الفلسطيني لأنك ما زلت فتى، وهو رجل حرب منذ صباه"^(٣).

"واستطرد داود: "إن الرب الذي أنقذني من مخالب الأسد ومن مخالب الدب ينقذني أيضاً من قبضة هذا الفلسطيني". فقال شاول لداود: "أمض وليكن الرب معك"، وألبس شاول داود ستره حربه ووضع على رأسه خوذة من نحاس ومنطقة بدرع، وتقلد داود سيف شاول، وهم أن يمشي، وإذا لم يكن قد تعود عليها من قبل قال لشاول: "لا أقدر أن أمشي بعدة الحرب هذه، لأنني لست معتاداً عليها" وخلعها عنه، وتناول عصاه بيده، ثم التقط خمسة حجارة من جدول الوادي وجعلها في جرابه، وحمل مقلاة بيده واتجه نحو جليات"^(٤).

"وتقدم الفلسطيني نحو داود وحامل سلاحه يمشي أمامه، وما إن شاهد الفلسطيني داود حتى استخف به لأنه كان فتى أشقر وسيم الطلعة... وعندما شاهد داود الفلسطيني يهب متقدماً نحوه، أسرع للقاءه، ومد يده إلى الجراب، وتناول حجر لوّح به بمقلعه ورماه، فأصاب جبهة الفلسطيني، فغاص

(١) سفر صموئيل الأول: ١٧: ٢-٤ و ٨-١١.

(٢) سفر صموئيل الأول: ١٧: ٢٥-٢٧.

(٣) سفر صموئيل الأول: ١٧: ٣٢-٣٣.

(٤) سفر صموئيل الأول: ١٧: ٣٧-٤٠.

الحجر في جبهته وسقط جُلَيَات على وجهه إلى الأرض، وهكذا قضى داود على الفلسطينيين بالمقلاع والحجر وقتله وإذ لم يكن بيده سيف، ركض نحو جُلَيَات واختلط سيفه من غمده وقتله وقطع به رأسه، فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد قتل هربوا...^(١).

من خلال هذه النصوص نلاحظ ما يلي:

- (١) أن شاول وجنوده جبنوا عندما شاهدوا تحديات جُلَيَات ولم يجرؤ على قتاله بينما صور لنا القرآن الكريم كما رأينا ثبات وقتال الفئة المؤمنة مع طالوت حتى نصرهم الله ﷻ.
- (٢) أن النصر لم يتحقق إلا عندما قتل داود جُلَيَات ففرق جنوده بعد مقتله فانتصر جيش شاول، بينما بينت الآيات القرآنية أن قتل داود لجالوت كان من ضمن الانتصار وليس هو السبب الرئيسي في الانتصار.
- (٣) لا يتوانى هذا السفر عن الإساءة للنبي داود ﷺ عندما يصفه بالطمع فيبين أن السبب في قتال داود لجُلَيَات هو الطمع فيما عرضه الملك شاول لمن يقتل جُلَيَات من الإغداق عليه بالثورة الطائفة، وتروجه لابنته، فهذا يدينهم مع أنبيائهم.
- (٤) نلاحظ من خلال التفصيل في أحداث قتل داود لجُلَيَات صحة قول ابن كثير السالف الذكر أن هذه محض إسرائيليّات فالقرآن الكريم لم يفصل في كيفية القتل وإنما اكتفى بذكر ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ وما نراه في كتب التفسير ما هو إلا تأثر بما كتبه كتبة التوراة وربما تسربت هذه الإسرائيليات إلى كتب التفسير عن طريق النساخ لذلك أرى ضرورة تنقيح كتب التفسير من الإضافات الداخلة عليها والتي ربما لا يعرف عنها علماء التفسير أنفسهم.

ثم يصور هذا السفر كيف أن شاول ولي داود إمرة رجال الحرب وأن النصر كان حليفه في كل المعارك التي خاضها بعد ذلك مما أثار إعجاب الشعب فولد ذلك الحقد والغيرة عند شاول الأمر الذي أدى إلى محاولته لقتله أكثر من مرة خوفاً من أن يؤول الملك إلى داود ﷺ ويتضح ذلك من خلال النصوص التالية: "... وكان النجاح حليف داود في كل مهمة كلفه بها شاول لذلك ولاه شاول إمرة رجال الحرب، فحظي ذلك باستحسان الشعب وعبيد شاول أيضاً"^(٢).

"... وراحت النساء الراقصات ينشدن: "قتل شاول ألوفه وقتل داود ربواته (أي عشرات الألوف) فأثار هذا غضب شاول وساء هذا الغناء في نفسه وقال: "نسب لنا داود قتل عشرات الألوف، أما أنا فنسب لي قتل الألوف فقط! لم يبق سوى أن ينعمن عليه بالمملكة"، وشرع شاول منذ ذلك اليوم فصاعداً يراقب داود بعين ممثلة بالغيرة"^(٣).

(١) سفر صموئيل الأول: ١٧: ٤١-٤٢ و ٤٨-٥٢.

(٢) سفر صموئيل الأول: ١٨: ٥.

(٣) سفر صموئيل الأول: ١٨: ٧-٩.

"وعندما رأى شاول ما يتمتع به داود من فطنة تفاقم فزعه منه أما جميع إسرائيل ويهوذا فقد ازدادوا حباً له، لأنه كان دائماً يقودهم في حملاتهم العسكرية الموفقة"^(١).

"وحض شاول ابنه يونانان وسائر حاشيته على قتل داود، ولكن يونانان بن شاول، الذي كان معجباً جداً بداود، أسر إليه قائلاً: "أبي يلتصق بك، فاحترس لنفسك في الغد واختبئ"^(٢).

أما عن انتقال الملك إلى داود عليه السلام فقد تنازل شاول عن الملك لداود بعد أن وقع في قبضته ولم يؤذيه ويتضح ذلك من خلال النص التالي: "قال شاول لداود: "إنك حقاً أبر مني لأنك كافأتني خيراً وأنا جازيتك شراً، وأبديت نحوي خيراً إذ أن الرب قد أوقعني في قبضتك ولكنك عفوت عني"^(٣)، أيعفوا رجل عن عدوه ويطلقه من غير أن ينتقم منه بعد أن يقع في قبضته؟ فلي كافئك الرب جزاء ما صنعت اليوم معي من خير، لقد علمت الآن أنك تصبح ملكاً وببيدك تثبت مملكة إسرائيل"^(٤).

وهناك نص آخر يشير إلى أن داود أصبح ملكاً على يهوذا: "وجاء رجال يهوذا فنصبوا داود ملكاً عليهم"^(٥).

ونص آخر يشير إلى أن داود أصبح ملكاً على كل إسرائيل: "وتوافد جميع رؤساء أسباط إسرائيل إلى داود في حبرون قائلين: "إننا لحملك وعظمتك، وفي الأيام الغابرة عندما كان شاول ملكاً علينا كنت أنت قائدنا في المعارك، وقد قال الرب لك: أنت ترعى شعبي إسرائيل وتتولى حكمه"، وفي حضور شيوخ إسرائيل في حبرون قطع الملك داود معهم عهداً أمام الرب، فنصبوه ملكاً على إسرائيل"^(٦).

نخلص من ذلك أن داود حسب العقيدة اليهودية كان ملكاً على كل إسرائيل ولم يرد في هذا السفر أنه كان نبياً، فهو في اعتقادهم ملكاً فقط وليس نبياً، بعكس ما ذكره القرآن الكريم فقد أتاه الله الملك والنبوة معاً، كما بينت ذلك الآيات القرآنية السابقة الذكر.

المطلب السادس: إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

ذكر القرآن الكريم تفصيلاً لحياة موسى عليه السلام ابتداءً من مولده وشبابه، وقتله للمصري، وهروبه من مصر، وزواجه، وتكليم الله له، ونبوته، ودعوته لفرعون وسحرته، ومعجزاته، وإيذاء بني إسرائيل

(١) سفر صموئيل الأول: ١٨: ١٥-١٦.

(٢) سفر صموئيل الأول: ١٩: ٢.

(٣) سفر صموئيل الأول: ٢٤: ١٧-٢٠.

(٤) سفر صموئيل الأول: ٢٤: ١٧-٢٠.

(٥) صموئيل الثاني: ٢: ٤.

(٦) سفر صموئيل الثاني: ٥: ٢-٣.

له وخروجه هو وبني إسرائيل من مصر... الخ، وذكر العهد القديم ذلك تفصيلاً أيضاً، والذي يعنينا في هذا المقام ما ذكره القرآن الكريم من إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام، وهذا ما سيأتي بيانه في الصفحات القليلة القادمة بإذن الله تعالى -.

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

من المعلوم أن الصور التي تم فيها إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام تحمل أشكالاً كثيرة ومتعددة، منها ما يخص كفرهم برسالته، وجحود آياته، ومنها متعلق بإيذائه شخصياً كاستنقاصه وعييه في نفسه وكثرة مجادلته وعصيان أوامره والاستخفاف بعهودهم معه ونقضها وعبادتهم البقر، وطلبهم رؤية الله تعالى جهرة، وتكذيبه، وخذلانه ... الخ، وقد حكى القرآن ألواناً منها، ظهر أكثرها بارزاً من خلال تفاعلهم مع المعجزات التي جاءهم بها^(٢) ولأن الحديث عنها في حينها قد يكون أنسب، انتقيت آيتين قرآنيتين ميزتها أنها تعلقت صراحة بإثبات فعل (الإيذاء) منهم إليه عليه السلام.

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي لم توصلون الأذى إلي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئكم به من الرسالة^(٣). يقول ابن كثير: "وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر، ولهذا قال: "رحمة الله على موسى لقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر"^(٤)، وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي صلى الله عليه وسلم أو يوصلوا إليه أذى كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾^(٥)^(٦).
وقوله: ﴿تُوذُّونَنِي﴾، وذلك حين رموه بالأدرة^(٧):

(١) سورة الصف، الآية ٥.

(٢) آلاء عشا، الجانب المادي في الشخصية اليهودية، ص ٦٨.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥٢٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزو الطائف، رقم (٤٠٨٠)، ج ٤، ص ١٥٧٦. ومسلم، في كتاب الزكاة، باب إعطاء

المؤلفة قلوبهم وتصبير من قوي إيمانه، رقم (١٠٦٢)، ج ٢، ص ٧٣٩. وأحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم -

(٣٦٠٨)، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط بقوله: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ج ١، ص ٣٨٠.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٦٩.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥٢٢.

(٧) الأدر: هو نو الأدر: وهي عظم الخصيتين وانتفاخهما، أنظر أبو العباس، أحمد بن أبي حفص بن إبراهيم الحافظ بن أنصاري

القرطبي، كتاب المفهم بما أشكل من تلخيص مسلم، ج ٦، ص ١٩٠. الحنبلي، الثالب، ج ١٩، ص ٥١. البغوي، معالم التنزيل،

ج ٤، ص ٣٠٨. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ٤٣٩.

ومن الأذى: ما ذكر في قصة قارون أنه دس إلى امرأة تدعى على موسى عليه السلام الفجور^(١).

ومن الأذى: قولهم لموسى عليه السلام، «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ»^(٢).

ومن الأذى: قولهم: «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ»^(٣).

وقولهم: أنت قتلت هارون^(٤).

«وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ» قال ابن الخطيب: "وقد" معناه: التأكيد، كأنه قال: وتعلمون

علماً يقيناً لا شبهة فيه^(٥). والرسول يُعْظَمُ ويحترم^(٦).

«فَلَمَّا زَاغُوا» أي: مالوا عن الحق «أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» أي: ألهىهم عن الهدى^(٧). والمعنى: أي

فلما عدلوا عن إتباع الحق مع علمهم به وأدوا نبيهم أزاع الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة، والخذلان^(٨). وهذه الآية تدل على عظم إيذاء الرسول، حتى أنه يؤدي إلى الكفر، وزيع القلوب عن الهدى^(٩).

وفي موضع آخر، يقول ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا

قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً»^(١٠).

وأدعية موسى عليه السلام قال عنها ابن عباس: "هي ما تضمنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

وذلك أنه قال: "كان بنو إسرائيل يغتسلون غُراء، وكان موسى عليه السلام يتستر كثيراً ويخفي بدنه، فقال قوم: هو أدر وأبرص أو به آفه، فانطلق ذات يوم يغتسل في عين بارض الشام وجعل ثيابه على صخرة، ففر الحجر بثيابه، وتبعه موسى عرياناً يقول: ثوبي حجرٌ ثوبي حجرٌ، حتى انتهى إلى الملأ من بني

(١) الحنبلي، اللباب، ج ١٩، ص ٥١. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ٤٣٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٢٤.

(٤) الحنبلي، اللباب، ج ١٩، ص ٥١. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ٤٣٩.

(٥) الحنبلي، اللباب، ج ١٩، ص ٥١. الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢٩، ص ٢٧١.

(٦) البغوي، معالم التنزيل، ج ٤، ص ٣٠٨.

(٧) الحنبلي، اللباب، ج ١٩، ص ٥١.

(٨) البغوي، معالم التنزيل، ج ٤، ص ٣٠٨. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥٢٢.

(٩) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢٩، ص ٢٧١.

(١٠) سورة الأحزاب، الآية ٦٩.

إسرائيل، فنظروا إليه، فإذا هو أحسنهم خلقاً وأعدلهم صورة، وليس به الذي قالوا، فهو قوله تبارك وتعالى **(فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا)** ^(١).

هذا لفظ البخاري أما مسلم فقد رواه بمعناه، ولفظ مسلم "قال رسول الله ﷺ: "كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوء بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر، قال: فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه، قال: فجمع موسى عليه السلام بإثره يقول: ثوبي حجرٌ ثوبي حجرٌ. حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوء موسى وقالوا: والله ما بموسى من باس، فقام الحجر حتى نظر إليه، قال: فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً"، قال أبو هريرة: والله أنه بالحجر نذب ستة أو سبعة، ضرب موسى بالحجر" ^(٢).

يقول القرطبي: "فإن قيل: كيف نادى موسى عليه السلام الحجر نداء من يعقل؟ قيل: لأنه صدر عن الحجر فعل من يعقل. و"حجر" منادى مفرد محذوف حرف النداء، و"ثوبي" منصوب بفعل مضمر التقدير: أعطني ثوبي، أو أترك ثوبي، فحذف الفعل لدلالة الحال عليه" ^(٣).

هذه الأذية الأولى لموسى عليه السلام أما الأذية الثانية فهي اتهامه بقتل أخيه هارون عليه السلام، فقد روي عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: "أدوا موسى بأنه قالوا: قتل هارون، وذلك أن موسى وهارون خرجا من فحص التيه" ^(٤) إلى جبل، فمات هارون فيه، فجاء موسى فقالت بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلت، وكان أليّن لنا منك وأشد حباً، فأذوه بذلك، فأمر الله تعالى الملائكة فحملته حتى طافوا به في بني إسرائيل، ورأوا آية عظيمة دلّتهم على صدق موسى، ولم يكن فيه أثر القتل، ومات هارون قبل موسى في التيه، ومات موسى قبل انقضاء مدة التيه بشهرين" ^(٥).

وقيل: إن أذية موسى عليه السلام رميهم بإيه بالسحر والجنون والصحيح الأول، يقول القرطبي: "ويحتمل أن يكونوا فعلوا كل ذلك، فبرأه الله من جميع ذلك" ^(٦).

قوله تعالى: **(وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا)** أي عظيمًا، والوجيه عند العرب العظيم القدر الرفيع

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، (٢٧٨) و(٣٤٠٤) واللفظ للبخاري. والترمذي في أبواب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب، ج ٥، ص ٣٨. وعقب عليه بقوله: "حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة عليه السلام عن النبي ﷺ. الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ١٩٠، ١٩٤. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ٢٤١.

(٢) صحيح مسلم في كتاب الفضائل، حديث (٣٣٩)، وهو عند أحمد (١٠٦٧٨).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ٢٤٢.

(٤) الفحص ما استوى من الأرض، والتيه: المغارة تياه فيها، وهي هنا الموضع الذي تاه فيه بنو إسرائيل. اللسان (محص) (تيه).

(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٤، ص ٤٠١، الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ١٩٤. الماودري، النكت والعيون، ج ٤، ص ٤٢٧. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ٢٤١. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٨١٧.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ٢٤٢.

المنزلة، وقيل: معنى **(وَجِبَهَا)** أي: كلمة "تَكْلِيمًا"^(١).
قال الحسن البصري: "كان مستجاب الدعوة عند الله"^(٢).
وقال غيره من السلف لم يسأل الله ﷻ شيئاً إلا أعطاه^(٣)

- في المصادر اليهودية:

وبرجعنا إلى "العهد القديم" نجد هناك عدة نصوص تظهر إيذاءهم لموسى ﷺ، فقد شوهر صورته تشويهاً شنيعاً، وحلوه من شخص داعي إلى تحرير الإنسان من عبادة غير الله إلى شخص من دعاة العنصرية المألوفين عند بني إسرائيل، وينسبون له من الصفات والأخلاق ما لا تجوز عليه كني... فقد نسب إليه اليهود أنه أمرهم بالسرقة وسلب أموال وذهب المصريين، وهذا ما يشير إليه النصين التاليين:

"حينما تمضون لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين"^(٤).

"وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثياباً وأعطى الرب نعمة للشعب في عيوب المصريين حتى أعارهم فسلبوا المصريين"^(٥).

ومن أشكال الإيذاء أيضاً ادعائهم أن موسى ﷺ قد رفض النبوة عندما جاءته لكنه خضع لها، وصار نبياً^(٦)، ويظهر ذلك من خلال النص التالي:

".. لكن موسى أجاب: "يا سيد، أتوسل إليك أن ترسل من تشاء غيري"، فاحتدم غضب الرب على موسى، وقال: "أليس هارون اللاوي أخاك؟ أنا أعلم أنه يحسن الكلام .. وها هو أيضاً قادم للقائك وحالما يراك يبتهج قلبه..."^(٧).

ومن أشكال الإيذاء أيضاً أن الله ﷻ حسب معتقدهم قد حرم موسى وهارون من دخول الأرض المقدسة لأنهما لم يقدا الرب أمام بني إسرائيل^(٨)، ويظهر ذلك من خلال النص التالي:

(١) القرطبي، المرجع السابق، ج ١٩، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) البصري، تفسير الحسن البصري، ج ٦، ص ٦٦٨.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٨١٧.

(٤) سفر الخروج: ٣: ٢٢.

(٥) سفر الخروج: ١٢: ٣٥.

(٦) قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٣١.

(٧) سفر الخروج: ٤: ١٣-١٤.

(٨) قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٩٥.

"فقال الرب لموسى وهارون: "من حيث أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني على مرأى من بني إسرائيل فإنكما لن تدخلوا هذا الشعب الأرض التي وهبتها لهم"^(١).

المطلب السابع: عقيدة اليهود في مريم - عليها السلام- في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾^(٢).

من مظاهر تعنت اليهود وكفرهم، وتزيفهم للحقائق أن كفروا بقدرة الله ﷻ على خلق الولد من غير أب، ومُنكر قدرة الله على ذلك كافر، وهذا هو المقصود بقوله: ﴿وَبِكْفَرِهِمْ﴾^(٣) وقيل كفرهم بمحمد ﷺ وبالقرآن^(٤)، وقيل كفرهم بعيسى عليه السلام^(٥)، ولكن الأول هو الأظهر في المعنى، هذا أولاً، وثانياً أنهم قالوا على مريم بهتاناً عظيماً، والبهتان العظيم كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٦): يعني أنهم رموا مريم بالزنا، وهو قولهم: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا قَرِيًّا﴾^(٧).

والبهتان كما يقول القرطبي: "هو الكذب المفرط الذي يتعجب منه"^(٨).

يقول الرازي: "وأعلم أنه لما وصف طعن اليهود في مريم بأنه بهتان عظيم ووصف طعن المنافقين في عائشة بأنه بهتان عظيم، حيث قال: ﴿سُبْحَاتِكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾"^(٩) دل ذلك على أن

(١) سفر الخروج: ٢٠: ١٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٦.

(٣) أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت ٨٨٠هـ)، اللباب في علم الكتاب، ترجمة: عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ج ٧، ص ١١٠.

(٤) أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي (ت ٨٣٣هـ)، تأويلات أهل السنة، ترجمة: فاطمة يوسف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٥٢٤. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٢٥٩.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٢٩٦. وسعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ٢، ص ١٢٢١.

(٦) ابن عباس، تفسير ابن عباس، المسمى صحيفة علي بن أبي طالب عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ترجمة: راشد الرحال، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ص ١٦٣. والسيوطي، الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٣٨. والحنبلي، اللباب في علم الكتاب، ج ٧، ص ١١٠، والطبري، جامع البيان، ج ٤، ص ١٠٧. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٨٥٩. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٢٩٦. والماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ١، ص ٥٢٤. وأبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٢٦١.

(٧) سورة مريم، الآية ٢٧.

(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٢٩٦.

(٩) سورة النور، الآية ١٦.

الروافض الذين يطعنون في عائشة، بمنزلة اليهود الذين يطعنون في مريم -عليهما السلام-^(١).
- في المصادر اليهودية:

وإذا ما رجعنا إلى المصادر اليهودية رأينا هذا الطعن وهذا البهتان واضحا جليا، وورد هذا تحديداً في التلمود فقد وصف اليهود عيسى عليه السلام بأنه ابن غير شرعي حملته أمه، وهي حائض ويتضح ذلك من خلال النص الذي ورد في التلمود تحديداً في كراسه كallah:

"حين كان الشيوخ يجلسون ذات يوم عند المدخل، مرّ صبيان من هناك، كان أحدهما معتمر الرأس والثاني حاسرا عنه، فأبدي الراي "اليعازر" ملاحظة تقول أن حاسر الرأس هو ولد غير شرعي "مامزر Mamzer" قال الراي "جيهوشوا Jehoschua" حينئذ: بل أن أمه حملته وهي حائض "بن نيداه Ben niddah" انبرى إذ ذاك الراي اكيباه Akibah ليقول: أنه ولد غير شرعي، وحملته أمه وهي حائض أيضاً، فما كان من الحضور إلا أن سألوا الراي اكيباه عن أسباب تجاسره على مناقضة رأي كل من زميليه، فأجاب الراي اكيباه أنه سيرهن لهم على ما قاله، لهذه الغاية، توجه إلى أم الصبي التي وجدها تباع الخضار في السوق، حيث بادرها بالقول: إذا أجبتني، بصدق على سؤالي، يا ابنتي فإني أعاهدك على تنجيتك من الخطيئة في الحياة القادمة، سألته عندئذ أن يقسم لها على ذلك، ففعل الراي اكيباه ما أرادت، لكن بشفتيه فقط، بينما ألغى في قلبه القسم، ثم سألها: قولي لي، ما نوع ابنك؟ ردت المرأة بقولها: ليلة عرسي كنت حائضاً، فهجرني زوجي، غير أن روحاً شريرة ضاجعتني، فكان ابني هذا نتيجة ذلك، بهذا برهن الراي اكيباه على أن الصبي ليس ابناً غير شرعي فقط، بل أنه أمه حملته وهي حائض.. أيضاً، حين سمع سائلو الراي اكيباه هذا الحوار هتفوا قائلين حقاً أن أمر الراي اكيباه لعجيب، عندما صحح للشيوخ!... ثم أعلنوا بقوة: مقدس إله إسرائيل الذي أوحى بسره إلى الراي اكيباه ابن جوزيف..."^(٢).

"فهم اليهود هذه القصة على أنها مماثلة لحال يسوع وأمه ماري"^(٣).

وفي موضع آخر من التلمود ورد النص التالي: "... وهذا ما فعلوه مع ابن ستادا stada في لود Lud، ثم شنقوه عشية عيد الفصح (اليهودي) وكان ستادا هذا ابن بانديرا Pandira، لذلك روى لنا

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٢٥٩.

(٢) B.T. Kallah Ib (18b): (18b) Ib-Kallah

(٣) الأب أي. بي. برانائس، فصح التلمود، ص ٥٧-٥٩. ويضيف الأب برانائس: "يؤكد هذا الفهم بوضوح كتابهم تولدوت

جيشو، أي "أجيال - أو ذرية يسوع" الذي يروي قصة مولد "منقنا" بنفس الكلمات تقريباً". CF. Synag Sanhidren 67a. Jud. Chap. P133.

الرابي شاسدا Chasda أن بانديرا هذا كان زوج ستادا، أمه، وقد عاش في أيام بافيوس ابن جيهودا، لكن أمه كانت ستادا، ماري المجدية (حلاقة السيدات) التي، كما أشيع في بومبادينا، هجرت زوجها^(١). ويعلق صاحب كتاب "فضح التلمود" على هذا النص قائلاً: "إن ذلك يعني أن ماري هذه كانت تُدعى ستادا، وأنها كانت عاهرة، لأنها بحسب ما لُقن في بومباديتا، هربت من زوجها واقتربت الزنا، هذا كله مدون أيضاً في "التلمود المقدسي" (نسبة إلى القدس)"^(٢).

ويشير موسى بن ميمون^(٣) أن المقصود بماري هنا هي أم المسيح عليه السلام^(٤)، ويؤكد صحة هذا القول النص الوارد في التلمود على النحو التالي:

"حينما زار ملاك الموت (إيليس) ذات مرة الرابي بيبهاي Bibhai، قال الأخير لمساعدته: أذهب واحضر لي ماري حلاقة السيدات (أي اقلتها)، لكن هذا أحضر حلاقة شعر الأطفال بدلاً من ماري المقصودة"^(٥).

نلاحظ من خلال النصوص السابقة كيف رمى اليهود مريم -عليها السلام- بالبهتان العظيم وإنهم كانوا يحاولون عدم التصريح باسمها أو باسم عيسى عليه السلام فتارة يسمونها ستادا، مارية المجدية، وتارة بانديرا وتارة أخرى بانثيرا، وذلك لحسد من جهة، ولحقدهم من جهة أخرى إلا أنهم يتفقون فيما بينهم على أنها وابنها هما المقصودان، يقول صاحب كتاب فضح التلمود نقلاً عن: بوكستورف Buxtorf.

"ثمة شك بسيط في مسألة (من هو ابن ستادا هذا) أو ما هو موقف اليهود الجماعي حياله، ورغم أن الرابين حاولوا، في ملحقاتهم على "التلمود" إخفاء حقدهم والقول أنه ليس يسوع المسيح.. فإن خداعهم على هذا الصعيد كان واضحاً ومكشوفاً، وهناك الكثير مما يبرهن على أنهم كتبوا كل هذه الأقوال عنه، وانفقوا فيما بينهم على أنه هو المقصود بها، ويدعونه ابن بانديرا، ويدعى كذلك يسوع الناصري في مقاطع أخرى من التلمود حيث يذكر بوضوح أنه يسوع ابن بانديرا، ويذكر الكاهن داماسين Damascene أيضاً بانثيرا Panthera وابن بانثيرا.

(١) B.T. Sanhidren 67a

(٢) الأب أي. بي. براناييس، فضح التلمود، ص ٥٩-٦٠. وقد ورد ذلك في التلمود المقدسي في الموضوع التالي: Cf. Sanhedrin, Chap, VII near the end, and Iebhammoth, the last chap.

(٣) موسى بن ميمون هو عالم يهودي من الأندلس ولد سنة ١١٣٥هـ، وتوفي سنة ١٢٠٤م، وكان له شأن عظيم عند اليهود حيث قيل فيه "من موسى إلى موسى لم يظهر مثل موسى بن ميمون، من أهم مصنفاته "دلالة الحائرين" الذي يحاول فيه أن يوفق بين الدين والفلسفة وله أيضاً موسوعة فقهية تعرف باسم "مشناتوره" الذي أراد لها أن تكون الأساس الفقهي للدولة اليهودية حين قيامها، لذلك سماه اليهود نسر المعبد اليهودي، وتضم هذه الموسوعة ٤ مجلدات تتألف من ١٤ كتاباً، وهذا كله يشتمل على "التلمود" بكامله. فضح التلمود، ص ٣٨.

(٤) الأب أي. بي. براناييس، فضح التلمود، ص ٦٠.

(٥) B.T. Hagigah. 4b

وقيل أن ستادا هذه هي ماري، وماري هي أم بيلوني، الشخص المعين، وذلك يعني بدون شك - يسوع، وبهذه الطريقة اعتادوا إخفاء اسمه بعيداً، لأنهم كانوا يخافون من ذكر اسمه، ولو كنا نملك نسخاً من المخطوطات الأصلية فإنها ستبرهن على ذلك بالتأكيد، وكان هذا أيضاً هو اسم أم يسوع الناصري..^(١).

المطلب الثامن: عقيدة اليهود في عيسى عليه السلام في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾^(٢).

هذه الآيات تدل على كفر عظيم من اليهود لأنهم قالوا ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾، وهذا يدل على أنهم كانوا راغبين في قتله مجتهدين في ذلك، فلا شك أن هذا كفر عظيم ولا عجب في ذلك فهم قتلة الأنبياء كما أشرت إلى ذلك سابقاً.

وقد يسأل سائل أن اليهود كانوا كافرين بعيسى عليه السلام عامدين لقتله فكيف قالوا "رسول الله"؟؟

يجيب الرازي عن ذلك من وجهين:

الأول: أنهم قالوه على وجه الاستهزاء كقول كفار قريش لمحمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(٣).

الثاني: أنه يجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به^(٤).

ويوافقه في ذلك محمد رشيد رضا بقوله: "قالوا بذلك على وجه الاستهزاء بآيات الله، ووصفوه هنا بصفة الرسالة لتهمهم به عليه السلام، واستهزأهم بدعوته وهو مبني على أنه إنما ادعى النبوة والرسالة فيهم لا الألوهية كما تزعم النصارى"^(٥).

والمسيح هو لقب لعيسى عليه السلام ومعناه الصديق، قاله إبراهيم النخعي^(٦)

(١) نقله الأب براناتيس صفحة ٦٢ عن: Cf, Lexicen, jud, in verbo Jeschu.

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٧.

(٣) سورة الحجر، الآية ٦.

(٤) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٤، ص٢٦٠.

(٥) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٢، ص٢٢٢.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص٦٩.

ونكر ابن الجوزي أن كلمة المسيح من أصل عبري وتعني الحاكم الذي سيأتي في آخر الزمان والقرآن الكريم ذكر كلمة "المسيح" إحدى عشرة مرة في تسع آيات، في خمس سور وهي من القرآن الذي نزل في المدينة المنورة، ولم تذكر كلمة "المسيح" في القرآن المكي، والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا ذكرت في الآيات المدنية؟ والجواب على ذلك يكمن في أن كلمة "المسيح" معروفة عند اليهود والنصارى وكان لهم وجود في المدينة غير أنهم قد اختلفوا في شخصية حاكم المستقبل، فكان اليهود يعتقدون أن ابن داود هو حاكم المستقبل والمخلص ويعتقد النصارى أن عيسى عليه السلام هو المخلص وحاكم المستقبل فجاء القرآن الكريم وكأنه يحل هذا الإشكال بينهما بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(١). وهذا ما أميل إليه حيث أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان كعلامة من علامات الساعة قد تواتر نزوله تواتراً معنوياً كما ذهب إلى ذلك الكشميري في كتابه التصريح بما تواتر في نزول المسيح^(٢).

وقد فند الله تعالى زعم اليهود في أنهم قتلوا عيسى عليه السلام وكذبهم في دعواهم تلك في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

فالحال أن اليهود ما قتلوه وما صلبوه كما ادعوا، ولكن ألقى الله الشبه على رجل آخر فصلبوه، وما قتلوه يقيناً أي متيقنين أنه عيسى عليه السلام ذاته بعينه، لأن الجند الذين قتلوا وصلبوا الشبيه ما كانوا يعرفونه، وإن اختلفوا في صلب المسيح، أهو المصلوب أم غيره؟ فكانوا في شك وتردد في حقيقة أمره، ولم يكن لهم علم يقيني مقطوع به، وإنما هم يتبعون الظن والقرائن والإمارات غير المؤدية إلى الحق^(٣).

وقد وردت روايات كثيرة في كتب التفسير لم تثبت صحتها في ذلك، بل إن ما فيها من تناقض واختلاف كثير يدل على الشك فيها ثم القطع بأنها ليست محل ثقة فرجعنا في ذلك إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾. قال الرازي: "إن المراد بالذين اختلفوا هم اليهود، وفيه وجهان:

الأول: أنهم لما قتلوا الشخص المشبه كان الشبه قد ألقى على وجهه ولم يلق على جسد عيسى عليه السلام، فلما قتلوه ونظروا إلى بدنه قالوا: الوجه وجه عيسى عليه السلام والجسد جسد غيره.

(١) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، ١٩٦٤م، ج ١، ص ٣٨٩.

(٣) الكشميري، محمد أنور شاه الهندي الكشميري (ت ١٣٥٢هـ)، التصريح بما تواتر في نزول المسيح، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٤، ١٩٨٢م، ص ١٣١.

(٤) وهبة الرحيلي، التفسير المنير، ج ٦، ص ٢٠.

الثاني: قال السدي: "إن اليهود حبسوا عيسى مع عشرة من الحواريين في بيت، فدخل عليه رجل من اليهود ليخرجه ويقتله، فألقى الله شبه عيسى عليه ورفع إلى السماء، فأخذوا ذلك الرجل وقتلوه على أنه عيسى عليه السلام، ثم قالوا إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وإن كان صاحبنا فأين عيسى؟ فذلك اختلافهم فيه"^(١). ويشير سعيد حوى إلى أن: "إن كان الاختلاف في أثناء القتل فالمختلفون هم اليهود وإن كان الاختلاف فيما بعد فالمختلفين هم النصارى"^(٢).

فالمراد بقوله تعالى: **(وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا)** أي يقين بعدم القتل وهنا أخبر ﷺ أنه شاكون في أنه هل قتلوه أم لا، ثم أخبر محمداً ﷺ بأن اليقين حاصل بأنهم ما قتلوه"^(٣).

(بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) حيث أنجاه الله ﷻ من أيدي اليهود ورفعته إليه كما قال في سورة آل عمران **(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)**^(٤).

قال الحسن البصري قال رسول الله ﷺ: "إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة"^(٥).

- في المصادر اليهودية:

لا يوجد هناك ذكر لعيسى عليه السلام في العهد القديم، لكننا نجد ذلك في التلمود، فهناك كثير من الفقرات التلمودية تبحث في مولد المسيح وحياته وموته وتعاليمه، لكنها لا تشير إلى الاسم نفسه دائماً^(٦)، بل تطلق عليه أسماء متعددة مثل: "ذاك الرجل"، و"رجل معين Gertain" "ابن النجار"، "الرجل الذي شق The one who was Hanged"^(٧).

هذا إجمالاً أما تفصيلاً فإن الاسم الأصلي للمسيح في اللغة العبرية هو "جيشو هانو تسري Jeschua Hanotsri" أي عيسى الناصري وقد دُعي بالناصري نسبة إلى مدينة الناصرة التي نشأ فيها وهكذا، فإن "التلمود" يدعو المسيحيين أيضاً بالعبرية "نوتسريم Notsrim" أي الناصريون.

"وبما أن كلمة "جيشو Jeshua" تعني المنقذ أو المخلص Savior فإن اسم المسيح الأصلي قلماً يظهر في الكتب التلمودية"^(٨)، وهو يختصر دائماً، تقريباً باسم "Jeschu" الذي اقتبس بحقد، في

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٢٦٢.

(٢) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ٢، ص ١٢٢١.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٢٦٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٥٥.

(٥) الحسن البصري، تفسير الحصن البصري، جمع وتوثيق: محمد عبد الرحيم، دار الحديث، القاهرة، ج ١، ص ٢١٥.

(٦) ربما كانت الغاية من تعدد أسمائه هي التلميح على قراء "التلمود" من غير اليهود. برانايتس، فضح التلمود، في الهامش ص ١٦٢.

(٧) المصدر السابق، ص ٥٥.

(٨) المصدر السابق نقلاً عن: ex.gr. in Maiene ieschua, fol, 66b

الواقع من تركيب الأحرف الأولى للكلمات الثلاث: "إيماش شيمو فيزيكرو Immach Schemo Vezikro"، ومعنى هذا "لُيْمَح اسمه وذكره"^(١).

ويدعى المسيح عليه السلام في "التلمود": "أوتوايش Otho Isch" أي "ذاك الرجل" ويُراد بهذا أنه الرجل المعروف من قبل الجميع، ويظهر ذلك من خلال النص التالي:

"يدعى مسيحي من يتبع تعاليم ذاك الرجل الكاذبة، الذي يعلمهم الاحتفال بالعيد الديني عند أول يوم يلي السبت"^(٢).

وفي مكان آخر يدعى المسيح "بيلوني Peloni" أي "رجل معين" ويظهر ذلك في النص التالي:

"ماري ... أم الرجل المعين، ذي الصلة بيوم السبت"^(٣). ويقصد بماري هنا هي مريم أم المسيح عليه السلام^(٤).

ويدعى على سبيل الازدراء أيضاً "نجار بار نجار Naggar bar nagger"، ويقصد به نجار ابن نجار^(٥).

وكذلك يدعى "بن شارش ايتيم Ben Chorsch Ctaim"، ويقصد به "ابن الخطاب"^(٦)

ويُدعى كذلك "تالوي Talui"، ويقصد به "الرجل الذي شق" يشير إلى ذلك الرابي "صامونيل بن ماير" في "هيلخوت أكوم" من كتاب موسى بن ميمون (ميمونيدس) إلى أنه يحرم الاشتراك في الأعياد المسيحية، كعيدي الميلاد والفصح لأن المسيحيين يقيمون قداساً من أجل ذاك الذي شق^(٧).

وهذه العبارة "أي الرجل الذي شق" هي محور حديثنا التالي لأنها تشير بوضوح إلى مسألة صلب المسيح عليه السلام فقد وردت عدة نصوص في التلمود تشير إلى عملية قتل المسيح عليه السلام حسب زعمهم منها.

"في ليلة عيد الفصح (عند اليهود) شقوا يسوع"^(٨).

"ومن بين الذين أجزموا بحق القانون فحكم عليهم بالموت وحده فقط قبض عليه احتيالا، كيف تم ذلك؟ لقد لجأوا إلى إضاءة شمعة في غرفة داخلية، وجأوا بشهود عيان إلى غرفة خارجية مجاورة للأولى، بحيث كان بمقتور هؤلاء الشهود رؤيته والإنصات إلى أقواله، بينما هو لا يستطيع ذلك، بعد ذلك قال له مُخادعه: أرجوك، أعد على مسمعي، بصورة شخصية، ما سبق أن رويته لي من قبل،

(١) براتايئس، فضح التلمود، ص ٥٦.

(٢) B.T. Abodah Zara, 6a.

(٣) B.T. Hagigah 104b.

(٤) براتايئس، فضح التلمود، ص ٥٦.

(٥) براتايئس، فضح التلمود، ص ٥٦ نقلاً عن: sf. Abhodah Zorah, 50b.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) المصدر السابق، ص ٥٧.

(٨) B.T. Sanhedrin 43a.

حتى إذا كرر الغاوي ثانية ما قاله، أنبرى آخر يسأله: لكن كيف لنا أن نتخلى عن الهنا الذي في السماء، ونخدم أوثاناً؟ فإذا تاب الغاوي وعاد عن أقواله، فكل شيء حسن، أما إذا قال هذا واجبنا، ومن الصواب أن نفعل ذلك... دفع به أمام القاضي ليُرجم بالحجارة حتى الموت، وهذا ما فعلوه مع ابن ستادا Stada في لود Lud، ثم شنقوه عشية عيد الفصح (اليهودي)^(١).

نلاحظ من خلال النصين السابقين كيف صرّح اليهود قتلهم لعيسى عليه السلام، وهذا ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾**^(٢).

تصور لا يجوز في حق نبي الله عيسى عليه السلام لكن هذا يدن اليهود في الإساءة للأنبياء -عليهم السلام- وفي موضع آخر نقرأ النص التالي الذي يُظهر بوضوح التصريح بصلب الميسيا (أي عيسى عليه السلام وقته): "... لاحظوا أن النبي شهد بأن اليهود سيفجعون في السنين المقبلة ويكون بسبب صلب الميسيا وقته وهو الذي بُعث إليهم، وللبرهنة على أنه يسوع الناصري الذي يملك كلا الطبيعتين الإلهية والأممية، يستشهدون بالكلمات التالية: راقبوا أولئك الذين طعنوه، ثم بكوه كما تبكي الأم ابنها البكر، إن مات"^(٣).

هذا ومن الجدير بالذكر أن السبب الذي من أجله قتل اليهود عيسى عليه السلام حسب معتقدتهم، أنه ادعى أنه المسيح المرسل من عند الله ﷻ وهم ينتظرون حسب معتقدتهم ما يسمى بالمسيح المنتظر "الميسيا" الذي سوف يكون من نسل داود عليه السلام، وسيقوم ببناء الهيكل، وجمع شمل قبائل إسرائيل المشتتة... الخ، وهذه الأشياء لم تتطبق على سيدنا عيسى عليه السلام بل وجدوه يدعو إلى إله آخر غير الذي يعبد اليهود لذلك حرصوا على قتله، ويتضح ذلك من خلال النص التالي الذي يظهر أسباب قتل اليهود لعيسى عليه السلام:

"لو نجح في جميع الأعمال التي نفذها، ولو أعاد بناء حرم المقدس في موقعه، ولم شمل جميع قبائل إسرائيل المشتتة عندئذ سيكون هو بالتأكيد الميسيا... لكنه لم يفعل ذلك، وقُتل، فهو إذ ذاك ليس الميسيا الذي أنبأنا القانون أن ننتظره، إنه كجميع المخلصين والمستقيمين من حكام بيت داود الذي مات، والذي قدسه الرب وباركه ورفعته إلى أعلى بلا سبب آخر... لقد تتبأ دانيال أيضاً بظهور يسوع الناصري الذي ظنه المسيح وقنف به إلى الموت بقضاء مجلس: Judgement... قال جميع الأنبياء أن المسيح سوف يحرر إسرائيل، ويحمل لها الخلاص ويشفي شعوبها من الشتات ويعزز قوانينها، لكنه كان هو السبب في دمار إسرائيل، وكان السبب أيضاً في استكانتها إلى التشتت والذل، حتى أن القانون تغير، كما ضلّل الجزء الأكبر من سكان العالم بعبادة إله آخر..."^(٤).

(١) B.T. Sanhedrin 67a

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٧.

(٣) برانايكس، فضح التلمود، ص ٦٧ نقلاً عن: موسى بن ميمون، كتاب هيلكوت آكوم، ص ٣.

(٤) موسى بن ميمون، هيلكوت ميلاخيم (IX, 4).

مسألة المسيح المنتظر عند اليهود:

يقصد بكلمة المسيح عند اليهود الممسوح بزيت البركة لأنهم كانوا يمسحون به الملوك والأنبياء والكهنة، وتعني كذلك "المتوج" وتعني كذلك الملك^(١). يعلق د. حسن ظاظا على ذلك بقوله: "فقد بدأت كلمة "مسيح" بالعبرية "ماشيح" حياتها اللغوية بمذلول عادي، والفعل "مسح" كان يستعمل لمبايعة الملوك، إذ يأتي الكاهن الأكبر الذي يقوم بطقوس التتويج ويأخذ على كفه بعضاً من الزيت المقدس يمسح به مقدمة رأس الملك ثم يضع التاج، وهكذا كان كل ملك عند العبريين يسمى في القديم "مسيحاً" أي أنه متوج بطريقة شرعية وممسوح بالزيت المقدس"^(٢).

وكان هذا المصطلح في بادئ الأمر يطلق على المسيح المنتظر ثم تتطور عند اليهود فصار يستعمل عند بعض الأنبياء والكهان والملوك، وكانوا في بادئ الأمر يرون المسيح ملكاً فاتحاً مظفراً من نسل داود ويعتقدون أنه سيأتي ليعيد مجد إسرائيل، ويجمع أشنات اليهود في فلسطين، لكنهم لم يفردوا المسيح المنتظر بهذه التسمية بل أطلقوها على من يقدم أعمالاً تخدم بني إسرائيل وإن لم يكن من نسل داود. كما فعلوا اليهود ذلك مع "كورش Cyrus" الفارس عندما قام بمهاجمة الكلدانيين وانتصر عليهم وكان ذلك عام ٥٣٨ ق.م وأصدر أوامره بالسماح لليهود بالعودة إلى فلسطين، وإعادة بناء الهيكل لذلك حظي من اليهود بلقب المسيح المنتظر أو المخلص لأنه قام بما كان يريده اليهود^(٣).

وقد وضع اليهود شروطاً في المسيح المخلص الذي سوف يأتي في آخر الزمان، وهي:

أ. أن يكون من نسل داود.

ب. القيام بأعمال بطولية خارقة للعادة

وهذا سوف يأتي في آخر الزمان ليخلص بني إسرائيل وينشر الأمن والسلام على الأرض، وهذا المعنى لم يظهر في كتب العهد القديم لكنه ظهر في كتب "السودبوكريفة" وهذا الشخص قد أختير من الله ﷻ ليكون ملكاً مخلصاً، ولهذا السبب نجد أنه ذكر تحت اسم "الملك المسيح" هذا وقد وردت روايات تبين أن هذا الملك سوف يقوم آخر الزمان في العصر الذي يسمى بالعصر الذهبي بإقامة مملكة الرب، وقد وردت روايات أيضاً تبين أنه عندما يتوج لهذه الوظيفة سوف يدهن بزيت مقدس الذي تركه موسى ﷺ والذي هو الآن بحفظ ملك سوف يظهر في آخر الزمان يسمى "إيليجا" والذي يقال فيه بأنه حي في السماء

(١) A. Unterman, Dictionary of Jewish Lore and Legend (London, 1991), p.132.

(٢) حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص ١٠٩.

(٣) B.T. Sanhedrin 97b; Hagigah 14a. I Enoch 52:3.

ومعه الزيت المقدس، وسوف يظهر أو ينزل من السماء قبل ظهور المسيح بفترة وجيزة^(١).

يقول الدكتور أحمد سوسة: "إن فكرة المسيح المنتظر برزت في الفكر اليهودي في وقت متأخر ولم تظهر إلا بعد سقوط دولة يهوذا وسبي اليهود إلى بابل"^(٢) جاء في التوراة تحديداً في سفر أشعيا: "لأنه يولد لنا ولد ويعطى لنا ابن" يحمل الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً، إلهاً قديراً، وأبناً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد إن غيره الرب القدير تتم هذا"^(٣).

وقد رسم اليهود الصورة التي تخيلوها للمسيح المنتظر فذكروا أن الناس في ظله سوف يعيشون في سلام ورخاء وازدهار وأنه سوف يخلصهم مما هم فيه ويجمع منقسي إسرائيل، ويضم مشيتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض^(٤)، ويظهر ذلك من خلال النص الذي يحمل عنوان "الوعد بقدم المسيا" حيث جاء فيه: "ستفرح الصحراء والفقير الأجرد، وتبتهج البرية وتزهر كالورد تزدهر ازدهاراً، وتبتهج أشد بهجة ويضفي عليها مجد لبنان وجلال الكرمل وشارون ويشهدون مجد الرب وبهاء إلها ... تقووا ولا تفرعوا، فها هو إلهكم قادم، مقبل بالنعمة، حامل جزاءه، سيأتي ويخلصكم، عندئذ تبصر عيون المكفوفين، وتنتفتح آذان الصم، ويظفر الأعرج كالظبي... وتتدفق الجداول في الصحراء، ويتحول السراب إلى واحة... ويرجع إليها مفتو الرب ويقبلون إلى صهيون مترنمين يكلل رؤوسهم فرح أبدي، وتغمرهم الغبطة والسرور، ويهرب الحزن والأنين"^(٥).

ثم أنهم يقولون أن النبي إشعيا في سفره يصف المسيح المنتظر فيقول: "ويُقرخ بُرع من جذع يسي، وينبت غصن من جذوره، ويستقر عليه روح الرب، روح الحكمة والفتنة، روح المشورة والقوة، روح معرفة الرب ومخافته، وتكون مسرته في تقوى الرب؛ ولا يقضي بحسب ما تشهد عيناه، ولا يحكم بمقتضى ما تسمع أذناه، إنما يقضي بعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفثيه، لأنه سيرتدي البر ويتمنطق بالأمانة"^(٦).

كما أن هناك علامات وأحداث لن تقع إلا في زمانه حسب معتقدهم. على النحو التالي: "فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر إلى جوار الجدي، ويتألف العجل والأسد وكل حيوان معلوف معاً، ويسوقها جميعاً صبي صغير، ترعى البقرة والدب معاً، ويربض أولادهما متجاورين، ويأكل الأسد التبن

(١) Mishnah, Baba Metsia, 1:8, 3:4. Menahoth 63a.

(٢) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٣٧٥.

(٣) سفر أشعيا: ٩: ٦-٧.

(٤) أحمد شلبي، اليهودية، ص ٢١٩.

(٥) سفر أشعيا: ٣٥: ٢-٩.

(٦) سفر أشعيا: ١١: ٢-٥.

كالثور، ويلعب الرضيع في (أمان) عند جحر الصل، ويمد العظيم يده إلى وكر الأفعى (فلا يصيبه سوء) لا يؤذون ولا يسيئون في كل جبل قنسي، لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر في ذلك اليوم ينتصب اصل يسى راية للأمم، وإليه تسعى جميع الشعوب ويكون مسكنه مجيداً...^(١).

وهذه الإشارات وهذه الأحداث لم يتحقق منها شيء على عهد عيسى عليه السلام، فالذنب ما يزال يأكل الحمل، والأسد لا يذوق التبن بل يعيش على قتل الفريسة، والحية تهلك الإنسان وبقيت بني إسرائيل ويهوذا ذليلة مشردة في الأرض، وهكذا تنكر اليهود للمسيح، ولم يتبعوا دعوته بل عاقبوه بالقتل.

يقول حسن ظاظا: "وهكذا تنكر هؤلاء اليهود للمسيح، حتى أنهم حرقوا اسمه من "يسوع" التي تنطق بالعبرية "يشوع" ومعناها المخلص، فسموه "يشو" وهو تحريف خبيث بنوه على حساب عددي لحروف هذه الكلمة، إذ هي لحساب الجمل تساوي ثلثمائة وستة عشر وقد جعلوها رمزاً لعبارة سرية فيما بينهم تساوي في هذا الحساب نفس القيمة، وهي العبارة الآرامية "تبلا بريكا" التي معناها "الرمة المقدسة" ينعنون بها السيد المسيح عليه السلام^(٢). لذلك حاول اليهود قتل عيسى لأنه لم يكن المسيح المنتظر الذي كان ينتظره اليهود، ولنفس السبب كذبوا سيدنا محمد وكفروا برسالته لأنه لم يكن من نسل داود، بل حاولوا قتله أكثر من مرة، كما سنرى.

المطلب التاسع: عقيدتهم في سيدنا محمد ﷺ والقرآن الكريم في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَكِنَّ اتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٣).

هذه مقالة قالها الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ حين قالت له اليهود والنصارى لا نرضى عنك حتى نتبع ما نحن عليه فليس في وسعه ارضائهم، لاختلافهم في دعواهم إلى ملهمهم^(٤).

قال ابن جرير: "وليس اليهود يا محمد ... براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يرضيهم وبوافقهم،

(١) سفر أشعيا: ١١: ٦-١٠. وانظر أيضاً: Mishnah, Shabbath 6:4.

(٢) حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص ١١١.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

(٤) أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي (ت ١٢٤١هـ)، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ضبط وتصحيح:

محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٧٥. الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ١،

ص ٨٧.

وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق^(١). والملة هنا بمعنى الدين^(٢).

ثم يأمر الله ﷺ نبيه محمد ﷺ أن يقول لهم أن هدى الله هو الإسلام وما عداه هو الضلال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ أي قل يا محمد: أن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى، يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل لا ما اختاره أولئك بهوى أنفسهم واستقبال الآيات والحجج بالرد والإنكار والمعاندة. قال قتادة في قوله: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ قال: خصومة علمها الله محمد ﷺ وأصحابه، يخاصمون بها أهل الضلالة^(٣).

ثم تأتي الآيات فيها تهديد ووعد شديد للأمة، عن أتباع طريق اليهود بعدما علموا من القرآن والسنة، فإن الخطاب مع الرسول ﷺ والأمر لأمته، في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٤).

فليس لك يا محمد من دون الله ولي يحفظك ولا نصير يمنعك من العذاب^(٥).

وفي موضع آخر يقول ﷺ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦).

يقول الله مخاطبًا أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل إليهم رسوله محمد ﷺ، خاتم النبيين، الذي لا نبي بعده ولا رسول، بل هو المعقب لجميعهم، ولهذا قال على فترة من الرسل، أي بعد مدة طويلة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم ﷺ فالمقصود على انقطاع ما بين النبيين وبه قال أبو علي وجماعة أهل العلم^(٧)، واختلف في مقدار هذه المدة كم هي، والراجح ما قاله أبو عثمان النهدي ومقاتل، وقتادة في رواية عنه أنها كانت ستمائة سنة^(٨). فهذه كانت الفترة ما بين عيسى ابن مريم ﷺ وآخر أنبياء بني إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الإطلاق، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن أولى الناس بابن مريم لأنا ليس بيني وبينه نبي"^(٩).

(١) الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ١١٢.

(٢) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ١، ص ٨٧.

(٣) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٤٦. والماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ١، ص ٨٨.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٤٦.

(٥) الصاوي، حاشية الصاوي، ج ١، ص ٧٦. والماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ١، ص ٨٨.

(٦) سورة المائدة، الآية ١٩.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٣٨٩.

(٨) الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٢٨٥. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٣٩١. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،

ج ٢، ص ٥٤.

(٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٣٨٩. والحديث سبق تخريجه.

يقول ابن كثير: "لقد بعث الله ﷺ على فترة من الرسل، وطموس في السبل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان، والنيران، والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عمم، وإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا دين الأنبياء الأقدمين من بعض أحبار اليهود (وعباد النصارى والصابئين)" (١).

﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ أي أننا إنما بعثناه إليكم لئلا تقولوا ما جاءنا من بشير يبشرنا بحسن العاقبة للمؤمنين، وينذرنا بسوء عاقبة المفسدين الضالين (٢).

ثم يبين أنه أزال هذا العذر فقال: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلا عذر لكم بمجيء محمد ﷺ إليكم ببشركم وينذركم (٣).

قال ابن عباس: قال معاذ بن جبل وسعد بن عباد وعقبة بن وهب لليهود: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فو الله إنكم لتعلمون أن محمداً رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه بصفته، فقالوا: ما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بعده من بشير ولا نذير، فنزلت الآية (٤).

وفي موضع آخر يقول ﷺ: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِقُونَ﴾ (٥).

الخطاب في هذه الآيات موجه لليهود حيث نزلت هذه الآيات في كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود، والمعنى: يا معشر اليهود آمنوا بما أنزلت يعني القرآن لأنه موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة، والإخبار بصفة النبي ﷺ، فالإيمان بمحمد ﷺ والقرآن تصديق للتوراة لأن التوراة فيها الإشارة إلى بعث النبي ﷺ وأنه نبي مبعوث من عند الله ﷻ فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها، فلا تكونوا أول كافر به فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوعوا بإثمكم وإثم غيركم ممن تبعكم على ذلك (٦).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٤.

(٢) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص ٤١١.

(٣) الصاوي، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ج ٢، ص ١٠٥. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٥.

(٤) الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٢٦٩، ٢٧٣. وقد أخرجه الطبري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طريق ابن إسحاق، وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت -رضي الله عنهما- وهو مجهول، تفرد عنه ابن إسحاق. تقريب التهذيب، ص ٤٣٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ٤١.

(٦) الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤١. والشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٨٠.

قال ابن عباس: **"(وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ)** وعندكم من العلم ما ليس عند غيركم - وهذا تعريض، بأنه كان يجب أن تكونوا أول من يؤمن به لمعرفتكم به وبصفته"^(١).

فالقرآن يصدق التوراة والإنجيل في أصلهما السماويين قبل التحريف والتبديل أنهما من عند الله ويوافقهما في صفة النبي ﷺ^(٢).

واختلف العلماء في "الهاء" في **(بِهِ)** على من ترجع على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها تعود على القرآن المدلول عليه بقوله **(بِمَا أُنزِلَتْ)** وبه قال مسعود، وابن عباس.

الثاني: أنها تعود على ما معهم من التوراة، لأنهم إذا كتموا وصف النبي ﷺ، فقد كفروا به، قاله الزجاج^(٣).

(وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) يقول الخازن: "أي ولا تستبدلوا **(بِآيَاتِي)** أي بيان صفة محمد ﷺ التي في التوراة **(ثَمَنًا قَلِيلًا)** أي عوضًا يسيرًا من الدنيا لأن الدنيا بالنسبة إلى الآخرة كالشيء اليسير الذي لا قيمة له، والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة إلى جميعها فهو قليل القليل فلماذا قال تعالى: **(وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا)**"^(٤).

(وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) أي تخافون الخوف الذي يوصلكم إلى فعل الأمر وترك النهي^(٥).

قوله تعالى: **(وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** لبس الحق بالباطل: يقال لبست عليه الأمر ألبيسه إذا خلطت حقه بباطله وواضحه بمشكله.

وكتمان الحق: عدم إظهاره وهنا نهاهم عن الشيثيين معًا^(٦).

والمعنى: ولا تخلطوا الحق الذي أنزل عليكم من صفة محمد ﷺ في التوراة بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغير صفته. وأنتم تكتُمون أن محمد ﷺ نبي مرسل من عند الله وهو الحق، وأنتم تعلمون ذلك^(٧). والمراد بالحق قولان:

أحدهما: أنه أمر النبي ﷺ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبو العالية، والسدي، ومقاتل.

والثاني: أنه الإسلام، قاله الحسن^(٨).

(١) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١، ص ١٣٧.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٦٣. وسعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١، ص ١٣٦.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٦٤. الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٨٠.

(٤) الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤١.

(٥) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١، ص ١٣٧.

(٦) الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٨١. وسعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١، ص ١٣٧.

(٧) الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤١.

(٨) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٦٤.

قال ابن عباس: "لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وأنتم تجدونه مكتوباً عندكم فيما تعلمون من الكتب التي في أيديكم".

وقال قتادة: "أي لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون أن دين الله هو الإسلام" (١) يقول سعيد حوى معلقاً على ذلك: "وكلام ابن عباس وقاتادة مما يدخل في النهي والنهي أعم" (٢).

ومن الآيات التي تذكر كفرهم بالقرآن الكريم أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ (٣).

والخطاب هنا لليهود الذين كانوا بحضرة النبي ﷺ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ﴾ وهو القرآن والكتب الإلهية التي منها القرآن، ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ وهي التوراة وما جاءهم على لسان أنبيائهم، ﴿وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ وهنا جملة مستأنفة فيها إخبار عنهم ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي بما جاء بعد كتابهم وهو القرآن، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ وهذه حال مؤكدة لأن كتب الله تعالى يصدق بعضها بعضاً (٤).

- في المصادر اليهودية:

اليهود لا يؤمنون بسيدنا محمد ﷺ كنبي مرسل من عند الله ﷻ لأنه لم يكن المسيح المنتظر من نسل داود، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لاعتقادهم أن موسى ﷺ هو أفضل الأنبياء المرسلين من عند الله ﷻ إن لم يكن أوحدهم، ويبيّن ذلك النص التالي: "ولم يظهر بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى، الذي خاطبه الرب وجهاً لوجه وأقامه ليجري جميع الآيات والمعجزات في ديار مصر، على فرعون وعلى جميع عبيده، إذ لم يستطع أحد أن يصنع العظائم المخيفة بقدره فائقة كما فعل موسى أمام كل بني إسرائيل" (٥).

وقد يبين الله ﷻ أن اليهود لن ترضى عن النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم اليهودية بالرغم من البشارات التي أشارت إليه في التوراة، وأذكر هنا بعض البشارات التي وردت في العهد القديم تبشر بالنبي محمد ﷺ، وبصفاته حيث جاء في سفر التثنية:

(١) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١، ص ١٣٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة البقرة، الآية ٩١.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ١٠٠، وأبو حيان الأنلسي، النهر العاد من البحر المحيط، ج ١، ص ١٦٧، والجميل،

الفتوحات الإلهية، ج ١، ص ١١٦-١١٧.

(٥) سفر التثنية: ٣٤: ١٠-١٢.

- "سيقوم الرب فيكم نبياً مثلي من بني إسرائيل له تسمعون، فقد استجاب الرب إليكم ما طلبتم منه في حوريب في يوم الاجتماع ... لهذا أقوم لهم نبياً من بين إخوتهم مثلك، وأضع كلامي في فمه فيخاطبهم بكل ما أمره، فيكون كل من يعصي كلامي الذي يتكلم به باسمي، فأنا أحاسبه" (١). نلاحظ أن هذه البشارة صريحة جداً في سيدنا محمد ﷺ، لأنه لم يقم نبي مثل موسى ومن وسط اليهود، ومن أخوتهم (أي بني إسماعيل) لأن العم كالأب تماماً فأبناؤه يسمون بلا شك أخو لهم، ومن ذلك أبناء عمهم (عيسو) أخوه لهم كما جاء في سفر التثنية: "ها أنتم عابرون تخوم إخوتكم بني عيسو المستوطنين في سعيير فيعتبر بهم الخوف منكم" (٢).
- ولو كان المراد بهذه البشارة المسيح ﷺ، لقال: أقوم منكم أو من نسلكم أو من بينكم لا من أخوتكم، وتشير عبارة "أضع كلامي في فمه" إلى النبي الأُمِّي الذي يوحى إليه القرآن فيحفظه ويبلغه للناس (٣).
- قال داود في المزامير: ليت من صهيون خلاص إسرائيل (٤). يتمنى داود أن يكون خلاص بني إسرائيل من صهيون، أي من بني إسرائيل أنفسهم، وليت تقيد التمني مع استبعاد الوقوع، والإشارة هنا إلى قدوم محمد ﷺ (٥).
- ورد في سفر إشعيا أن الله قال غاضباً على بني إسرائيل لفسوقهم وعنادهم: "أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتاب ويقال له اقرأ فيقول لا أعرف الكتابة" (٦). لقد أوعد الله بني إسرائيل بأن الرسالة ستتحول عنهم إلى رجل أُمِّي لا يعرف القراءة والكتابة، والبشارة تنطبق انطباقاً تاماً على محمد ﷺ (٧).
- "الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران" (٨). تيمان اسم قديم لصحراء سيناء، وفاران اسم قديم لمنطقة الحجاز، النص يشير إلى موسى الذي نزل الوحي عليه في صحراء سيناء وإلى البشارة بمحمد الذي سينزل الوحي عليه في الحجاز، وهكذا كان (٩).
- وهناك نص آخر يشير إلى صفات النبي ﷺ: "هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي ابتهجت به نفسي، وضعت روعي عليه ليسوس الأمم بالعدل، لا يصيح ولا يصرخ ولا يرفع صوته في

(١) سفر التثنية: ١٨: ١٥-١٩.

(٢) سفر التثنية: ٢: ٤.

(٣) David Benjamin, Muhammad in the Bible, (Singapore, 1980), Third edition, p.35-100.

(٤) مزامير: ١٤: ١٧. وانظر أيضاً: David Benjamin, Muhammad in the Bible, p.30-140.

(٥) محمد الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص ٩٤.

(٦) إشعيا: ٢٩: ١٢.

(٧) محمد الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص ٩٦.

(٨) حبقوق: ٣: ٣.

(٩) عبد الرحمن حنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ٢٩٤. ومحمد الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص ٩٦.

الطريق، لا يكسر قصبة مرضوضة، وفتيلة مدخنة لا يطفئ، إنما بأوانه يجري عدلاً، لا يكل ولا تثبط له همة حتى يرسخ العدل في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته^(١)... ها هي النبوات السالفة تتحقق وأخرى جديدة أعلن عنها، وأنبيأ بها قبل أن تحدث^(٢).

ونلاحظ من تعبير "ها هي النبوات السالفة تتحقق وأخرى جديدة أعلن عنها، وأنبيأ بها قبل أن تحدث"، الإشارة إلى الأنبياء الذين سوف يكونون بعد موسى عليه السلام وهما عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ. ولا يفوتني الإشارة إلى بيان أن اليهود لا يؤمنون إلا بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام بنوعها حسب معتقدهم (المكتوبة، والمشفاهة) ولا يؤمنون بالإنجيل كما لا يؤمنون بالقرآن الكريم ككتابين سماويين من عند الله ﷻ.

المطلب العاشر: عقيدة اليهود في جبريل عليه السلام في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٣).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله -: "أجمع أهل العلم على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل. إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك، فقال بعضهم: إنما كان سبب قولهم ذلك، من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته^(٤)."

والآثار الواردة في ذلك كثيرة أذكر منها:

ما رواه حجاج بن محمد، عن ابن جريح: أخبرني القاسم بن أبي بزة أن يهوداً سألوا النبي ﷺ عن صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي، قال "جبريل" قالوا: فإنه عدو لنا، ولا يأتي إلا بالحرب والشدة والقتال، فنزلت: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ الآية^(٥)، قال ابن جرير: "قال مجاهد: قالت يهود: يا

(١) يبدو أن مصطلح الجزائر هنا يقصد به مجموعة جزر أو أماكن وليست دولة الجزائر المعروفة في وقتنا الحاضر.

(٢) سفر أشعياء: ٤٢: ٢-٤، ٨-٩.

(٣) سورة البقرة، الآيتان ٩٧، ٩٨.

(٤) الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ١٥٧.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٩٩.

محمد ما نزل جبريل إلا بشدة وحرب وقتال فإنه عدو لنا. فنزل **(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ)** ^(١) قال البخاري: قوله **(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ)** قال عكرمة جبر، وميك، وإسراف: عبد، وإيل: الله. حدثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر، حدثنا حميد، عن أنس بن مالك، قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف ^(٢)، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشرط الساعة، وما أول طعام أهل الجنة: وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهذا جبرائيل آنفاً قال: جبريل؟ قال نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: **(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ)** ^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حمسين، قالوا -أي اليهود- فأخبرنا عن الروح، قال: فأشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل وهو الذي يأتيني؟؟ قالوا: اللهم نعم، ولكنه عدو لنا، وهو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء فلو لا ذلك اتبعناك، فأنزل الله بهم: **(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ)** إلى قوله **(كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)**. قال: "فما يمنعكم إن تصدقوه"، قالوا هو عدونا، فأنزل الله ﷻ **(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ)** إلى قوله **(كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)** فعندها باعوا بغضب على غضب ^(٤).

يقول ابن كثير: "من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين، الذي نزل بالذكر على قلبك من الله بإذنه له في ذلك، فهو رسول من رسل الله ملكي، ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل، كما من آمن برسول يلزمه الإيمان بجميع الرسل، وكما أنه من كفر برسول فإن يلزمه الكفر بجميع الرسل..." ^(٥).
قوله تعالى: **(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ)** أي من عاداني وملائكتي ورسلي ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر كما في قوله تعالى: **(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)** ^(٦). وفي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده، "أن اليهود قالوا: وأنت الآن محدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك؟ قال: فإن وليي جبريل عليه السلام ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه. قالوا: فعندها نفارقك لو كان وليك سواء

(١) الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ١٥٧.

(٢) الاختراف: جني الثمار من الشجر، ويخترف: أي يجتبي من الفواكة، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١١، ص ٣٨٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب كيف أخى النبي ﷺ بين أصحابه، رقم (٣٧٢٣)، ج ٣، ص ١٤٣٣. وانفرد به البخاري من هذا الوجه.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عبد الرحمن، رقم (٢٥١٣)، ج ١، ص ٢٧٨.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٦) سورة الحج، الآية ٧٥.

من الملائكة لتابعناك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا. قال: فعند ذلك قال الله ﷻ: **﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ...﴾**^(١).

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ شرط، وجوابه: **﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾** وفي الآية وعيد وذنم لمعادي جبريل ﷺ، وبيان أن عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم، فعداوة العبد لله، هي معصيته واجتناب طاعته، ومعاداة أوليائه، وأما عداوة الله للعبد فهي بتعذيبه وإظهار أثر العداوة عليه^(٢).

وقد يسأل سائل: لماذا خص الله ﷻ جبريل وميكائيل بالذكر من دون الملائكة؟!

يجيب القرطبي على ذلك فيقول: "خُصًّا لأن اليهود ذكروهما، ونزلت الآية بسببهما، فذكرهما واجب لئلا نقول اليهود: إنا لم نعاد الله وجميع الملائكة فنص الله تعالى عليهما لإبطال ما يتأولونه من التخصيص"^(٣).

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾، وهنا أظهر الله ﷻ اسم الجلالة "الله" ولم يقل فإني عدو أو فإنه عدو لدلالة على شدة عداوة الله للكاشرين إشارة للقدرة العظيمة لله ﷻ ودليل على أنه عاداهم بسبب كفرهم^(٤).

- في المصادر اليهودية:

وبرجعنا إلى العهد القديم نجد هناك نصوصاً يظهر فيها عداة اليهود لجبريل ﷻ ويعتبرونه عدوًّا لهم لأنه لا يأتيهم حسب زعمهم إلا بالحرب والشدة والقتال، فقد جاء في دانيال: أن جبرائيل ﷻ قد فسر للنبي دانيال رؤياه قد رآها فأخبره أن هناك ملكٌ صادق فظ سوف يسبب دماراً رهيباً ويقهر شعب الله، ويظهر ذلك من خلال النص التالي:

"وبعد أن شاهدت أنا دانيال الرؤيا وطلبت تفسيراً لها، إذا بشبه إنسان واقف أمامي، وسمعت صوت إنسان صادراً من بين ضفتي نهر أولاي قائلاً: "يا جبرائيل، فسر لهذا الرجل الرؤيا" فجاء إليّ حيث وقفت، فتولاني الخوف وانطرحت على وجهي"، فقال لي: "أفهم يا ابن آدم، إن الرؤيا تختص بوقت المنتهى... وقال: "ها أنا أطلعك على ما سيحدث في آخر حقبة الغضب... وفي أواخر ملكهم عندما تبلغ المعاصي أقصى مداها، يقوم ملك فظ حانق داهية، فيعظم شأنه، إنما ليس بفضل قوته، ويسبب دماراً رهيباً ويفلح في القضاء على الأقوياء، ويقهر شعب الله، وبدهائه ومكره يحقق مآربه

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس، رقم (٢٥١٤)، ج ١، ص ٢٧٨.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٦٢٤.

ويتكبر في قلبه ويُهْلِك الكثيرين وهم في طمأنينة، ويتمرد على رئيس الرؤساء لكنه يتحطم بغير يد الإنسان ... فصعقت أنا دانيال ونحلت أياماً، ثم قمت وعدت أبشر أعمال الملك...^(١).

وفي موضع آخر ورد النص التالي: "... إذ بالملاك جبرائيل الذي عاينته في الرؤيا في البدء، قد طار إليّ مسرعاً ولمسني، في موعد تقدمه المساء، وأفهمني قائلاً: يا دانيال قد جئت لأعلمك الفهم، فمَنْذ أن شرعت في تضرعاتك صدر إليّ الأمر لأجيء إليك وأطلعك على ما تبغي، لأنك محبوب جداً لهذا تأمل ما أقول وأفهم الرؤيا، قد صدر القضاء أن يمضي سبعون أسبوعاً على شعبك، وعلى مدينة قدسك، للانتهاك من المعصية والقضاء على الخطيئة، وللتكفير عن الإثم، وللإشاعة البر الأبدية... لهذا فاعلم وافهم أن الحقبة الممتدة منذ صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم إلى مجيء المسيح، سبعة أسابيع، ثم اثنان وستون أسبوعاً يُبني في غضون سوق وخليج، إنما تكون تلك أزمّة ضيق، وبعد اثنين وستين أسبوعاً يقتل المسيح، ولكن ليس من أجل نفسه، ويذمّر شعب رئيس آت المدينة والقدس، وتقبل آخرتها كطوفان، وتستمر الحرب حتى النهاية ويُعم الخراب المُقضي..."^(٢).

أما عقيدتهم في "ميكائيل" والذي يسمى عندهم باسم "ميخائيل" فالأمر يختلف تماماً فهم لا يعتبرونه عدواً لهم بل يحبونه ويستبشرون به لأنه حسب معتقدهم يبشرهم بالخير والخصب والنبات كذلك فهو عندهم عظيم، ويظهر ذلك من خلال النص التالي:

"وفي ذلك الوقت يقوم الرئيس العظيم الملاك ميخائيل حارس شعبك وذلك في أثناء ضيق لم يكن له مثيل منذ أن وجدت أمةً حتى ذلك الزمان..."^(٣).

وفي موضع آخر لا يعتبرونه عظيماً فحسب بل حارساً للشعب كما يوضحه النص التالي: "... ولا أحد يؤازرني ضد هؤلاء سوى حارس شعبيكم الملاك ميخائيل"^(٤).

وفي موضع آخر هو مصدر للطمأنينة ويظهر ذلك في خطاب الملاك ميخائيل للنبي دانيال: "... فعاد من هو في شبه إنسان ولمسني وشددني، وقال: لا تخف أيها الرجل المحبوب، سلام لك، تقوّ، وتشجع، وحالما كلمني دبت فيّ القوة..."^(٥).

(١) سفر دانيال: ٩: ١٥-١٧ و ٢٣-٢٧.

(٢) سفر دانيال: ٩: ٢١-٢٧.

(٣) سفر دانيال: ١٢: ٢.

(٤) سفر دانيال: ١٠: ٢١.

(٥) سفر دانيال: ١٠: ١٨-١٩.

المبحث الثالث عقائد اليهود في القرآن الكريم المتعلقة بالسمعيات وعلاقتها بكتبهم المقدسة

المطلب الأول: زعم اليهود أنهم لا يعذبون في النار إلا أيامًا معدودة في السياق القرآني والمصادر اليهودية.

المطلب الثاني: زعم اليهود قصر الجنة عليهم في السياق القرآني والمصادر اليهودية.

المطلب الثالث: عدم إيمان اليهود بالله، ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق في السياق القرآني والمصادر اليهودية.

دُونَ النَّاسِ فَتَمَتُّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَتُّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَلَتَجْذِبَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ^(١).

ذهب والبيضاوي القرطبي إلى أن هذه الآية ردًا لدعوى اليهود في قولهم: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا»، وقولهم «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ» في هذه الآيات إبطال لدعوة مستقرة في نفوس اليهود اقتضاها قولهم^(٢) نؤمن بما أنزل علينا الذي أرادوا به الاعتذار عن إعراضهم عن دعوة محمد ﷺ بعذر أنهم متشددون في التمسك بالتوراة لا يتركوها وأنهم بذلك استحقوا محبة الله ﷻ لهم، وأن الآخرة سوف تكون لهم إلا أن الله ﷻ أبطل دعواهم تلك^(٣) بقوله: «قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

قال تعالى رادًا عليهم تلك الدعوة الكاذبة: «وَلَنْ يَتَمَتُّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ» أي لن يتمنوا الموت ما عاشوا بسبب ما اجتروحوه من الذنوب والآثام^(٤). وأسند الفعل إلى الأيدي لأن أكثر الأعمال تراول بها^(٥).

«يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ» بيان لحرصهم، أي: يتمنى أحدهم لو يعمره الله ويبقيه ألف سنة أو أكثر، فإن لفظ "الألف" عند العرب منتهى أسماء العدد، فيعبر به عن المبالغة في الكثرة، لأنهم صاروا ماديين في الأكثر لا يهمهم أمر الآخرة. «وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ» وما تعميره الطويل بمزحزحه، أي منحيه ومبعده عن العذاب المعد له ولأمثاله، فإنه ميت مهما يطل عمره^(٦).

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَتُّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٧)».

ويختلط مفهوم الموت بمفهوم القبر عند كتابة التوراة ولكن المفهوم يبقى غامضًا حيث نرى أن القبر ليس سوى نهاية وهو الهاوية^(٨).

(١) سورة البقرة، الآيات ٩٤-٩٦.

(٢) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ١، ص ٩٨ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٢٥٧.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٦١٣.

(٤) محمد علي الصابوني، ج ١، ص ٨٠.

(٥) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١، ص ٨٧.

(٦) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١، ص ٧٩.

(٧) سورة الجمعة، الآيات ٦-٨.

(٨) حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يختلفان، ص ٢٤٢.

ويظهر ذلك من خلال النصين التاليين:

"لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي، جسدي أيضاً يسكن مطمئناً لأنك لم تترك نفسي في الهاوية"^(١).

وجاء أيضاً: "مثل الغنم للهاوية يساقون، الموت يرعاهم ويسودهم المستقيمون صورتهم تبلى، الهاوية مسكن لهم إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني"^(٢).

والمأمل في النصوص الواردة في العهد القديم - مع قتلها - يجدها تتناقض بعضها البعض فالموت عند بعض الأنبياء والشخصيات الدينية الوارد ذكرها في التوراة هو فناء وتلاش فلا بعث ولا عودة، ولا خلود ولا جنة ولا نار، ويظهر ذلك من خلال النص التالي: "لأن ما يحل بأبناء البشر، يحل بالبهائم، فكما يموت الواحد من الناس يموت الآخر من البهائم، فكليهما نسمة واحدة، وليس للإنسان فضلاً على البهيمة، فكل شيء باطل، كلاهما يذهب إلى موضع واحد كلاهما من التراب وإليه يعودان..."^(٣).

وعند البعض الآخر نشور وقيامة وبعث من عالم الأموات، ويظهر ذلك من خلال النصوص التالية: "...تحيا أمواتك تقوم الجثث، إستيقظوا ترنحوا يا سكان التراب"^(٤).

وجاء أيضاً: "ويستيقظ كثيرون من الأموات المدفونين في تراب الأرض، بعضهم ليثابوا بالحياة الأبدية وبعضهم ليساموا ذل العار والازدراء إلى الأبد، ويضيء الحكماء (أي شعب الله) كضياء الجلد وكذلك الذين رثوا كثيرين إلى البر يشعون كالكوكب إلى مدى الدهر..."^(٥). وهناك نص آخر يشير إلى يوم الحساب (القضاء) كما يشير إلى النار التي سوف تحرق المستكبرين وفاعلي الإثم ويُناب فيه المنقون ويشير إلى المتقين الذين سوف يثابون.

"انظروا، ها يوم القضاء مُقبل، لاهب كتور يكون فيه جميع المستكبرين وفاعلي الإثم عصابة، فيحرقهم ذلك اليوم، ولا يبقى لهم أصلاً، ولا فرعاً، يقول الرب القدير. أما أنتم أيها المتقون أسمى فتشرق عليكم شمس البر حاملة في أجنحتها الشفاء فتتلقون متواثبين كعجول المعلف وتطئون الأشرار، إذ يكونون رماداً تحت بطون أقدامكم، في اليوم الذي أجري فيه أعمالي يقول الرب القدير..."^(٦).

ونص آخر يشير إلى الحساب: "لقد تربع الرب على كرسي القضاء قام ليدين الناس، الرب يدخل في المحاكمة ضد شيوخ شعبة وقادتهم"^(٧).

(١) سفر المزامير: ١٦: ٩.

(٢) سفر المزامير: ٤٩: ١٤-١٥.

(٣) سفر الجامعة: ٣: ١٩-٢٠.

(٤) سفر إشعياء: ٢٦: ١٩.

(٥) سفر دانيال: ١٢: ٢: ٣.

(٦) ملاحى: ٤: ٣.

(٧) أشعياء: ٣: ١٣.

ونص يشير على علامة من علامات الساعة وهي قلة عدد الرجال وكثرة عدد النساء، "في ذلك اليوم تثبت سبع نساء برجل واحد قائلات: "تزوج منا ودعنا ندعى على اسمك، وأزل عارنا، ونحن نتكفل بطعامنا، وثيابنا"^(١).

ونص يشير إلى البعث بعد الموت: "ولكن أمواتك يحيون، وتقوم أجسادهم فيا سكان التراب استيقظوا واشدوا بفرح... تعالوا يا شعبي وادخلوا إلى مخادعكم وأوصدوا أبوابكم خلفكم تواروا قليلاً حتى يعبر السخط، وانظروا فإن الرب خارج من مكانه ليعاقب سكان الأرض على آثامهم فتكشف الأرض عما سفك عليها من الدماء ولا تغطي قتلها فيما بعد"^(٢).

وهناك نصوص تشير إلى يوم عظيم هو أشبه بيوم القيامة، ولكن لا يستطيع المرء أن يجزم أن هذه الإشارات هي ليوم القيامة، لأن ما فيها أيضاً يشير إلى خصوصية هذا اليوم لبني إسرائيل، وإله بني إسرائيل، وكذلك يحار المرء في هذه الأوصاف ولا يستطيع الجزم بها^(٣).

ومثال هذه النصوص: "ها إن الرب يخرّب أرض يهوذا ويقهرها ويقلب وجهها ويشتت سكانها"^(٤).

"وكل من يهرب من صوت الرعب يقع في الحفرة، ومن يتسلق الحفرة ناجياً يعلق بالفخ، لأن الهلاك يهبط عليكم من السماء، وتترزّل الأرض تحت الأرض كالسكاري، وتمايلت كخيمة الناطور وناعت تحت ثقل إثمها فتهاوت ولم تنهض. وفي ذلك اليوم يعاقب الرب الملائكة الساقطين في السماوات والملوك المتغترسة على الأرض، فيجمعون معاً كما يجمع الأسارى في الجب، ويزجون في سجن مغلق ويتم عقابهم بعد أيام عديدة، ثم يخجل القمر، وتخزي الشمس، لأن الرب القدير يملك على جبل صهيون وفي أورشليم، ويتمجد أمام شيوخ شعبه"^(٥).

وهناك إشارة واحدة وردت في سفر الجامعة تصف بعض معالم يوم القيامة، ونرى فيه الرب بين التوجيه الديني باستغلال الوقت في التقوى وعبادة الله قبل أن يأتي ذلك اليوم. حيث جاء فيها: "فاذكر خالقك في أيام حدثك (شبابك) قبل أن تقبل عليك أيام الشر، أو تغلب عليك السنون، حين نقول ليس لي فيها سرور. قبل أن تظلم في عينيك الشمس والنور والقمر والكواكب، وترجع سحب الحزن في أعقاب المطر، في يوم ترتعد فيه حفظة البيت (أي الأذرع) وينحني الرجال الأشداء (أي الأرجل القوية)، وتكف الطواحين (الأسنان) لقلتها، وتظلم العيون المظلة من بين الأجفان..."^(٦).

(١) أشعيا: ٤: ٢.

(٢) أشعيا: ٢٦: ١٩، ٢١.

(٣) حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، ص ٢٥.

(٤) أشعيا: ٢٤: ٢.

(٥) أشعيا: ٢٤: ١٨-٢٣.

(٦) سفر الجامعة: ١٢: ٢.

وهذه اللفته التي تشير إلى يوم القيامة وبعض علاماتها مثل غياب الشمس والقمر، تتقاطع بشكل كبير مع ما ورد في القرآن الكريم حيث يقول ﷺ: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ»^(١).

وقال تعالى: «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ»^(٢).

أما بخصوص الجنة والفردوس فقد وردت عشرات النصوص التي تذكرهما، إلا أن الباحثين يكادون يتفقون على وصفها جميعاً كبساتين وحدائق طبيعية وعادية جداً كذلك التي عند الملوك وليس من السهولة أن نعثر في كل صفحات العهد القديم الذي بين أيدينا اليوم على إشارة صريحة تعبر عن عقيدة أو تصور لوجود جنة سماوية وينتهي إليها مصير الصالحين كثواب لحسن أعمالهم^(٣).

وهذه الإشارات التي وردت عن قيام الأموات من الأرض ويوم القيامة والجنة والنار تبقى في إطار الإشارات ولم تدخل في تفاصيل دقيقة كما وردت في القرآن الكريم، فأسفار العهد القديم قد أغفلت الحديث عن الآخرة بشكل واضح وصريح والنصوص الواردة أعلاه تؤكد ما قلناه والتي تضمنت إشارات سريعة إلى الحياة الأخروية فقط، ويبدو أن كتبة التوراة قد خضعوا إلى مؤثرات نفسية واضحة، حتى نرى هذا التناقض في هذه النصوص^(٤).

وليس هذا فحسب بل إننا نجد من بين فرق اليهود الشهيرة من لا يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذي يقرره الإسلام ففرقة الصدوقيين^(٥) (Sadducees) على سبيل المثال تنكر قيام الأموات، وتعتقد أن عقاب العصاة وثواب المتقين إنما يحصل في حياتهم.

وهناك بعض الفرق اليهودية أثبتت البعث بطريقة أخرى مثل فرقة الفريسيين^(٦) (Pharisees) التي

(١) سورة التكوين، الآيات ١-٤.

(٢) سورة القيامة، الآيات ٧-١٠.

(٣) سعد الدين صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص ٣١٤. والكتاب المقدس، ص ٢٧٥. وفرج الله عبد الباري، اليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام، دار الوفاء، المنصورة، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٢٨٤.

(٤) حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، ج ٢، ص ٢٤٣. ورفقي زاهر، قصة الألبان، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٩٠.

(٥) فرقة الصدوقون يسمون بالعبرية (صدوقييم) ومن مبادئ وتعاليم هذه الفرقة ما يلي: أنها لا تؤمن بقيامة الأموات من القبور ولا تؤمن بالحياة الأبدية للبشر بأفرادهم وأشخاصهم كما كانوا في الدنيا، وترفض بالتالي الثواب والعقاب في الآخرة، وتنكر وجود الملائكة والشياطين، وتنكر القضاء والقدر، وتؤمن بقسوة العهد القديم، ولا تؤمن بالتلمود ونحوه... وهذه الفرقة تعتبر من عقيدة الخاصة والمتقين والطبقة الأرستقراطية. حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص ٢٦.

* وقد قارن د. أحمد سوسة قضية البعث والقيامة عند اليهود وعند السومريين والبابليين والمصريين فوجد ترابط بينهم في كتابه العرب واليهود في التاريخ، ص ٣٩٦، ٤٠٥.

(٦) وفرقة الفريسيين، وتعني طبقة أبناء الريف أو الانفصاليين ومن مبادئ هذه الفرقة: الاعتراف بالبعث والخلود، ويقولون بالجبر كما أن الإله في نظرهم إله البشرية جميعهم، وهو رب الناس أجمعين وهذا المعتقد أدى بهم إلى سياسة السلم والتعامل=

صورت البعث تصويراً دنيوياً فقالت: " إن الصالحين من الأموات سينتشرون في هذه الأرض ليشاركوا في ملك المسيح الذي سيأتي آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعاً في ديانة موسى^(١).

ويذكر د. عوض الله حجازي في توضيح ذلك أن اليهود يعتقدون في ظهور المسيح الذي سيأتي ويخلصهم من الأسر والتشرد والاستضعاف ويقيم لهم دولتهم ويعيد لهم ملك داود وسليمان ويعيد بناء الهيكل وعليه فالحياة الآخرة هي الحياة التي ستعقب ظهور المسيح المنتظر من استقرار وهدوء وانتصار لهم على الأمم الأخرى^(٢).

كما يعلق د. عمر وفيق في هامش تحقيقه لكتاب الحسام الممدود "أن ما عنته فرقة الفريسيين بالتحديد هو بعث سيحصل في الحياة الدنيا، فمهما يكن من خلاف بين هاتين الفرقتين فإنهما يتفقان على إنكار اليوم الآخر..."^(٣).

إلا أن الأب نبيل لوقا يرى أن اليهودية تقوم على مفهوم البعث والحياة الأخرى وقيام الأموات^(٤). وهنا يقف الباحث متسائلاً: ما سر هذا التعارض والتناقض في الفكر اليهودي؟ تارة تثبت بعض النصوص والفرق عقيدة البعث وتارة تنفيها؟

ويجيب على ذلك عبد الكريم الخطيب فيرد السبب إلى أمرين: التذبذب في تصورهم للإله، والظروف التي حالت دون تحقيق حياة كريمة لهم في هذه الدنيا، فيقول: "والجواب يتضح إذا عدنا إلى قصة الألوهية وشاهدنا التذبذب في علاقتهم بالإله، تارة يؤمنون به بصفته الإله المقدس الواحد العام، وتارة يؤمنون به بصفته الإله الشعبي الخاص باليهود، وكذلك يقال عند عقيدة البعث، فقد تعرضت للتذبذب تبعاً لظروفهم الخاصة ففي عصور التشرد والضنك وتبدد دولتهم يثبتون البعث والحساب بعد أن تمتلئ قلوبهم حقدًا على الحياة الدنيا والضيق بها والسخط مما يحدث لهم فيها، وهنا يلقون بأطماعهم إلى ما وراء هذه الحياة ويدفعون بأمالهم إلى حياة أخرى يلقون فيها ما لم يلقوه في الحياة الدنيا^(٥).

مع الناس باللين كما يرفضون الشرح الحرفي للتوراة المكتوبة، ويعترفون بالتوراة التي تلقاها موسى مشافهة....
Mehachem Mor, Jewish Sects and religious movement, (Omaha, Nebbaska. 1990), p.201.

(١) عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة، ص ٣٤.

(٢) عوض الله حجازي، مقارنة الألبان، ص ١١٩.

(٣) عبد الحق الإسلامي المغربي (من أحبار اليهود المغاربة الذين من الله عليهم بالإسلام في القرن السابع الهجري على أقوى الأقوال)، الحسام الممدود في الرد على اليهود، تحقيق وتعليق: د. عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ص ١٧٠-١٧١.

(٤) د. نبيل لوقا بباوي، الوحدة الوطنية وخطورة منافسة العقائد والغيبيات المقدسة في الإسلام والمسيحية واليهودية، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٧١.

(٥) عبد الكريم الخطيب، الله والإنسان، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢٥٤.

ويقول وال ديورانت في كتابه قصة الحضارة: "ولم تدر فكرة البعث في اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض"^(١).

وإذا كان الباحثون قد اجتهدوا في إثبات وجود قضية اليوم الآخر في التوراة سابقاً، من خلال عدة نصوص ضعيفة ومشتتة، فلا أخال إلا أن موضوع البعث واليوم الآخر قد امتلأت به صفحات التوراة قبل تزويرها، ليخرج التساؤل التالي: ما هو السبب الداعي للجوء إلى العبث بكل هذه النصوص، وإخفائها أو تشويهها بالصورة التي جعلت العثور على نص واحد في البعث أمراً عسيراً؟ وقبل الجواب على ذلك: لنتذكر أن حذف كل هذه النصوص في طول التوراة وعرضها يفترض أن لا يكون قد تم من قبل مزور واحد أو فترة واحدة أو حتى في عصر واحد، ولكن البديهي أن يقال أنها جملة موجهة من قبل كاتب التوراة أدت إلى تكامل الصورة بالشكل النهائي.

أما عن الجواب، أقول: لو أراد اليهود محو عقيدة البعث واليوم الآخر ونفيها لما اقروها وجعلوها ركناً من أركان دينهم !!

ولنترك براعة الأسلوب القرآني ليجيبنا، وهو يصف لنا بدقة متناهية حقيقة الاعتقاد والشعور اليهودي نحو اليوم الآخر والحساب، وهذا ما سوف يظهر لنا في المطلب اللاحق.

المطلب الأول: زعمهم أنهم لا يعذبون في النار إلا أياماً معدودة في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمْسَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

يقول ﷺ إخباراً عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم من أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة ثم ينجون منها، فرد الله سبحانه - عليهم ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ بذلك، فإن وقع عهد فإن الله سبحانه - لا يخلف عهده ولكن هذا لم يحدث ولم يكن، ولهذا أتى - كما يشير إلى ذلك ابن كثير - وبأم التي بمعنى بل، أي: بل تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه^(٣)، بإسناد هذا إلى كتابه بغير علم، والاستفهام للإنكار^(٤).

(١) وال ديورانت، قصة الحضارة، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٠.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٨١.

(٤) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١، ص ٦٩.

قال مجاهد عن ابن عباس: أن اليهود كانوا يقولون: أن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً في النار وإنما هي سبعة أيام معدودة فأنزل ﷺ: **﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾** (١). وفي رواية أخرى عن ابن عباس: "أن اليهود قالوا: لن تمسنا النار إلا أربعين ليلة، زاد غيره وهي مدة عبادتهم العجل (٢).

وقال الضحاك وابن عباس: زعمت اليهود أنهم وجدوا في التوراة مكتوباً أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم قالوا: إنما نعذب حتى ننتهي إلى شجرة الزقوم، فتذهب جهنم وتهلك (٣).

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة، قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ، شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: "أجمعوا لي من كان من اليهود ها هنا"، فقال لهم رسول الله ﷺ: "من أبوكم؟"، قالوا: فلان، قال: "كذبتكم بل أبوكم فلان" فقالوا: صدقت وبررت، ثم قال لهم: "هل أنتم صادقي على شيء إن سألتكم عنه؟"، فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبتك عرفت كذبنا كما عرفت في أبينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: "من أهل النار؟" فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: "أخسئوا والله لا نخلفكم فيها أبداً" ثم قال لهم رسول الله ﷺ: "هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟"، قالوا نعم يا أبا القاسم، قال: "هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟"، فقالوا: نعم، قال: "فما حملكم على ذلك؟"، فقالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضررك (٤).

وفي موضع آخر يقول ﷺ: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾** (٥).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ...﴾: إشارة إلى التولي والإعراض (٦) والذي دعاهم إلى ذلك افتراؤهم على الله فيما ادعوه لأنفسهم أنهم إنما يعذبون في النار أياماً معدودات (٧).

(١) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٤٧ الطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ١٧٥. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٨١. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ١٧١. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٣) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٤٨. والطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ١٧٢. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٢٤. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٨١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم؟، رقم (٢٩٩٨)، ج ٣، ص ١١٥٦. وأحمد في مسنده، ج ٢، ص ٤٥١.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٢٣، ٢٤.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٧٨.

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٣٢.

﴿وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يقول ابن كثير: "أي ثبتهم على دينهم الباطل ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم إلا أياماً معدودات، وهم الذين افتروا ذلك من تلقاء أنفسهم واختلقوه ولم ينزل الله به سلطاناً"^(١). ثم يقول -سبحانه- مهتدداً ومتوعداً هؤلاء اليهود **﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ﴾** والخطاب هنا للنبي ﷺ، أي كيف يكون حالهم وقد افتروا على الله الكذب، وكذبوا رسله، وقتلوا أنبياءه، والعلماء من قومهم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، فسوف يسألهم الله -تبارك وتعالى- عن ذلك كله ويحاسبهم ويجازيهم في يوم لا شك في وقوعه وكونه، ففيه **﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**^{(٢)(٣)}.

- في المصادر اليهودية:

يؤمن اليهود أن الله قد خلق لهم النار والجنة، ويعتقدون أنهم سوف يدخلون النار لأيام معدودة ليتطهروا فيها، وبعدها يستطيعون التلطف باسم الإله "يهوه"، ثم يدخلون الجنة الأبدية^(٤) يقول سفر زكريا: "... فأجيز هذا التلث في النار لأنقيته تنقية الفضة، وأمحصه كما يمحس الذهب هو يدعو باسمي وأنا استجيبه، أنا أقول: هو شعبي، وهو يقول: الرب إلهي"^(٥).

وهناك نص في العهد القديم يشير إلى أن غير اليهود -الذين يعتبرونهم كفاراً (الجويم)- سوف يكونون رماداً، أي ليس لهم جنة ولا نار لأنهما مقصوران على اليهود، يقول سفر ملاخي: "انظروا ها يوم القضاء مقبل، لاهب كتور يكون فيه جميع المستكبرين وفاعلي الإثم عصابة، فيحرقهم ذلك اليوم ولا يبقى لهم أصلاً، ولا فرعاً يقول الرب القدير، أما أنتم أيها المتقون اسمي فتشرق عليكم شمس البر حاملة في أجنحتها الشفاء فتطلقون متواثين كعجول المعلف، وتطأون الأشرار، إذ يكونون رماداً تحت بطون أقدامكم في اليوم الذي أجري فيه أعمالي، يقول الرب القدير"^(٦) وفي التلمود هناك نصوصاً أكثر وضوحاً تشير إلى الجحيم وإلى النعيم وليس إلى يوم القيامة والبعث تحديداً. فقد تحدث التلمود عن بعض أوصاف الجحيم الذي يعذب فيه العصاة، فمن الحاخامات من يرى أن الجحيم له ثلاثة أبواب: باب في البرية، وباب في البحر، وباب في أورشليم، ويذكر التلمود أيضاً أن نار جهنم لا سلطان لها على مذنب بني إسرائيل، ولا سلطان لها على تلاميذ الحكماء والحاخامات، ولكن بعض الحاخامات قالوا: إن الإسرائيليين الذين اقترفوا الذنوب سيذهبون مع الأجانب إلى نار جهنم، ويمكنون

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٧٩. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٣٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٥.

(٤) B.T. Tohoroth, 77B، وانظر أيضاً: Philip S., Alexander, Judaism, (Glasgow, 1984), p.120.

(٥) سفر زكريا: ١٣: ٩.

(٦) سفر ملاخي: ٤: ٢-٣.

فيها اثني عشر شهراً وسوف تحرق أرواحهم، وسوف تثير الرياح أجزائهم تحت أقدام نعال الصالحين^(١).

ونظراً لاعتقاد اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه فإنهم لا يمكنون في النار أبداً، وإنما هي فترة وجيزة يخرجون بعدها إلى الجنة، ورد في التلمود: "إن مصير الجميع من أبرار وأشرار إلى النعيم الخالد، فلأبرار ينعمون به بعد الوفاة مباشرة، والأشرار بعد استيفائهم الجزاء الذي حكم به عليهم، لأن القصاص الأبدي لم يفرض سوى على جرائم معدودة كالانتحار وتضليل الأمة"^(٢).

المطلب الثاني: زعم اليهود قصر الجنة عليهم في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَاتِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣).

أي: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وهو جمع "هائد" من قولهم: "إنا هدنا إليك" أي متبع اليهودية، فسموا باسم الجمع "هوداً" وبالمضارع "يهود" وأدخل عليه الألف واللام، فقيل: اليهود ويهود. وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً^(٤).

﴿تِلْكَ أَمَاتِيهِمْ﴾ التي يتمنونها في أنفسهم وهي جملة معترضة^(٥).

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ والبرهان: الدليل الذي يوقع اليقين، وجمعه براهين^(٦).

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في إيمانكم، أو في قولكم تدخلون الجنة^(٧)، والمعنى: قل لهم أيها الرسول هاتوا برهانكم على دعواكم إن كنتم صادقين فيها، فكل من يدعي شيئاً لا برهان له يحكم بكذبه، فكيف إذا قام البرهان على كذبه مثل هذه الدعوى التي هي افتراء على الله، بأن يحابي بعض خلقه بألقابهم،

(١) فرج الله عبد الباري، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء، ص ٢٨٧. نقلاً عن التلمود تاريخه وتعليمه، عبد الله الترجمان الأندلسي، دار النفائس، بيروت، ص ٧٩.

(٢) المصدر السابق، نقلاً عن: التلمود أصله وتسلله وآدابه، شوقي عبد الناصر، مطبعة العرب، ١٩٠٩م، ص ٢٤٣.

(٣) سورة البقرة، الآيتان ١١١، ١١٢.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٦٧٣. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١، ص ٨٩.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٦٧٤.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٣١٨.

(٧) المصدر السابق نفسه.

يظلم غيرهم ممن ليس لهم ذلك اللقب^(١).

(بَلَى) ردًا عليهم وتكذيبًا لهم، أي ليس كما تقولون، وقيل: أن **(بَلَى)** محمولة على المعنى: كأنه قيل: أما يدخل الجنة أحد؟ فقيل: **(بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ)**^(٢).

ومعنى **(أَسْلَمَ)**: أسلم وخضع، وإسلام الوجه لله: هو توحيده بالتوجه إليه وحده، وتخصيصه بالعبادة دون سواه، وخص الوجه بالذكر لكونه أشرف ما يرى من الإنسان ولأنه موضع الحواس، وفيه يظهر العزّ والذلّ، والعرب تُخبر بالوجه عن جملة الشيء، ويصح أن يكون الوجه في هذه الآية المقصد^(٣). **(وَهُوَ مُحْسِنٌ)** أي وهو مع توحيده الخالص محسن في أعماله.

(قُلْ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) في الآخرة وهو أن يدخله الجنة، فإن سبب دخولها الإيمان الصحيح والعمل الصالح. **(وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)** مما يأتي من العقاب. **(وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** على ما فاتهم في هذه الدار^(٤).

- في المصادر اليهودية:

يعتقد اليهود في مصادرهم أن الجنة خلقت لهم^(٥)، وإذا كان العهد القديم لم يحتوي على نصوص واضحة أو حتى إشارة صريحة تعبر عن عقيدة أو تصور لوجود جنة سماوية، مع العلم أن القرآن الكريم -كما رأينا- قد بين أن اليهود يعتقدون قصر الجنة عليهم وأنها خلقت لهم، فلدينا بعض النصوص في التلمود تتحدث عن الجنة ونعيمها، جاء فيه: "النعيم مأوى الأرواح الزكية، وماكل المؤمنين في النعيم هو لحم زوجة الحوت المملحة كما علمت، ويقدم لهم أيضًا على المائدة لحم ثور بري كبير جدًا كان يتغذى بالعشب الذي ينبت في مئة جبل، ويأكلون أيضًا لحم طير كبير لذيق الطعم جدًا ولحم أوز لذيق للغاية، أما الشراب فهو من النبيذ القديم المعصور ثاني يوم خليقة العالم"^(٦).

نلاحظ من خلال النص السابق وصف لطعام أهل الجنة وشرابهم، وكان اليهود على عهد رسول الله ﷺ يسألون عن طعام أهل الجنة وشرابهم ليروا مدى صدقه ﷺ ففي الحديث الذي رواه مسلم بسنده عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول رسول الله؟ فقال اليهودي، إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: "إن اسمي محمد الذي سماني

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١، ص ٨٩.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٣١٩.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ١٩٨. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٣١٩. و محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١، ص ٨٩، ٩٠.

(٤) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١، ص ٩٠.

(٥) Philip S, Alexander, Judaism, p.124.

(٦) B.T. Sanhedrin 80a

به أهلي" فقال اليهودي جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: أينفعك شيء إن حدثتك؟" قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: "سل" فقال اليهودي: أين يكون الناس (يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ)؟^(١) فقال رسول الله ﷺ: "هم في الظلمة دون الجسر"، قال فمن أول الناس إجازة؟ قال: "فقراء المهاجرين" قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: "زيادة كبد الحوت"، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: "من عين فيها تسمى سلسبيلا" قال: صدقت^(٢). ونحن نجد من خلال أسئلة اليهودي لرسول الله ﷺ أنه يسأل عن الجنة وطعام أهلها وشرابهم، وكلما أجاب الرسول ﷺ قال اليهودي صدقت، لأن إجابة الرسول ﷺ كانت موافقة لما يعتقد.

المطلب الثالث: عدم إيمان اليهود بالله، ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق في السياق القرآني والمصادر اليهودية:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٣). في هذه الآيات يبين الله ﷻ حكم قتال أهل الكتاب بل ويأمر بقتالهم إذا جمعوا أربع صفات هي السبب في عداوتهم للإسلام^(٤) وليس الأمر هنا بقتال أهل الكتاب فقط بل الأمر بقتال جميع الكفار إذا اتصفوا بهذه الصفات كذلك، ولكن خص أهل الكتاب بالذكر -كما يقول القرطبي- إكراماً لكتابهم، ولكونهم عالمين بالتوحيد، والرسول، والشرائع والملل، وخصوصاً ذكر محمد ﷺ وملته، فلما أنكروه، تأكدت عليهم الحجة وعظمت منهم الجريمة، فجعل للقتال غاية، وهي إعطاء الجزية بدلاً عن القتل، وهذا ما صححه القرطبي وقال "وهو الصحيح"^(٥) ولا بد من وجوب خضوعهم لحكم الإسلام ودفعهم للجزية ما داموا في داره مقابل حمايتهم، والسماح لهم بالعبادة على النحو الذي يريدون، وأجاز لهم الحكم فيما بينهم بشرعهم^(٦).

وهذه الأمور الأربعة التي أمر بقتال الذين لا يقيمونها، هي:

(١) أنهم لا يؤمنون بالله، وقد شهد القرآن بأن اليهود فقدوه بهدم أساسه وهو التوحيد، إذ هم قد اتخذوا

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من ...، رقم (٣١٥)، ج ١، ص ٢٥٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٤) المراغي، تفسير المراغي، ج ٤، ص ٧٥، ٧٦.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٦٢.

(٦) المراغي، تفسير المراغي، ج ٤، ص ٧٦.

أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، يشرعون لهم العبادات، ويحرمون ويحللون فيتبعوهم وبذلك أشركوهم في الربوبية^(١)، ومنهم من أشرك به في الألوهية، عندما قالوا عزيزاً ابن الله^{(٢)(٣)}.

(٢) أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر، يقول المارودي: "فإن قيل: فأهل الكتاب قد آمنوا بالله واليوم الآخر، فكيف قال ذلك فيهم: فيه جوابان: أ- أن إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بجميع حقوقه، فكانوا يتركون الإقرار بحقوقه كمن لا يقر به. ب- أنه ذمهم ذم من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر للكفر بنعمته، وهم في الذم بالكفر كغيرهم"^(٤).

(٣) أنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله: فاليهود لا يحرمون ما حرم في شرعهم الذي جاء به موسى ولا يلتزمون العمل بما حرم الله، فقد استحلوا أكل أموال الناس بالباطل كالربا وغيره، واتبعوا عادات المشركين في القتال والنفي ومفاداة الأسرى، فأباحوا جميع محرمات الطعام والشراب إلا ما ذبح للأصنام، وقد ثبت في كتبهم أن الله حرم عليهم الشحوم فأذابوها وباعوها، وأكلوا أثمانها، وحرم عليهم أشياء كثيرة فأحلوها^(٥).

(٤) أنهم لا يدينون دين الحق، لأن ما يتقلدونه ويدينون به إنما هو دين تقليدي وضعه لهم أساقفتهم وأخبارهم بأرائهم الاجتهادية وأهوائهم المذهبية، لا دين الحق الذي أوحاه الله إلى موسى وعيسى - عليهما السلام - فاليهود لم يحفظوا ما است حفظوا من التوراة التي كتبها موسى وكان يحكم بها هو والنبليون من بعده^(٦). ويشير الآلوسي أن المراد بالدين هنا هو دين الإسلام ناقلاً ذلك عن قتادة في قوله أن المراد بالحق هو الله تعالى ودينه الإسلام^(٧)، وهذا هو الصحيح فالإسلام هو دين الأنبياء جميعاً من آدم إلى محمد - عليه السلام -^(٨).

(حَتَّى يَغْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)، (عَنْ يَدٍ) أي مضمومين، قال قتادة: عن مهر، وقيل: عن "يد" عن إنعام منكم عليهم، لأنهم إذا أخذت منهم الجزية فقد أنعم عليهم بذلك.

- في المصادر اليهودية:

• **عدم إيمانهم بالله:** بينت في مبحث عقائد اليهود في الألوهية كيف أن اليهود لا يؤمنون بالله ﷻ

(١) سبق بيانه في مطلب اتخاذ اليهود والنصارى أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

(٢) المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٧.

(٣) سبق بيانه في مطلب قول اليهود عزيز ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -.

(٤) المارودي، النكت والعيون، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٥) المراغي، تفسير المراغي، ج ٤، ص ٧٧.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) الآلوسي، روح المعاني، ج ٥، ص ٢٧١.

(٨) سبق بيانه تفصيلاً في مبحث الإسلام دين الأنبياء جميعاً.

حق الإيمان، فهم لا ينكرون وجود الله ﷻ لكنهم لا يؤمنون به الإيمان الصحيح فقد وصفوا الله ﷻ بما لا يليق من الصفات... الخ^(١).

- **عدم إيمانهم باليوم الآخر:** كذلك بينت في مبحث عقائد اليهود في السمعيات اختلاف اليهود في إيمانهم باليوم الآخر بالحساب والعقاب وبالجنة والنار لكن الغالبية العظمى منهم يؤمنون باليوم الآخر لكنهم لا يؤمنون بالإيمان الحق الذي جاء به موسى ﷺ فقد غيروا الحقائق فقصروا الجنة والنار عليهم واعتبروا أنها مخلوقة لهم دون غيرهم، فهم بذلك لا يؤمنون باليوم الآخر حق الإيمان^(٢).
- **ولا يحرمون ما حرّم الله:** وهذا بينته في مطلب اتخاذهم أحبارهم أرباباً من دون الله، فقد أحل لهم أحبارهم ما حرّمه الله فاستحلوه، وحرّموا لهم ما حلّله الله فحرّموه فهم بذلك لا يحرمون ما حرّم الله^(٣).
- **لا يدينون دين الحق:** وذلك بانتسابهم للديانة اليهودية.

(١) يراجع مبحث عقائد اليهود في القرآن الكريم المتعلقة بالألوهية.

(٢) يراجع مبحث عقائد اليهود في القرآن الكريم المتعلقة بالسمعيات.

(٣) يراجع مطلب اتخاذهم أحبارهم أرباباً من دون الله.

الفصل الثالث

عقائد النصارى في القرآن الكريم وعلاقتها بكتبهم المقدسة

المبحث الأول

عقائد النصارى في القرآن الكريم المتعلقة بالألوهية وعلاقتها بالعهد الجديد

المطلب الأول : عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام أنه ابن الله في السياق القرآني والعهد الجديد.

المطلب الثاني : عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام أنه إله في السياق القرآني والعهد الجديد.

المطلب الثالث : عقيدة النصارى في مريم - عليها السلام - في السياق القرآني والعهد الجديد.

المطلب الرابع : عقيدة التثليث عند النصارى في السياق القرآني والعهد الجديد.

المطلب الخامس : حقيقة الروح القدس في السياق القرآني والعهد الجديد.

المطلب السادس : معجزات عيسى عليه السلام في السياق القرآني والعهد الجديد.

المطلب السابع : عقيدة صلب المسيح عند النصارى في السياق القرآني والصلب والفداء في العهد الجديد.

المطلب الثامن : عقيدة رفع عيسى عليه السلام في السياق القرآني وقيام عيسى عليه السلام بعد الصلب ورفع في العهد الجديد.

المطلب التاسع : اتخاذ النصارى الرهبان أرباباً من دون الله في السياق القرآني والعهد الجديد.

تمهيد:

يختلف مفهوم الألوهية عند النصارى عنه عند اليهود، رغم أن النصارى يؤمنون بالكتاب المقدس بقسميه العهد القديم والعهد الجديد، بعكس اليهود الذين يؤمنون بالقسم الأول من الكتاب المقدس. والعقائد النصرانية بدايةً تعتبر عقائد متطورة بتطور العصور والأزمان. والدليل على ذلك أنها كانت تقوم قبل انعقاد مجمع نيقية عام ٣٢٥م، والذي أقرت فيه عقيدة التثليث كانت تقوم على التوحيد^(١). وهذا التوحيد يظهر على لسان المسيح ﷺ الذي يرويهِ النص التالي: "... والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك، والذي أرسلته يسوع المسيح"^(٢).

والمتمعن في كلام المسيح ﷺ يرى أنه يؤيد التفسير الوارد عن الوجدانية^(٣) في التوراة تحديداً في سفر التثنية "اسمعوا يا بني إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد..."^(٤) فالمسيح ﷺ يقرر الوجدانية لله ﷻ... وأنه مرسل من عند الله، وهذا يدل على تطور عقائدهم التي أقرت في المجمع التي عقدوها. فبعد مجمع نيقية الذي أقروا فيه عقيدة التثليث، انعقد مجمع آخر يسمى المجمع القسطنطيني الأول عام ٣٨١م الذي أقروا فيه ألوهية الروح القدس^(٥). وبعده انعقد مجمع يسمى أفسس عام ٤٣١م وأقروا فيه أن مريم العذراء هي والدة الإله. وبعده انعقد مجمع خلقونيه عام ٤٥١م وأقروا فيه أن المسيح ﷺ له طبيعتان لاهوتية (إلهية) وناسوتية (إنسانية)^(٦)... إلى غير ذلك من المجمع، فتعدد هذه المجمع وما طرح فيها دليل على تطور هذه الديانة وتطور عقائدها.

والمطلع على الأنجيل الثلاثة الأولى المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا يجد أنها لا تحوي أية إشارة عن التثليث أو ألوهية المسيح أو ألوهية الروح القدس أو عقيدة الفداء، وهو تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً للخطيئة، أما ما جاء في إنجيل يوحنا من ذكر صريح لألوهية المسيح التي هي ركن أساسي من أركان التثليث فهذا الإنجيل برمته لا يُسلم به محققوا النصرانية، فعلماء النصرانية من أواخر القرن الثاني الميلادي أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري^(٧).

(١) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٤٩. محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، (حقائق ووثائق)، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٣م، ص ١٤٣. محمد وصفي، المسيح والتثليث، تقديم: محمد عبد الله السمان، مراجعة: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ص ٣١.

(٢) إنجيل يوحنا: ١٧: ٣.

(٣) محمد الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص ١٥.

(٤) سفر التثنية: ٦: ٤.

(٥) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٦٣.

(٦) المصدر السابق، ص ١٦٩-١٧٠. محمد البرشومي، المسيح بن الإنجيل والقرآن، الكتاب الذهبي، القاهرة، ص ٤٦.

(٧) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، دار الأنصار، القاهرة، ص ١٣. محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٦٢.

ويلقى الشيخ محمد أبو زهرة على ذلك بقوله: "إن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح أو هي كذلك في الزمان الأول للمسيحية قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل وهذه حقيقة يجب تسجيلها، وهي أن النصارى مكثت أنجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح، وبمعنى آخر أن الطبقة الأولى من معتنقي النصرانية إلى نهاية القرن الأول كانت تنكر ألوهية المسيح"^(١).

ويقرر الدكتور أحمد شلبي في كتابه (مقارنة الأديان) أنه كان يستحيل أن تهمل الأناجيل الثلاثة الأولى أساساً هو في الحقيقة أهم أسس الديانة النصرانية وهو ألوهية المسيح فلو أن الألوهية أصلاً في الديانة النصرانية لما كان من الممكن أن تهملها هذه الأناجيل الثلاثة^(٢).

وبالرغم من ذلك أستطيع القول أن العقيدة النصرانية المتعلقة بالألوهية وغيرها تنحصر في عدة عناصر، والتي بدون الإيمان بها لا يكون الشخص نصرانياً بالرغم من تجدد عقائدهم، وهذه العناصر هي:

١. ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس.
 ٢. تجسد الابن، وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً للخطيئة التي ارتكبها آدم أبو البشر.
 ٣. إن الإله الأب ترك للإله الابن حساب الناس على خطاياهم^(٣).
- وهذه العقائد ذكرها القرآن الكريم وأبطلها، وليس هذا فحسب بل أبطلها أيضاً الكتاب المقدس، ويظهر ذلك في ثانياً نصوص العهد الجديد، وبعض شذرات في نصوص العهد القديم. وهذا ما سوف يأتي بيانه في الصفحات القليلة القادمة بإذن الله تعالى.

المطلب الأول: عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام أنه ابن الله في السياق القرآني والعهد الجديد:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٤).

(١) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٦٧.

(٢) أحمد شلبي، مقارنة الأديان، قسم المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٧، ١٩٨٢م، ص ٢٠٨.

(٣) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ١١.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣٠.

في هذه الآية يبين الله ﷻ إفك وإفراء النصارى وعدوانهم عندما نسبوا لله ﷻ الولد بقولهم: **«وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ»** والمسيح هو عيسى ابن مريم بنت عمران -عليهما السلام-^(١) يقولون ذلك بألسنتهم من غير علم. يقول البغوي: قال أهل المعاني: "لم يذكر الله تعالى قولاً مقروناً بالأقواء والألسن، إلا كان ذلك زوراً"^(٢). وقولهم ابن الله أرادوا بذلك ابنه بطريق النسب لا بطريق التعظيم، -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(٣).

وفي موضع آخر يقول ﷻ: **«وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَكْدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ»**^(٤).

«وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَكْدًا سُبْحَانَهُ» اختلف أهل العلم فيمن نزلت هذه الآية على أربعة أقوال:

الأول: أنها نزلت في نصارى نجران حيث قالوا: عيسى ابن الله، قاله مقاتل.

الثاني: أنها نزلت في النصارى ومشركي العرب، لأن النصارى، قالت: عيسى ابن الله والمشركين قالوا: الملائكة بنات الله، ذكره إبراهيم بن السري.

الثالث: أنها نزلت في اليهود إذ جعلوا عزيزاً ابن الله، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها في اليهود والنصارى ومشركي العرب، ذكره الثعلبي^(٥).

وذهب أكثر المفسرين إلى القول بالقول الرابع أي أن المقصود بالذين قالوا هنا "هم النصارى، واليهود، ومشركو العرب"^(٦). فقد اجتمع هؤلاء بالقول بهذه الضلالة **«سُبْحَانَهُ»** "السُبْحَانُ" معناه التبرئة والتنزيه من كل سوء والمحاشاة من قولهم: اتخذ الله ولداً، بل هو الله تعالى واحداً في ذاته أحد في صفاته، لم يلد فيحتاج إلى صاحبه **«أَنْتَى يَكُونُ لَهُ وَكْدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ»**^(٧)، ولم يولد فيكون مسبوقاً، جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً^(٨).

وأخرج البخاري عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: "قال الله تعالى: كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشئني ولم يكن له ذلك، فأما تكذبه إياي، فزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شئني إياي،

(١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٣، ص ٣٠١.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٢٤١.

(٣) عصام الدين الحنفي، حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، ج ٩، ص ٢٠٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ١١٦.

(٥) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ١١٨.

(٦) الألوسي، روح المعاني، ج ١، ص ١٦١. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٣٣٣. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم،

ج ١، ص ٢٤١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٦٨٤.

(٧) سورة الأنعام، الآية ١٠١.

(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٣٣٣.

فقوله لي ولد، فسبحاني أن اتخذ صاحبه أو ولداً^(١).

ثم يحكم الله ﷻ بكفر من يقول بأن عيسى عليه السلام هو ابن الله في قوله جل وعلى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾^(٢).

فرد الله عليهم ذلك بحجة قاطعة بما يقرّون به، فقال: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي إذا كان المسيح يقول يا رب، وبالله، فكيف يدعو نفسه أم كيف يسألها؟ وهذا محال^(٣). وفي هذه حجة قاطعة على فساد قول النصارى وذلك لأن عيسى عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره من المخلوقات في أن دلائل الحدوث ظاهرة عليه^(٤).

﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ أي يعبد معه غيره، والإشراك أن يعتقد معه خالقاً^(٥). ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ فقد أوجب عليه النار وحرّم عليه الجنة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾^(٦).

- في العهد الجديد:

إن لفظ (ابن) (وَأَب) من الألفاظ الشائعة في الأناجيل، وتسمية المسيح في الأناجيل (أبن الله) وإطلاق لفظ (أب) على الله -جل وعلا- دعا الكنيسة إلى اتخاذ ذلك دليلاً على البنوة الحقيقية، ودفعها إلى اعتبار المسيح ابن الله حقاً^(٧) وقد ورد في العهد الجديد لقب (ابن الله) سبع وثلاثون مرة حيث استعمل هذا اللقب لعيسى عليه السلام ليدل على طبيعته الإلهية لأن بنوة عيسى لله تعطيه المساواة مع الإله الأب.

ولهذا فإن هذا اللقب في الديانة النصرانية يؤكد طبيعة عيسى الإلهية، وعندما يتحدث العهد الجديد عن طبيعة عيسى البشرية يطلق عليه لقب ابن داود^(٨) كما ورد في رسالة روما: "هذا الإنجيل الذي وعد الله به من قبل على السنة أنبيائه في الكتب المقدسة، وهو يختص بابنه الذي جاء من نسل

(١) رواه البخاري، في كتاب التفسير، باب سورة البقرة، رقم (٤٤٨٢)، ج ٤، ص ١٦٢٩.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٩٩.

(٤) أبو حفص الحنبلي، الباب، ج ٧، ص ٤٥٨.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٩٩. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ١٢٢.

(٦) سورة النساء، الآية ٤٨.

(٧) محمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ٨١. ومحمد الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص ٧.

(٨) The Illustrated Bible Dictionary M.G. Easton, 13. 602

داود من الناحية البشرية، ومن ناحية روح القداسة، تبين بقوة أنه ابن الله بالقيامة من بين الأموات أنه يسوع المسيح ربنا الذي به ولأجل اسمه نلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان بين جميع الأمم^(١).

وما ورد في إنجيل متى: "هذا سجل نسب يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم"^(٢).

وانذكر هنا بعض النصوص التي ورد فيها لفظ "ابن الله" و"أب" على سبيل المثال:

"ولكن لما جاء تمام الزمان، أرسل الله ابنه، وقد ولد من امرأة وكان خاضعاً للشرعية، ليحرر بالفداء أولئك الخاضعين للشرعية، فننال جميعاً مقام أبناء الله، منادياً: "أبا، يا أبانا" أنت لست عبداً بعد الآن، بل أنت ابن، وما دمت ابناً فقد جعلك الله وريثاً أيضاً"^(٣).

- "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد لا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب"^(٤).

- "كل شيء قد سُلِّم إلي من قبل أبي، ولا أحد يعرف من هو الابن إلا الأب، ولا من هو الأب إلا الابن ومن أراد الابن ان يعلنه له!"^(٥).

- "فالأب يحب الابن، وقد جعل في يده كل شيء، من يؤمن بالابن، فله الحياة الأبدية، ومن يرفض أن يؤمن بالابن، فلن يرى الحياة، بل يستقر عليه غضب الله"^(٦).

نلاحظ من خلال النص السابق أن من لا يؤمن ببنة عيسى لله لا يكون مؤمناً ولا يستحق الحياة، بل غضب الله عليه وهذه دعامة من دعائم الإيمان عندهم.

"ولكن يسوع قال لهم: "ما زال أبي يعمل إلى الآن، وأنا أيضاً أعمل! لهذا ازداد سعي اليهود إلى قتله، ليس فقط لأنه خالف سنة السبت، بل أيضاً لأنه قال أن الله أبوه، مساوياً نفسه بالله" فقال لهم يسوع: "الحق الحق أقول لكم أن الابن لا يقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، بل يفعل ما يرى الأب يفعله، فكل ما يعمل الأب، يعمل الابن كذلك، لأن الأب يحب الابن، ويريه جميع ما يفعله، وسيريه أيضاً أعمالاً أعظم من هذا العمل فتدهشون، فكما يقيم الأب الموتى ويحييهم كذلك يحيي الابن من يشاء، والأب لا يحاكم أحداً، بل أعطى الابن سلطة القضاء كلها، ليكرم الجميع الابن كما يكرمون الأب ومن لا يكرم الابن لا يكرم الأب الذي أرسله"^(٧).

نلاحظ من خلال النص السابق كيف أن بنوة المسيح لله تعطيه المساواة مع الإله الأب في

(١) الرسالة إلى مؤمني روما، ١: ٢-٥.

(٢) إنجيل متى: ١: ١.

(٣) الرسالة إلى مؤمني غلاطية: ٤: ٤-٧.

(٤) إنجيل مرقس: ١٣: ٣٢.

(٥) إنجيل لوقا: ١٠: ٢٢. وانظر أيضاً: إنجيل يوحنا: ١: ١٨.

(٦) إنجيل يوحنا: ٣: ٣٦.

(٧) إنجيل يوحنا: ٥: ١٧-٢٣.

الألوهية، حسب معتقدهم.

ولكننا إذا دققنا البحث في الأناجيل وجدنا هذه التسمية عامة تطلق على عيسى عليه السلام وعلى غيره، فقد روي عن المسيح أنه كان يقول: "طوبى لصانعي السلام، فإنهم سيدعون أبناء الله" (١).

وكذلك قوله: "تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات: فإنه يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين" (٢).

ومثله قوله: "فصلوا أنتم مثل هذه الصلاة، أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك" (٣).

وكذلك قول يوحنا: "تأملوا ما أعظم المحبة التي أحبنا بها الأب حتى صرنا ندعى "أولاد الله" ونحن أولاده حقاً، ولكن وبما أن أهل العالم لا يعرفون الله، فهم لا يعرفوننا، أيها الأحباء نحن الآن أولاد الله، ولا نعلم حتى الآن ماذا سنكون، لكننا نعلم أنه متى ظهر المسيح سنكون مثله، لأننا سنراه عندئذ كما هو..." (٤).

وفي موضع آخر في العهد الجديد "يقول الرب، ولا تلمسوا ما هو نجس، فأقبلكم وأكون لكم أباً، وتكونوا لي بنين وبنات" هذا ما يقوله الرب القادر على كل شيء" (٥).

وحسب معتقدهم يختلف معنى البنوة هنا عن معنى البنوة في حق المسيح عليه السلام فبديهي أن لفظ "أولاد، وأبناء، وبنات، أبنا" ليس معناه البنوة الحقيقية وإنما استعمل هذا اللفظ على سبيل المجاز وقصد بهذا اللفظ معنى (حبيب) على سبيل الاستعارة (٦). واستعمل في عيسى وفي أتباعه وفي كل مؤمن بالله غير كافر به (٧). وقد ادعاها كل من اليهود والنصارى جميعاً كما قال في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (٨).

ويؤيد هذا ما روي عن المسيح، في قوله لأتباعه: "لا أسميكم عبيداً بعد، لأن العبد لا يطلع عليه سيده على ما يفعله، ولكني قد سميتكم أحبباء لأنني أطلعتكم على كل ما سمعته من أبي" (٩).

(١) إنجيل متى: ٥ : ٩.

(٢) إنجيل متى: ٥ : ٤٥.

(٣) إنجيل متى: ٦ : ٩.

(٤) رسالة يوحنا الأولى، ٣ : ١-٢. وانظر أيضاً: الرسالة إلى مؤمني روما: ٨ : ١٤-١٧ و ٨ : ١٩. والرسالة الثانية إلى مؤمني كورنثوس: ٦ : ١٨، والرسالة إلى مؤمني فيلبي، ٢ : ١٥.

(٥) الرسالة الثانية إلى مؤمني كورنثوس، ٦ : ١٨.

(٦) محمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ٨١. ومحمد علي الخولي، حقيقة عيسى المسيح، دار الفلاح، عمان، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٣٢.

(٧) عبد الرحمن عبد الخالق، شهادة الإنجيل على أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ص ١٣. ومحمد الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص ٣٣٩.

(٨) سورة المائدة، الآية ١٨.

(٩) إنجيل يوحنا: ١٥ : ١٥.

ومما يؤيد ذلك أن المعنى مجازي ورود لفظ "أبناء إبليس" في ما رواه يوحنا بقوله: "إن هذا هو المقياس الذي نميز به بين أولاد الله وأولاد إبليس"^(١) وفي موضع آخر يقول يوحنا على لسان المسيح: "إنكم أولاد أبيكم إبليس، وترغبون أن تعملوا شهوات أبيكم"^(٢) وأبناء الأفاعي كما جاء في الإنجيل في وصف اليهود، والكل يعلم أنهم ليسوا أبناء الأفاعي من النسب ولا الشيطان من الصلب وإنما نسبوا إلى الأفاعي لمكرهم وإلى الشيطان لتبليسهم وكذبهم^(٣)، فاستعمالهم إذن للفظ "أولاد وأبناء الله" يريدون به أربعة معاني:

أولاً: أنهم أحباء الله: ويوضح ذلك ما جاء في قاموس الكتاب المقدس في معنى أب ما نصه: "... ولكن أبوه الله هذه بأنها نفس جوهر الذات الإلهية وبأنها وثيقة الصلة بالإنسان، في إنجيل المسيح فقط، فإننا نستخلص من كلمات وحياة يسوع أنه دعا الله "أباً" ليس لأنه الخالق أو الحاكم أو بسبب عهده مع إبراهيم ولكن لأنه يحبنا"^(٤) وهذا تصديقاً لما ورد في الآية الكريمة في قوله عز من قائل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾.

ثانياً: أما المعنى الثاني فهو علاقة بين الله وبين المؤمنين تتمثل بالنعم التي أنعمها الله عليهم: جاء في القاموس: "في هذه العلاقة الممتازة في القرب بين الأب يعتبر المؤمنون أبناء الله بمعنى خاص بهم دون غيرهم وهذه العلاقة ليست بحسب الطبيعة ولكنها بالنعمة"^(٥).

ثالثاً: أنها بنوة الهداية والإيمان والتشريف وهو ما يسمونه بالبنوة الروحية، ويقال في مقابلها أبناء الشيطان.

رابعاً: أنها بنوة النسب والابن الذي هو قطعة من أبيه، وبضعة منه^(٦).

وبالمحصلة فإن كانت هذه اللفظة (ابن، وأبناء الله) دائرة في المعنى بين بنوة التشريف والإيمان والتقديس والمحبة... وبين بنوة النسب والولادة، فإن هذه اللفظة هنا من المتشابه الذي يجب أن يحمل على المحكم الذي لا يتغير معناه واللفظ المحكم هو ما لا يكون معناه إلا واحداً ولا يختلف أهل اللسان فيه ولا أهل العقل حول حقيقة معناه^(٧).

والأمثلة السابقة التي أوردناها من الأناجيل ومن كتب رسل المسيح ^(عليه السلام) ما أريد بها إلا بنوة

(١) رسالة يوحنا الأولى، ٣: ١٠.

(٢) إنجيل يوحنا: ٨: ٤٤.

(٣) عبد الرحمن عبد الخالق، شهادة الإنجيل على أن عيسى ^(عليه السلام) عبد الله، ص ١٤.

(٤) قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، ص ١٨.

(٥) قاموس الكتاب المقدس، ص ١٨.

(٦) عبد الله عبد الرحمن، كتاب شهادة الإنجيل، ص ١٤.

(٧) المصدر السابق.

التشريف والتقديس والمحبة، وليس بنوة النسب والولادة بأي حال -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-، وهناك عدة مسائل لا بد من بيانها:

مسألة (١): المسيح ينهى عن تسميته (باين الله):

يذكر إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام كان ينهى الناس عن تسميته بهذا الاسم خوفاً من الخط والضلال، حيث يذكر لوقا أن المسيح كان ينهر الشياطين والمردة ويحاول منعهم من تضليل الناس بتسميته ابن الله، وذلك خوفاً من جهل العامة، وعدم تمييزهم، وخشية اعتقادهم بظاهر الكلام الذي ينافي العقل ويخالف حقيقة الأمر^(١).

ولبيان ذلك أذكر ما حكاه لوقا: "... وخرجت أيضاً شياطين من كثيرين، وهي تصرخ قائلة: "أنت ابن الله" فكان يزجرهم ولا يدعهم يتكلمون، إذ عرفوا أنه المسيح"^(٢).

وقد يقول قائل أن قول لوقا: "إذا عرفوا أنه المسيح" تفيد تفيد المعنى، وأن المسيح انتهرهم تواضعاً منه، لكن المقام لا يفيد ذلك مطلقاً، فمقتضى الحال يوجب التصريح بالحقيقة، ولو كان المسيح هو ابن الله بالمعنى الذي يريدونه، لما نهر الشياطين المضلة التي ليس التبليغ من شأنها، عن تكميته بالكنية اللازمة^(٣).

مسألة (٢): بطلان الاعتقاد ببنوة المسيح لله من خلال الكتاب المقدس:

أشرت سابقاً أن النصارى يعتقدون أن عيسى عليه السلام هو ابن الله -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-، وهذا الاعتقاد باطل بعدد من الأدلة في الكتاب المقدس أذكر منها ما يلي:

- (١) ورد في العهد القديم الذي يؤمن به النصارى النص التالي: "بمن تشبهون الله وبمن تقارنونهم"^(٤) وهذا السؤال ورد في موضع اللوم، فإله لا شبيه له ولا كفاء له إذ ليس له ابن لأن الابن يشابه أباه^(٥).
- (٢) ورد أيضاً في العهد القديم، قول الله عن نفسه: "فبمن إذا تقارنونني فأكون نظيره؟ يقول القديس"^(٦) فالنص يقرر أن لا شبيه لله، إذا لا ابن له، لأن وجود الابن يستلزم منطقياً وجود الشبيه^(٧).
- (٣) قال الله عن النبي سليمان: "لأنني اصطفيته لي ابناً وأنا أكون له أباً"^(٨). يقول النص أن سليمان ابن

(١) محمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ٨٣.

(٢) إنجيل لوقا: ٤: ٤١.

(٣) محمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ٨٤.

(٤) سفر أشعياء: ٤٠: ١٨.

(٥) محمد علي الخولي، حقيقة عيسى عليه السلام، ص ٣١.

(٦) سفر إشعياء: ٤٠: ٢٥.

(٧) محمد علي الخولي، حقيقة عيسى عليه السلام، ص ٣١.

(٨) سفر أخبار الأيام الأول: ٢٨: ٦.

الله والله أب لسليمان، ولم يقل أحد من النصارى بالرغم من أيمانهم بهذا النص أن الأبوة أو البنوة هنا حقيقية، وإذا من خلال ذلك لا يصح الاحتجاج بعبارات الأناجيل التي تتحدث عن بنوة عيسى على أنها بنوة حقيقية، فالتعبير كما يقولون مجازية، إذا ما الذي يمنع أن تكون بنوة عيسى الواردة في الأناجيل مجازية أيضاً.

وفي موضع آخر قال الله عن النبي داود: "أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً، إن انحرف أسلط عليه الشعوب الأخرى لأقومه بضرباتهم"^(١).

فأبوة الله لداود مجازية وبنوة داود لله مجازية ولم يقل أحد من اليهود والنصارى خلاف ذلك، وبالقياس فإن ألفاظ الأبوة والبنوة المتعلقة بالله وعيسى والواردة في الأناجيل هي مجازية أيضاً، ولا يعقل أن يكون اللفظ ذاته مجازياً إذا تعلق بسليمان وداود وسواهما وأن يكون غير مجازي إذا تعلق بعيسى^(٢). لذلك يجب فهم النصوص الواردة في الأناجيل التي تذكر أن عيسى هو ابن الله على نحو مجازي، أسوة بالنصوص السابقة التي ذكرت أن الله أبو سليمان وأبو داود وأبو الناس جميعاً ومن هنا لا بد لي من الوقوف عند النقاط التالية:

(١) قال عيسى عن نفسه وقال الناس عنه في مئات النصوص في الأناجيل أنه ابن الإنسان مثل: "أما ابن الإنسان فليس له مكان يُسندُ إليه رأسه"^(٣).

"ولكني قلت لكم لكي تعلموا أن لابن الإنسان على الأرض سلطنة غفران الخطايا"^(٤).

وبناءً على هذه النصوص أطرح السؤال التالي: كيف يكون عيسى عليه السلام ابن الإنسان وابن الله في وقت واحد؟

(٢) لو كان عيسى ابن الله لكان مثله في القوة، فكيف نفسر ما ترويه الأناجيل من أن عيسى اقتيد إلى التحقيق وأهين وضرب ولطم وصلب كما يروي إنجيل متى: "أجابوا: "يستحق عقوبة الموت" فبصقوا في وجهه، وضربوه، ولطمه بعضهم، قائلين: "تنبأ لنا، أيها المسيح من ضربك"^(٥).

لم ينصره أحد ولم ينصر نفسه، ولم ينصره أبوه!! ثم أين قوته وبنوته الله وهم يضربونه ويبصقون في وجهه ويهزؤون به؟

أن ما ترويه الأناجيل من ضعف عيسى عليه السلام وعجزه في ذلك الموقف ينفي أن يكون ابناً لله^(٦).

(١) سفر صموئيل الثاني: ٧: ١٤.

(٢) محمد علي الخولي، حقيقة عيسى عليه السلام، ص ٣٢.

(٣) إنجيل متى: ٨: ٢٠.

(٤) إنجيل متى: ٩: ٦. وانظر أيضاً: ١٢: ٤٠، و١٣: ٤٠-٤١ من نفس الإنجيل.

(٥) إنجيل متى: ٢٦: ٦٧، ٦٨.

(٦) محمد علي الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص ٣٦.

وهناك أمثلة كثيرة على بطلان هذه العقيدة، لكنني أكتفي بما ذكرت.

المطلب الثاني: عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام أنه إله في السياق القرآني والعهد الجديد:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

يبين الله ﷻ في هذه الآية كفر وضلال النصارى في ادعائهم ألوهية عيسى عليه السلام، ومعنى كلامهم هذا أنهم جعلوا حقيقة الإله الحق متحدة بحقيقة عيسى عليه السلام بمنزلة اتحاد الاسمين للمسمى الواحد، ومرادهم من ذلك امتزاج الحقيقة الإلهية في ذات عيسى عليه السلام^(٢).

قال البيضاوي في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا...﴾ هم الذين قالوا بالاتحاد منهم، وقيل: لم يصرح به أحد منهم، ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتاً وقالوا: لا إله إلا واحد، لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم، توضيحاً لجهلهم، وتقصيحاً لمعتقدهم^(٣). وقال بذلك أيضاً الآلوسي في روح المعاني^(٤).

وذكر الفخر الرازي في تفسير: أن هذا القول مبني على قاعدة الحلول والاتحاد وأنه مذهب النصارى وإن كانوا لا يقولونه أو لا يقوله أحد منهم^(٥).

ويقول محمد رشيد رضا: "أعلم أن أمثال الزمخشري والبيضاوي والرازي لا يُعتمد بما يعرفونه عن النصارى، فإنهم لم يقرؤوا كتبهم، ولم يناظروا فيها ولا يعرفون من عقائدهم إلا قليلاً، فجميع فرق النصارى هذا العصر تقول: إن الله هو المسيح ابن مريم، وأن المسيح هو الله -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- والظاهر أن النصارى الأولين لم يكونوا متفقين على هذه العقيدة كما قال مفسرنا"^(٦).

وأنا أرى ما رآه محمد رشيد رضا في قوله هذا، لأن جميع فرق النصارى تقول: "إن الله هو المسيح ابن مريم وهذا تصديقاً لقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وهذا سيتضح أكثر

(١) سورة المائدة، الآية ١٧.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٥٣.

(٣) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٨٣.

(٤) الآلوسي، روح المعاني، ج ٣، ص ١١٥.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ١٥٧، والرازي، التفسير الكبير، ج ٤، ص ٧٧. وقال بذلك أيضاً البغوي، تفسير البغوي، ج ٢،

ص ١٧. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٩٩. والحنبلي في الباب، ج ٧، ص ٥٨.

(٦) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٢، ص ٣٠٣.

عند حديثي عن هذه العقيدة ورجوعي إلى مصادرهم وبيان قولهم في عيسى عليه السلام.

ثم يقول ﷺ في تبكيت هؤلاء الناس ورد زعمهم ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي قل أيها الرسول لهؤلاء النصارى المتجربين على مقام الألوهية بهذا الزعم الباطل: من يملك من أمر الله وإرادته شيئاً، يدفع به الهلاك والإعدام عن المسيح وأمه، وعن سائر أهل الأرض، إن أراد ﷺ أن يهلكهم ويبيدهم؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ^(١).
﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ والظاهر أن هذه الجملة حالية، أي: فمن يملك من الله شيئاً إن أراد إهلاك المسيح وأمه، وأهل الأرض قاطبه والحال أنه هو صاحب الملك المطلق، والتصرف الاستقلالي الكامل في السماوات والأرض وما بينهما^(٢).

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض أحكام الملك والألوهية على وجه يزيل ما اعتراه من الشبه في أمر المسيح عليه السلام لولادته من غير أب، وخلق الطير، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، فهو يخلق أي خلق يشاؤه كيفما أراد ذلك^(٣).

- في العهد الجديد:

وبالعودة إلى مصادرهم المقدسة نرى أن هناك نصوصاً كثيراً يقررون فيها ألوهية عيسى عليه السلام ويتخذون من هذه النصوص سنداً في دعوهم ألوهية المسيح.

أشرت سابقاً أن الديانة النصرانية ديانة متطورة وبناءاً عليه فإن عقيدة ألوهية المسيح لم تكن موجودة في بداية نشأة هذه الديانة، خاصاً إذا عرفنا أن هذه الديانة امتلأت بكثير من الخرافات الممزوجة بالثقافات الوثنية التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في النصرانية وقتئذٍ كالمصريين، واليونانيين، والرومانيين، خصوصاً ما اتصل بالمسيح نفسه، فقد كان بعضهم يراه رسولاً ككل الرسل الذين سبقوه، وراه آخرون إلهاً، وراه فريق ثالث أنه ابن الله، له صفة القدم وكل واحدة تدعي أنها النصرانية الحق، واختلفوا في ذلك اختلافاً شديداً اضطر معه الإمبراطور قسطنطين، الذي قيل أنه اعترم الدخول في النصرانية، إلى عقد مجمع مسكوني في مدينة نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، والذي كان من أهم قراراته: تقرير ألوهية المسيح^(٤).

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٢) والطبري، جامع البيان، ج ٤، ص ١٦٥. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٣) الألويسي، روح المعاني، ج ٣، ص ٢٧١.

(٤) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٢٩. ومحمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٤٠ وما بعدها. وأحمد شلبي، مقارنة الأديان "المسيحية"، ص ١٢٠٨.

أما الأسس التي يستند عليها النصارى في الاعتقاد بألوهية المسيح فتتمثل في عدة نصوص اذكر منها^(١):

- (١) ما رواه متى في إنجيله حكاية عن رئيس الكهنة عندما سأل المسيح "ولكن يسوع ظل صامتاً، فعاد رئيس الكهنة يسأله، قال: "استحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟" فأجابته يسوع: "أنت قلت! وأقول لكم أيضاً منذ الآن سوف ترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة ثم آتياً على سحب السماء..."^(٢).
- (٢) ما رواه متى في إنجيله أيضاً عن الله: "وإذا صوت من السماوات يقول: "هذا هو ابني الحبيب، الذي به سررت كل سرور!"^(٣).
- (٣) وقول يوحنا في إنجيله في وصف المسيح: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة هو الله، هو كان في البدء عند الله"^(٤).
- (٤) "والكلمة صار بشراً، وخيم بيننا، ونحن رأينا مجده، مجد ابن وحيد عند الأب، وهو ممتلئ بالنعمة والحق"^(٥).
- (٥) وهناك نص يستند عليه النصارى في الاعتقاد بأن المسيح مساوٍ لله في الجوهر والذات وسائر الصفات اللاهوتية وهذا النص هو^(٦): "أنا والأب واحد"^(٧).
- (٦) ونص آخر يستندون عليه في الاعتقاد بأن المسيح (الأبن) مساوٍ لله (الأب) في القدرة والحكمة والمعرفة وهو: "فقال لهم يسوع: "الحق الحق أقول لكم أن الابن لا يقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، بل يفعل ما يرى الأب يفعله، فكل ما يعمل الأب، يعمل الابن كذلك، لأن الأب يحب الابن، ويريه جميع ما يفعله، وسيريه أيضاً أعمالاً أعظم من هذا العمل، فتدهشون، فكما يقيم الأب الموتى ويحييهم، كذلك يحيى الابن من يشاء، والأب لا يحاكم أحداً، بل أعطى الابن سلطة القضاء كلها، ليكرم الجميع الابن كما يكرمون الأب، ومن لا يكرم الابن لا يكرم الأب الذي أرسله"^(٨).
- (٧) ونصوص أخرى يستندون عليها في الاعتقاد بألوهية المسيح وتتضمن أن المسيح هو صورة الله،

(١) عبد الرحمن الباجه جي زادة، الفارق بين الخالق والمخلوق، تصحيح ومراجعة: عبد المنعم فرج درويش، ١٩٨٧م، حيث أفاض في ذكر هذه الأسس ونقدها، ص ٢٣٢ وما بعدها.

(٢) إنجيل متى: ٢٦: ٦٣، ٦٤.

(٣) إنجيل متى: ٣: ١٧.

(٤) إنجيل يوحنا: ١: ١، ٣.

(٥) إنجيل يوحنا: ١: ١٤.

(٦) محمد الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص ٣٣٦.

(٧) إنجيل يوحنا: ١٠: ٣٠.

(٨) إنجيل يوحنا: ٥: ١٩، ٢٣.

وأنة القدير، ويستندون إلى النصوص الآتية على كونه متجسدًا^(١):

- .. فإنما هو محجوب لدى الهالكين لدى غير المؤمنين الذين أعمى إله هذا العالم أذهانهم حتى لا يضيء لهم نور الإنجيل المختص بمجد المسيح الذي هو صورة الله^(٢).
- "فليكن فيكم هذا الفكر الذي هو أيضًا في المسيح يسوع، إذ أنه وهو الكائن في هيئة الله"^(٣).
- "هو صورة الله الذي لا يرى، والبكر على كل ما قد خلق إذ به خلقت جميع الأشياء: ما في السماوات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، أعروُشًا كانت أم سيادات أم رئاسات أم سلطات كل ما في الكون قد خلق به ولأجله هو كائن قبل كل شيء، وبه يدوم كل شيء..."^(٤).
- "فإنه فيه، جسدًا يحل الله بكل ملئته"^(٥).

"إلى غير ذلك من النصوص والأمثلة المتناثرة في الأناجيل التي يبني عليها النصارى اعتقادهم في ألوهية المسيح.

ويؤمن النصارى أن للمسيح ^{عليه السلام} طبيعتين طبيعة لاهوتية (إلهية) وطبيعة ناسوتية (إنسانية) ويستندون في ذلك على النص الذي يرويه إنجيل متى، عندما ركب يسوع المسيح بحر الجليل أظهر حينها طبيعتي لاهوته وناسوته مجتمعتين، وذلك بينما كان نائمًا هاجت الرياح، واضطربت الأمواج، فقام من النوم وأسكنها فساد هدوء عظيم، فبنومه أظهر ناسوته، وبتسكينه الأمواج والرياح أظهر لاهوته^(٦). ويظهر ذلك من خلال النص التالي: "ثم ركب القارب، وتبعه تلاميذه، وإذا عاصفة شديدة قد هبت على البحيرة، حتى كادت المياه أن تبتلع القارب، وكان هو نائمًا، فأسرع التلاميذ إليه يوقظونه قائلين: "يا سيد! نجنا إننا نهلك، فقال لهم: "لماذا أنتم خائفون، يا قليلي الإيمان؟" ثم نهض وزجر الريح والبحر، فساد هدوء تام، فتعجب الناس وقالوا: "تري، من هذا حتى أن الريح والبحر يُطيعانه؟"^(٧).

وهنا لا من بيان المسألة التالية:

مسألة "بطلان الاعتقاد بألوهية المسيح من خلال الكتاب المقدس. فهناك أدلة في الأناجيل بالإضافة إلى العهد القديم" تدل على بطلان الاعتقاد بألوهية المسيح عند النصارى انكر منها:

(١) محمد الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص ٣٥١.

(٢) الرسالة الثانية إلى مؤمني كورنثوس، ٤ : ٣ : ٤.

(٣) الرسالة إلى مؤمني فيلبي، ٢ : ٥ : ٦.

(٤) الرسالة إلى مؤمني كولوسي، ١ : ١٥ : ١٧.

(٥) الرسالة إلى مؤمني كولوسي، ٢ : ٩.

(٦) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح، ج ٣، ص ٨٤. محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٢٧. ورد

ابن تيمية في كتابه: على خرافة حلول (اللاهوت) في (الناسوت)، ج ٣، ص ٨٤ وما بعدها و ١٢٥ وما بعدها من نفس الجزء.

(٧) إنجيل متى: ٨ : ٢٣ : ٢٧.

(١) هناك العديد من النصوص التي تدل على وحدانية الله - سبحانه - وتبرهن على توحيد الإله الواحد، منها:

"اسمعوا يا بني إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد، فأحبوا الرب إلهكم من كل قلوبكم، نفوسكم وقوتكم" (١).

"لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب، الإله العظيم الجبار المهيّب" (٢).

"إن الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من تحت وليس إله سواه" (٣).

"هذا ما يقوله الرب القدير ملك إسرائيل وفاديه: "أنا هو الأول والآخر، ولا إله غيري" (٤).

ما ورد في الأناجيل والرسائل الملحقة بها:

وهناك أيضًا العديد من النصوص الواردة في الأناجيل المتداولة والرسائل الملحقة بها تدل على

الوحدانية، وتبرهن على توحيد الإله الواحد الفرد الأحد، أذكر منها:

"وتقدم إليه واحد من الكتب كان قد سمعهم يتجادلون، ورأى أنه أحسن الرد عليهم، فسأله: "آية

وصية هي أولى الوصايا جميعًا؟" فأجابه يسوع: "أولى الوصايا جميعًا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد - فأحب الرب إلهك بكل قوتك..." (٥).

"فرد عليه يسوع قائلاً: "قد كتب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد" (٦).

"يقول المسيح لتلاميذه: "أما أنتم فلا تقبلوا أن يدعوكم أحد: يا معلم، لأن معلمكم واحد، وأنتم

جميعًا أخوة، ولا تدعوا أحداً على الأرض أباً لكم: لأن أباكم واحد، وهو الأب الذي في السماوات، ولا تقبلوا أن يدعوكم أحد رؤساء، لأن رئيسكم واحد، وهو المسيح" (٧).

"أنت تؤمن أن الله واحد؟ حسناً تفعل" (٨).

نلاحظ من خلال هذه النصوص أن عيسى عليه السلام يقر باختصاص الله ﷻ وحده فقط بالألوهية وأنه

وسيط بين الله والناس باعترافه واعتراف بولس، صاحب مجموعة الرسائل الملحقة بالأناجيل.

(١) سفر التثنية: ٦: ٤، ٥.

(٢) سفر التثنية: ١٠: ١٧.

(٣) سفر التثنية: ٤: ٣٩.

(٤) سفر أشعيا: ٤٤: ٦. وانظر أيضًا: سفر التثنية: ٦: ١٣-١٤، وسفر التكوين: ١: ١. وسفر أشعيا: ٤٥: ٥-٨. وسفر صموئيل الثاني: ٧: ٢٢. وسفر ملاخي: ٢: ١٠. ومزمور: ٨٦: ١٠. ومزمور: ١٤٨: ١٣.

(٥) إنجيل مرقس: ١٢: ٢٨-٣٢.

(٦) إنجيل لوقا: ٤: ٨.

(٧) إنجيل متى: ٢٣: ٨-١١.

(٨) رسالة يعقوب: ٢: ١٩. وانظر أيضًا: الرسالة الأولى إلى تيموثاوس: ٦: ١٥-١٦. والرسالة إلى مؤمني أفسس: ٤: ٦.

جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس قوله عن الله والمسيح: "حتى يهبكم إله ربنا^(١) يسوع المسيح، أبو المجد، روح حكمة وإلهام: لتعرفوه معرفة كاملة"^(٢).

وورد في رسالة بولس إلى تيموثاوس، قوله: "فإن الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد، وهو الإنسان المسيح يسوع"^(٣).

نلاحظ من النص السابق أن بولس يذكر أن الإله واحد وأن يسوع المسيح هو إنسان ووسيط بين الله والناس أي رسول^(٤).

ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد نص في العهد الجديد دعى فيه المسيح ﷺ إلى عبادة نفسه^(٥) بل كان يدعو إلى عبادة الله الواحد كما هو واضح من خلال النصوص السابقة.

٢) هناك العديد من النصوص التي يصرح بها المسيح أنه نبي مرسل من عند الله، أذكر منها:

"والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك، والذي أرسلته يسوع المسيح"^(٦).

"من يقبلني يقبل الذي أرسلني"^(٧).

"لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"^(٨).

٣) كما أن هناك نصوصاً ورد فيها أن عيسى ﷺ نبياً أذكر منها:

ما ورد في الإصحاح الذي يحمل عنوان: "المرأة السامرية تتعرف بالمسيح: "فقلت له المرأة: يا سيد، أرى أنك نبي"^(٩).

"وعادوا يسألون الذي كان أعمى: "وما رأيك أنت فيه ما دام قد فتح عينيك؟" فأجابهم: "أنه نبي!"^(١٠).

"وقد قال موسى: سيبعث الله فيكم من بين إخوانكم نبياً مثلي فاسمعوا له في كل ما يكلمكم به"^(١١).

نلاحظ من هذا النص البشارة بالنبي عيسى ﷺ على لسان النبي موسى ﷺ.

(١) عبر بولس بالألوهية لله ﷻ بلفظ "الإله" وعبر عن المسيح بالرب، ويقصد به المعلم أو السيد. محمد الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص ٣٧١ في الحاشية.

(٢) الرسالة إلى مؤمني أمسس: ١: ١٧.

(٣) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس: ٢: ٥.

(٤) محمد الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص ٣٧٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٧٢.

(٦) إنجيل يوحنا: ١٧: ٣.

(٧) إنجيل متى: ١٠: ٤٠.

(٨) إنجيل متى: ١٣: ٢٤. وانظر أيضاً: إنجيل يوحنا: ٩: ٤، ٢: ٤٤-٤٥ من نفس الإنجيل. ومتى: ٢٧: ٤٦، ويوحنا: ١٢:

٤٩، ١٧: ١٨، ١٧: ٢٥، ٥: ١٤، ٤: ١٩، ٩: ١٧ من نفس الإنجيل. ومتى: ١٠: ٤٠.

(٩) إنجيل يوحنا: ٤: ١٩.

(١٠) إنجيل يوحنا: ٩: ١٧.

(١١) أعمال الرسل: ٣: ٢٢.

وهناك نص آخر يحمل نفس المضمون وجاء فيه:

"موسى هذا هو الذي قال لبني إسرائيل: سيبعث الله لكم من بين إخوانكم نبيا مثلي، وهو الذي كان يقود جماعة الشعب في الصحراء..."^(١).

"هذا هو يسوع النبي الذي من الناصرة بالجليل"^(٢).

"فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: "حقاً، هذا هو النبي الآتي إلى العالم"^(٣).

نلاحظ أن عيسى نفسه من خلال النصوص السابقة يقول أنه رسول ونبي أرسله الله، فكيف يكون إلهاً ورسولاً من الإله في الوقت ذاته.

٤) هناك عدة نصوص جاء فيها وصف المسيح عليه السلام بلفظ عبد أذكر منها ما يلي:

"هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي ابتهجته به نفسي"^(٤).

"ها هو عبدي يفلح، ويتعظم ويتعالى ويتسامى جداً..."^(٥).

"وعبدي البار يترر بمعرفته كثيرين ويحمل آثامهم، لذلك أهبه نصيباً بين العظماء، فيقسم غنيمة مع الأعراء، لأنه سكب للموت نفسه، وأحصى مع أئمة، وهو حمل خطيئة كثيرين، وشفع في المذنبين"^(٦).

وهناك مظاهر أخرى تشير إلى عبودية المسيح عليه السلام وردت في الأناجيل منها:

- أنه كان يصلي، والصلاة مظهر من مظاهر العبودية الدالة على بشريته، ويظهر ذلك من خلال النصوص التالية: "ثم ذهب يسوع وتلاميذه إلى بستان يدعى جثسيماني، وقال لهم: "أجلسوا هنا ريثما أذهب إلى هناك وأصلي...". وابتعد عنهم وارتمى على وجهه يصلي"^(٧).

"وكان يصلي في أحد الأماكن، فلما انتهى، قال له أحد تلاميذه: علمنا أن نصلي..."^(٨).

"ثم انطلق وذهب كعادته إلى جبل الزيتون، وتبعه التلاميذ أيضاً، ولما وصل إلى المكان قال لهم: "صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة"، وابتعد عنهم مسافة تقارب رمية حجر، وركع يصلي..."^(٩).

(١) أعمال الرسل: ٧: ٣٧-٣٨.

(٢) إنجيل متى: ٢١: ١١.

(٣) إنجيل يوحنا: ٦: ١٤. وانظر أيضاً: متى: ٢١: ٤٦، لوقا: ٧: ١٦.

(٤) سفر أشعياء: ٤٢: ١.

(٥) سفر أشعياء: ٥٢: ١٣.

(٦) سفر أشعياء: ٥٣: ١١-١٢.

(٧) إنجيل متى: ٢٦: ٣٦-٣٩.

(٨) إنجيل لوقا: ١١: ١.

(٩) إنجيل لوقا: ٢٢: ٣٩-٤١.

وفي اليوم التالي، نهض باكراً قبل الفجر، وخرج إلى مكان مقفر وأخذ يصلي هناك^(١).
 "وفي تلك الأيام، خرج إلى الجبل ليصلي، وقضى الليل كله في الصلاة لله"^(٢).

نلاحظ من خلال النصوص السابقة عدة إشارات تدل على كيفية صلاة المسيح عليه السلام مثل:
 "وركع يصلي"، "نهض باكراً عند الفجر"، "وارتمى على وجهه يصلي"... وهذه الإشارات لا تتشابه مع الصلاة التي يؤديها النصارى في الكنائس وإنما تتشابه إلى حد كبير مع الصلاة التي يؤديها المسلمون.
 ومن الأمثلة الأخرى على بطلان هذه العقيدة أيضاً:

١- عيسى الناصري، حيث ورد في إنجيل متى "أنه سيَدعى ناصرياً"^(٣) أي عيسى الذي يسكن في مدينة الناصرة شمال فلسطين فكيف يكون عيسى إلهاً ومنسوباً إلى مدينة الناصرة في الوقت ذاته أي كيف ينسب الله إلى مدينة؟.

١- أن عيسى ملك اليهود، ورد في الإنجيل قول المجوس سائلين عن عيسى: "أين هو المولود ملك اليهود؟"^(٤) كيف يكون عيسى إلهاً وملكاً لليهود في آن واحد؟ إن الله لجميع الناس وليس لشعب واحد فقط.

٢- كون المسيح مولوداً رضيعاً وصبيّاً، أما ميلاد المسيح فيرويه كتاب "ميلاد يسوع المسيح..."^(٥)
 فكيف يكون عيسى مولوداً وإلهاً في الوقت ذاته؟

أما كونه صبيّاً فيوضحه النص التالي: "وإذا النجم الذي سبق أن رأوه في الشرق، يتقدمهم حتى جاء وتوقف فوق المكان الذي كان الصبي فيه، فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً ودخلوا البيت فوجدوا الصبي مع أمه مريم فجنّوا وسجدوا له..^(٦) فكيف يكون عيسى إلهاً ورضيعاً في المهد في الوقت ذاته؟!^(٧).

٣- عيسى يتعمّد، والتعميد حسب العقيدة النصرانية هو للتطهير من الذنوب، ويظهر ذلك من خلال النص التالي: "ثم جاء يسوع من منطقة الجليل إلى نهر الأردن، وقصد إلى يوحنا يتعمّد على يده، فلما تعمّد يسوع صعد من الماء في الحال"^(٨) ويوحنا هو النبي يحيى، إذاً كيف يكون عيسى إلهاً ويطلب من يوحنا أن يظهره من الذنوب.

(١) إنجيل مرقس: ١: ٣٥.

(٢) إنجيل لوقا: ٦: ١٢. ووردت أيضاً في إنجيل متى: ٢٧: ٤٦، ٢٧:

(٣) إنجيل متى: ٢-٢٣.

(٤) إنجيل متى: ٢-٢.

(٥) إنجيل متى: ١: ١٨-٢٤.

(٦) إنجيل متى: ٢: ٩: ١١.

(٧) محمد الخولي، حقيقة عيسى والمسيح، ص ١١.

(٨) إنجيل متى: ٣: ١٣، ١٦.

٤- ونص يتحدث فيه عيسى عليه السلام عن الساعة وينسب العلم بها إلى الله سبحانه وحده في قوله: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد، لا الملائكة الذين في السماء ولا الابن، إلا الأب" (١). هنا ينفي عيسى عن نفسه علم موعد يوم القيامة، ويجعل علم ذلك اليوم خاصاً بالله وحده، وهذا ينفي الألوهية عن عيسى بلسان عيسى عليه السلام نفسه.

٥- ثم إن الله لا يكون إنساناً مطلقاً، لأن صفة الألوهية يستحيل عليها أن تجتمع في إنسان مطلقاً، وهذا بصريح الأسفار المقدسة التالية التي يؤمن بها النصارى (٢).

ما ورد بسفر هوشع قوله عن الله "لأنني لا إنسان" (٣).

وما ورد بسفر أيوب قوله عن الله: "لأنه ليس هو إنساناً مثلي فأجابه فتأتي جميعاً إلى المحاكمة" (٤).

وما جاء عند سفر صموئيل الأول قوله عن الله: "لأنه ليس إنساناً ليندم" (٥).

وما جاء في سفر العدد قوله: "ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم" (٦).

وعيسى عليه السلام أطلق عليه في أكثر من موضع بـ "ابن الإنسان" كما لم يدع عيسى نفسه بـ "الله"

أو "ابن الله"، بل دعا نفسه ابن الإنسان - كما سبق وأن أشرت - وهذا دليل على بشريته وبطلان دعوى ألوهيته.

هذه فقط بعض الأدلة من الأناجيل، وأسفار العهد القديم التي تبين بطلان اعتقاد النصارى بأن

عيسى هو الله أو ابن الله، فدحض ألوهية عيسى يتضمن دحض بنوته لله، لأن الابن من جنس الأب، فالأدلة السابقة تدحض أمرين معاً: ألوهية عيسى وبنوته لله.

المطلب الثالث: عقيدة النصارى في مريم - عليها السلام - في السياق القرآني والعهد الجديد.

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا

(١) إنجيل مرقس: ١٣: ٣٢.

(٢) محمد الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص ٣٦٤.

(٣) سفر هوشع: ١١: ٩.

(٤) سفر أيوب: ٩: ٣٢.

(٥) سفر صموئيل الأول: ١٥: ٢٩.

(٦) سفر العدد: ٢٣: ١٩.

أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»^(١).

في هذه الآيات يبرئ الله ﷻ ساحة عيسى عليه السلام مما نسبته إليه النصارى من الألوهية. قوله: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» اختلف المفسرون في وقت حدوث هذه المقالة، فقال قتادة وابن جريح وأكثر المفسرين: إنما يقول لسه هذا يوم القيامة^(٢). مستدلين بقوله تعالى: «يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ»^(٣) "وما بعده" «هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» والاستفهام في الآية الكريمة يُراد به التقرُّيع والتوبيخ لغير عيسى عليه السلام وهم المتخذون له ولأمه إلهين^(٤).

قال القرطبي رحمه الله: - "فإن قيل: النصارى لم يتخذوا مريم إلهًا، فكيف قال ذلك فيهم: فقيل: لما كان من قولهم أنها لم تلد بشرًا، وإنما ولدت إلهًا، لزمهم أن يقولوا: إنها لأجل البعضية بمثابة من ولدته، فصاروا حين لزمهم ذلك بمثابة القائِلين له"^(٥).

«قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ» أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلقى عيسى حجه ولقاءه الله في قوله: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» «سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ» الآية كلها، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح^(٦).

وبدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين: أحدهما: تنزيهاً له عما أضيف إليه. والثاني: خضوعاً لعزته وخوفاً من سطوته^(٧).

ثم قال: «مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ» أي: أدعي لنفسي ما ليس من حقها، يعني أنني مربوب ولست برب، وعابد ولست بمعبود ثم قال: «إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ» فرد ذلك إلى علمه تعالى، وقد كان عالماً به أنه لم يقله، ولكنه سأله عنه تقريراً لمن أخذ عيسى إلهًا^(٨).

- في العهد الجديد:

(١) سورة المائدة، الآية ١١٦.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج ٩، ص ١٣٣-١٣٤. والماوردي، النكت والعيون، ج ٢، ص ٨٧. وابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٤٦٣. والبيهقي، تفسير البغوي، ج ٢، ص ٨٠. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٣٠٠.

(٣) سورة المائدة، الآية ١٠٩.

(٤) أبو حفص الحنبلي، الثبايب، ج ٧، ص ٦١٨.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٣٠١.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه حديث، كتاب تفسير القرآن سورة المائدة، رقم (٣٠٦٢)، ج ٥، ص ٢٦. وقال الألباني صحيح الإسناد.

(٧) الماوردي، النكت والعيون، ج ٢، ص ٨٨. والحنفي، الثبايب، ج ٧، ص ٦٣٠.

(٨) الماوردي، النكت والعيون، ج ٢، ص ٨٨. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٣٠٢.

وبالعودة إلى الأناجيل لا نجد فيها نصوص تشير بشكل مباشر إلى تأليه لمريم -عليها السلام- لذلك نرى أحمد شلبي يقول: "والذي يطالع الأناجيل الأربعة بعناية وعمق لا يجد بها لمريم البتول أكثر مما أوردته المصادر الإسلامية، فليست لها قدسية خاصة، وكل ما تتاله من إجلال يرتبط بأنها أم عيسى، وليس في الأناجيل قط ما يثبت لها معجزات في حياتها، ولا أي دور من الدعوة"^(١).

إلا أن النصارى اتخذوا منحى آخر في موقفهم من مريم -عليها السلام- بحيث رفعوها إلى مقام الألوهية، وذلك من عدة وجوه:

أولاً: اعتبارها أم للإله، فهي حسب معتقدتهم لم تلد بشراً وإنما ولدت إلهاً^(٢). يقول ابن تيمية: "ومنهم من يجعل مريم إلهاً مع الله كما جعل المسيح إلهاً، فإن قالوا بذلك، جعلوا الله صاحبة وولداً، وجعلوا المسيح ابن مريم وأمه إلهين من دون الله، كما فعل ذلك من فعله منهم فإنهم يعبدون مريم، ويدعونها بما يدعون به الله ﷻ والمسيح ويجعلونها إلهاً كما يجعلون المسيح إلهاً، فيقولون: يا والدة الإله، اغفري لنا، وارحمنا ونحو ذلك: فيطلبون منها ما يطلبونه من الله ﷻ، ومنهم من يقول عن مريم: أنها صاحبة الله ﷻ"^(٣).

يقول الأب (ميغال برو) في كتابه: (يحيا المسيح الملك) في نص يظهر فيه الدعاء والصلاة لمريم البتول: "قأبذل جهدي في أن أقدم لها شيئاً روحياً شيئاً ناعماً يتألق بالجمال... آه! فأنا لا أتحير في التفتيش عما أستطيع تقديمه، أصلي إلى العذراء، وهي نفسها تضع بين يدي بحب جزيل والدي الهدية التي يجب عليّ أن أرفقها إليها".

ونص آخر يقول فيه: "سوف تدفع لي ثمن خطئك، سوف أشكو إلى العذراء أنك كنت بعطائك مبذراً أيضاً"^(٤)، فهذا التوجه إليها من قبلهم بالدعاء والصلاة، هو شكل من أشكال التأليه لها.

ثانياً: اتفاق النصارى على شفاعتها لهم وتكفيرها للذنوب والخطايا وقد ذكر ابن القيم رحمه الله -ذلك وذكر مثلاً من دعائهم: إذ يقولون: "يا والدة الإله اشفعي لنا" فهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين، ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة"^(٥).

(١) أحمد الشلبي، مقارنة الأكيان المسيحية، ص ١٠١.

(٢) محمد البرشومي، المسيح بين الإنجيل والقرآن، ص ٤٨.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٣، ص ١٩٣. وتوسع ابن تيمية في مناقشة هذه المسألة، للاستزادة يراجع، ج ٣، ص ١٩٣-١٩٦.

(٤) الأب ميغال برو (١٨٩١-١٩٢٧) للأب أميل الحاج البولسي، يحيا المسيح الملك، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٢٤٠، ٢٤١.

(٥) ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص ٤٨١.

وهناك نص آخر من دعائهم يسألونها فيه الشفاعة يقولون فيه: "... أيها العذراء القديسة ووالدة الله أمي وشفيعتي، إني أمنع ذاتي تحتسب ذيل حمايتك، وانطرح بكل اتكال في حضن رحمتك، فكوني يا أم الجود ملجئي في احتياجي وتعزيتي في أتعابي، وشفيعتي عند ابنك..."^(١).

ثالثاً: الظهور المريمي بمعنى ظهور مريم العذراء للناس بين حين وآخر في الوقت الحاضر، حيث يدعي النصارى من فترة لأخرى أن السيدة العذراء تظهر للناس وتشفى من الأمراض في العشر سنوات الأخيرة.

فكان الظهور الأول حسب ادعائهم في غابات نيويورك، كما ادعى الأقباط أنها ظهرت في مصر في كنيسة مريم وراها الناس، وهذا من قبيل التآليه.

يقول أحمد شلبي ناقلًا عن باحث نصراني أوروبي يدعى Otto Meinardus يعرض هذه المسألة في كتابه^(٢) فيقول: "في شهر مارس سنة ١٩٦٨م صرخت كنيسة العذراء بالزيتون بشارع "طوممان باي" صرخة مدوية بأن العذراء ظهرت بها، وأنها تشفى المرضى وتعيد الأبصار للعميان، وقد سمع بهذه الصرخة آلاف من المصريين فاتجهوا ليروا هذا الأمر الجلل، ولم تقتنع القبادة المسيحية بمصر بأن يُذاع مثل هذا الخبر دون توثيق فأرسل البطريرك "كرولس السادس" مطران بني سويف ليرى ذلك بنفسه وليعلنه بصفة رسمية، وفي الثاني من أبريل أعلن هذا المطران ظهور العذراء في هذه الكنيسة، وأنها ظهرت عدة مرات بحجمها الطبيعي، أو ظهر النصف الأعلى منها، وقد أذاع المطران هذا الإعلان في مؤتمر صحفي ذاكراً أنه رأى العذراء بنفسه، وأن آلاف الناس رأوا ذلك معه..."^(٣).

المطلب الرابع: عقيدة التثليث عند النصارى في السياق القرآني والعهد الجديد:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٤).

(١) فرج الله عبد الباري، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٢٠.

(٢) أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٠٢ نقلاً عن كتاب: Otto Meinardas: Christian Egypt: faith and Life, p265.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٥.

(٤) سورة النساء، الآية ١٧١.

في هذه الآيات ينهى الله ﷻ أهل الكتاب وبالأخص النصارى لأنهم تجاوزوا الحد في شأن عيسى ﷺ حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة، إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله، يعبدونه، كما يعبدون الله ﷻ^(١)، ففي الحديث الذي رواه البخاري عن الحميدي، عن سفيان بن عيينه، عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله"^(٢).

والغلو: هو التجاوز في الحد^(٣). قال المفسرون: "غلت النصارى في عيسى ﷺ حتى جعلوه رباً"^(٤)، والتقدير: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ» من النصارى «لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ» أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح^(٥). «وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ» أي لا تفتروا على الله وتجعلوا له صاحبة أو ولداً أو شريكاً^(٦) - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-.

ثم بين ﷺ حال عيسى ﷺ وصفته فقال: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ» فقلوه ﷺ: «عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» تدل على أن من كان منسوباً بوالدته كيف له أن يكون إلهًا. وحق الإله أن يكون قديماً لا محدثاً^(٧). أما في شأن تسمية مريم -عليها السلام فيقول القرطبي: "لم يذكر الله ﷻ امرأة وسمّاها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران، فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعاً لحكمة ذكرها بعض الأشيخ، فإن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في الملأ، ولا يبتذلون أسماءهم، بل يُكنون عن الزوجة بالعرس والأهل والعيال، ونحو ذلك، فإن ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن، ولم يصونوا أسمائهن عن الذكر والتصريح بها، فلما قالت النصارى في مريم ما قالت، وفي ابنها صرح الله باسمها، ولم يكن عنها بالأموة والعبودية التي هي صفة لها، وأجرى الكلام على عادة العرب في ذكر إمائهم"^(٨). وكَلِمَتُهُ ألقاها إِلَى مَرْيَمَ والكلمة: أي مكوّن بكلمة "كن" فكان "بشراً من غير أب"^(٩)، والعرب تُسمي الشيء باسم الشيء، إذا كان صادراً منه^(١٠). والكلمة هي التي جاء بها جبريل إلى

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٨٨٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء باب الطيب للجمعة، رقم (٣٤٤٥)، ج ٨، ص ٥٥٢.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٣، ص ١٨٥. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٢٩.

(٤) انيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ٢، ص ١٤٢. البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٥٠٢ وابن الجوزي، زاد

المسير، ج ٢، ص ٢٦٠. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٢٩.

(٥) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٣، ص ١٨٦، الحنبلي، اللباب، ج ٧، ص ١٤٣.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٨٨٣. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٣٠.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٣٠.

(٨) المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٣٠.

(٩) أبو حفص الحنبلي، اللباب، ج ٧، ص ١٤٤.

(١٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٣١.

مريم، فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام. وإلى هذا مال ابن كثير فيقول معلقاً على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾: "إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له كن فيكون، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم، أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه ﷻ، فكان عيسى بإذنه ﷻ، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب ذراعها، وهو قول عن ابن عباس. فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب، والأم، والجميع مخلوق لله ﷻ ولهذا قيل لعيسى: أنه كلمة الله وروح منه. لأنه لم يكن له أبو تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل عليه السلام"^(١). قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٤).

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن صدقة بن الفضل، عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: "من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"^(٥).

"ومن" في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ هي لابتداء الغاية، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾^(٦) أي من خلقه ومن عنده، وليست "من" للتبعيض كما تقول النصراني. ومعنى "روح منه" أي أنه مخلوق من روح مخلوقه وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله^(٧).

(١) السمرقندي، أبو الليث ناصر إبراهيم (ت ٨٣٧٥هـ)، تفسير السمرقندي المعروف ببحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، منشورات دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م، ج ١، ص ٤٠٧. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٨٨٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥٩.

(٣) سورة التحريم، الآية ١٢.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٩١.

(٥) صحيح البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، رقم (٣٤٣٥)، ج ٨، ص ٥٤٢. ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم (٢٨)، ج ١، ص ٧١.

(٦) سورة الجاثية، الآية ١٣.

(٧) البيهقي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٥٠٢. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٨٨٣. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٣١.

في قوله تعالى: **(هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ)** ^(١)، وفي قوله تعالى: **(وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ)** ^(٢).

(فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) أي فصدقوا بأن الله واحد أحد، خالق المسيح ومرسله، وآمنوا برسله ومنهم عيسى، فلا تجعلوه إلهاً.

ولهذا قال تعالى: **(وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً)**، أي لا تقولوا آلهتنا ثلاثة، قاله الزجاج ^(٣). والمخاطب بقوله: **(وَلَا تَقُولُوا)** خصوص النصارى ^(٤).

ويشير القرطبي والزمخشري والرازي إلا أن النصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث ويقولون: إن الله جوهر واحد وله ثلاثة أقانيم ^(٥)، فجعلوا كل أقنوم إلهاً، ويعنون بالأقانيم الوجود والحياة والعلم، وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن والروح القدس، فيعنون بالأب الوجود، وبالروح الحياة والابن المسيح ^(٦). وبهذا قال الزجاج ^(٧).

قال الطبرسي: "وقول الزجاج لا يصح لأن النصارى لم يقولوا بثلاثة آلهة ولكنهم يقولون إله واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس، ومعناه لا تقولوا الله ثلاثة أب وابن وروح القدس، وقد شبهوا قولهم جوهر واحد ثلاثة أقانيم بقولنا سراج واحد، ثم تقول: ثلاثة أشياء دهن وقطن ونار وشمس واحدة وإنما هي جسم وضوء وشعاع وهذا غلط بعيد لأننا لا نعني بقولنا سراج واحد إنه شيء واحد بل هو أشياء على الحقيقة وكذلك الشمس كما تقول عشرة واحدة وإنسان واحد ودار واحدة وإنما هي أشياء متغايرة فإن قالوا أن الله شيء واحد وإله واحد حقيقة قولهم ثلاثة متناقضة، وإن قالوا أنه في الحقيقة أشياء مثل ما ذكرناه في الإنسان والسراج وغيرهما فقد تركوا القول بالتوحيد والتحقوا بالمشبهة وإلا فلا واسطة بين الأمرين" ^(٨).

(١) سورة الأعراف، الآية ٧٣.

(٢) سورة الحج، الآية ٢٦.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٣، ص ١٨٧. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٨٨٣. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٣٣.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٥٤.

(٥) أقانيم: جمع أقنوم ومعناه الأصل، وهو لفظ رومي. ينظر القاموس مادة (قنم).

(٦) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٥٨٥. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ١١، ص ١١٦. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٣٣.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٣٣.

(٨) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٣، ص ١٨٧.

(انتهوا) أي امتنعوا عن هذه المقالة الشنيعة يكن **(خَيْرًا لَكُمْ)** **(إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ)** أي ليس كما تقولون إنه ثالث ثلاثة لأن من كان له ولد أو صاحبة لا يجوز أن يكون إلهاً معبوداً ولكن الله الذي له الألوهية وتحق له العبادة، إله واحد لا ولد له، ولا شبه له، ولا صاحبة له، ولا شريك له^(١). ثم نزه ﷻ نفسه عما يقوله المبطلون فقال: **(سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ)** أي تنزيهاً عن أن يكون له ولد^(٢) **(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)** أي الجميع ملكه وخلقه، وجميع ما فيها عبده وهم تحت تدبيره وتصريفه ومن جملة ذلك عيسى وأمه فكيف يكون المملوك والمخلوق ابناً للمالك والخالق **(وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)** أي كفى بالله وكيلاً لأوليائه، حافظاً لأعمال عباده حتى يجازيهم عليها، وفي ذلك تسلياً للرسول ﷺ ووعيد للقائلين فيه سبحانه بما لا يليق^(٣).

ثم أكد الله ﷻ بالقسم كفر من يقول بالتثليث في آية واضحة وصريحة من سورة المائدة فيقول تبارك وتعالى: **(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ...)**^(٤) قال مجاهد وغير واحد أن هذه الآية نزلت في النصارى خاصة لأنهم يقولون أن الله ثالث ثلاثة من وجهين:

الأول: ما قاله السدي: أنهم يقولون أن الألوهية مشتركة بين الله، ومريم، وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله. ويؤكد ذلك قوله تعالى: **(أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)**^(٥) فقوله: **(ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ)** أي: أحد ثلاثة، وواحد من ثلاثة آلهة، يدل عليه قوله تعالى في الرد عليهم: **(وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ)**^(٦) قال ابن عباس: يريد بالتثليث الله ﷻ وصاحبه وابنه^(٧). الثاني: قولهم بالأقانيم الثلاثة أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس، وهو ما وضحناء في الآية السابقة في قول القرطبي والطبرسي.

(١) المصدر السابق.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٣٦.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٣، ص ١٨٨. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٨٨٤. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٣٦.

(٤) سورة المائدة، الآية ٧٣، ٧٤.

(٥) سورة المائدة، الآية ١١٦.

(٦) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٥١. وأبو حفص الحنبلي، اللباب، ج ٧، ص ٤٥٩.

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٨٨٣.

يقول صاحب اللباب: "وزعموا أن الأب إله، والابن إله، والروح إله. والكل إله وهذا باطل ببديهية العقل، فإن الإله لا يكون إلا واحداً، والواحد لا يكون ثلاثة، وليس في الدنيا مقالة أشد فساداً، وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى^(١).

ثم يقول تعالى إذا عليهم: **(وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ)** أي ليس متعدداً، بل هو إله واحد لا شريك له، إله جميع الكائنات، وسائر الموجودات^(٢).

ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً: **(وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ)** من هذا الافتراء الكاذب **(لَيَمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابَ أَلِيمٌ)** والمعنى: وإن لم ينتهوا عن قولهم بالتثليث، ويتركوه، ويرجعوا إلى القول بتوحيد الله ﷻ، فوالله ليصيبنهم بكفرهم عذاب شديد الألم في الآخرة، فوضع سبحانه **(الَّذِينَ كَفَرُوا)** موضع الضمير ليثبت أن ذلك القول كفر بالله، وأن هذا الكفر هو السبب في العذاب الذي توعدهم به، دون من تاب وأناب إلى الله تعالى^(٣).

فقوله "منهم" تدل على أن كثير منهم تابوا عن النصرانية، فخص الذين كفروا لعلمه ﷻ أن بعضهم يؤمن^(٤).

ثم يقول جل وعلا: **(أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**^(٥) وهذا ما كرمه ﷻ وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم، وهذا الافتراء والكذب والإفك، يدعوه إلى التوبة والمغفرة، فكل من تاب إليه تاب عليه ﷻ^(٦).

- في العهد الجديد:

تعتبر عقيدة التثليث في الديانة المسيحية ملخص الإيمان في الإله. فالمسيحيون بجميع مدارسهم يأكدون أن الإله في المسيحية له ثلاثة أشكال كأب، فهو رب تاريخ الخلاص، وهو رب في شكل عيسى وهو الابن وهو أيضاً الروح القدس. وبمعنى آخر هو واحد في الجوهر ولكنه ثلاثة في الأشخاص أو الأقانيم، الأب والابن والروح القدس^(٧).

وعقيدة الثالوث كانت معروفة عند المصريين القدماء^(٨) فقد عبدوا ثلاثة آلهة، شاركهم في ذلك

(١) أبو حفص الحنبلي، ج ٧، ص ٤٦٠.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ١٢٢.

(٣) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٢، ص ٣٦٨.

(٤) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٩٩، وأبو حفص الحنبلي، اللباب في علم الكتاب ج ٧، ص ٤٦١.

(٥) سورة المائدة، الآية ٧٤.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ١٢٣.

(٧) Britannica, The New Encyclopaedia, Vol. 16, pp281-2a (٧)

(٨) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٢٧. وأحمد شلبي، المسيحية، ص ١٣٢.

البوذيون والبراهمة، فالمصريون على سبيل المثال عبدوا الإله (آمون) ذو الثلاثة أقانيم، وهي: آمون: الأب، كونس: الابن، مون: الأم.

والبوذيون عبدوا بوذا كإله ذو ثلاثة أقانيم ويسمونه (فو) ويقولون أنه ولد من العذراء (مايا) وأنه ظهر في الأرض بالناسوت، لينقذ العالم من خطاياها...^(١).

والبراهمة كذلك تقوم عقيدتهم على التثليث ويطلقون عليها اسم (تري مورتى) أي الثلاث هينات أو الثلاثة أقانيم، ويسمونها عندهم (براهما وفشنو وسيفا) ويقولون أن هذه الأقانيم الثلاثة إله واحد، ويسمي البراهميون فشنو كذلك (كرشنا) ويقولون أنه ولد من العذراء (ديغاكى) والدة الإله ويقولون أن الإله تجسد ليخلص العالم من الخطايا اللاحقة به، والآثام التي تدخله الجحيم^(٢).

إذا ما هو التثليث أو الأقانيم الثلاثة في الديانة النصرانية التي كانت تقوم في بادئ الأمر على التوحيد^(٣) وما هو تاريخ تقرير هذه العقيدة؟

لقد تم وضع قانون الإيمان النالوثي في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية بمعرفة القساوسة المجتمعين هناك، فهم الذين صاغوه، وهم كذلك الذين قدموه عقيدة للشعوب النصرانية مفروضا عليهم من السلطان قسطنطين قيصر الرومان^(٤).

وتقوم فكرة التثليث على ما يلي:

الإيمان بإله واحد مؤلف من ثلاثة أقانيم، الأب والابن والروح القدس، وهذه الثلاثة أقانيم ظواهر لحقيقة واحدة، واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد، ويشبهون هذه الظاهرة بقرص الشمس ونورها وحرارتها. أ) فالأب لاهوت وهو الخالق.

ب) والابن جمع بين اللاهوت والناسوت وهو الفادي.

(١) محمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ١٣٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٣) النصراني أعظم الناس اختلافاً في دينهم، لذلك قبل تقرير عقيدة التثليث كان منهم الموحدون الذين يؤمنون أن عيسى بن مريم هو رسول الله فقط ولم يزد على أنه رسول الله خلق بأمر الله وكلمته كن، وهو روح الله أيده بالمعجزات وأرسله إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته، وهؤلاء تعرضوا للاضطهاد الشديد من قبل قياصرة الروم، وأحرقوا كتبهم وأناجيلهم، واضطهدوهم حتى أبادوهم إلا قليلاً، وخاصة بعد أن دخل قسطنطين القيصر الروماني في النصرانية بعد أن كان وثنياً وأيد الرأي بالوهمية المسيح، حتى يقرب المسيحية من وثنيته لذلك فرضها في ممالك الدولة الرومانية الواسعة بعد انعقاد مجمع نيقية. وفرض هذا الدين الجديد بقوة السلاح والقانون، وهكذا بدأ يتناقص عددهم، حتى إذا بعث رسول الله ﷺ لم يكن قد بقي إلا عدد قليل من أمثال هؤلاء كالنجاشي، ملك الحبشة الذي تلبث عليه الآيات الأولى من سورة مريم فقال أن هذا الذي جاء به محمد والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، ومثل ورقة ابن نوفل. انظر: عبد الرحمن عبد الخالق، شهادة الإنجيل على أن عيسى عبد الله ورسوله، ص ٦٠، ٦١.

(٤) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٢٨.

(ج) والروح القدس لاهوت محض وهو المظهر المنبثق من الأب، والناظر إلى هذه الثلاثة بجدها منفصلة، ولكنهم يقولون إنهم إله واحد، ويقولون إنهم ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة^(١).

وهذا أمر معقد لا يستقيم مع العقل والمنطق السليم، لذلك يقولون أن هذه العقيدة فوق العقل. يقول الأب وهيب عطا الله جرجس: "... أن في ديانتنا أسرار نؤمن بها ونقبلها بكل يقين وإيمان لا شيء إلا لأنها قد أعلنت لنا من الله، ونحن نؤمن بها على الرغم من معارضتها لحواسنا ومناقضتها لعقلنا المادي..."^(٢).

وشرح معنى التثليث حسب معتقدهم، هو أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس فالأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير، وهذه العناصر متلازمة لذات الخالق، ومعنى هذا توحيد الإله في جوهره وحدوث العالم بقدرته المفردة، فالأب كالشمس والابن نورها الذي يسطع على وجه الأرض، وأما روح القدس فالشعاع الذي يصل ما بين النور ومصدره، ورأس هذا الثالوث هو الله الأب بطريق العقل، والابن هو كلمته التي أرسلها، وهو أيضاً ضياء مجد الأب وصورة جوهره، وأما روح القدس فهو الحب الجوهرى المتبادل بين الأب والابن، وقد تجسد الابن بكلمة الإله الأب في أحشاء العذراء نازلاً من السماء ليفدي بحياته الجنس المدنس بالخطيئة^(٣).

والكلمة حسب المعتقد المسيحي لها معنى خاص، ففي العهد القديم هناك إشارات متعددة تشير إلى قوة الكلمة وأثرها، فسفر التكوين يشير إلى أن الخلق كان بالكلمة فيفتح كل فصل من فصول الخلق بالقول: "قال (أمر) الله" ليكون نور فكان نور^(٤)، ثم قال الله: "ليكن جلد يحجز بين مياه ومياه"^(٥)، ثم قال (أمر) الله "لتتجمع المياه التي تحت السماء إلى موضع واحد، ولتظهر اليابسة وهكذا كان، وسمى الله اليابسة أرضاً والمياه المجتمعة بحاراً"، ثم قال (أمر) الله لتنبث الأرض عشباً وبقلاً...^(٦) وفي سفر المزامير "يصدر كلمته (أمره) إلى الأرض"^(٧)، "أصدر كلمته (أمره) فشفاهم، وخلصهم من مهالكهم"^(٨)، وأما في العهد الجديد فقد جاء في إنجيل يوحنا: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عبيد

(١) الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٢٨.

(٢) محمود البرشومي، المسيح بين الإنجيل والقرآن، ص ٤٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٠، ٦١. نقلاً عن: تاريخ الكتاب المقدس لدكتور بوست، ونقله أيضاً: محمد أبو زهرة في كتابه محاضرات في النصرانية، ص ١٢١.

(٤) سفر التكوين: ١: ٣.

(٥) سفر التكوين: ١: ٦.

(٦) سفر التكوين: ١، ٩-١١.

(٧) المزمور: ١٤٧: ١٥.

(٨) المزمور: ١٠٧: ٢٠.

الله، وكان الكلمة هو الله، هو كان في البدء عند الله، وبه تكون كل شيء وبغيره لم يتكون أي شيء ما تكون^(١)، وفي الرؤيا "وكان يرتدي ثوبًا مغمسًا بالدم، أما اسمه فهو "كلمة الله"^(٢)، فالكلمة عند النصارى ليست كلمة "كن" التي خلق الله بها المخلوقات، وليست واحدة من الكلمات التي خاطب بها أنبياءه، وإنما هي كلمة خاصة تعني ابن الله، أو فكر الله، أو ذات الله، والمسيح ليس منتوج هذه الكلمة وإنما الكلمة ذاتها حلت في جسد بشري، فعقيدة النصارى تقوم على تجسد الكلمة أو على التثليث الموحد بين الأب والابن والروح القدس، الأب غير مولود، والابن ابن مولد ومولود وروح القدس لا والد ولا مولود وكل واحد من الثلاثة موجود، هذه الثلاثة لم تزل جميعًا معًا لم يسبق بعضها في الوجود بعضًا^(٣). فالكلمة قد تجسد لوحدها وتحدثت الكلمة في جسد المسيح أما سبب هذا التجسد حسب معتقدهم فهو أمران:

(١) افتداء الله للبشرية الخاطئة بخطأ آدم.

(٢) إعلان الله نفسه للبشر حتى لا يستحيل عليهم رؤيته، وأن ما ظهر الله به قبلًا من تجليات في العهد القديم كانت من التمهيد للتجسد الإلهي حتى يؤمن به البشر دون أن يبحثوا في سر ذلك التجسد وكيفيته لأنه سر من الأسرار التي لا تتركها العقول^(٤). ويرى (ول ديورانت) أن عقيدة الكلمة دخيلة على المسيحية ولم توجد إلا في إنجيل يوحنا ولم يقل المسيح في الأنجيل الثلاثة المتشابهة متى، ومرقس، ولوقا، إنه هو والأب إله واحد أو يسوى نفسه به^(٥). فكان عقيدة التثليث أو تجسد الكلمة ليست موجودة نصًا في الأنجيل وإنما تأولتها النصارى^(٦).

يقول القس بوطر في محاولة منه لتوضيح التثليث: "إن في اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوية الكمالات الإلهية، ومتميزة في الاسم والعقل والكلمة والروح القدس، ويدعى الأقنوم الأول الأب، ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأشياء ومرجعها وأن نسبته للكلمة ليست صورية بل شخصية حقيقية، ويمثل للإفهام محبته الفائقة، وحكمته الرائعة، ويدعى الأقنوم الثاني الكلمة لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية، وأنه وسيط المخابرة بين الله والناس، ويدعى أيضًا الابن لأنه يمثل نسبة المحبة والوحدة بينه وبين أبيه وطاعته الكاملة لمشورته، وللتمييز بين نسبته هو إلى أبيه ونسبة كل الأشياء إليه"^(٧).

(١) يوحنا: ١: ١-٣.

(٢) الرؤيا: ١٩: ١٣.

(٣) عبد الفتاح أحمد الفاري، المسيحية بين النقل والعقل، القاهرة، ١، ١٩٩٢م، ص ٦٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٧٠.

(٥) ول دورنت، قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢٠٨.

(٦) عبد الفتاح أحمد الفاوي، المسيحية بين النقل والعقل، ص ٧١.

(٧) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٢٢ نقلًا عن القس بوطر في رسالة صغيرة له سماها الأصول والفروع.

ونذكر قول القس أيضًا: محمود الدسوقي، في كتابه المسيح بين الإنجيل والقرآن، ص ٦١، ٦٢.

ويتابع الأب بوطر توضيحه فيقول: "ويدعي الأقبوس الثالث الروح القدس للدلالة على النسبة بينه وبين الابن، وعلى عمله في تنوير أرواح البشر وحثهم على طاعته، وعبرة الابن لا تشير في تنوير أرواح البشر وحثهم على طاعته وعبرة الابن لا تشير -كما ذهب بعضهم خطأ- إلى ولادة بشرية ولكنها تصف سرية فائقة بين أقبوس وآخر في اللاهوت الواحد، وإذا أراد الله أن يفهمنا تلك النسبة لم تكن عبارة أنسب من الابن للدلالة على المحبة والوحدة في الذات، فإله منزّه عنها، ولأجل هذه الإيضاحات علم خدام الدين المسيحي واللاهوتيون حسب ما قررته الكلمة الإلهية أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم حسب نص الكلمة الأزلية، ولكل منهم عمل خاص في البشر"^(١).

نلاحظ أن هذه الإيضاحات لم تردّها إلا غموضاً وإيهاماً لذلك نرى ذلك القس يستطرد قائلاً: "قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه فهماً أكثر جلاءً في المستقبل حيث ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات والأرض، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية"^(٢). أي أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها إلا يوم تتجلى كل الأشياء لها يوم القيامة، وقد أصاب في ذلك، فإنهم لا يعلمون حقيقتها إلا يوم يحاسبهم الله عليها.

كما ويجتهد كتاب النصرانية في إثبات أن عقيدة التثليث قد وردت في كتبهم المقدسة، والصحيح أن التثليث لم يخطر ببال المسيح ابن مريم مطلقاً^(٣) وإذا رجعنا إلى أقوال المسيح في الأنجيل لا نجده إلا مؤمناً داعياً للتوحيد الحقيقي وحده^(٤)، كما سبق وأن أشرت.

فلم يرد في العهد القديم أو العهد الجديد أي إشارة إلى أن المسيح أو الروح القدس أقبوس من ثلاثة أقانيم بالمعنى المفهوم في عقيدة النصرانية، بل أن عبارة أقبوس نفسها لا توجد إطلاقاً في جميع أسفار العهد القديم أو العهد الجديد، ونتيجة لذلك يتبين أن عقيدة الأقانيم ليس لها أي سند أو دليل من الأسفار القديمة أو الجديدة في الكتاب المقدس^(٥).

ويعتمد النصارى في الاستدلال على عقيدة التثليث على نص واحد ورد في إنجيل متى يقول: "فاذهبوا إذن، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس"^(٦). وحتى ندرك كيف فرضت هذه العقيدة على الديانة النصرانية لا بد لنا من الرجوع سريعاً إلى مجمع نيقية للوقوف على ما دار فيه ومعرفة أهم قراراته ولمعرفة مدى أهميته.

(١) المصدر السابق.

(٢) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٢٥.

(٣) بل لم يخطر ببال إبليس، متى: ٤: ١-١٠.

(٤) محمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ١٠٩. وأبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٢٦.

(٥) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٢٦.

(٦) إنجيل متى: ٢٨: ١٩.

اختلف المجتمعون في مجمع نيقية اختلافاً كبيراً، ولم يتفقوا على أي رأي، مما أثار عجب الإمبراطور قسطنطين، ولما كان الإمبراطور قسطنطين نفسه ممن يميل مع القائلين بألوهية المسيح طبقاً لما زعمه بولس الرسول، فقد أختار من المجتمعين ٣١٨ أسقفاً من اشد المتعصبين لرأيه. وألف منهم مجلساً خاصاً خوله إصدار ما يراه من قرارات، فوضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطهم، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوه مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك، وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية^(١).

و نقل كتبة الأديان^(٢) عن ابن البطريق المؤرخ المسيحي في وصف ذلك ما يلي: بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان مجمع البطارقة والأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية ٢٠٤٨ من الأساقفة وكانوا مختلفين في الآراء والأديان على النحو التالي:

١. منهم من كان يقول أن المسيح وأمه إلهان من دون الله ويسمون المريميين.
٢. ومنهم من كان يقول أن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، فلم تسقط الأولى بانفصال الثانية منها وهي مقالة (سابليوس) وشيعته.
٣. ومنهم من كان يقول أن مريم لم تحمل به تسعة أشهر، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب لأن الكلمة دخلت في أذننها، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، وهي مقالة (إليان) وأشياعه.
٤. ومنهم من كان يقول أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي، وصحبته النعمة الإلهية، وحلت فيه بالمحبة والمشينة، ولذلك سمي ابن الله، ويقولون أن الله جوهر قديم واحد، وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة، ولا بروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك إنطاكية وأشياعه.
٥. ومنهم من كان يقول أنهم ثلاثة آلهة لم تزل، صالح وطالح وعدل بينهما، وهي مقالة مرقيون وأصحابه.
٦. ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح، وهي مقالة بولس الرسول، ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر

(١) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٣٢. محمد الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص ١٤٧.

(٢) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٣١. ومحمد الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣م، ص ١٤٧. ومحمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ١١٦، ١١٧. ومحمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٢٢ وما بعدها. وأحمد شلبي، المسيحية، ص ١٢٧. ورحمة الله الهندي، إظهار الحق، ج ٣، ص ١١٥.

٧. أسقفا من ٢٠٤٨ ممن أجمع في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م^(١).

وصدر عن هذا المجمع عدة قرارات ويهمننا منها القرارات التالية:

- (١) قرار خاص بإثبات ألوهية المسيح وتقرير عقيدة التثليث.
- (٢) تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان.
- (٣) تكفير كل من يعتقد بأن المسيح مجرد بشر مخلوق وليس إلهاً أو ابناً لله، كما فعلوه مع أريوس عندما كفروه لاعتقاده بأن عيسى عليه السلام بشراً مخلوقاً وليس إلهاً أو ابناً لله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-.

(٤) إحراق جميع الكتب التي لا تقول بالألوهية المسيح، أو تحريم قراءتها، ومن هذه الكتب أناجيل فرق النوحيد التي تقرر بشرية المسيح وأنه رسول فقط ومنها إنجيل برنابا^(٢).

ولكنية الأديان نقد وتقييم ومناقشات لما دار في المجمع وما صدر عنه من قرارات لا يتسع المقام للخوض فيها، لكن لا بد من بيان المسألة التالية:

مسألة: بطلان الاعتقاد بالتثليث^(٣) من خلال الكتاب المقدس أستطيع القول أن التثليث باطل ولا أساس له وذلك من واقع أقوال المسيح عليه السلام نفسه وكذا من أسفار الأنبياء السابقين الواردة في العهد القديم، فالمتتبع لأقوال المسيح عليه السلام في أناجيل النصارى يجد أنها تقرر التوحيد وتبعده كل البعد عما ابتدعته مجامع النصارى من عقيدة في التثليث أو الأقانيم^(٤)، وقد ذكرت سابقاً عدداً من النصوص التي تدل على التوحيد وعلى عبودية المسيح التي تفند عقيدة التثليث، وأرى أن أعيد ذكر بعض النصوص ليتضح بطلان هذه العقيدة بشكل أكثر وضوحاً، مع العلم أن هناك العديد من النصوص الدالة على بطلانها.

أذكر على سبيل المثال: ما ذكره إنجيل يوحنا عن المسيح عليه السلام قوله: "والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك، والذي أرسلته: يسوع المسيح"^(٥).

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٣، ص ٦٥. ومحمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٣١.

(٢) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٣٢. محمد الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص ١٤٨.

(٣) للعلماء المسلمين ردود كثيرة على عقيدة التثليث والتجسد والصلب وكيفية عند النصارى لم نشأ إثباتها لأن البحث يقوم على المقارنة لا على المجادلة ومن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى: رحمة الله الهندي، في كتابه إظهار الحق. وابن تيمية، في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وللباقلاني في التمهيد، وابن حزم في الفصل، وعلي بن الطبري، في كتابه الرد على النصارى، والقاسم بن إبراهيم الحسني، في كتابه الرد على النصارى، وأحمد ديدات، في مسألة صلب المسيح، وأبو العلا عفيفي، في نظريات الإسلاميين في الكلمة ... وغيرها.

(٤) محمد الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص ١٤٩.

(٥) إنجيل يوحنا: ١٧: ٣.

بيّن المسيح من خلال النص السابق أن الحياة الأبدية هي أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي وأن المسيح رسوله فقط، ولم يقل المسيح أن الحياة أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم.

كما أن التوحيد الحقيقي -الوارد ذكره في النص- هو ضد التثليث الحقيقي وهذا مما لا شك فيه، ثم أشار المسيح من خلال النص السابق أنه رسول مرسل، وهذا ضد كونه إلهاً أحد أركان التالوث^(١).

وفي موضع آخر أورد إنجيل مرقس عن المسيح عليه السلام قوله لواحد من الكتبة: "وتقدم إليه واحد من الكتبة كان قد سمعهم يتجادلون، ورأى أنه أحسن الرد عليهم، فسأله "أية وصية هي أولى الوصايا جميعاً؟" فأجاب يسوع المسيح: "أولى الوصايا جميعاً هي: أسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، فأحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل فكرك وبكل قوتك..." هذه هي الوصية الأولى، وهناك ثانية مثلها وهي أن تحب قريبك كنفسك، فما من وصية أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: "صحيح يا معلم، حسب الحق تكلمت، فإن الله واحد وليس آخر سواه"^(٢).

وبهذا المعنى أورد إنجيل متى هاتين الوصيتين وقد زاد عليها المسيح قوله: "بهاتين الوصيتين تتعلق الشريعة وكتب الأنبياء"^(٣).

من خلال هذه النصوص نرى أن أول الوصايا التي هو مصرح بها في التوراة وفي جميع كتب الأنبياء السابقين هو الاعتقاد بأن الله واحد لا إله غيره، ولو كان اعتقاد التثليث هو أصل الإيمان وأصل النجاة لكان مبيّناً في التوراة وجميع كتب الأنبياء، ولكان أول الوصايا، ولقال عنه المسيح أن الرب واحد ذو أقانيم ثلاثة، لكن لا يوجد شيء من ذلك في التوراة ولا في كتب الأنبياء، ولم يقل به المسيح عليه السلام إطلاقاً^(٤).

وذكر أيضاً إنجيل متى قول المسيح عليه السلام لواحد تقدم له: "وإذا شاب يتقدم إليه ويسأل: "أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لأحصل على الحياة الأبدية"، فأجابه: "لماذا تسألني عن الصالح؟ واحد هو الصالح الله"^(٥).

هذا القول من المسيح يقتلع أصل التثليث من أساسه، فهو لم يرض أن يطلق عليه لفظ الصالح تواضعاً منه، فلو كان إلهاً واحداً من التالوث لما كان لقوله معنى، ولكان عليه أن يقول: "لا صالح إلا الأب وأنا وروح القدس". وهذا لم يقله إطلاقاً^(٦). إلى غير ذلك من الأمثلة.

(١) محمد الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص ٢٦. ومحمد الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص ١٤٩.

(٢) إنجيل مرقس: ١٢: ٢٨: ٣١.

(٣) إنجيل متى: ٢٢: ٣٥-٤٠.

(٤) محمد الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص ١٥٠. ومحمد الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص ٢٦.

(٥) إنجيل متى: ١٩: ١٦-١٧.

(٦) محمد الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص ١٥١.

هذه فقط بعض الأدلة النقلية على بطلان التثليث، وفضلاً عنها فإن واقع التاريخ كما قدمنا آنفاً يؤكد أن فكرة التثليث ابتدعت رسمياً بعد الميلاد المسيحي بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن، فهو من الأفكار والعقائد التي دخلت على النصرانية الموحدة، وعُقدت لتقريرها رسمياً المجامع المسكونية مثل مجمع نيقية، ومجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م، وهكذا اتخذت تلك المجامع سلطة صنع الآلهة.

وأخيراً أذكر ما جاء في قاموس الكتاب المقدس عن التثليث: "اعترف كبار علماء اللاهوت أن كلمة التثليث لم ترد في الكتاب المقدس، ويُظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان، في القرن الثاني للميلاد، وقد خالفه كثيرون، ولكن مجمع نيقية أقر بالتثليث سنة ٣٢٥م، ثم استقر التثليث بعد ذلك عند الكنيسة المسيحية على يد أوغسطينوس في القرن الخامس الميلادي"^(١).

وقبل أن أختتم هذا المبحث أرى أنه لا بد من العروج إلى أهم الفرق القديمة في عهد التثليث، لبيان أهم معتقداتهم، وهم:

(١) الملكائية:

وقيل لها الملكائية نسبة إلى ملك الروم، وهي مذهب جميع ملوك النصارى، ويقولون أن الله اسم لثلاثة معانٍ فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد. وقالوا: إن اتحاد الله بعيسى كان باقياً حالة صلبه. وأن الله تعالى عبارة عن ثلاثة أشياء أب وابن وروح القدس، وأن عيسى إله تام كله وإنسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معاً شيء واحد ابن الله^(٢) -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- كما قالوا أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة ألقوم العلم، ويعنون بروح القدس ألقوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه به ابناً، بل المسيح مع ما تدرعه به ابن، فقال بعضهم أن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر اللبن أو الماء، وصرحت الملكائية بأن الجوهر غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة، وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث. كما قالوا أن المسيح ناسوت كلي لا جزئي وهو قديم أزلي من قديم الأزل^(٣).

(٢) اليعقوبية:

هم أصحاب يعقوب البردغائي وكان راهباً بالقسطنطينية، قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحماً ودماء، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو، ومن اليعقوبية من قال المسيح هو الله، ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الحق، لا عن

(١) نخبة من الأساتذة ونوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ص ٤٨.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي حكم الصفة بل صار هو هو، وهذا كما يقول ظهر الملك بصورة الإنسان أو ظهر الشيطان بصورة حيوان^(١).

وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد، إلا أنه جوهرين، جوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركبا كما تركبت النفس والبدن، فصارا جوهرًا واحدًا أقنومًا واحدًا وهو إنسان كله، وإله كله.

وزعموا أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي، وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والحلول، واجمعوا على أن المسيح عليه السلام ولد من مريم -عليها السلام- وقتل وصلب^(٢). ثم اختلفوا في كيفية ذلك، فقالت الملكائية واليعقوبية أن الذي ولدت الإله هي مريم، فالملكائية لما اعتقدت أن المسيح ناسوت كلي أزلي، قالوا أن مريم إنسان جزئي والجزئي لا يلد الكلي، وإنما ولد الأقنوم القديم.

واليعقوبية لما اعتقدت أن المسيح هو جوهر من جوهرين، وهو إله وهو المولود، قالوا أن مريم ولدت إلهًا^(٣). وقالوا في القتل أنه وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين، وزعم قوم من اليعقوبية أن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئًا، لكنها مرت بها كالماء في الميزاب^(٤).

٣) النسطورية:

أصحاب نسطور^(٥) الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة، الوجود والعلم والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد المسيح عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكائية، ولا عن طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ولكن كإشراق الشمس في كوه أو على بلور، أو كظهور النقش في الخاتم^(٦).

ويعني بقوله هو واحد بالجوهر أي ليس مركبًا من جنس بل هو بسيط واحد، ويعني بالحياة والعلم أقنومين جوهرين، أي أصليين مبدئين للعالم، ثم فسر العلم بالنطق والكلمة، ويرجع منتهى كلامه إلى إثبات كونه تعالى موجودًا حيًا ناطقًا، وزعموا أن الابن لم يزل متولداً من الأب وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد، والحدث راجع إلى الجسد والناسوت، فهو إله وإنسان اتحاداً، وهما جوهران

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٥٤. وابن حزم، الفصل في الأهواء، ص ٤٩.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٥٥.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) ذهب ابن خلدون إلى أن النسطورية ينسبون إلى نسطوريوس البطريق بالقسطنطينية الذي كان يقول أن مريم لم تلد إلهًا وإنما ولدت إنساناً وإنما اتحد به في المشيئة لا في الذات وليس هو إلهًا حقيقة بل بالموهبة وكان يقول بجوهرين وأقنومين. ذكر

قوله الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٥٤.

(٦) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٥٢.

أَقْنُومَانِ طَبِيعَتَانِ، جَوْهَرٌ قَدِيمٌ وَجَوْهَرٌ مُحَدَّثٌ، إِلَهٌ تَامٌ وَإِنْسَانٌ تَامٌ، وَلَمْ يَبْطُلِ الْإِتِّحَادُ قَدَمَ الْقَدِيمِ وَلَا حُدُوثُ الْمُحَدَّثِ، لَكِنَّمَا صَارَا مَسِيحًا وَاحِدًا، وَمَشِئَةً وَاحِدَةً. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ فِي الْقَتْلِ وَالصَّلْبِ فَيُخَالِفُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ وَالْيَعْقُوبِيَّةِ قَالُوا أَنَّ الْقَتْلَ وَقَعَ عَلَى الْمَسِيحِ مِنْ جِهَةِ نَاسُوتِهِ، لَا مِنْ جِهَةِ لَاهُوتِهِ، لِأَنَّ الْإِلَهَ لَا تَحِلُّ بِهِ الْأَلَامُ^(١).

المطلب الخامس: حقيقة الروح القدس في السياق القرآني والعهد الجديد:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ^(٢)﴾. وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾^(٣).

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ اختلف في المقصود بالروح القدس على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه جبريل عليه السلام، والقدس: الطهارة وهذا قول ابن عباس وقتادة، والضحاك والسدي، وآخرون.

الثاني: أنه الاسم الذي كان يحيى به الموتى، رواه الضحاك عن ابن عباس.

الثالث: أنه الإنجيل، قاله ابن زيد^(٤)، كما في قوله: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾^(٥).

إلا أن أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن المقصود بالروح القدس هو جبريل عليه السلام، وهذا هو الأظهر والأصح^(٦).

يقول الخازن: "وحمل روح القدس هنا على جبريل عليه السلام أولى، لأنه تعالى قال وأيدناه أي قويناه بجبريل عليه السلام"^(٧).

يقول القرطبي: "روى أبو مالك وأبو صالح عن ابن عباس، ومعمّر عن قتادة قالوا: جبريل عليه السلام".

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٣.

(٤) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج ١، ص ١٧٦ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٩٨، ٩٩.. والبغوي، ج ١، ص ١٠٨.

وابن كثير، ج ١، ص ١٨٧. والخازن، ج ١، ص ١٠٨.

(٥) سورة الشورى، الآية ٥٢.

(٦) الطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ٢٢٢. وابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ١٧٦ والماوردي، النكت والعيون، ج ١، ص ١٥٦.

والواحدي، الوجيز في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٧١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٤٤ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٨٧-١٨٨. والخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ١٠٨.

(٧) الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ١٠٨.

هو روح القدس" يقول القرطبي: وهذا هو الأظهر^(١).

وقال الطبري: "وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: "الروح في هذا الموضع جبرائيل" لأن الله أخبر أنه أيد عيسى به"^(٢).

ويقول ابن كثير: "والدليل على أن روح القدس هو جبريل، كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية، وتابعه على ذلك ابن عباس، ومحمد بن كعب وإسماعيل بن خالد والسدي، والربيع بن أنس، وعطية العوفي، وقتادة في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٤)، وما قاله البخاري، وقال ابن أبي الزناد، عن أبيه عن أبي هريرة وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ وضع لحيان بن ثابت، فكان ينفخ عن رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك"^(٥).

وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينه عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه فقال: قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك، ثم ألقت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: "أجب عني اللهم أيد بروح القدس"، فقال: اللهم نعم"^(٦).

وقال حسان بن ثابت:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس به خفاء^(٧)

وقال محمد بن إسحق: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي، عن شهر بن حوشب الأشعري: أن نفرًا من اليهود قد سألوا رسول الله ﷺ، قالوا: أخبرنا عن الروح، فقال: "أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أنه جبرائيل وهو الذي يأتيني؟" قالوا نعم".

وفي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: "إن روح القدس نفث في روعي

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ٢٢٢.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان ١٩٣، ١٩٤.

(٤) سورة مريم، الآية ١٧.

(٥) في البخاري تعليقاً عن عائشة رضي الله عنها -، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري في الروايات التفسيرية في سورة النحل، ج ٢، ص ٦٥٢. ورواه أحمد في مسنده، ج ٢، ص ٢٢٢.

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدأ الوحي، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٠٤٠)، ج ٣، ص ١١٧٦. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت ؓ، رقم (٢٤٨٥)، ج ٤، ص ١٩٣٢.

(٧) القرطبي، ج ٢، ص ٢٤٤. وابن كثير، ج ١، ص ١٨٨. نقلاً عن ديوان حسان، ص ٧.

أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب^(١).
ووصف جبريل بالقدس أي الطهارة، لأنه لم يقترف ذنبًا، قال الحسن: القدس هو الله وروحه جبريل عليه السلام.

وسمي جبريل عليه السلام روحًا للطافته ولمكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب^(٢).

- في العهد الجديد:

أما عن مفهوم الروح القدس في العهد الجديد فتلخصه لنا الكاتبة المسيحية نهى نجار في القول التالي: "وفي العهد الجديد، فكلمة الله إذا صار جسدًا، بفعل الروح، لا يعمل شيئًا دون المسيح، كما أن إتمام عمله هو هبة الروح، وهذا الروح هو الذي حل على مريم وعلى يوحنا المعمدان وهو في بطن أمه، وعلى أبيه زكريا يوم أعلن عن اسمه"^(٣)(٤).

ولا يقتصر اعتقادهم في الروح القدس على ذلك بل جعلوه الاقنوم الثالث الذي يُعبد مع الله كثالث ثلاثة، فمجمع نيقية بداية بعد أن قرر مبدأ التثليث وألوهية المسيح لم يتعرض لألوهية الروح القدس، بل نص ذلك الإجماع على ترك الحرية للناس في الاختلاف على الروح القدس، وفي ضوء هذه الحرية وجد اتجاهان يتصارعان هما:

(١) كنيسة الإسكندرية إذ تنزع القول بالتثليث، أي أن المسيطر على العالم ثلاثة قوى: المكون الأول (الله)، العقل (الابن)، والنفس العامة (الروح القدس)^(٥).

(٢) أنكر بعض الأساقفة مثل أسقف القسطنطينية مقدونيوس وجود الأقانيم الثلاثة، إذ أعلن أن الروح القدس ليس بآله ولكنه مخلوق مصنوع^(٦).

وإزاء هذا الخلاف استدعى الأمر عقد مجمع جديد، فعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ولم يحضره إلا ١٥٠ أسقفًا فقط وصدر عنه عدة قرارات منها:

(١) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٣٦٧هـ، ج١، ص ٢٨٤. ونكره أيضًا ابن

حجر في فتح الباري في باب بدء الوحي، ج١، ص ١.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج١، ص ٢٢٢، والبيهقي، معالم التنزيل، ج١، ص ١٠٧. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص ٢٤٤. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ١٨٩. والخازن، تفسير الخازن، ج١، ص ١٠٨.

(٣) إنجيل لوقا: ١: ١٥، ٤١، ٦٧.

(٤) نهى نجار، الديانة المسيحية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص ١٠٠، ١٠١.

(٥) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٣، ص ٣١-٣٢. وأحمد شلبي، مقارنة الأديان المسيحية، ص ١٥١. ومحمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٤٣. ومحمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٦٢ وما بعدها. ومحمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ١١٢ وما بعدها.

(٦) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص ٢٥٢. وابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٣، ص ٣٢ وما بعدها.

- (١) تقرير ألوهية الروح القدس، وبذلك أكتمل ببيان الثالوث في نظرهم، وصار الأب ويعنون به الله، والابن ويعنون به المسيح، والروح القدس. وكل واحد من هذه الثلاثة أقنوم (أي شخص) إلهي.
- (٢) حرمان الأسقف مقدونيوس وإسقاطه من رتبته هو ومن ذهب معه^(١).

أما الأساس الذي قرر عليه المجمع ألوهية الروح القدس: فيقول محمد طهطاوي: "قدم بطريك الإسكندرية وقتئذ تفسيراً لهذا المبدأ إلى المجتمعين في المجمع فوافقوا عليه، وهو الآتي: "ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن روح الله مخلوقة، وإذا قلنا أن روح الله مخلوقة قلنا أن حياته مخلوقة. وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن"^(٢).

إن المتمعن في الأساس السابق الذي يتخذه النصارى دليلاً على ألوهية روح القدس في قولهم أن روح القدس هي روح الله أي حياته، يرى أنه باطلاً لا يوافق عليه أغلب الناس ويتعارض مع ما ورد في نصوص العهدين القديم والجديد^(٣) التي تظهر أن روح القدس هو ملاك. ليس أكثر والدليل على ذلك ما ورد في النصوص التالية:

- (١) ما ورد في سفر العدد حاكياً عن موسى عليه السلام: "فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي سَحَابَةٍ وَخَاطَبَهُ، وَأَخَذَ مِنَ الرُّوحِ الْحَالِ عَلَيْهِ (أي على موسى) ووضعه على السبعين رئيساً، فلما حل عليهم الروح تنبأوا لفترة وتوقفوا"^(٤). (أي فلما نزل عليهم الملك تنبأوا)^(٥).
- (٢) ما ورد في سفر أشعيا: "وَيُفْرِجُ بُرْعَمَ مِنْ جَدْعٍ يَسِيٍّ، وَيَنْبِتُ غَصْنَ مِنْ جُذُورِهِ، وَيَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفِطْنَةِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ وَمَخَافَتِهِ"^(٦).
- لو كان الروح القدس هي حياة الله كما يزعمون فهل يُعقل أن يخاف من نفسه؟!؟
- (٣) وجاء أيضاً في إنجيل لوقا: "وكان في أورشليم رجل اسمه سمعان، وهو رجل بار نقى ينتظر العزاء لإسرائيل وكان الروح القدس عليه، وكان الروح القدس قد أوحى إليه أنه لا يرى الموت قبل أن يرى المسيح الرب"^(٧).

(١) المصادر السابقة.

(٢) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٣، ص ٣٧. ومحمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٤٤. وأحمد

شليبي، مقارنة الأديان المسيحية، ص ١٥٢ نقلاً عن: Pengadjaran Geredja Datolik, p. 93.

(٣) أحمد شليبي، المسيحية، ص ١٥٣.

(٤) سفر العدد: ١١: ٢٥.

(٥) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٤٥.

(٦) سفر أشعيا: ١١: ٢-١.

(٧) إنجيل لوقا: ٢: ٢٥-٢٦.

ولهذا يقول محمد الطهطاوي: "لو كان كل من يتصف بصفة الروح أو من حل عليه الروح إلهاً لاشتراك في الألوهية مع المسيح السبعون رجلاً الشيوخ من بني إسرائيل مع موسى وسمعان وغيره ممن تأيدوا بالروح"^(١).

مرة أخرى فرض قرار ألوهية روح القدس فرضاً على النصارى وعذب ولعن من خالفه. يقول ابن البطريق أحد المؤرخين المسيحيين في إثبات قرار ألوهية روح القدس وشرحه:

"زادوا في الأمانة"^(٢) التي وضعها الثلاثمائة والثمانمائة عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية، الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب، الذي هو مع الأب، والابن مسجود له وممجّد، وثبتوا أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاث خواص، وحدية في تثليث وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة"^(٣).

هيئة روح القدس:

للروح القدس حسب العقيدة النصرانية عدة هيئات وأوصاف منها: العليقة الملتهبة، الحمامة، النعمة، المسحة... الخ وردت في عدة نصوص أذكر على سبيل المثال:

"ولما جاء اليوم الخمسون، كان الإخوة مجتمعين معاً في مكان واحد، وفجأة حدث صوت من السماء كأنه دوي ريح عاصفة، فملاً البيت الذي كانوا جالسين فيه، ثم ظهرت لهم ألسنة كأنها من نار، وقد توزعت وحلت على كل واحد منهم، فامتألوا جميعاً من الروح القدس، وأخذوا يتكلمون بلغات أخرى، مثلما منحهم الروح أن ينطقوا"^(٤).

نلاحظ التصوير العجيب للروح القدس الذي يصفه النص السابق.

ونص آخر يصور الروح القدس على هيئة حمامة، حيث يقول هذا النص:

"ثم شهد يوحنا فقال: "رأيت الروح ينزل من السماء بهيئة حمامة ويستقر عليه، ولم أكن أعرفه، ولكن الذي أرسلني لأعمد بالماء هو قال لي: الذي ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذي سيعمد بالروح القدس..."^(٥).

(١) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٤٥.

(٢) الأمانة: هي لفظ أطلقه النصارى على القرارات الصادرة عن المجمع. عبد الرحمن عبد الخالق، شهادة الإنجيل، ص ٦٣. وابن تيمية، حيث عقد فصلاً أبطل فيه القول بألوهية الروح القدس بالأدلة العقلية والنقلية، ج ٣، ص ٣٤ وما بعدها.

(٣) أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٥٣. والطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٤٦.

(٤) أعمال الرسل: ٢: ١-٤.

(٥) إنجيل يوحنا: ١: ٣٢-٣٣.

يقول المطران (بول إفدوكيموف) في محاولة منه لتفسير معاني هذه الهيئات: "والأوصاف التي نجدها في الكتاب المقدس للروح القدس نجدها غامضة، وبعيدة عن متناولنا: فهو هبة الريح، وهو الشعلة، وهو النغمة، وهو المسحة، وهو الحمامة، وهو العليقة الملتهبة، يوم الظهور الإلهي نراه ينحدر من السماء في هيئة حمامة ويستقر على يسوع، وهو في تجلياته خطوط باتجاه يسوع في مسعى إلى أن يكون مرئيًا وظاهرًا، إن وجوده محتجب في الابن كما يحتجب النفس والصوت أمام الكلمة التي يسعيان إلى أن تكون مسموعة. وإذا كان الابن هو صورة الأب، والروح القدس هو صورة الابن، فالروح القدس، يقول الآباء، هو وحده الذي لا صورة له في شخص آخر، فهو في ذاته خفي وسري"^(١). إن القارئ المتفحص لقول المطران السابق يدرك أن الأمر لم يزد إلا تعقيدًا وغموضًا.

وظيفة الروح القدس في العقيدة النصرانية:

يحاول الكتاب النصارى في كتاباتهم عن الروح القدس بيان أن له مهام وأعمال يقوم بها، وأنا بدوري أنقلها كما هي من غير زيادة أو نقصان في محاولة مني لفهمها فكانت على النحو التالي:

(١) التجديد:

تجديد الروح القدس يقصد به بدئ الحياة الجديدة، وهذا يحدث مرة واحدة في بداية العلاقة مع الله، وله وجهان: وجه علوي، أي موقف الإنسان في نظر الله، والوجه الثاني: اختباري داخل حياة المؤمن^(٢).

(٢) الفهم الروحي:

أي فتح الذهن (الاستنارة)، والفهم الروحي يؤكد ثلاثة أشياء يقوم بها الروح القدس:

١. إعطاؤه لمعنى المسيح في حياة المؤمن.
٢. يكشف للمؤمن أسرار الله، وفكره في غنى التعليم.
٣. الإرشاد والفاعلية في العبادة^(٣).

(٣) الإرسالية:

الروح القدس يرسل الإنسان المؤمن لغيرة، ويقدم الدعوة، ويعطيه الرسالة التي يتكلم بها.

(٤) القيامة:

الذي يحيي أجسادنا المائتة ويعطي لنا القيامة من موت الخطية هو الروح القدس.

(١) بول إفدوكيموف، الروح القدس في التراث الأرثوذكسي، نقله إلى العربية المطران إلياس نجمه، قُدم له المطران جورج

خضر، المكتبة البولسية، لبنان، ط١، ١٩٨٩م، ص٨٤.

(٢) القس مكرم نجيب، قضايا الروح القدس، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص٤١.

(٣) المصدر السابق، ص٤٢، ٤٣.

٥) الإرشاد في الحياة اليومية:

الروح القدس يرشد المؤمن في حياته اليومية، فالكتاب المقدس يقدم لنا المبادئ العامة، أما تفصيلات حياتنا اليومية وقراراتها الهامة فيرشدنا إليها الروح القدس على ضوء الكتاب من ناحية، ومن ناحية عملية التدريب على التفكير الصحيح من الناحية الأخرى^(١) ٧٠٧٥٣٧

المطلب السادس: معجزات عيسى عليه السلام في السياق القرآني والعهد الجديد:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَاتْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّرُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَكُونُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٢).

في هذه الآية بين الله معجزات عيسى عليه السلام التي أيده بها عندما أرسله رسولاً إلى بني إسرائيل في قوله عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي نجعله رسولاً مرسلاً إلى بني إسرائيل، يقول الخازن: "وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى ابن مريم عليه السلام"^(٣).

فلما بُعث إليهم قال: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي بعلامة من ربكم على صدق قولي وإنما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة^(٤).

فلما قال ذلك عيسى لبني إسرائيل قالوا: ما هذه الآية؟ قال: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ﴾ أي أصور وأقدر ﴿لَكُمْ مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ قولهم هيأت الشيء، إذا قدرته وأصلحته ﴿فَاتْفُخْ فِيهِ﴾ أي في الطين المهيأ المصور ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وقرئ بلفظ الجمع لأن الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنتين والجمع^(٥). فينفخ فيه فيكون طيراً عياناً بإذن الله عليه السلام الذي جعل هذه معجزة له تدل على أنه أرسله^(٦).

﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾ أي وأشفي الأكمه والأبرص، واختلفوا في الأكمه على أقوال:

الأول: هو الذي ولد أعمى، قاله ابن عباس.

الثاني: هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، قاله مجاهد.

(١) المصدر السابق، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٥٣. الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٥٣. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٤٣.

(٤) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ١٤٣. الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٥٣.

(٥) المصدرين السابقين.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٥.

الثالث: هو الأعمش قاله عكرمه.

الرابع: هو الأعمى، قاله الحسن والسدي^(١).

إلا أن الأظهر والأصح هو قول ابن عباس، وهو أن الأكمه هو الذي يولد أعمى لأنه أبلغ في المعجزة، وأقوى في التحدي^(٢).

والبرص معروف: وهو بياض يعتري الجلد، ويجمع على الأبارص^(٣).

وخص الله ﷺ هذين بالذكر لأنهما عياءان لا يرجى شفاؤهما^(٤).

﴿وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال ابن كثير: "قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه.. فكان الغالب في زمان عيسى ﷺ الطب، فبعث في زمن الأطباء، وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات عما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التتاد..."^(٥).

﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخر له في بيته لغد.

يقول السمرقندي: "وذلك أنه لما أحيا لهم الموتى، طلبوا منه آية أخرى وقالوا: أخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخر لغد فأخبرهم فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا، وادخرت كذا وكذا، فذلك قوله: **﴿وَأَنْبِئُكُمْ﴾** الآية^(٦).

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمْ﴾ على صدقي فيما جئتكم به **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** مصدقين بذلك^(٧).

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي مقررًا لها ومثبتًا، **﴿وَلِأَحِلِّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾** فيه دلالة على أن عيسى ﷺ نسخ بعض شريعة التوراة، وهو الصحيح، ومن العلماء من قال

(١) الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٤٢٣. والبغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٥٤. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٤٤. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٦.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٦.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٤٥.

(٤) السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ٢٧٠. والبغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٥٤.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٦.

(٦) السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١١٧. والخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٥٧.

لم ينسخ منها شيئاً، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون به خطأ فكشف لهم عن المغطى عن ذلك، كما في قوله تعالى: **﴿وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾** (١).

﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: بحجة ودلالة على صدقي فيما أقول لكم **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾** * **﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾**، أي أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه **﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾** (٢).

وفي موضع آخر يقول تبارك وتعالى: **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تَكْلُمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾** (٣).

ذكر الله ﷻ في هذه الآية أنواع نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل على أنه عبد وليس بإله، والغاية من ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقاتلتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم (٤).

وقيل: الغاية منه إسماع الأمم يوم القيامة ما خص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة (٥).

﴿اَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ المراد من ذكرها شكرها (٦)، **﴿وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾** يعني نعمته على مريم عليها السلام - أنه تعالى: **﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾** (٧) **﴿وَوَطَّرَكَ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾** (٨).

ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال: **﴿إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾** يعني جبريل عليه السلام لأن القدس هو الله تعالى وأضافه إليه على سبيل التشريف والتعظيم وهو الأصح (٩). و**﴿أُيِّدْتُكَ﴾** أي قويتك مأخوذة من الأيد وهو القوة (١٠).

(١) سورة الزخرف، الآية ٦٣.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٦.

(٣) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٤) الخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٣٤٢.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٢٨١.

(٦) الخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٣٤٢.

(٧) سورة آل عمران، الآية ٣٧.

(٨) سورة آل عمران، الآية ٤٢.

(٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٩٥، والخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٣٤٢.

(١٠) البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٣٤٢، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٢٨٢.

(تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا) يعني تكلمهم طفلاً في حال الصغر في المهد، **(وَكَهَلًا)** يعني في حالة الكهولة نبياً من غير أن يتفاوت كلامك في هذين الوقتين^(١). يقول الخازن: "وهذه معجزة عظيمة وخاصية شريفة ليست لأحد قبله"^(٢). قال ابن عباس: "أرسل الله سبحانه - عيسى عليه السلام - وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله إليه"^(٣).

(وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) يعني الكتابة وهي الخط، والحكمة، الفهم والإطلاع على أسرار العلوم^(٤).

(وَالْتُورَةَ وَالْإِنْجِيلَ) أي وعلمناك التوراة التي أنزلتها على موسى، والإنجيل الذي أنزلته عليك^(٥). **(وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي)** أي وإذ تجعل وتصور من الطين كصورة **(الطَّيْرِ بِإِذْنِي)** **(فَتَنْفُخُ فِيهَا)** ذكر هنا "فيها" وفي آل عمران "فيه" يعني بالضمير في قوله "فيها" يعود إلى الهيئة بجعلها مصدراً، كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لأن النفخ لا يكون في الهيئة إنما يكون في المهيأ وذي الهيئة ويجوز أن يعود الضمير إلى الطير لأنها مؤنثة، وأما الضمير المذكور فسي آل عمران في قوله "فيه" فيعود إلى الكاف يعني في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير^(٦). يقول أبو السعود: "وأما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما في ذلك الموضع من الإخبار، وهذا موضع تعدد النعم"^(٧).

(فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي) وكرر **﴿قُلْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** تأكيداً لكون ذلك الخلق واقعاً بقدره الله - تعالى - لا بقدره عيسى عليه السلام لأن المخلوق لا يخلق شيئاً إنما خالق الأشياء كلها هو الله **﴿قُلْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** لا خالق لها سواه وإنما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام أكرمه الله تعالى بها^(٨).

وهذا أيضاً في قوله تعالى: **(وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي)** أي وتشفى الأكمه وهو الأعمى المظموس البصر، من العمى، والأبرص من البرص^(٩).

(١) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج ٢، ص ٣٣٩. البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٢٨٢. والخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٢) الخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٣٤٣. والخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٤) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج ٢، ص ٣٣٧.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٥.

(٦) الخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٧) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج ٢، ص ٣٣٨.

(٨) المصدر السابق، ص ٣٣٧. والخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٩) البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٣٤٣.

﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ أي من قبورهم أحياء، **﴿بِإِذْنِي﴾** أي تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الأشياء كلها في الحقيقة هو الله تعالى لأنه هو المبرئ للأكمه، والأبرص، وهو محيي الموتى وهو على كل شيء قدير وإنما كانت هذه الأشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت بإذن الله وقدرته^(١).

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ كففت: أي منعت وصرفت عنك اليهود من بني إسرائيل ومنعتك منهم حين أرادوا قتلك **﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾** يعني بالدلائل الواضحات، مما ذكر وما لم يذكر كالإخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، والمعجزات الباهرات التي ذكرت في هذه الآية، ذلك أن عيسى عليه السلام لما أتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعته إلى السماء **﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾** يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود، ولم يؤمنوا بهذه المعجزات **﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾** أي ما جاءهم به عيسى عليه السلام من المعجزات^(٢).

- في العهد الجديد:

عند رجوعنا إلى العهد الجديد نرى أنه قد ذكر معجزات عيسى عليه السلام في أكثر من موضع ويستدل بها النصارى على طبيعة عيسى اللاهوتية^(٣) لأن هذه الطبيعة -حسب اعتقادهم- هي التي تخوله فعل تلك المعجزات، والصحيح أنها دليل على بشريته وعلى أنه نبي مرسل من عند الله أيده الله بتلك المعجزات التي بينتها الآيات القرآنية السابقة.

والمعجزات الواردة في الأناجيل كثيرة ومتنوعة أنكر منها:

(١) إحياء الموتى:

"وبينما كان يقول هذا، إذا رئيس للمجمع، قد تقدم وسجد له قائلاً: "ابنتي الآن ماتت، ولكن تعال والمسها بيدك فتحيا"، فقام يسوع وتبعه ومعه تلاميذه... ولما دخل يسوع بيت رئيس المجمع، ورأى الناديين بالمزمار والجمع في اضطراب، قال: "انصرفوا فالصبية لم تمت، ولكنها نائمة"، فضحكوا منه، فلما أخرج الجمع، دخل وأمسك بيد الصبية، فنهضت، وذاع خبر ذلك في تلك البلاد كلها"^(٤).

وفي موضع آخر: "وفي اليوم التالي، ذهب إلى مدينة أسمها نابين، يرافقه كثيرون من تلاميذه وجمع عظيم، ولما اقترب من باب المدينة، إذا ميت محمول، وهو ابن وحيد لأمه التي كانت أرملته، وكان معها جمع كبير من المدينة، فلما رآها الرب، تحنن عليها، وقال لها: "لا تبكي"، ثم تقدم ولمس

(١) الخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٢) أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج ٢، ص ٣٣٨. والبيهقي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٣) محمد الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص ٢٣٣.

(٤) إنجيل متى: ٩: ١٨-٢٦. ووردت نفس القصة في إنجيل مرقس: ٥: ٣٥-٤٢.

النعش، فتوقف حاملوه، وقال: "أيها الشاب، لك أقول: قم"، فجلس الميت وبدأ يتكلم، فسلمه إلى أمه، فاستولى الخوف على الجميع ومجدوا الله قائلين: "قد قام فينا نبي عظيم وتفقد الله شعبه!"^(١).

٢) شفاء الأبرص:

"وإذ كان يسوع في إحدى المدن، إذا إنسان يغطي البرص جسمه، ما إن رأى يسوع حتى خر على وجهه وتوسل إليه قائلاً: "يا سيد إن شئت فأنت قادر أن تطهرني، فمد يسوع يده ولمسه قائلاً: "إنني أريد، فاطهر!"، وفي الحال زال عنه البرص"^(٢).

٣) شفاء الأعمى:

"وجاءوا إلى بلدة بيت صيدا، فأحضر بعضهم إليه أعمى وتوسلوا إليه أن يضع يده عليه، فأمسك بيده الأعمى واقتاده إلى خارج القرية، وبعدما ثقل على عينيه وضع يديه عليه وسأله: "هل ترى شيئاً؟" فتطلع، وقال: "أرى أناساً كأنهم أشجار، يمشون، فوضع يديه ثانية على عينيه، فتطلع بانتباه، وعاد صحيحاً يرى كل شيء واضحاً"^(٣).

٤) شفاء الأصم والأبكم:

"ثم غادر يسوع نواحي صور وعاد إلى بحيرة الجليل، مروراً بصيدا وعبر حدود المدن العشر، فأحضروا إليه أصم معقود اللسان، وتوسلوا إليه أن يضع يده عليه، فانفرد به بعيداً عن الجمع، ووضع إصبعيه في أذني الرجل، ثم ثقل ولمس لسانه، ورفع نظره إلى السماء، وتنهَّد وقال له: "افتح" أي انفتح، وفي الحال انفتحت أنفاه، وانحلت عقدة لسانه، وتكلم بطلاقة... ذهبوا إلى الغابة (أي الناس) قائلين: "إنه يبذل في كل ما يفعل، فهو يجعل الصم يسمعون والخرس يتكلمون"^(٤).

٥) شفاء المرضى:

"وحالما نزلوا من القارب عرفه الناس، فطافوا في أنحاء تلك البلاد المجاورة، وأخذوا يحملون من كانوا مرضى على فرش إلى كل مكان يسمعون أنه فيه، وأينما دخل إلى القرى أو المدن أو

(١) إنجيل لوقا: ٧: ١١-١٦.

(٢) إنجيل لوقا: ٥: ١٢-١٣.

(٣) إنجيل مرقس: ٨: ٢٢-٢٦.

(٤) إنجيل مرقس: ٧: ٣١-٣٧.

المزارع، وضعوا المرضى في الساحات العامة، متوسلين إليه أن يلمسوه ولو طرف رداءه، فكان كل من يلمسه يشفى^(١).

٦) يسوع يمشي على الماء:

"وبعدما صرفهم ذهب إلى الجبل ليصلي، ولما حل المساء كان القارب في وسط البحيرة، ويسوع وحده على البر، وإذ رآهم يتعذبون في التجذيف، لأن الريح كانت معاكسة لهم، جاء إليهم ماشيًا على ماء البحيرة نحو الربع الأخير في الليل، وكاد أن يتجاوزهم"^(٢).

٧) يسوع يطعم خمسة آلاف:

قال التلاميذ ليسوع: "قاصِرِ الجمع ليذهبوا إلى القرى والمزارع المجاورة ويشتروا لأنفسهم ما يأكلون، فرد قائلاً: أعطوهم أنتم ليأكلوا، فقالوا له: هل نذهب ونشتري بمئتي دينار خبزًا وتعطيهم ليأكلوا؟ فسألهم: كم رغيفًا عندهم؟ أذهبوا وانظروا. فلما تحققوا، قالوا: خمسة، وسمكتان، فأمرهم أن يجلسوا الجمع جماعات جماعات على العشب الأخضر، فجلسوا في حلقات تتألف كل منها من مئة أو خمسين ثم أخذ يسوع الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظره إلى السماء وبارك، وكسّر الأرغفة وأعطى تلاميذه ليقدّموا للجمع والسمكتان قسمهما للجميع، فأكلوا جميعًا وشبعوا ثم رفعوا اثنتي عشرة قفة فملؤه من كسر الخبز وبقايا السمك، وأما الذين أكلوا من الخبز فكانوا خمسة آلاف رجل"^(٣).

٨) شفاء ذي اليد اليابسة:

"وفي سبت آخر، دخل المجمع وأخذ يعلم، وكان هناك رجل يده اليمنى يابسة، فأخذ الكتبة والفريسيون يراقبون يسوع: هل يشفي في السبت، لكي يجدوا ما يتهمون به، إلا أنه علم نياتهم، وقال للرجل الذي يده يابسة، كم وقف في الوسط، فقام ووقف هناك، ... قال له: مد يدك، فمد يده فعادت يده صحيحة"^(٤). وبالرغم من ذكر هذه المعجزات وغيرها فإن هنالك شواهد في إنجيل متى تثبت عدم حصول آية معجزة للمسيح ومثل ذلك قول متى حكاية عن المسيح: "عندئذ أجابه بعض الكتبة والفريسيين، قائلين: يا معلم، نرغب في أن نشاهد آية تُجريها، فأجابهم: "جيل شرير خائن يطلب آية، ولن يُعطى آية يونان النبي، فكما بقي يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، هكذا سيبقى ابن الإنسان في جوف الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ"^(٥).

(١) إنجيل مرقس: ٦: ٥٤-٥٦. ووردت أيضًا في إنجيل يوحنا: ٦: ١٦ وما بعدها.

(٢) إنجيل مرقس: ٦: ٤٥-٤٨.

(٣) إنجيل مرقس: ٦: ٣٦-٤٤.

(٤) إنجيل لوقا: ٦: ١٠-١١.

(٥) إنجيل متى: ١٢: ٣٨-٤٠.

ونذكر متى كذلك قول المسيح لهم: "جيل شرير خائن يطلب آية ولن يُعطى آية إلا ما حدث للنبي يونان، ثم فارقههم ومضى"^(١).
 مما يدل على أن المسيح لم يُعطِ آية للجيل الذي كان عائشاً موجوداً فيه^(٢)، وهذا مما لا شك فيه من التناقض الذي يمتلئ به كتابهم.

المطلب السابع: عقيدة صلب المسيح عند النصارى في السياق القرآني والصلب والفداء في العهد الجديد:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٣).

رأينا عند تفسير هذه الآية في مطلب عقيدة اليهود في عيسى عليه السلام ادعائهم قتله وصلبه عليه السلام فنفى الله عنه ذلك بقوله عز من قائل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ويعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام قد قتل وصلب على أيدي اليهود وهذا سيتضح أكثر عند الحديث عن ذلك من مصادرهم. وأرى أن أذكر هنا أن بعض المفسرين قالوا أن الذين اختلفوا في عيسى عليه السلام هل هو المقتول أو المصلوب أم لا هم النصارى^(٤).

يقول أبو حيان: "واختلف الرواة في كيفية القتل والصلب وفيمن ألقي الشبه عليه اختلافاً كثيراً، ولم يثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك شيء"^(٥) ويقول القرطبي: "لم يكونوا يعرفون شخصه وقتلوا الذي قتلوه وهم شاكون فيه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾"^(٦).
 والظاهر أن الضمير يعود على النصارى، واختلافهم أن بعضهم يقول: قتل وصلب، وبعضهم يقول قتل ناسوته لا لاهوته وبعضهم يقول: لم يقتل ولم يصلب^(٧).

(١) إنجيل متى: ١٦: ٤.

(٢) محمد وصفي، المسيح والتثلث، ص ٢٠.

(٣) سورة النساء، الآيتان ١٥٧، ١٥٨.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ١٤٨.

(٥) أبو حيان الأنطلسي، النهر الماد من البحر المحيط، ج ٢، ص ١٦٤.

(٦) القرطبي، ج ٧، ص ٢١١.

(٧) أبو حيان الأنطلسي، النهر الماد من البحر المحيط، ج ٢، ص ١٦٥.

وذكر في كتب التفسير أن النصارى قد اختلفوا في ذلك على ثلاثة فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوه^(١).

وقيل: اختلافهم أن عوامهم قالوا: قتلنا عيسى، وقال من عاين رفعه إلى السماء: ما قتلناه^(٢).

وقيل: اختلافهم أن النسطورية من النصارى قالوا: صلب عيسى من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته، وقالت الملكانية: وقع الصلب والقتل على المسيح بكماله ناسوته ولاهوته^(٣).

وقيل: اختلافهم هو أنهم قالوا: إن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟! وإن كان هذا عيسى، فأين صاحبنا؟! قيل اختلافهم هو أن اليهود قالوا: نحن قتلناه، لأن يهوذا رأس اليهود، وهو الذي سعى في قتله. وقالت طائفة من النصارى: بل قتلناه نحن^(٤).

وقالت طائفة منهم: بل رفعه الله إلى السماء ونحن ننظر إليه^(٥).

والذي يجب اعتقاده بنص القرآن الكريم: أن المسيح لم يقتل، ولم يصلب، وأن الله رفعه إليه ونجاه من طالبيه.

- الصلب والفداء في العهد الجديد:

إن وفاة عيسى على الصليب هي عصب كل العقيدة النصرانية، فكل النظريات النصرانية عن الله، وعن الخليقة، وعن الخطيئة، وعن الموت، تستمد محورها من المسيح المصلوب، وكل النظريات النصرانية عن التاريخ وعن الكنيسة، وعن الإيمان وعن التطهر، وعن المستقبل إنما تتبع من "المسيح المصلوب" يقول البروفيسور (جوردن مولتمان) في كتابه عن الإله المصلوب في مجمل قوله: "إن انتفاء الصلب انتفاء للنصرانية"^(٦)، وأساس هذا الموضوع عند النصارى أن من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبتها أبوه وطُرد بها من الجنة، واستحق آدم هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على

(١) ابن كثير، ج ١، ص ٨٦٠. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٥٤.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢١١.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ١١، ص ١٠١.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢١١.

(٥) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٩٦. والطبرسي، مجمع البيان، ج ٦، ص ٢٨٢. وابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ١٤٨.

والخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٩٦.

(٦) أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ص ١٠.

الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش ما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلمًا عن خطيئة البشر^(١).

يقول محمد أبو زهرة: "يقولون في هذا: إن الله من صفاته المحبة، حتى لقد جاء في الكتب المقدسة عندهم: "الله محبة"، ومحبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم، لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة، ... وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا، مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة، ولكن الله من فرط محبته، وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم"^(٢).

وقد ورد في العهد الجديد عدة نصوص تبين ذلك، أذكر منها:

"فحتى ابن الإنسان قد جاء لا يُختم، بل يخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين"^(٣).

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية، فإن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص العالم به"^(٤).

"لأن الجميع قد أخطأوا وهم عاجزون عن بلوغ ما يُمدد الله، فهم يُتررون مجانًا بنعمته، بالفداء بالمسيح يسوع الذي قدمه الله كفارة، عن طريق الإيمان، وذلك بدمه، ليظهر بر الله إذ تغاضي، بإمهاله الإلهي، عن الخطايا التي حدثت في الماضي، ويظهر أيضًا بره في الزمن الحاضر، فيثبت أنه بار وأنه يُترر من له الإيمان بيسوع"^(٥).

"فنحن نعلم هذا أن الإنسان العتيق فينا قد صلب معه (أي مع المسيح) لكي يُبطل جسد الخطيئة فلا نبقى عبيدًا للخطيئة فيما بعد..."^(٦).

لهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم، وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته، إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم، ولكن باقتران العدل والرحمة ويتوسط الابن الوحيد، وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق، قسرب الناس بذلك من الرب بعد الابتعاد^(٧).

(١) أحمد شلبي، مقارنة الأديان والمسيحية، ص ١٥٤، ١٥٥. نقلًا عن: الإنجيل والصلب، عبد الأحد داود، ص ٦-٧. ومحمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٣٠.

(٢) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٢٩.

(٣) إنجيل مرقس: ١٠: ٤٥.

(٤) إنجيل يوحنا: ٣: ١٦-١٧.

(٥) الرسالة إلى مؤمني روما: ٣: ٢٣-٢٦.

(٦) الرسالة إلى مؤمني روما: ٦: ٦.

(٧) أحمد شلبي، مقارنة الأديان، ص ١٥٥.

وتصف الأناجيل تفاصيل عملية الصلب التي تعرض لها عيسى كما يقولون حيث تصف بداية عملية التتكيل والتعذيب التي مر بها قبل صلبه -حسب زعمهم- فنرى إنجيل متى يصور هذه العملية طبقاً للاتي:

"ولما طلع الصباح، عقد رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب اجتماعاً آخر، وتأمروا على يسوع لينزلوا به عقوبة الموت، ثم قيدوه وساقوه فسلموه إلى بيلاطس الحاكم، فلما رأى يهوذا مُسلمه أن الحكم عليه قد صدر، ندم وردّ الثلاثين قطعة من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، قال: "قد أخطأت إذ سلمتكم دماً بريئاً، فأجابوه: ليس هذا شأننا نحن، بل هو شأنك أنت، فألقى قطع الفضة في الهيكل وانصرف، ثم ذهب وشنق نفسه^(١)... ووقف يسوع أمام الحاكم، فسأله الحاكم: "أنت ملك اليهود؟ أجابه: أنت قلت، وكان رؤساء الكهنة والشيوخ يوجهون ضده الاتهامات، وهو صامت لا يرد... ففهم مجتمعون سألهم بيلاطس: من تريدون أن أطلق لكم، باراباس، أم يسوع الذي يدعى المسيح، إذ كان يعلم أنهم سلموه عن حسد، وفيما هو جالس على منصة القضاء، أرسلت إليه زوجته تقول: إياك وذلك البار، فلقد تضايقت اليوم كثيراً في حلم بسببه، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع أن يُطالبوا بإطلاق باراباس وقتل يسوع، فسألهم بيلاطس: أي الاثنين تريدون أن أطلق لكم؟ أجابوا: باراباس، فعاد يسأل: فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟" أجابوا جميعاً: ليصلب^(٢). فسأل الحاكم: وأي شر فعل؟ فازدادوا صراخاً: ليصلب. فلما رأى بيلاطس أنه لا فائدة، وأن فتنة تكاد تتشب بالآخرى، أخذ ماء وغسل يديه أمام الجمع، وقال: "أنا بريء من دم هذا البار، فانظروا أنتم في الأمر، فأجاب الشعب بأجمعه: ليكن دمه علينا وعلى أولادنا، فأطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجده، ثم سلمه إلى الصلب^(٣)."

فاقتاد جنود الحاكم يسوع إلى دار الحكومة، وجمعوا عليه جنود الكتيبة كلها، فجرده من ثيابه، وألبسوه رداءً قرمزيًا، وجللوا إكليلاً من شوك وضعوه على رأسه، ووضعوا قصبه في يده اليمنى، وركعوا أمامه يسخرون منه وهم يقولون: سلام يا ملك اليهود، وبصقوا عليه، وأخذوا القصبه منه، وضربوه بها على رأسه، وبعدما أوسعوه سخرية، نزعوا عنه الرداء، وألبسوه ثيابه، وساقوه إلى الصلب^(٤).

يتابع إنجيل متى وصف الصلب قائلاً: "وبينما كان الجنود يسوقونه إلى الصلب، وجدوا رجلاً من القيروان اسمه سمعان، فسخرّوه أن يحمل عنه الصليب، ولما وصلوا إلى المكان المعروف وهو الذي يدعى مكان الجمجمة أعطوا يسوع خمراً ممزوجة بمرارة ليشرّب، فلما ذاقها، رفض أن يشربها، فصلبوه

(١) إنجيل متى: ٢٧: ٥-١.

(٢) إنجيل متى: ٢٧: ١١-٢٢.

(٣) إنجيل متى: ٢٧: ٢٣-٢٦.

(٤) إنجيل متى: ٢٧: ٢٧-٣١.

ثم تقاسموا ثيابه فيما بينهم مقترعين عليها، وجلسوا هناك يحرسونه، وقد علقوا فوق رأسه لافتة تحمل تهمة، مكتوباً عليها: "هذا هو يسوع، ملك اليهود"^(١). ... وكان المارة يشتمونه، وهم يهزّون رؤوسهم، ويقولون: "يا هادم الهيكل، وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك، إن كنت ابن الله فأُنزل عن الصليب، وسخر منه أيضاً رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، قائلين: "خلص غيره، أما نفسه فلا يقدر أن يُخلص، أهو ملك إسرائيل؟ فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به... ومن الساعة الثانية عشرة ظهرًا إلى الساعة الثالثة بعد الظهر، حل الظلام على الأرض كلها، ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع بصوت عظيم، "إيلي إيلي، لما شُبقتني؟ أي إلهي، إلهي لماذا تركتني فلما سمعه بعض الواقفين هناك قالوا: "إنه ينادي إيليا، فركض واحدٌ منهم، وأخذ إسفنجة غمسها في الخل، وثبتها على قسبة وقدم إليه ليشرب، ولكن الباقين قالوا: دعه وشأنه لنر هل يأتي إيليا ليخلصه، فصرخ يسوع مرة أخرى بصوت عظيم، وأسلم الروح"^(٢).

ووصف إنجيل مرقس تلك العملية أيضاً ولكن مع اختلاف وتضاد، لذلك نرى الأستاذ عبد الوهاب النجار يقول معلقاً على ذلك: "إن الأناجيل الأربعة اختلفت اختلافاً كبيراً في إيراد هذه القصة، وإن الإنسان يمتلكه العجب في اختلاف تلك الأناجيل الأربعة على أساس هام من أسس ديانتهم، ولو صح أن هذا أساس وأن المسيح أنبأ به لكان اهتمامهم بتدوينه متساوياً أو متقارباً في تلك الأناجيل، لكن تلك النصوص عن هذه الواقعة جاءت وبها من أوجه التضاد ما يُسقط قيمة الاستدلال بها، وبالتالي يسقط قيمة هذه الفكرة من أساسها"^{(٣)(٤)}.

ويصرّح الأب "بولس إلياس الخوري" أن بولس هو مبتدع هذه الفكرة، وقد حمل هو وتلميذه لوقا لواء الدعاية لها، وفيما يلي كلمات هذا الباحث:

"ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبّر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر، وهذا الرفق بهم هو ما حمّله على إقالتهم من عثراتهم، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوي إلى عهد النعمة وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا"^(٥).

(١) إنجيل متى: ٢٧: ٣٢-٣٨.

(٢) إنجيل متى: ٢٧: ٣٩-٥٠.

(٣) نقل قوله من كتابه قصص الأنبياء، ص ٤٣٢-٤٣٣ أحمد شلبي، في مقارنة الأديان المسيحية، ص ١٦٤. ومحمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٤٨، ٤٩.

(٤) انظر: عبد الرحمن الباجه جي زادة، الفارق بين المخلوق والخالق، حيث أفاض في ذكر أوجه الخلاف والتضاد في قضية =الصلب بين الأناجيل وقام بمناقشتها والرد عليها في ص ٢٢٦ وما بعدها.

(٥) أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٥٧. نقلاً عن يسوع والمسيح للأب بولس إلياس الخوري، ص ٢٨، ٩٢، ٩٣.

ومن الجدير بالذكر أن عقيدة الفداء ليست من النصرانية في شيء بل وردت عليها من عقائد أخرى، وبخاصة عقيدة الهنود، إذ نجدها معتقداً سائداً عند الهنود قبل المسيح بمئات السنين فهم يعتقدون أن "كرشنا" المولود البكر الذي هو نفس الإله "فشنو" قد قدم نفسه ذبيحة عن الإنسان، ويصورونه مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين، ويصفون كرشنا لذلك بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً الذي قدم نفسه فداءً من أجل البشر. وفي بلاد النيبال والتبت يعتقدون أن إلههم (اندار) سفك دمه بالصلب وثقّب بالمسامير لكي يخلص البشر من ذنوبهم ... الخ^(١). وبناءً على ذلك لا بد من بيان المسألة التالية:

مسألة بطلان الاعتقاد بالصلب والفداء من خلال الكتاب المقدس:

إن المتمنع في السبب الذي يعطى عليه النصارى فكرة الصلب وهو أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة ابنهم آدم يدرك أنه سبب لا تفره العقول، ولا تسمع به القوانين البشرية ولا تفره الشرائع السماوية، واللافت للنظر أن هناك عدة نصوص في الكتاب المقدس تبين أنه لا يؤخذ أو يعاقب شخص بذنب الآخر، بتالي نفند الاعتقاد بالخطيئة الموروثة، من هذه النصوص أذكر ما يلي:

"لا يُقتل الآباء عوضاً عن الأبناء، ولا يُقتل الأبناء بدلاً من الآباء، فكل إنسان يحمل وزر نفسه"^(٢).

"والنفس التي تخطئ هي تموت"^(٣).

"أما النفس التي تخطئ فهي تموت، ولا يعاقب الابن بإثم أبيه ولا الأب بإثم ابنه، يُكافأ البار ببره ويجازى الشرير بشره"^(٤).

نلاحظ أن هذه النصوص تناقض القول بالخطيئة الموروثة، والخلاص بالصلب، فالنصوص تدل على الخلاص بالعمل وليس بالصلب.

ثم إن هناك نص لبولس يقول فيه: "يوم تُعلن دينونة الله العادلة، فإنه سيجازي كل إنسان بحسب أعماله"^(٥).

وقال: "الذي يخطئ لا ينجو من دينونة الله"^(٦).

إذاً هناك حساب وهناك دينونة والمجازاة حسب الأعمال، إذاً لماذا كان صلب عيسى^(٧)، وهذا مما لا شك فيه من التناقض الذي جاء به بولس ودعا إليه.

(١) محمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ١٥٦، ١٥٧. وأحمد شلبي، المسيحية، ص ١٦٣. والطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٥٥.

(٢) سفر التثنية: ٢٤: ١٦. وكذلك ورد هذا النص في سفر أخبار الأيام الثاني: ٢٥: ٤.

(٣) سفر حزقيال: ١٨: ٤.

(٤) سفر حزقيال: ١٨: ٢٠. وانظر أيضاً: إنجيل متى: ١٦: ٢٧ و ٤: ٤ من نفس الإنجيل.

(٥) الرسالة إلى مؤمني روما: ٢: ٦.

(٦) الرسالة إلى مؤمني روما: ٢: ٣ (بما معناه).

(٧) محمد الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص ٥١.

ثم إن النصرانية تنسب أصل الخطيئة إلى آدم، وهذا يتعارض مع التوراة التي (هي كلام الله عند النصارى واليهود)، فالتوراة جعلت حواء هي أصل الغواية وهي التي أغوت آدم، فقال آدم لله تعالى مدافعاً عن نفسه "المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت"^(١) وحواء بدورها نسبت الغواية إلى الحية إذ قالت دفاعاً عن نفسها: "أغوتني الحية فأكلت"^(٢). وحسب التوراة، عاقب الله الحية بزحفها على بطنها، وعاقب حواء على الحمل والولادة، وعاقب آدم بطرده من الجنة، ألم تنتهي الخطيئة بالعقاب، ويسدل عليها الستار!!؟^(٣).

أخيراً أقول أن مبدأ الخطيئة الموروثة مبدأ استحدثته الكنيسة لتكمل قصة الصلب، فقد اعتقدوا بصلب المسيح، وكان لا بد لهم من البحث عن سبب مبرر للصلب، فاستحدثوا الخلاص بالصلب أو الصلب للفداء وظهرت عندهم مشكلة الخلاص من ماذا، فاستحدثوا نظرية الخطيئة الموروثة لتبرير صلب عيسى، متأثرين في ذلك بعقائد غيرهم.

وهناك نصوص في الأنجيل تبين أن الصلب لم يقع على شخص المسيح عليه السلام من خلال عدة محاور في أحداث الصلب التي روتها الأنجيل وهي محاولة الكهنة القبض على أحد العامة لامتناع المسيح عليهم، وفراره منهم، وصلبوه وهم يعتقدون أنه غير المسيح، وأنهم تواطؤوا على الكذب ليدعوا النصر، وليوهموا الناس أنهم قدروا على عدوهم، وظفروا بخصمهم بالرغم من اتخاذهم الاستعداد الكافي^(٤).

وبدوري أستطيع تقدير ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: تروي الأنجيل أن المسيح حين ذهب الناس للقبض عليه كان في عدد قليل من التلاميذ، حتى إذا ما هاجمه الذين أرسلوا للقبض عليه هربوا: يقول إنجيل متى: "ثم وجه يسوع كلامه إلى المجموع قائلاً: "أكما على لص خرجتم بالسيوف والعصي لتقبضوا علي؟ كنت كل يوم بينكم أعلم في الهيكل، ولم تقبضوا علي، ولكن، قد حدث هذا كله لتتم كتابات الأنبياء" عندئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا"^(٥).

وعلى ذلك لا يعلم النصارى من هو الذي قبض عليه، ومن هو في أيدي الجند، لأنه التلاميذ قد هربوا، فلا تعتبر شهادتهم لغيابهم.

(١) سفر التكوين: ٣: ١٢.

(٢) سفر التكوين: ٣: ١٣.

(٣) محمد الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص ٤٣.

(٤) محمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ١٦٧. وعبد الرحمن الباجه جي زاده، الفارق بين الخالق والمخلوق، ص ٢٣٣ وما بعدها.

(٥) إنجيل متى: ٢٦: ٥٥-٥٦.

ثانيًا: تروي الأناجيل أن اليهود لم يستطيعوا القبض على المسيح نهارًا خوفًا من أتباعه، فأخذوه ليلاً عند افتراق الناس عند الفصح^(١).

ثالثًا: لم يصلب المقبوض عليه في المكان المعد للصلب، بل صلب في مكان معزول غير مطروق، وهو بستان فخاري اشتروه خاصة لذلك: يقول إنجيل متى: "وبعد التشاور اشتروا بالمبلغ حقل الفخاري ليكون مقبرة للغرباء"^(٢).

رابعًا: وأنهم لم يتركوا المصلوب غير ست ساعات من النهار، وقد اهتموا بإخفائه بهذه السرعة، وادعوا أن أتباعه هم الذين سرقوه.

أستطيع أن أستخلص من ذلك أن اليهود ما قبضوا على ابن مريم أو صلبوه، بل المصلوب سواء وذلك مع علم رؤسائهم بذلك، وتيقنهم أن المسيح امتنع عليهم، وأن الله تعالى قد عماهم عنه.

المطلب الثامن: عقيدة رفع عيسى عليه السلام في السياق القرآني وقيام عيسى عليه السلام بعد الصلب ورفعته في العهد الجديد:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ اذْهَبِي إِلَى الْيَهُودِ الْفَاسِقِينَ إِلَيْهِنَّ قُلِ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ مَا كُنْتُمْ بِهِ مُشْرِكِينَ إِذْ جَاءَتْكُمْ الْبُرْهَانُ بِالْحَقِّ الْيَوْمَ أَتَاكُمُ الْمَوْلُودُ الَّذِي زَعَمْتُمْ أَنَّهُ عَلِيمٌ﴾^(٣).

اختلف أهل التأويل في معنى التوفي هنا على طريقين: فالطريق الأول: أن الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير، وذكرها في معناها وجوهاً:

الأول: معناه أي قابضك ورفعك إلي من غير موت من قولهم توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وقبضته تاماً، يقول البغوي: والدليل عليه قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾^(٤) أي قبضتني إلى السماء وأنا حي لأن قومه إنما تتصروا بعد رفعه لا بعد موته^(٥)، والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود إليه بقتل ولا غيره.

(١) انظر رواية ذلك في إنجيل متى: ٢٦.

(٢) إنجيل متى: ٢٧: ٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٥٥.

(٤) سورة المائدة، الآية ١١٧.

(٥) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٣٠٨.

الثاني: أن المراد بالتوفي النوم ومنه قوله ﷺ: **(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)** ^(١) فجعل النوم وفاة وكان عيسى عليه السلام قد نام فرفعه الله، وهو نائم لنلا يلحقه خوف ^(٢). فيكون المعنى: أني منيمك ورافعك إلي ^(٣).

الثالث: أن المراد بالتوفي حقيقة الموت، قال ابن عباس: "معناه: أني مميتك" قال وهب بن منبه: "إن الله توفي عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه إليه" ^(٤). قال المفسرون: وهذا فيه بعد ^(٥). وقيل: إن النصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعته إليه ^(٦).

الرابع: إن الوارد في قوله **(وَرَفَعَكَ إِلَيْنَا)** لا تفيد التركيب قاله الفراء والضحاك، والآية تدل على أن الله تعالى يفعل به ما ذكر فأما كيف يفعل؟ ومتى يفعل؟ فالأمر فيه موقوف على الدليل ^(٧).

الخامس: أن معنى أخذ الشيء وافيًا ولما علم الله ﷻ أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله إليه هو روحه دون جسده، كما زعمت النصارى أن المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الأرض ناسوته يعني جسده فرد الله عليهم **(إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيْنَا)** فأخبر الله ﷻ أنه رفع بتمامه إلى السماء بروحه وجسده جميعًا ^(٨).

والمشهور بين المفسرين أن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام بروحه وجسده إلى السماء ^(٩).

والطريق الثاني: أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا تقديره أني **(رَافِعُكَ إِلَيْنَا وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)** ومتوفيك بعد إنزالك إلى الأرض ^(١٠).

وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى إلى الأرض في القرآن؟ قال: نعم قوله تعالى: **(وَكُنْهَلَا)**.

(١) سورة الزمر، الآية ٤٢.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٤٤٨، والبغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٣٠٨. والخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٦٢. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٨. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٥٣. وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج ٦، ص ٢٠.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٣٠٨.

(٤) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٥٣. والخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٦٢. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٨.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٨. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٥٣.

(٦) وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٨. الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٦٢.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٥٣. والخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٦٢.

(٨) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٣٠٩. والخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٦٢.

(٩) وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج ٦، ص ٢١.

(١٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٥٣. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٨.

وذلك لأنه لم يكتمل في الدنيا، وإنما معناه، **(وَكَهَلًا)** بعد نزوله من السماء^(١).

ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل عليكم ابن مريم حكماً عدلاً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"^(٢). وفي رواية حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة: "أقروا أن شئتم **(وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ)**"^(٣). يقول ابن جرير الطبري: "أي يؤمنون بعيسى عليه السلام قبل موته ذلك أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام"^(٤)، ويقول ابن كثير: "الضمير في **(قَبْلَ مَوْتِهِ)** عائد على عيسى عليه السلام: أي وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض يوم القيامة"^(٥).

وفي الحديث عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "الأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ينزل بين مصرتين"^(٦) كأن رأسه يقطر وإن لم يصيبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك الله الملل في زمانه كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون^(٧). يقول القرطبي: "والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس، وقاله الضحاك"^(٨). أما ابن كثير فيميل إلى أن معنى الوفاة النوم يقول: "... قال الأكثرون: المراد بالوفاة ههنا النوم"^(٩).

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٣٠٩. والخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٦٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم، رقم (٣٢٦٤)، ج ٣، ص ١٢٧٢. ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، رقم (٢٤٢)، ج ١، ص ١٣٤.

(٣) سورة النساء، الآية ١٥٩.

(٤) الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٤٥٠.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٨.

(٦) الممصرة: من الثياب التي فيها صفرة خفيفة. ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٤٩٣. وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٧٢٢.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب **(وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ)**، رقم (٣٢٥٨)، ج ٣، ص ١٢٦٧. ومسنَد الإمام أحمد، ج ٢، ص ٤٠٦ بإسناد صحيح. وأبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب ذكر خروج الدجال، رقم (٤٣٢٤)، ج ٢، ص ٥٢٠. ومصنف ابن أبي شيبة، كتاب الفتن، باب ما ذكر في فتنة الدجال، رقم (٣٧٥٢٦)، ج ٧، ص ٤٩٩.

(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٥٣.

(٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٤٨.

وقوله: **﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** يعني: وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ فوق الذين كفروا أي من كفر بالمسيح من اليهود أو ممن غلا فيه أو أطراه من النصارى - فوقهم بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وإقامة البرهان^(١). وقيل المراد الحواريون قاله الضحاك^(٢).

﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ يقول ﷺ: إلي مرجع الفريقين في الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به، والذين كفروا به^(٣).

﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الحق في أمر عيسى عليه السلام^(٤).

- قيام المسيح بعد الصلب في العهد الجديد:

يعتقد النصارى أن المسيح قد صُلب، ودفن بعد الصلب، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره، ورفع إلى السماء ويقولون أنه كان قد أنبأ بذلك قبل صلبه.

والإيك تفاصيل دفنه وقيامته من الموت ورفعها كما ترونها الأناجيل.

يقول إنجيل متى: "ولما حل المساء، جاء رجل من بلدة الرامة، اسمه يوسف، وكان أيضاً تلميذاً ليسوع، فتقدم إلى بيلاطس يطلب جثمان يسوع، فأمر بيلاطس أن يُعطى له، فأخذ يوسف الجثمان، وكفنه بكتان نقي، ودفنه في قبره الجديد الذي كان قد حفره في الصخر، ودحرج حجراً كبيراً على باب القبر، ثم ذهب^(٥)، وفي اليوم التالي، أي بعد الإعداد للسبت: تقدم رؤساء الكهنة والفريسيون معاً إلى بيلاطس وقالوا: "يا سيد تذكرنا أن ذلك المضلل قال وهو حي: إني بعد ثلاثة أيام أقوم، فأصدر أمراً بحراسة القبر بإحكام إلى اليوم الثالث. لنلا يأتي تلاميذه ويسرقوه، ويقولوا للشعب: إنه قام من بين الأموات، فيكون التضليل الأخير أسوأ من الأول، فأجابهم بيلاطس: عندكم حراس، فاذهبوا واحرسوه كما ترون، فذهبوا وأحكموا إغلاق القبر، وختموا الحجر، وأقاموا حراساً"^(٦).

ثم يصف هذا الإنجيل قيامة يسوع المسيح من الموت فيقول: "وفي اليوم الأول من الأسبوع، بعد انتهاء السبت، ذهبت مريم المجدلية ومريم الأخرى تتفقدان القبر، فإذا زلزال عنيف قد حدث، لأن

(١). والبغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٣١٠. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٥٥، ١٥٦. والخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٦٤.

(٢). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٥٦.

(٣). الخازن، تفسير الخازن، ج ١، ص ٤٦٣.

(٤). المصدر السابق.

(٥). إنجيل متى: ٢٧: ٥٧-٦١.

(٦). إنجيل متى: ٢٧: ٦٢-٦٦.

ملاكاً من عند الرب نزل من السماء، وجاء فدرج الحجر، وجلس عليه. وكان منظر الملاك كالبرق، وثوبه أبيض كالثلج^(١)، ولمّا رآه الجنود الذين كانوا يحرسون القبر، أصابهم الذعر وصاروا كأنهم موتى، فطمأن الملاك المرأتين قائلاً: "لا تخافا، فأنا أعلم أنكما تبحثان عن يسوع الذي صلب، إنه ليس هنا، فقد قام كما قال: تعاليا وانظرا المكان الذي كان موضوعاً فيه واذهبا بسرعة واخبرا تلاميذه أنه قد قام من بين الأموات، وها هو يسبقكم إلى الجليل وهناك ترونه ها أنا قد أخبرتكما... وفيما هما منطلقتان لتبشرا التلاميذ، إذا يسوع نفسه قد التقاهما، وقال: سلام، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه، وسجدتا له، فقال لهما يسوع لا تخافا اذهبا قولا لإخوتي أن يوافوني إلى الجليل، وهناك يرونني"^(٢).

ثم بيّن الإنجيل أن يسوع المسيح قد ظهر لتلاميذه والتقّى بهم. "وأما التلاميذ الأحد عشر، فذهبوا منطقة الجليل، إلى الجبل الذي عيّنه لهم يسوع، فلمّا رأوه، سجدوا له، ولكن بعضهم شكّوا فتقدم يسوع وكلمهم"^(٣).

جميع الأناجيل ذكرت قيام المسيح من القبر بعد ثلاثة أيام لكنها اختلفت في تفاصيل القيام، فمتى ذكر أنه ظهر في الجليل، ولوقا ذكر أنه ظهر في أورشليم، ويوحنا ذكر أنه ظهر في اليهودية (في الجنوب عند القدس) والجليل معاً، ومرقس بين أن ظهوره كان بين تلاميذه^(٤).

أما عن رفعه إلى السماء فقد وردت في ذلك عدة نصوص أذكر منها:

"أما الآن فإنني عائذ إلى الذي أرسلني، ولا أحد منكم يسألني، أين تذهب"^(٥).

"خرجت من عند الأب، وأتيت إلى العالم وها أنا أترك العالم وأعود إلى الأب"^(٦).

أشرت سابقاً أن المسيح عليه السلام لم يصلب في عقيدة المسلمين بل رفعه الله إليه، وألقى شبه المسيح على سواه وظهر ابن مريم بصورة مخالفة حتى بدا غريباً على أصحابه المقربين فسلم، وقتل اليهود الشبه، وهذا يتعارض مع عقيدة الصلب عند النصارى، وأثبت ذلك من خلال الكتاب المقدس على النحو التالي:

أولاً: ثبوت تغيير شكل المسيح وهيئته:

لقد ثبت في كتبهم أن المسيح تغير شكله، وتبدلت هيئته، حتى خفي عن أتباعه. وتعذرت معرفته على أصحابه، فمن ذلك ما روى يوحنا عن مريم المجدلية: "والتفتت إلى الوراء، فرأت يسوع

(١) إنجيل متى: ٢٨: ٣-٢.

(٢) إنجيل متى: ٢٨: ٤-١٠.

(٣) إنجيل متى: ٢٨: ١٦-١٨.

(٤) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٣٠.

(٥) إنجيل يوحنا: ١٦: ٥.

(٦) إنجيل يوحنا: ١٦: ٢٨.

واقفاً، ولكنها لم تعلم أنه يسوع، فسألها: يا امرأة، لماذا تبكين؟ عمن تبحثين؟ فظنت أنه البستاني، فقالت له: "يا سيد، إن كنت أنت قد أخذته فقل لي أين وضعته لآخذه"^(١).

فلاحظ كيف أن مريم لم تعرف المسيح، وهي التي دهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها "فأخذت مريم من عطر الناردين الخالص الغالي الثمن: ودهنت به قدمي يسوع ثم مسحتهما بشعرها"^(٢). وقد روى لوقا كذلك كيف تغيرت هيئة المسيح قبل حادثة الصلب، فقال: يحكي عن المسيح "وبينما هو يصلي تجلت هيئة وجهه وصارت ثيابه بيضاء لماعة، وإذا رجلان يتحدثان معه وهما موسى وإيليا"^(٣).

ويثبت كذلك تغير شكل المسيح في قول مرقس عنه: "وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنتين منهم، وهما سائران منطلقين إلى إحدى القرى، فذهبا وبشرا الباقيين، فلم يصدقوهما أيضاً"^(٤). وهذا دليل على أن المصلوب الذي مات ودفنوه بأيديهم لم يكن المسيح.

ثانياً: ثبوت عدم القبض على المسيح:

ويثبت لدينا امتناع المسيح على أعدائه، قول يوحنا نفسه عن المسيح: "وأراد بعضهم أن يلقوا القبض عليه، ولكن أحداً لم يلق عليه يداً"^(٥). وقد شهد المسيح بنفسه أن اليهود لم يستطيعوا أن يقبضوا عليه ويأسروه بل لقد أعلن قائلاً أنه غلبهم جميعاً. "أخبرتكم بهذا كله ليكون لكم في سلام، فإنكم في العالم ستقاسون الضيق. ولكن تشجعوا فأنا قد انتصرت على العالم"^(٦).

ثالثاً: تنبؤ المسيح أنه سيشبه لهم وأنه سيرفع:

لقد علم المسيح أنهم سيشكون في كون المصلوب غيره، وقد أخبره تعالى أنه سيرفعه إليه، وأنه لن يمكن أحداً من أعدائه منه، ولذلك قال المسيح لأتباعه قبل حادثة الصلب "كلكم ستشكون، لأنه قد كتب، سأضرب الراعي، فتشتت الخراف..."^(٧).

(١) إنجيل يوحنا: ٢٠: ١٤-١٥.

(٢) إنجيل يوحنا: ١٢: ٣.

(٣) إنجيل لوقا: ٩: ٢٩-٣٠.

(٤) إنجيل مرقس: ١٦: ١٢-١٣.

(٥) إنجيل يوحنا: ٧: ٤٤.

(٦) إنجيل يوحنا: ١٦: ٣٣.

(٧) إنجيل مرقس: ١٤: ٢٧.

وهذا ما حدث فعلاً، فقد شك فيه المسيحيون وحسبوا أنه هو الذي صلب^(١). وانظر بعد ذلك في وعد المسيح بفوز من يعرف الحق ولا يشك فيه أليس ذلك معنى قوله: "وطوبى لمن لا يشك في"^(٢).

وبدل على رفع المسيح قوله: "أما الآن فأني عائذ إلى الذي أرسلني، ولا أحد فيكم يسألني، أين تذهب"^(٣).

وبدل عليه كذلك قوله: "خرجت من عند الأب، وأتيت إلى العالم وها أنا أرى العالم وأعود إلى الأب"^(٤).

وإننا نلاحظ أن هذا القول لا يدل مطلقاً على كونه سيُصلب ويُقهر بل الظاهر فيه أنه يتبأ برفعه، وترى أظهر من ذلك قوله لليهود الذين أتوا ليمسكوه "أنا معكم وقتاً قليلاً، ثم أعود إلى الذي أرسلني، عندئذ تسعون في طلبي ولا تجدونني، ولا تقدرون أن تذهبوا إلى حيث أكون"^(٥).

رابعاً: ثبوت كون المصلوب غير المسيح قطعاً:

يروى الإنجيل أن بطرس رئيس الحواريين، كان يحلف أنه لا يعرف المصلوب فقد سألته امرأة عن المقبوض عليه "فأنكر بطرس .. وأقسم" "إني لا أعرف ذلك الرجل"^(٦).

وبما أن بطرس لا يجوز مطلقاً أن يحلف كذباً لأنه يعتبر أعظم مسيحي أنجبته المسيحية، فهو إذن صادق، ويكون المصلوب لا يعرفه بطرس ولزم أن يكون غير المسيح^(٧).

ثم إن المصلوب أنكر أنه المسيح، فقد جاء في كتبهم أن رئيس الكهنة سأل المصلوب قبل تنفيذ الحكم: "أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ فأجابه يسوع: أنت قلت". إن قول المصلوب (أنت قلت) إنكار لا شك فيه، ولو كان كما يزعمون هو المسيح، لما وسعه إلا الجواب الصريح، سيما ورئيس الكهنة يستحلفه بالله، فهل لا يأبه المسيح بالله العظيم؟ إن إنكار المصلوب كونه المسيح بعد القسم عليه لدليل لا شك فيه في كونه غيره^(٨).

(١) محمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ١٧٢.

(٢) إنجيل متى: ١١: ٦.

(٣) إنجيل يوحنا: ١٦: ٥.

(٤) إنجيل يوحنا: ١٦: ٢٨.

(٥) يوحنا: ٧: ٣٣-٣٤.

(٦) إنجيل متى: ٢٦: ٧٢.

(٧) محمد وصفي، المسيح والتثليث، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٨) المصدر السابق، ص ١٧٦.

ثم إن رؤية التلاميذ للمسيح بعد حادثة الصلب تؤكد أنه لم يُصلب أصلاً لأنهم علموا -حسب معتقدهم - أنه سوف يقوم من القبر بعد ثلاثة أيام بعدها توقعوا أن يرونه روحاً أو شبخاً، وهذه الهيئة تؤكد -لو حدثت- أن المسيح قد صلب، ولكن الذي حدث أنهم رأوه بشخصه بلحمه ودمه، فقد رأوه على طبيعته قبل أن يرفع.

ويتضح ذلك من خلال النصوص التالية:

"وفيما هما يتكلمان بذلك، وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: سلام لكم، ولكنهم لذعرهم، وخوفهم توهّموا أنهم يرون شبخاً، فقال لهم: "ما بالكم مضطربين؟ ولماذا تتبعث الشكوك في قلوبكم، انظروا يدي وقدمي، فأنا هو بنفسي المسوني وتحققوا، فإن الشبح ليس له لحم وعظام كما ترون لي، وإذ قال ذلك أراهم يديه وقدميه"^(١).

نلاحظ أن المسيح يحاول إزالة الدهشة والتعجب عند رؤيته على حقيقته، ويؤكد لهم أنه المسيح، ويحاول كذلك أن يثبت لهم أنه لم يطرأ أي تغيير على طبيعته البشرية، ويوضح ذلك النص التالي:

"وإذ ما زالوا غير مصدقين من الفرح ومتعجبين، قال لهم: "أعندكم هنا ما يؤكل؟"، فناولوه قطعة سمك مشوي فأخذها أمامهم وأكل، ثم قال لهم: "هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا ما زلت بينكم، إنه لا بد أن يتم كل ما كتب عني في شريعة موسى، وكتب الأنبياء والمزامير"^(٢).

وهذا دليل واضح على أنهم رأوا عيسى عليه السلام قبل أن يرفعه الله تعالى إليه تصديقاً لما جاء في كتب الأنبياء قبله وشريعة موسى بحدوث ذلك ورجوعه -حسب ما جاء في القرآن الكريم- في آخر الزمان تصديقاً لقوله تعالى: ﴿يَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾^(٣).

المطلب التاسع: اتخاذ النصارى الرهبان أرباباً من دون الله في السياق القرآني والعهد الجديد:

- في السياق القرآني:

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤)

(١) إنجيل لوقا: ٢٤: ٣٦-٤٠.

(٢) إنجيل لوقا: ٢٢: ٤١-٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٦.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣١.

الرهبان: جمعها راهب مأخوذ من الرّهبة، وهو الذي حمّله خوف الله تعالى على أن يخلص له النية دون الناس، ويجعل زمانه له^(١) وهم أصحاب الصوامع^(٢).

﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي جعلوا رهبانهم كالآرباب حيث أطاعوهم في كل شيء حتى في معصية الله فاستحلوا ما أحلوا وحرّموا ما حرّموا، فاتخذوهم كالآرباب^(٣).

روى الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي: "يا عدي أطرح عنك هذا الوثن من عنقك" فطرحته لما انتهيت إليه وهو يقرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ حتى فرغ منها، قلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: "أليس يحرّمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرّم الله فتستحلونه؟" قال: قلت بلى، قال: "فتلك عبادتهم"^(٤).

قال عبد الله بن المبارك:

وهل بدل الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها^(٥).

﴿وَمَا أَمِرُوا﴾ في الكتب الإلهية وعلى السنة الأنبياء -عليهم السلام- ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ جليل الشأن هو الله ﷻ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزيهه عن الإشراك في العبادة والطاعة^(٦).

- في العهد الجديد:

الرهبان هم رجال الدين المسيحي، أو ما يسمى برجال الكنائس المسيحية ويدعى رجل الدين قسيساً، والشخص الأعلى منه رتبة يدعى أسقفًا أو مطراناً، ثم تتبعه مرتبة عالية هي مرتبة بطريق (بطريرك) أو كردينال، وفي القرن الحادي عشر حمل من بين الأساقفة، رئيس كنيسة روما لقب "بابا"، ثم لما قوي سلطانه أصبح رئيساً لجميع الكنائس وصار حاكماً لجميع النصارى الكاثوليك في جميع البقاع^(٧). ورجال الدين -حسب معتقدهم- هم واسطة بين الله والخلق، وأن الاتصال بالله ﷻ لا بد أن يتم عن طريقهم، ولهم فقط حق الاجتهاد والتشريع، وشرح الكتاب المقدس^(٨).

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٧٧.

(٢) البغوي، تفسير البغوي، ج ٢، ص ٢٤١.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج ١١، ص ٤١٨. و البغوي، تفسير البغوي، ج ٢، ص ٢٤١. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ١٧٧. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٧٧.

(٤) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن، ج ٣، ص ١١٥. والحديث سبق تخريجه.

(٥) و البغوي، تفسير البغوي، ج ١، ص ٢٤١. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٧٧.

(٦) المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٨٦-٢٧٧.

(٧) سعدون الساموك، مقارنة الأديان، ص ١٤٠.

(٨) أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٩٩.

وهذا الاعتقاد جعل للبابا عند الكاثوليك سلطات على جميع النصارى وسلطاناً فوق سلطان الملوك^(١). وليس هذا فحسب، بل نسبوا لبابا روما العصمة، واستحالة ارتكابه الإثم أو الخطيئة، لأن الروح القدس ينطق من خلاله بوصفه خليفة بطرس الرسول، أحد تلاميذ المسيح والذي منحه السيد المسيح (على حد تفكيرهم) مفاتيح السماء والأرض، بمعنى أن كل ما يربطه على الأرض فهو مربوط في السماء، وكل ما حله على الأرض يكون أيضاً محلولاً في السماء^(٢).

ونظراً إلى أن البروتستنتية ضيّقت من نفوذ الباباوات في روما، وحدث من سلطانهم، اضطر بابا روما إلى تأكيد "العصمة" بعقد مجمع مسكوني كاثوليكي في روما عام ١٨٦٩م فتأكد في ذلك المجمع تمتع البابا في روما بالعصمة واستحالة ارتكابه الإثم^(٣).

وبناءً على هذه السلطة التي أعطيت للباباوات ترى الكنيسة وجوب طاعة المسيحيين للأساقفة، والآباء الروحانيين دون تفكير، كما يطيعون الله وكما أطاع عيسى أباه على حد قولهم^(٤).

يقول أحمد شلبي معلّقاً على ذلك: "ومن العجيب أن المسيحيين جعلوا عيسى إلهاً، ثم جعلوا الأساقفة في مقام عيسى أي أحلوهم أيضاً محل الآلهة، فمقام الآلهة عندهم سهل الوصول، ومن العجيب كذلك أن بعض من وُضع في هذا الموضع من آباء الكنيسة انحرف، وحكمت عليه الكنيسة بالحرمان فكيف ينحرف المعصوم؟! وما يدعو للدهشة أن أساس هذا الاعتقاد أن أحد الأساقفة، أوصى بذلك حوالي سنة ١٠٧م، وأصبحت وصيته مقدسة وبُني عليها هذا الاعتقاد العجيب الذي يرفع القس إلى مصاف الآلهة"^(٥).

وقد ترجم أحمد شلبي رسالة أرسلها الأسقف (اجناسيوس) أسقف كنيسة أنطاكية إلى المسيحيين في (سميرنا Smyrna) عام ١٠٧م توضح إلى أي مدى تصل سلطة الأساقفة، وجاء فيها ما يلي:

"عليكم جميعاً أن تطيعوا آباء الكنيسة، كما أطاع عيسى أباه، أطيعوا أئمتكم الروحانيين كما تطيعون الرسل، ولا يباشر أحد منكم شأناً من الشئون التي تقوم بها الكنيسة (كالتعميد والزواج وحضور الموت والصلاة) بدون حضور آباء الكنيسة، وأنى يوجد الأسقف فإن حضوره يُعد حضوراً للمسيح نفسه تبعاً لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية"^(٦).

(١) سعادون الساموك، مقارنة الأديان، ص ١٤٠.

(٢) محمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٦٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٩٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ترجمه أحمد شلبي عن كتاب: Pengadjaran Geredja Katohk. Pp.300, 301 في كتابه المسيحية، ص ٢٠٠.

"الأب والأئمة الروحانيون لهم سلطان لقيادتنا وإرشادنا باسم المسيح، فمن أيديهم ننلقى حياة الطهر عن طريق التعميد، وهم الذين يعطوننا، الخبز، المقدس في العشاء الرباني، وهم الذين يربوننا لنصبح أبناء الله، وهم عوض عيسى وآباؤنا الروحانيون، فعلينا أن نتعمق في احترامهم وحبهم وطاعتهم"^(١).

"وكل رجال الكنيسة العظام من الأب المقدس إلى الأساقفة يصدرون الأوامر لتنظيم الكنيسة ولسلامة المسيحيين من الذنوب والهموم النفسية وتشجعهم على فهم الحياة الكنسية".

"والمسيحيون أعضاء يتكون منهم جسم عيسى المقدس فعليهم أن يمتثلوا لأوامر الأساقفة، وأن يسلموا أنفسهم للآباء الروحانيين"^(٢).

ومن أمثلة تحليل الرهبان ما حرّمه الله، تحليل لحم الخنزير مع تحريمه في التوراة، وكان المعروف أنه حرام في النصرانية التي تأخذ بكتب العهد القديم، وعلى رأسها التوراة.

ويروي "ابن البطريق" في هذا المقام أن اليهود لما دخلوا في النصرانية بسبب اضطهاد قسطنطين لهم بعد تنصره تشكك النصارى في إيمانهم فأشار بطريرك القسطنطينية على قسطنطين أن يختبرهم بحملهم على أكل لحم الخنزير وقال له: "إن الخنزير في التوراة حرام، واليهود لا يأكلونه، فأمر أن تذبح الخنازير، وتطبخ لحومها ويطعمون منها هذه الطائفة، فمن لم يأكل علمت إنه مقيم على اليهودية". عندئذ آمن قسطنطين بتحريم الخنزير، إذ نصت على التحريم التوراة المقدسة في نظر النصارى، كما هي مقدسة في نظر اليهود، وقال: "إن الخنزير في التوراة حرام فكيف يجوز لنا أن نأكل لحمه، ونطعمه للناس" ولكن البطريق ما زال به حتى حمله على الاعتقاد بأنه حلال، فقد قال له: "إن سيدنا المسيح قد أبطل سائر ما في التوراة، وجاء بتوراة جديدة هي الإنجيل، وقال في إنجيله المقدس إن كل ما يدخل الفم ليس ينجس الإنسان، إنما ينجس الإنسان كل ما يخرج من فيه" يعني السفه والكفر، وغير ذلك مما يجري مجراه، ويقص قصة عن بولس رسولهم بأن بطرس رأى رؤيا تقيد التحليل، وبذلك يحلون الخنزير"^(٣).

وألغى بولس شريعة الختان والختان حسب التوراة بمثابة العهد بين الله والإنسان جاء في سفر التكوين: "هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم ويكون علامة عهد بيني وبينكم، ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر.. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها، أنه قد نكث عهدي"^(٤).

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٤٥.

(٤) سفر التكوين: ٧: ١٠-١٤.

وقد حافظ المسيح على هذا التشريع وأمرهم بالختان وقد قال لتلاميذه شارحاً لهم هذا الأمر: إن موسى أوصاكم بالختان، وهذا لا يعني أن الختان يرجع إلى موسى بل إلى الآباء ولذلك تختنون الإنسان ولو يوم السبت..^(١)

ولكن بولس عمل على إلغاء شريعة المسيح عليه السلام فبدأ بإلغاء شريعة الختان قائلاً: "إن الختان هو ختان القلب، وليس الختان ما كان ظاهر اللحم... ما دام الله الواحد هو الذي سيبرر أهل الختان على أساس الإيمان، وأهل عدم الختان على أساس الإيمان؛ إذن هل نحن نبطل الشريعة بالإيمان؟ حاشاً، بل إننا بالإيمان نثبت الشريعة"^(٢).

"هنا أنا بولس أقول لكم: إن ختنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً"^(٣).

وبهذا التشريع أراد بولس أن يلغي الختان مبيناً أن الناموس لا لزوم له بعد مجيء المسيح^(٤).

(١) إنجيل يوحنا: ٧: ٢٢-٢٣.

(٢) الرسالة إلى مؤمني روما: ٣: ٢٩: ٣١.

(٣) الرسالة إلى مؤمني غلاطية: ٥: ٢.

(٤) محمد رجب الشتيوي، النصرانية دراسة مقارنة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م، ص ٩٣.

المبحث الثاني عقائد النصارى في القرآن الكريم المتعلقة بالنبوات وعلاقتها بالعهد الجديد

يعرف قاموس الكتاب المقدس النبوة بما يلي: "النبوة أو النبي هو من يتكلم أو يكتب عما يجول في خاطره دون أن يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره، بل هو من قوة خارجة عنه وهي قوة الله عند المسيحيين، وكان الكهنة كثيرًا ما يقومون بالنبوة بطرق مختلفة، وكان الناس يؤمنون بكلامهم ويستشيرونهم في كل أمور حياتهم. وعليهم كانت تتوقف الفتوحات العسكرية والقرارات السياسية وكانوا كالعرافين والمنجمين، ومدعي الغيب اليوم"^(١).

ويشير سعدون الساموك أنه لا أنبياء في المسيحية بالمعنى المفهوم للنبوة، فيقول: "لا أنبياء في المسيحية، ولا يدعى بالنبي إلا المسيح عليه السلام، ولكن دون إعطاء معنى لمعنى نبوته حيث هو إله من إله، وهو رب معبود عندهم، وقد أطلقوا على بعض أتباعه لفظ (الرسل) لأنهم كانوا بمثابة رسل للمسيح عليه السلام في الأرض حين طلب منهم أن يسبحوا في الأرض ويبشروا برسالته"^(٢).

ويذكر العهد الجديد أن الأنبياء أناس مملوون بالروح القدس وبه يساقون وبه يتكلمون^(٣) جاء في إنجيل لوقا: "وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، فتنبأ قائلاً: "تبارك الله إله إسرائيل، لأنه تفقد شعبه وعمل له فداء، وأقام لنا قرَنَ خلاصٍ في بيت داود فتاه..^(٤)".

وفي أعمال الرسل: "وقوف بطرس بينهم وخاطبهم قائلاً: "أيها الإخوة، كان لا بد من أن تتم النبوة التي قالها الروح القدس بلسان النبي داود، عن يهوذا الذي انقلب دليلاً للذين قبضوا على يسوع"^(٥).

وفي موضع آخر من هذا السفر: "وبينهم نبي اسمه أغابوس، تنبأ بوحي من الروح أن مجاعة عظيمة ستحدث في البلاد كلها، وقد وقعت هذه المجاعة فعلاً في عهد القيصر كلودبوس"^(٦).

وينفق النصارى مع اليهود في تقديس أسفار العهد القديم، فيعترفون بكل أنبياء اليهود السابقين،

(١) تأليف نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٤٩.

(٢) سعدون الساموك، مقارنة الأيمان، ص ١٤٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٥١.

(٤) إنجيل لوقا: ١: ٦٧-٦٩.

(٥) أعمال الرسل: ١: ١٦.

(٦) أعمال الرسل: ١١: ٢٨.

ومن ثم ينسبون إليهم ما تنسبه إليهم هذه الأسفار^(١). بالتالي يمكن أن نوجه إليهم نفس الملاحظات التي توجه إلى اليهود، فهم يتفقون مع اليهود في الاعتقاد في إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢). وكذلك في داود، وموسى -عليهما السلام- ويعتقدون ما تعتقده اليهود في أن النبي هو إسحاق عليه السلام كما يتفقون على كفرهم بسيدنا محمد ﷺ وبالقرآن، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَكِنَّ آتِبْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾^(٥).

ففي هذه الآية يوجه الله - سبحانه - الخطاب لليهود والنصارى بعدم الكفر بالقرآن الكريم لأنه مصدق لما في التوراة والإنجيل في أنهما من عند الله ﷻ قبل التحريف والتبديل، ومصدق لما فيهما من التوحيد، والنبوة، والبشارة بصفة النبي ﷺ. وقد وردت صفة النبي ﷺ والبشارة به في التوراة ونسخ الإنجيل.

وقد جاء في نسخ الإنجيل -وفق الترجمات العربية- أن اسم النبي المبشر به: "فارقليط" وهذا اللفظ تعريب للفظ اليوناني الموجود في الإنجيل بالترجمة اليونانية، واللفظ اليوناني: "ببركلوطوس". ومعنى هذه الكلمة في اليونانية قريب من معنى محمد وأحمد^(٦). وقد ذكرت سابقاً بعض النصوص التي تظهر البشارة به في التوراة^(٧)، وأذكر هنا بعض النصوص التي تظهر البشارة به في نسخ الإنجيل.

جاء في إنجيل يوحنا ما يشير إلى هذه البشارة في عدة نصوص وهي:

(١) سبق وأن أشرنا في مبحث النبوة عند اليهود ما تنسبه هذه الأسفار للأنبياء -عليهم السلام- من ممارسة الكبائر وإتيان المنكرات وغيرها.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

(٤) سورة المائدة، الآية ١٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ٤١.

(٦) عبد الرحمن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط٧، ١٩٩٤م، ص ٢٩٣.

(٧) انظر: مبحث عقيدة اليهود في سيدنا محمد ﷺ في المصادر اليهودية.

- (١) "إن كنتم تحبونني فاعملوا بوصاياي، وسوف أطلب من الأب أن يعطيكم معيناً (فارقليط) آخر يبقى معكم إلى الأبد"^(١).
- (٢) "(والفارقليط) الروح القدس، المعين الذي سيرسله الأب باسمي فإنه يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم"^(٢).
- (٣) "وعندما يأتي المعين (الفارقليط) الذي سأرسله لكم من عند الأب، روح الحق الذي ينبثق من الأب، فهو يشهد لي، وتشهدون لي أنتم أيضاً، لأنكم معي من البداية"^(٣).
- (٤) "ولكني أقول لكم الحق: من الأفضل لكم أن أذهب، لأني إن كنت لا أذهب لا يأتيكم المعين (الفارقليط) ولكنني إذا ذهبت أرسله إليكم"^(٤).
- (٥) "إلى أن تزول الأرض والسماء لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة، حتى يتم كل شيء"^(٥). يشير النص إلى أن زوال الشريعة (أي شريعة موسى) مرهون بمجيء الكل، وكلمة الكل هنا تشير إلى شريعة محمد ﷺ لشمولها (والكل) هنا لا تشير إلى رسالة عيسى، لأن عيسى نفسه قال: "لا تظنوا أنني جئت لألغي الشريعة، أو الأنبياء. ما جئت لألغي بل لأكمل"^(٦).
- (٦) قال عيسى مخاطباً اليهود: "ألم تقرأوا في الكتاب: الحجر الذي رفضه البناء، هو نفسه صار حجر الزاوية الأساسي من الرب، كان هذا وهو عجيب في أنظارنا، لذلك أقول لكم: "إن ملكوت الله سينزع من أيديكم ويُسَلَّم إلى شعب يؤدي ثمره..."^(٧). الحجر الذي رفضه اليهود هو إشارة إلى إسماعيل لأن اليهود رفضوه بدعوى أنه ابن الجارية، وسيصير إسماعيل رأس الزاوية لأن من نسله سيأتي محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين^(٨).
- (٧) قال عيسى: "وسوف أطلب من الأب أن يعطيكم معيناً آخر يبقى معكم إلى الأبد"^(٩). والمعين هنا (الفارقليط) أي نسبة إلى سيدنا محمد ﷺ.

(١) إنجيل يوحنا: ١٤: ١٥-١٦.

(٢) إنجيل يوحنا: ١٤: ٢٦.

(٣) يوحنا: ١٥: ٢٦-٢٧.

(٤) يوحنا: ١٦: ٧.

(٥) متى: ٥: ١٨.

(٦) متى: ٥: ١٧. محمد الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص ٩٧.

(٧) متى: ٢١: ٤٢-٤٣.

(٨) محمد الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص ٩٨.

(٩) يوحنا: ١٤: ١٦.

هذا ما يتفق عليه اليهود والنصارى في معتقدتهم في الأنبياء لكن هناك جوانب ترتبط باعتقاد النصارى وحدهم دون اليهود، وهي ما يتصل باعتقادهم في المسيح عليه السلام فهم لم يقفوا به عند وصف النبوة بما تقتضيه من وجوه الكمال البشري، وهو مقام الصفوة من عباد الله، وإنما صعدوا به إلى مستوى آخر صنعه خيالهم وأوهامهم، وذلك حين صوروا أنه ابن الله، وحاول أقواهم رأياً أن يمزجوا فيه بين الناسوت واللاهوت بعبارات أقرب إلى الهذيان^(١).

كما يختلف اعتقادهم في مريم -عليها السلام- فاليهود حطوا من شأنها ورموها بالبهتان والنصارى غالت في شأنها بتأليهها وجعلها أمّاً للإله.

ويختلف كذلك اعتقادهم في المسيح المنتظر عما يعتقد اليهود، فالنصارى تعتقد بعودة عيسى عليه السلام بطبيعته (الناسوتية) في شخص الابن الأقنوم الإلهي الثاني^(٢). فباعتقادهم أن المسيح بعد أن صلب ودفن قام بعد ثلاثة أيام، وبعد أن مكث قليلاً وتعرف عليه التلاميذ، ارتفع إلى السماء وعاد إلى الطبيعة (اللاهوتية)، وجلس إلى جانب الأب، وسيعود إلى الأرض ثانية، وهناك عدة نصوص في الأناجيل تشير إلى هذه العودة منها ما يرويه إنجيل متى: "فكما أن البرق يومض من الشرق فيضيء في الغرب، هكذا يكون رجوع ابن الإنسان"^(٣). وأعمال الرسل: "وبينما هم يحدقون إلى السماء وهو ينطلق إليهما، إذا رجلان قد ظهرا لهم بثياب بيض، وقالا لهم: "أيها الجليليون لماذا تقفون ناظرين إلى السماء؟ إن يسوع، هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيعود منها مثلما رأيتموه منطلقاً إليهما!"^(٤).

وهناك علامات تدل على عودة المسيح المنتظر، ذكرها المسيح لتلاميذه قبل رفعه إلى السماء، حتى يتمكن الناس من معرفته عند رجوعه في آخر الزمان، وأولى هذه العلامات هدم الهيكل. "وبينما كان يغادر الهيكل قال له أحد تلاميذه: "يا معلم، انظر ما أجمل هذه الحجارة وهذه المباني، فأجابه يسوع: "أترى هذه المباني العظيمة؟ لن يترك منها حجر فوق حجر إلا ويهدم"^(٥).

وهناك علامات أخرى يظهرها النص التالي: "وبينما كان جالساً على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ على انفراد وقالوا له: "أخبرنا متى يحدث هذا، وما هي علامة رجوعك وانتهاء الزمان؟ فأجاب يسوع: انتبهوا لا يضللكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني أنا هو المسيح، فيضللون كثيرين، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب، فإياكم أن ترتعبوا، فلا بد أن يحدث هذا كله،

(١) رفقى زاهر، قصة الأديان، ص ٣٤٢.

(٢) سعدون الساموك، مقارنة الأديان، ص ٤٢. وانظر أيضاً: M. Werner, The Formation of Christian Dogma, (London, 1957), p.256-258.

(٣) إنجيل متى: ٢٤: ٢٧.

(٤) أعمال الرسل: ١: ١٠-١١.

(٥) إنجيل مرقس: ١٣: ١-٢.

ولكن ليست النهاية بعد، فسوف تتقلب أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتحدث مجاعات، وزلازل في عدة أماكن، ولكن هذه كلها ليست إلا أول المخاض، عندئذ يسلمكم الناس إلى العذاب، ويقتلونكم، وتكونون مكروهين لدى جميع الأمم من أجل اسمي.. ويظهر كثيرون من الأنبياء الدجالين ويضللون كثيرين...^(١). والويل للحبالي والمرضعات في تلك الأيام... ولوا أن تلك الأيام ستختصر، لما كان أحد من البشر ينجو، ولكن من أجل المختارين ستختصر تلك الأيام، فإن قال لكم أحد عندئذ: ها إن المسيح هنا، أو هناك. فلا تصدقوا، فسوف يبرز أكثر من مسيح دجال ونبي دجال ويقدمون آيات عظيمة وأعاجيب، ليضلوا حتى المختارين لو استطاعوا، ها أنا قد أخبركم بالأمر قبل حدوثه^(٢).

ويشير المسيح ﷺ أن وقت عودته لا يعلمها إلا الله ﷻ بقوله: "أما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعرفها أحد ولا ملائكة السموات إلا الأب وحده، وكما كانت الحال في زمن نوح، كذلك ستكون عند رجوع ابن الإنسان"^(٣).

ويختلف النصارى عن اليهود في الإيمان بالتوراة والإنجيل معاً، بينما يؤمن اليهود بالتوراة فقط دون الإنجيل، وقد أشارت بعض الآيات القرآنية إلى ذلك، وأمرت أهل الكتاب من النصارى بالعمل بما في الإنجيل، لأن الإنجيل جاء مصدقاً لما في التوراة، وسوف أبين ذلك أولاً في السياق القرآني، ثم أبينه عند النصارى بإذن الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورَةٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنزِلَ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤).

في هذه الآيات أمر للنصارى بوجوب الإيمان بالإنجيل والعمل بما فيه ووجوب الإيمان بمحمد ﷺ، لأن في الإنجيل وجوب الإيمان به ﷺ^(٥).

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أي جعلنا عيسى يقفوا آثارهم^(٦). وإلقاؤه هنا في مظهر العظمة لتعظيم شأن عيسى ﷺ ﴿عَلَىٰ آثَارِهِم﴾ أي النبيين الذي يحكمون بالتوراة^(٧) فقد أخبر الله تعالى أنه أتبع أولئك الأنبياء السابقين من بني إسرائيل عيسى بن مريم ﷺ الذي أرسله بعدهم مباشرة^(٨).

(١) إنجيل متى: ٢٤: ١٣-١٣. وذكر ذلك مرقس في ١٣: ٣-١٣.

(٢) إنجيل متى: ٢٤: ٢٦-٢٦. ومرقس: ١٣: ١٤-٢٣. ولوقا: ٢١: ٢٠-٢٤.

(٣) إنجيل متى: ٢٤: ٣٦-٣٧.

(٤) سورة المائدة، الآيات ٤٦، ٤٧.

(٥) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٣٧١. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٣٥.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٣٥.

(٧) الألويسي، روح المعاني، ج ٣، ص ٣١٨. والباقعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٢، ص ٤٦٧.

(٨) أبو بكر الجزائري، أسير التفاسير، ص ٢٩٧.

وقوله: **(بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ)** نسبة إلى أمه إشارة إلى أنه لا والد له تكذيباً لليهود بادعائهم على مريم ما أدعوه، وإشارة إلى أنه عبد تكذيباً للنصارى لادعائهم ذلك **(مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)** أي مما أتى به موسى **(مِنَ التَّوْرَةِ)** **(وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ)** أي أنزلناه بعظمتنا عليه كما أنزلنا التوراة على موسى **(١)**. ومعنى كون عيسى **(مُصَدِّقًا لِلتَّوْرَةِ)** أنه أقر بأنه كتاب منزل من عند الله، وأنه كان حقاً واجب العمل به قبل ورود النسخ **(٢)**.

والقارئ للآية الكريمة يظن أن هناك تكراراً لقوله تعالى: **(مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)** والصحيح أنه ليس هناك تكرار ففي الآية الأولى المعنى: أن المسيح يصدق التوراة، وفي الثانية: أن الإنجيل يصدق التوراة **(٣)**.

قوله تعالى: **(فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)**، يقول الرازي: "إن الإنجيل هدى بمعنى أنه أشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتزيه وبراءة الله -تعالى- عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة وعلى الميعاد، فهذا هو المراد بكونه هدى، وأما كونه نوراً، فالمراد به كونه بياناً للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكليف، وأما كونه مصدقاً لما بين يده، فيمكن حمله على كونه مبشراً بمبعث محمد **(ﷺ)**، وأما كونه هدى مرة أخرى فلأن اشتماله على البشارة بمجيء محمد **(ﷺ)** سبب لاهتداء الناس إلى نبوة محمد **(ﷺ)** ولما كان أشد وجوه المنازعة بين المسلمين وبين اليهود والنصارى في ذلك لا جرم أعاده الله تعالى مرة أخرى تنبيهاً على أن الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوة محمد **(ﷺ)**، فكان هدى في هذه المسألة التي هي أشد المسائل احتياطاً إلى البيان والتقدير، وأما كونه موعظة فلاشتمال الإنجيل على النصائح والمواعظ والزواجر البليغة المتأكدة وإنما خصها بالمتقين لأنهم هم الذين ينتفعون بها" **(٤)**.

(وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ) فيه ابتداء أمر للنصارى بالحكم بما في الإنجيل وزجرهم عن تحريف ما في الإنجيل وتغييره مثل ما فعل اليهود من إخفاء أحكام التوراة. فالمعنى **(وَلِيَحْكُمَ)** أي وليقر أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه على الوجه الذي أنزله الله فيه من غير تحريف ولا تبديل **(٥)**.

(وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) أي المتمردون الخارجون عن حكمه أو عن الإيمان به وقد يكون الفسق ظلمًا وكفرًا **(٦)**. وهذه الآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام، وأن عيسى **(ﷺ)** كان مستقلاً بالشرع مأموراً بما فيه من الأحكام قلت هذه الأحكام أو كثرت، وليس بما

(١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، ج ٢، ص ٤٦٧.

(٢) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٣٧٠.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٣٧٠.

(٥) المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٧١.

(٦) الألوسي، روح المعاني، ج ٣، ص ٣١٩. أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ص ٢٩٧.

هو في التوراة خاصاً، والدليل على ذلك الحديث الذي رواه البخاري: "أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها، وأهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به"^(١)، وخالف الشهرستاني ذلك بقوله: "جميع بني إسرائيل كانوا متعبدين بشريعة موسى عليه السلام مكلفين التزام أحكام التوراة والإنجيل النازل على المسيح عليه السلام لا يحتضن أحكاماً ولا يستبطن حلالاً وحراماً. ولكنه رموز وأمثال ومواعظ وما سواها من الشرائع والأحكام محال على التوراة ولهذا لم تكن اليهود لانتقاد لعيسى عليه السلام"^(٢).

وفي موضع آخر يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

بين الله ﷻ أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى لو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وذلك بعدم تحريفهما، والعمل بمقتضاها من إقامة أحكامها وحدودها. والعمل بما فيها من الوفاء بعهود الله فيها، ومن الإقرار باشتغالها على الدلائل الدالة على بعثة محمد ﷺ^(٤). لغازوا بسعادات الدنيا ووجدوا طيباتها وخيراتها^(٥).

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ قيل هو القرآن، وقيل: أنه كتب سائر الأنبياء^(٦). والمقصود من إقامة هذه الكتب: العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيلها، لأن في ذلك نذ لها^(٧). كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٨)، قال الشعبي: "هو بين أيديهم يقرؤونه، ولكن نبذوا العمل به، وكفروهم بمحمد ﷺ وتكذبيهم له نذ لهما^(٩)."

وفي الحديث الذي رواه الترمذي عن جُبَيْر بن نَفِير عن أَبِي الدرداء، قال: "كنا مع النبي ﷺ فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: "هذا أوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب، رقم (٥٥٧)، ج ١، ص ٥٦٨، وفي باب "قوله تعالى: ﴿قُلْ قَاتِلُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾، ج ١٨، ص ٥٨٧.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٣٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٦.

(٤) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٣٩٨. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٨٧.

(٥) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٣٩٨.

(٦) البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٥١. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٣٩٨. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٨٧.

(٧) الطبري، جامع البيان، ج ٦، ص ٢٩٩. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ١٦٥.

(٨) سورة البقرة، الآية ١٠١.

(٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٦٨.

شيء". فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يُختلس، وقد قرأنا القرآن! فوالله لنقرئنه ولنقرئنه نساءنا وأبنائنا، فقال النبي ﷺ لزياد: "تكلتك أمك يا زياد، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى"^(١).

ثم أخبر الحق -تبارك وتعالى- أن منهم مقتصدًا -وهم المؤمنون منهم كالنجاشي، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن سلام- اقتصدوا فلم يقولوا في عيسى ومحمد -عليهما الصلاة والسلام- إلا ما يليق بهما^(٢).

وفي موضع آخر يقول -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

قال ابن عباس: "جاء جماعة من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: ألسنت نُقرَّ أن التوراة حق من عند الله؟ قال: "بلى"، فقالوا: فإننا نؤمن بها، ولا نؤمن بما عداها، فنزلت الآية: أي لستم على شيء من الدين حتى تعملوا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد ﷺ، والعمل بما يوجب ذلك منهما"^(٤).

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ وذلك بتحريفهم للتوراة والإنجيل يزدادون كفرًا على كفرهم فلا تحزن على القوم الكافرين، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ^(٥).

وفي موضع آخر يقول -تبارك وتعالى- في شأن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٦)، وفي سورة آل عمران يقول الحق -تبارك وتعالى-: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٧).

﴿الْكِتَابَ﴾ المراد به الكتابة وهي الخط^(٨)، والحكمة: قيل: هي الكلام المحكم الصواب^(٩). وقيل:

هي فهم أسرار الشرع، والإصابة في الأمور كلها وفهم التشريع الإلهي^(١٠). وقيل: هي عبارة عن العلوم النظرية، والعلوم العملية^(١١)، وأرى أنه لا يمنع أن يكون معنى الحكمة جميع ما ذكر.

(١) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ذهاب أهل العلم، رقم (٢٦٥٣)، وقال الألباني عنه إنه صحيح، ج ٥، ص ٣١.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٥١. والرازي، التفسير الكبير، ج ٤، ص ٣٩٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٨.

(٤) الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٥٧٣. والنيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ٢، ص ٢١٠.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٩٣.

(٦) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٧) سورة آل عمران، الآية ٤٨.

(٨) الآلوسي، روح المعاني، ج ٤، ص ٥٥. والبغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٤٧. والرازي، التفسير الكبير، ج ٤، ص ٤٥٩.

الخازن، تفسير الخازن، ج ٢، ص ٤٧، وأبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ص ٣٢٠.

(٩) الآلوسي، روح المعاني، ج ٤، ص ٥٥.

(١٠) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ص ٣٢٠.

(١١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٤٥٩.

أما «التَّوْرَة وَالْإِنْجِيل» فيقول الرازي: "أن الإطلاع على أسرار الكتب الإلهية، لا يحصل إلا لمن صار عالماً في أصناف العلوم الشرعية والعقلية الظاهرة التي يبحث عنها العلماء، فقوله: «التَّوْرَة وَالْإِنْجِيل» إشارة إلى الأسرار التي لا يطلع عليها أحد إلا أكابر الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-^(١). وقال الآلوسي: "خصاً بالذكر هنا إظهاراً لشرفهما على الكتاب والحكمة"^(٢)، إلا أن قول الرازي هو الأظهر والله أعلم.

٧٠٧٥٣٧

- عند النصارى:

يؤمن النصارى بالكتاب المقدس بقسميه العهد القديم، والعهد الجديد فالعهد القديم يشتمل على التوراة، والعهد الجديد يشتمل على الأنجيل الأربعة بعكس اليهود الذين يؤمنون بالعهد القديم فقط المشتمل على التوراة وهذا قد وضحناه في الفصل الأول من هذه الرسالة في مبحث المصادر المقدسة عند النصارى.

ومن الجدير بالذكر أن النصارى يعتقدون أن الأنجيل الأربعة لم يملها المسيح ﷺ، ولم تنزل عليه هو بوحى أوحى إليه، ولكنه كتبت بعده من قبل التلاميذ مؤيدين في ذلك بالروح القدس^(٣). يقول أحمد شلبي: "إن المصادر المسيحية التي تعترف بها الكنيسة ليست من كتابة عيسى ولا من إملائه فكيف يجوز الاستدلال بها وكيف تتخذ وسيلة لإثبات عقائد المسيحية؟ والجواب على ذلك أنهم يعتقدون أن هذه الأنجيل وتلك الرسائل موحى بها إلى هؤلاء القديسين، وأن هؤلاء القديسين كانوا رسلاً، وأن الروح القدس أمدهم بالهدى والرشاد"^(٤).

والملفت أيضاً أن الفريقين من اليهود والنصارى متفقان على أن التوراة إنما كتبت بعد زمن موسى ﷺ بفترة لا تقل عن خمسمائة عام، وأن تلك الفترة استمرت فيها الإضافة والتحوير لفترة لا تقل عن ألف عام^(٥). وهذا ما أشارت إليه الرهبانية اليسوعية في دراسة أجرتها على الكتاب المقدس حيث تقول: "أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين ظل عدد كبير منهم مجهولاً، لكنهم على أي حال لم يكونوا منفردين، لأن الشعب كان يساندهم... وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب وهي تحمل ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات.. لا بل أن أحدث

(١) المصدر السابق.

(٢) الآلوسي، روح المعاني، ج ٤، ص ٥٥.

(٣) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٥٠.

(٤) أحمد شلبي، المسيحية، ص ٢٢٥.

(٥) محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٨.

الأسفار ما هي أحياناً إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة^(١). يعلق محمد البار على ذلك بقوله: "وهذا الكلام واضح في القول بأن أسفار الكتاب المقدس ليست من عند الله مباشرة، ولا أوحى الله بها لأحد من أنبيائه، بل هي عمل محررين ومؤلفين استلهموا أعمالهم من تقاليد الشعب والأمة وأحلامه"^(٢).

(١) محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص ٨. نقلاً عن مدخل إلى الكتاب المقدس من الترجمة الفرنسية

المسكونية، إصدار الرهبانية اليسوعية، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٥م.

(٢) المصدر السابق، ص ٨، ٩.

المبحث الثالث عقائد النصارى في القرآن الكريم المتعلقة بالسمعيات وعلاقتها بالعهد الجديد

تُعتبر عقيدة اليوم الآخر في الديانة النصرانية أكثر وضوحاً عنها في اليهودية، ذلك أن الديانة النصرانية وأتباعها يعتبرون الإيمان باليوم الآخر ركناً من أركان الدين، جاء فيما يسمى بقانون الإيمان ما نصه "من أجل خلاصنا نزل من السماء ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء"^(١). وبناءً عليه فهم يؤمنون بالبعث، وباليوم الآخر، وبالقيامة، والجنة والنار وبالحساب، والعقاب كما يؤمنون بقيام الساعة وعلاماتها وهذه الأمور تحدث عنها العهد الجديد -على ما سيأتي-:

ويسمى النصارى الآخرة "بالاسخاتولوجيا" Eschatology وهي معنى مركب عن كلمتين يونانيتين معناهما: "الكلام في الآخرة، أي الأمور المختصة بمستقبل النفس ونهاية العالم إلى مجيء المسيح الأخير والدينونة ونصيب الأبرار السماوي وقصاص الأشرار الأبدي"^(٢). ونلاحظ أن هذا الإطلاق يحدد الآخرة من نهاية العالم ومجيء المسيح، أي القيامة الكبرى التي تبدأ بالبعث ومقدماته. والآخرة حسب المعتقد المسيحي تبتدئ بالموت، ويؤيد هذا ما ذكره جميل صليبا في تعريفه للآخرة، حيث ورد في المعجم الفلسفي تحت الآخرة ما نصه: "موضوع علم الآخرة هو البحث في المسائل المتعلقة بنهاية العالم ومصير الإنسان من موت وبعث وجنة ونار"^(٣).

ويقسم النصارى الموت إلى قسمين: الموت الجسدي الذي هو مفارقة الحياة، والموت الروحي: الذي هو عبارة عن انفصال النفس عن الله.

ورد في قاموس الكتاب المقدس: "الموت ينقسم إلى: ما يصيب الجسد فقط دون النفس، وإلى ما يصيبهما معاً"^(٤)، ورد في متى: "لا تخافوا الذين يقتلون الجسد، ولكنهم يعجزون عن قتل النفس، بل بالأحرى خافوا القادر أن يهلك النفس والجسد جميعاً في جهنم"^(٥).

(١) سراج غرابوس، اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام -دراسة مقارنة-، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ١٩٩٧م، ص ٨٣. نقلاً عن: "اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر"، ص ٢٢٩.

(٢) فرج الله عبد الباري أبو عطا الله، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء، المنصورة، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٥٣.

(٣) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٢٧.

(٤) قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من اللاهوتيين، ص ٩٢٩.

(٥) إنجيل متى: ١٠: ٢٨.

ويعتقد النصارى أن الموت الجسدي مترتب على خطيئة آدم ولولا هذه الخطيئة لما كان هناك موت^(١)، ورد في رسالة روما ما نصه: "فكما دخلت الخطيئة إلى العالم على يد إنسان واحد، وبدخول الخطيئة دخل الموت، هكذا جاء الموت على جميع البشر، لأنهم جميعاً أخطأوا..."^(٢).

ويطلق على اليوم الآخر في العهد الجديد عدة أسماء^(٣) منها:

- النهاية: وهي التي تشير إلى نهاية العالم، ورد في إنجيل متى: "فسوف ينادي ببشارة الملكوت هذه في العالم كله، شهادة لي لدى الأمم جميعاً، وبعد ذلك تأتي النهاية"^(٤).
- وورد في رسالة بطرس الأولى: "إن نهاية كل شيء قد صارت قريبة، فتعقلوا إذن، وكونوا منتبهين لرفع الصلاة دائماً"^(٥).
- وسمي يوم الدينونة: ورد في رسالة بطرس الأولى: "لكنهم سوف يؤدون الحساب أمام المسيح المستعد أن يدين الأحياء والأموات"^(٦).
- وسمي بالقيامة: ورد في إنجيل متى: "في ذلك اليوم تقدم إليه بعض الصدّوقين الذين لا يؤمنون بالقيامة"^(٧).
- وسمي بقيامة الأموات: "ورد في إنجيل متى: "أما عن قيامة الأموات، أفما قرأتم ما قيل لكم على لسان الله: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب؟ وليس الله بإله أموات، بل هو إله أحياء"^(٨).

ويؤمن النصارى بالساعة، وقد ذكر العهد الجديد علامات وأشراف لها تدل على اقترابها، جاء في إنجيل متى فقرة بعنوان: "علامات نهاية الزمان" جاء فيها: "وبينما كان جالساً على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ على انفراد وقالوا له: "أخبرنا متى يحدث هذا، وما هي علامة رجوعك وانتهاء الزمان؟ فأجاب يسوع: "انتبهوا، لا يضللكم أحد فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني أنا هو المسيح، فيضللون كثيرين، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب، فإياكم أن ترتعّبوا، فلا بد أن يحدث هذا كله، ولكن ليست النهاية بعد، فسوف تتقلب أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتحدث مجاعات، وزلازل في عدة أماكن، ولكن هذه كلها ليست إلا أول المخاض، عندئذ يسلمكم الناس إلى العذاب، ويقتلونكم،

(١) فرج الله عبد الباري أبو عطا الله، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ٧١.

(٢) الرسالة إلى مؤمني روما: ٥: ١٢.

(٣) سراج غرابوس، اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام - دراسة مقارنة -، رسالة ماجستير، ١٩٩٧م، ص ٨٠.

(٤) إنجيل متى: ٢٤: ١٤.

(٥) رسالة بطرس الأولى: ٤: ٧. وانظر أيضاً: إنجيل يوحنا: ٨: ٥٦، وإنجيل لوقا: ١٧: ٢٢.

(٦) رسالة بطرس الأولى: ٤: ٥.

(٧) إنجيل متى: ٢٢: ٢٣.

(٨) إنجيل متى: ٢٢: ٣١-٣٢.

وتكونون مكروهين لدى جميع الأمم من أجل اسمي.. ويظهر كثيرون من الأنبياء الدجالين ويضللون كثيرين، وإذ يعم الإثم، تترد المحبة لدى الكثيرين، ولكن الذي يثبت حتى النهاية، فهو يُخلص»^(١).

وجاء في نفس الإنجيل فقرة بعنوان: "الضيقة العظيمة" جاء فيها: "فعندما ترون رجاسة الخراب، التي قيل عنها بلسان دانيال النبي، قائمة في المكان المقدس ليفهم القارئ! عندئذ ليهرب الذين في منطقة اليهودية إلى الجبال، ومن كان على السطح، فلا ينزل ليأخذ ما في بيته في تلك الأيام، والويل للحبالي والمرضعات... فصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء أو في سبت، فسوف تحدث عندئذ ضيقة عظيمة لم يحدث مثلها منذ بدء العالم إلى الآن، ولن يحدث،.. فإن قال لكم أحد عندئذ: ها إن المسيح هنا، أو هناك، فلا تصدقوا، فسوف يبرز أكثر من مسيح دجال ونبي دجال، ويقدمون آيات عظيمة، وأعاجيب ليضلوا حتى المختارين لو استطاعوا، ها أنا قد أخبرتكم بالأمر عند حدوثه..."^(٢).

وقد سمى بعض الباحثين هذه بالعلامات الزمنية، وهناك أيضاً علامات سُميت بالعلامات الكونية تدل على نهاية الزمان^(٣).

جاء في إنجيل متى: "وحالاً بعض الضيقة في تلك الأيام، تظلم الشمس، ويحجب القمر ضوءه، وتتهوى النجوم من السماء، وتترزع قوات السماوات، وعندئذ تظهر آية ابن الإنسان في السماء، فتتحب قبائل الأرض كلها، ويرون ابن الإنسان آتياً على سحب السماء بقدرة ومجد عظيم، ويرسل ملائكته بصوت بوق عظيم يجمعوا مختاريه من الجهات الأربع، من أقاصي السماوات إلى أقاصيها"^(٤). والمتمعن في هذه النصوص يرى ورود بعض العلامات التي تتشابه بعض الشيء مع ما جاء في الإسلام مثل: "والويل للحبالي والمرضعات في تلك الأيام"، تشابه مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٥).

والنص الذي يقول: "في تلك الأيام تظلم الشمس، ويحجب القمر ضوءه، وتتهوى النجوم من السماء، وتترزع قوات السماوات"، تشابه مع قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ اتَّكَدَّتْ﴾^(٦).

والنص الأول الذي رواه متى وبيّن فيه كثرة الحروب والزلازل وظهور الدجالين يشابه مع الحديث الذي ذكره البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان، يكون

(١) إنجيل متى: ٢٤: ٣-١٣. وإنجيل مرقس: ١٣: ٣-١٠.

(٢) متى: ٢٤: ١٥-٢٤. ومرقس: ١٣: ١٤-٢٣.

(٣) سراج غرابوس، اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام، ص ٨٦.

(٤) إنجيل متى: ٢٤: ٢٩-٣١.

(٥) سورة الحج، الآيتان ١، ٢.

(٦) سورة التكويد، الآيتان ١، ٢.

بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل...^(١).

والنص الذي يقول: "فسوق يبرز أكثر من مسيح دجال ونبي دجال، ويقدمون آيات عظيمة وأعاجيب، ليضلوا حتى المختارين لو استطاعوا.." يتشابه مع قول الرسول محمد ﷺ في حديثه عن المسيح الدجال الذي سوف يظهر في آخر الزمان حتى يضل الناس. ففي الحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يهادى بين رجلين ينطف رأسه ماء أو يهراق رأسه ماء، فقلت من هذا؟ قالوا: ابن مريم، فذهبت ألثفت فإذا رجل أحمر جسد الرأس أعور عينه اليمنى كأن عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال، وأقرب الناس به شبها ابن قطن رجل من خزاعة"^(٢).

والحديث الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ إذ يقول فيه: "الدجال أعور العين، جفال الشعر، معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار"^(٣)، ففيه وصف الدجال، والعلامات التي يقوم بها ليضل الناس، والشاهد أن هذا التشابه بين النصوص الواردة في الأنجيل وبين النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تدل على وجود بقايا من وحي في هذه الأنجيل بالرغم من التحريف، لتدل على أن عيسى عليه السلام قد أخبرهم بما أخبره الله ﷻ عن علامات الساعة لكنهم انحرفوا عن الدين الحق.

ويشير العهد الجديد أن وقت الساعة (القيامة) لا يعلمها إلا الله ﷻ يقول إنجيل متى على لسان المسيح: "أما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعرفها أحد، ولا ملائكة السماوات إلا الأب وحده..."^(٤).

ويؤمن النصارى بالبعث^(٥) ويُطلق عندهم على القيامة، ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة القيامة "تتضمن القيامة بحسب تعاليم الكتاب المقدس قيامة الأجساد، وتغير هذه الأجساد، وبقاؤها إلى الأبد"^(٦). والبعث يكون بالقيامة من القبور وذلك عند سماع صوت المسيح يقول إنجيل يوحنا: "لا تتعجبوا من هذا فسوف تأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوته، فيخرجون منها، فالذين عملوا الصالحات يخرجون في القيامة المؤنّية إلى الحياة، وأما الذين عملوا السيئات ففي القيامة المؤنّية إلى الدينونة"^(٧).

(١) صحيح البخاري واللفظ له في كتاب الفتن، باب خروج النار، رقم (٦٧٠٤)، ج ٦، ص ٢٦٠٥.

(٢) ينطف: يقطر. يهراق: يسيل منه الماء. صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٦٧٠٩)، ج ٦، ص ٢٦٠٧.

(٣) جفال الشعر: أي كثيرة. صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (١٠٤)، ج ٤، ص ٢٢٤٨.

(٤) إنجيل متى: ٢٤: ٣٦.

(٥) فرج الله عبد الباري، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ١٢٨.

(٦) قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من اللاهوتيين، ص ٧٤٨.

(٧) إنجيل يوحنا: ٥: ٢٨-٢٩.

ويعتقد النصارى في الحساب والجزاء لكل البشر ويطلقون على موقف البشر للحساب والجزاء بالدينونة، ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة دان -دين- دينونة ما نصه: "تطلق هذه الكلمات على حكم الله على الناس بحسب أعمالهم"^(١).

يقول إنجيل متى: "على أني أقول لكم إن كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس، سوف يؤدون عنها الحساب في يوم الدينونة، فإن بكلامك تبرّر، وبكلامك تدان"^(٢).

وأعمال الرسل: "لأنه حدد يومًا يدين فيه العالم بالعدل على يد رجل اختاره لذلك، وقد قَدّم الجميع برهانًا، إذ أقامه من بين الأموات"^(٣).

ورسالة بطرس الثانية: "وهكذا نرى أن الرب يعرف أن ينقذ الأتقياء من المحنة، ويحفظ الأشرار محبوسين ليحكم عليهم بالعقاب يوم الدينونة"^(٤). و"إلا أن الدينونة تتعقب هؤلاء منذ القديم، وهلاكهم لا يتأخر، فإن الله لم يشفق على الملائكة الذين أخطأوا بل طرحهم في أعماق هاوية الظلام مُقَيَّدِينَ بالسلاسل، حيث يظلون محبوسين إلى يوم الحساب"^(٥).

وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر لكي يعطوا حسابًا عن أعمالهم في الجسد خيرًا كانت أم شرًا، وذلك لأن الابن بالإضافة إلى ألوهيته فهو ابن الإنسان أيضًا-، فهو أولى بالمحاسبة للإنسان، حسب اعتقادهم^(٦).

جاء في متى: "وعندما يعود ابن الإنسان في مجده ومعه جميع ملائكته، فإنه يجلس على عرش مجده، وتجتمع أمامه الشعوب كلها، فيفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الغنم عن المعاز، فيوقف الغنم عن يمينه، والمعاز عن يساره ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا من باركهم أبسي ربثوا الملكوت الذي أعد لكم منذ إنشاء العالم... ثم يقول للذين عن يساره ابعدوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وأعوانه... فيذهب هؤلاء إلى العقاب الأبدي، والأبرار إلى الحياة الأبدية"^(٧).

ويعتقد النصارى أن المسيح هو الذي يتولى الحساب والجزاء، ذلك أنهم يعتقدون أنه بعد أن ارتفع إلى السماء، جلس بجوار الأب على كرسي استعدادًا لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا^(٨).

(١) قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من اللاهوتيين، ص ٧٤٨.

(٢) إنجيل متى: ١٢: ٣٦-٣٧.

(٣) أعمال الرسل: ١٧: ٣١.

(٤) رسالة بطرس الثانية: ٢: ٩.

(٥) رسالة بطرس الثانية: ٢: ٤-٣.

(٦) فرج الله عبد الباري، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ١٩٢. وسعدون الساموك، مقارنة الأديان، ص ١٣٩.

(٧) إنجيل متى: ٢٥: ٣١-٤٦.

(٨) سعدون الساموك، مقارنة الأديان، ص ١٣٩.

جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس: "إذ لا بد أن نقف جميعاً مكشوفين أمام عرش المسيح، لينال كل واحد منا استحقاق ما عمله حين كان في الجسد، أصالحاً كان أم رديئاً"^(١).

وفي أعمال الرسل: لأنه حدد يوماً يدين فيه العالم بالعدل على يد رجل اختاره لذلك، وقد قدم الجميع برهاناً، إذ أقامه من بين الأموات"^(٢). والنص يشير إلى أن الله قد عيّن يوماً للحساب، وقد عين الله له رجلاً ليدين الأرض كلها بالعدل، وسنلاحظ أن هناك تناقضاً صريحاً بين مجموعة من النصوص التي تشير إلى كون المسيح دياناً، حيث ورد في إنجيل يوحنا: "فكما يقيم الأب الموتى ويحييهم، كذلك يحيي الابن من يشاء، والأب لا يحاكم أحداً، بل أعطى الابن سلطة القضاء كلها"^(٣).

وورد في نفس الإنجيل: "وأعطاه سلطة أن يدين، لأنه ابن الإنسان"^(٤)، هذان النصان اللذان يثبتان أن المسيح هو الذي يتولى الحساب يتناقضان مع نص ثالث ورد في إنجيل يوحنا: "أما أنا فلا أحكم على أحد، مع أنه لو حكمت لجاء حكمي عادلاً، لأنني لا أحكم بمفردتي، بل أنا والأب الذي أرسلني"^(٥).

وكما نرى فإن النص الأول ينفي عن الأب الدينونة لأحد، ويثبت أن المسيح وحده هو الذي يدين، لأن الأب أعطى كل الدينونة للابن والنص الثاني يقرر ما ذكره النص الأول، أما النص الثالث فينفي في بدايته الدينونة عن المسيح، ثم بعد ذلك يثبتها له، ولكنه يدين مع الأب الذي أرسله، وهذا تناقض واضح وصريح بين نصين في إنجيل واحد"^(٦).

ويعتقد النصارى بوجود الجنة، كما يعتقدون ما يعتقد اليهود وهو قصور الجنة عليهم، أي أن الجنة لا يدخلها إلا من كان على الديانة النصرانية، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٧).

وبالعودة إلى المصادر النصرانية نجد الإشارة إلى وجود الجنة في عدة نصوص، ونذكر أولاً ما ذكره قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة جنة فيقول: "أنها الفردوس الأصلي الذي رتبته الله للإنسان قبل سقوطه"^(٨).

وأعرض فيما يلي بعض النصوص التي تشير إلى النعيم الذي يكون جزاءً للأبرار.

(١) الرسالة الثانية إلى مؤمني كورنثوس: ٥ : ١٠.

(٢) أعمال الرسل: ١٧ : ٣١.

(٣) إنجيل يوحنا: ٥ : ٢٢-٢١.

(٤) إنجيل يوحنا: ٥ : ٢٧.

(٥) إنجيل يوحنا: ٨ : ١٥-١٦.

(٦) فرج الله عبد الباري، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ١٩٣.

(٧) سورة البقرة، الآية ١١١.

(٨) قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٧٥.

ورد في إنجيل متى: "ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا من باركهم أبي، رثوا الملكوت الذي أعد لكم منذ إنشاء العالم..."^(١).

وهذا النص يوضح أن الجنة -التي يطلق عليها النصاري أحياناً اسم الملكوت- معدة منذ خلق الدنيا، ويدعوهم المسيح ليرثوها -جزاءً على أعمالهم- ويعتقد النصاري أن النفوس الصالحة في الفردوس الآن مع المسيح^(٢). ورد في رسالة كورنثوس الثانية: "فنحن واثقون إذن، وراضون بالأحرى أن نكون مغتربين عن الجسد ومقيمين عند الرب"^(٣).

ويعتقد النصاري في أبدية النعيم بالنسبة للأبرار ويظهر ذلك من خلال النصوص التالية: "الحق الحق أقول إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني تكون له الحياة الأبدية، ولا يحاكم في اليوم الآخر، لأنه قد انتقل من الموت إلى الحياة"^(٤).

"نعم، إن مشيئة أبي هي أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية، وسأقيمه أنا في اليوم الأخير"^(٥).

وهناك بعض النصوص التي تشير إلى النعيم الحسي في الجنة منها: ما ورد في إنجيل يوحنا: "لا تسعوا وراء الطعام الفاني، بل وراء الطعام الباقي إلى الحياة الأبدية"^(٦) وورد أيضاً في نفس الإنجيل: "أكل أبواكم المن في البرية ثم ماتوا، ولكن ها هنا الخبز النازل من السماء ليأكل منه الإنسان فلا يموت"^(٧).

وورد في متى: "على أنني أقول لكم: إنني لا أشرب بعد اليوم من نتاج الكرمة هذا حتى يأتي اليوم الذي فيه أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي"^(٨).

وورد في نفس الإنجيل: "فأي من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو أولاداً أو أراضيه من أجل اسمي، ينال مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية"^(٩).

كما يعتقد النصاري بوجود النار، ورد في قاموس الكتاب المقدس عن النار ما نصه: "في العهد الجديد أعطيت الهاوية معنى جهنم، أي أرض اللعنات والرجاسات ومسكن العذاب الأبدي، ومسكن العقاب

(١) إنجيل متى: ٢٥: ٣٤.

(٢) فرج الله عبد الباري، اليوم الآخر، ص ٢٧٩.

(٣) الرسالة الثانية إلى مؤمني كورنثوس: ٥: ٨.

(٤) إنجيل يوحنا: ٥: ٢٤.

(٥) إنجيل يوحنا: ٦: ٤٠. وانظر أيضاً: ٦: ٤٧ و ٦: ٥١ من نفس الإنجيل.

(٦) إنجيل يوحنا: ٦: ٢٧.

(٧) إنجيل يوحنا: ٦: ٤٩-٥٠.

(٨) إنجيل متى: ٢٦: ٢٩.

(٩) إنجيل متى: ١٩: ٢٩.

للخطاة، والهاوية كمركز لكل أنواع العقاب^(١).

جاء في إنجيل متى: "فإن كانت يدك أو رجلك فخاً لك، فاقطعها وألقها عنك: أفضل لك أن تدخل الحياة ويدك أو رجلك مقطوعة، من أن تطرح في النار الأبدية"^(٢).

وفي رؤيا يوحنا: "وعندما يكملان شهادتهما يُعلن الوحش الصاعد من الهاوية الحرب عليهما، ويهزمهما ويقتلهما"^(٣) ثم رأيت ملاكاً نازلاً من السماء، وبیده مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة، قيد بها التين أي الحية القديمة، وهو إبليس أو الشيطان، وسجنه مدة ألف سنة، وطرحه من الهاوية وأغلقها عليه، وختمها، حتى يكف عن تضليل الأمم...^(٤).

نلاحظ أن جهنم هي مكان للعذاب عندهم يقول القس "كارل ويمز" عن جهنم بأنها: "المكان الذي يعذب فيه المخطئون من النصارى، وسواء كانت نيران جهنم حقيقة أو لم تكن فإن جهنم نفسها حقيقة واقعة، وإذا كانت النار تشبيهاً مناسباً للعقاب في جهنم فما أشد هول ورعب هذا العقاب"^(٥). والدليل على حقيقة العذاب في جهنم ما يرويه إنجيل لوقا: "وإذا رفع عينيه وهو في الهاوية يتعذب، رأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه، فنادى قائلاً: يا أبا إبراهيم ارحمني، وأرسل لعازر ليغمس طرف إصبعه في الماء ويبرد لساني: فأني معذب في هذا اللهب"^(٦).

ويعتقد النصارى أن الأشرار مصيرهم النار في الآخرة، ورد في متى: "ثم يقول للذين عن يساره ابتعدوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وأعوانه"^(٧).

والعذاب في جهنم يكون بالنار والكبريت، ورد في سفر الرؤيا: "أما الجبناء وغير المؤمنين، والفسادون، والقاتلون، والزناة، والمتصلون بالشياطين، وعبداء الأصنام وجميع الدجالين فمصيرهم إلى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت، الذي هو الموت الثاني"^(٨).

ويعتقد النصارى أن العذاب الذي يتعذب به الأشرار أبدي ولا نهاية له بعكس ما يعتقد اليهود في أن العذاب ليس أبدياً وإنما لأيام معدودة حتى يتطهروا ويخرجوا منها، ويستدل النصارى بنصوص

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٠٨.

(٢) متى: ١٨: ٨.

(٣) الرؤيا: ١١: ٧.

(٤) سفر الرؤيا: ٢٠: ٣-١.

(٥) فرج الله عبد الباري، اليوم الآخر، ص ٢٨١ نقلاً عن كتاب: الأمور المتيقنة عندنا، كارل ولميز الكبير، الناشر المجمع العام لكنائس الله، ص ١٩٦.

(٦) لوقا: ١٦: ٢٣-٢٤.

(٧) إنجيل متى: ٢٥: ٤١.

(٨) سفر الرؤيا: ٢١: ٨.

كثيرة على أبدية العذاب بالنسبة لمن دخلوا النار منها: قول المسيح: "ثم يقول للذين عن يساره ابتعدوا يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وأعوانه"^(١)، "فيذهب هؤلاء إلى العقاب الأبدية"^(٢).

"ومن من يُجذَّب على الروح القدس، فلا غفران له أبداً، بل أنه يقع تحت عقاب خطيئة أبدية"^(٣) "فلا بُدَّ لهم، في حضرة الملائكة القديسين وفي حضرة الحمل، من أن يشربوا من خمر الغضب غير المخففة المسكوبة في كأس غضب الله، فيكابدوا عذاب النار، والكبريت المتقد، ويتصاعد دخان عذابهم إلى أبد الأبدية"^(٤)... الخ.

وبالرغم من اعتقادهم بأبدية العذاب بالنسبة للأشرار والمذنبين، نراهم يعتقدون بنزول المسيح إلى الجحيم ليخلص المعذبين^(٥) وهذا من التناقض الذي تمتلئ به عقائدهم، وهم بهذا الاعتقاد قد تأثروا بالديانات الوثنية القديمة، فالهنود يعتقدون أن كرشنا قبل ذهابه إلى السماء نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات، كما يعتقد الاسكندنافيين أن إلههم (بالدور) من بعد قتله نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات، ويعتقد المكسيكيين أن مخلصهم (كوتزلكونل) نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات^(٦).

وأختم هذا المبحث بحقيقة يقرها القرآن الكريم وهي عدم إيمان النصارى باليوم الآخر، في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٧).

- والقارئ لهذا المبحث يرى أنهم يؤمنون باليوم الآخر، والحقيقة أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر الإيمان الصحيح الذي هو من عند الله، والذي دعى إليه عيسى عليه السلام، ويتضح ذلك من خلال اعتقادهم أن عيسى عليه السلام سوف يجلس بجانب الرب، ويقوم بمحاسبة الناس، وهم في هذا الاعتقاد قد تأثروا بالديانات الوثنية القديمة كالبوذيين الذين يعتقدون أن بوذا سوف يقوم بمحاسبة الناس بعد البعث^(٨). واعتقادهم بقصر الجنة عليهم... الخ.

(١) إنجيل متى: ٢٥: ٤١.

(٢) إنجيل متى: ٢٥: ٤٦.

(٣) إنجيل مرقس: ٣: ٢٩.

(٤) رؤيا: ١٤: ١٠-١١.

(٥) سراج غرابوس، اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام، رسالة ماجستير، ص ٨١.

(٦) محمد بن طاهر البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، مكتبة الزهراء، القاهرة،

ط ١٩٩٣م، ص ١٥١.

(٧) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٨) محمد بن طاهر التتير البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ١٦٧. وأحمد شلبي، المسيحية، ١٨٣.

- كما بيّنت الآية الكريمة عدم إيمانهم بالله ﷻ، وذلك عند اتخاذهم عيسى وأمه -عليهما السلام- إلهين من دون الله، واعتقادهم بالتثليث، وألوهية الروح القدس إلى غير ذلك، وقد ناقش هذه المسألة في مبحث عقائد النصارى المتعلقة بالألوهية^(١).
- كما بيّنت الآية الكريمة أنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، وذلك عند اتخاذهم رهبانهم أرباباً من دون الله وهؤلاء يحللون لهم ما حرمه الله فيستحلونه، ويحرمون لهم ما حرمه الله فيحرمونه. وقد بيّنت ذلك في مبحث اتخاذهم رهبانهم أرباباً من دون الله^(٢).
- وبيّنت كذلك أنهم لا يدينون دين الحق، وذلك باعتناقهم الديانة النصرانية.

(١) انظر: مبحث عقائد النصارى في القرآن الكريم المتعلقة بالألوهية.

(٢) انظر: مطلب اتخاذ النصارى رهبانهم أرباباً من دون الله.

الفصل الرابع منهج القرآن الكريم في تصحيح عقائد أهل الكتاب "اليهود والنصارى"

المبحث الأول: المنهج العقلي.

المطلب الأول: تعريف المنهج لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: المقصود من المنهج العقلي في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: استخدام القرآن الكريم للمنهج العقلي في تصحيح عقائد أهل الكتاب.

المبحث الثاني: المنهج الحواري.

المطلب الأول: تعريف الحوار لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الجدل (الجدال) لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثالث: استخدام القرآن الكريم للمنهج الحواري في تصحيح عقائد أهل الكتاب.

المبحث الثالث: منهج الترغيب والترهيب.

المطلب الأول: تعريف الترغيب لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الترهب لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثالث: استخدام القرآن الكريم لمنهج الترغيب والترهيب في تصحيح عقائد أهل الكتاب.

المبحث الأول المنهج العقلي

ما دمت بصدد الحديث عن المنهج أرى أنه لا بد من الوقوف عند معنى كلمة (المنهج) لغة واصطلاحاً:

المطلب الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً:

المنهج لغة:

المنهج الطريق، ونهج لي الأمر أوضحه، وطريق نهج: بين واضح، والمنهج والمنهاج بمعنى واحد وهو الطريق الواضح^(١). ونهجت الطريق سلكته، وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه، والنهج الطريق المستقيم^(٢). وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٣).

والمفسرون في تفسيرهم للآية الكريمة لم يخرجوا عن هذا المعنى لكلمة المنهاج، ففي تفسير أبي السعود: (المنهاج) الطريق الواضح في الدين، من نهج الأمر إذا وضح^(٤). وفي فتح القدير: (المنهاج) الطريق الواضحة البينة^(٥).

المنهج اصطلاحاً:

المنهج هو الطريق الذي يصل به الإنسان إلى الحقيقة بعد الجهد والمشقة من خلال قواعد ومبادئ يعمل بها، لتوصيله إلى النتيجة المطلوبة^(٦).

وقيل أيضاً: هو الطريق المؤدي إلى الغرض المقصود سواء كان علوماً ومعارف أو حقائق ونتائج^(٧). وقيل أيضاً هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٣٢٣. وأبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٧٦. وأحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٢١٤.

(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، المسمى الصحاح، ص ٣٠٤.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٤) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج ٣، ص ٤٥.

(٥) الشوكاني، فتح القدير، ج ٢، ص ٤٨.

(٦) إبراهيم الكور، "النقائص والعيوب في مناهج البحث العلمي"، مجلة الحكمة، ع ١٣، لندن، ١٤١٨هـ، ص ٣٩٣.

(٧) علي مشاعل، الخلاصة في مناهج البحث العلمي، ط ١، مطبعة رأس الخيمة، الإمارات، ١٩٩٦م، ص ١٠٢.

الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين^(١). أما المنهج في سياق البحث العلمي فيعني: "مجموعة الخطوط الذهنية المنظمة، والإجراءات العملية التي يسير عليها الباحث في حقل من حقول المعرفة، والمبادئ والقواعد الضابطة التي يراعيها في بحثه هادفاً من وراء ذلك الوصول بمعونتها إلى معرفة جديدة تكون قابلة لاختبار صدقها وتكون هي الأيقن والأصوب إن لم تكن صواباً وقيناً"^(٢).

المطلب الثاني: المقصود من المنهج العقلي في القرآن الكريم:

المنهج العقلي يعني الاعتماد على العقل للوصول إلى الحقيقة أو البرهنة عليها عن طريق عمليات عقلية تنتقل بها من قضية أو عدة قضايا نسلم بها إلى أخرى تستخلص منها دون الالتجاء إلى التجربة^(٣). ويُرادف هذا المصطلح مصطلحات أخرى تدور حول نفس المعنى منها: التجريب العقلي والنظر العقلي، أما التجريب العقلي فمعناه: "أن يقوم الإنسان في داخل عقله بكل الفروض والتحقيقات التي لا يتيسر له أن يقوم بها في الخارج، وينقسم إلى أنواع أهمها اثنان: التجريب العقلي الخيالي، والتجريب العقلي العلمي.

الأول: فهو ذلك النوع من التأملات الخيالية وضرب الفروض بعضها ببعض مما أبدع فيه الشعراء وأصحاب الخيال الجامح.

الثاني: هو الذي يقوم على وقائع يجرب عليها الإنسان الأوضاع المختلفة أو الفروض العديدة ويستخرج النتائج التي تؤدي إليها هذه الفروض وكل هذا يجري في داخل الذهن^(٤). والنظر العقلي: هو النظر المختص بالمعقولات وهو عبارة عن رجوع الفكر إلى ذاته للنظر في فعل أو أكثر من أفعاله التلقائية، أو للكشف عن المبادئ التي تقوم هذه الأفعال وتفسيرها"^(٥).

وسأتناول في بحثي هذا المنهج العقلي بمعنى الاستدلال العقلي، والذي يعني: "البرهان الذي يبدأ من قضايا يُسَلَّم بها، ويسير إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة"^(٦).

(١) أحمد بدوي، *مناهج البحث العلمي*، وكالة المطبوعات، ط٣، الكويت، ١٩٧٧م، ص٤٠.

(٢) عزمي طه، "المنهج العلمي عند الكندي"، *المجلة الفلسفية العربية*، مج٤، ع٤، ١٩٩٦م، ص٥.

(٣) عماد طه أحمد الراعوش، *المنهج العقلي في القرآن الكريم*، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ١٩٩٨م، ص٢٤.

(٤) عبد الرحمن بدوي، *مناهج البحث العلمي*، ص١١٦.

(٥) جميل صليبا، *المعجم الفلسفي*، ج٢، ص٤٧٤.

(٦) عبد الرحمن بدوي، *مناهج البحث العلمي*، ص٨٢.

وعليه يكون المقصود من مصطلح المنهج العقلي في القرآن: هو أسلوب القرآن الكريم في التدليل على القضايا التي يطرحها بطريقة تعتمد على العقل وترتكز على القضايا التي يسلم بها، بدل الاعتماد على التسليم المطلق أو الإيمان المسبق أو التأثير النفسي فقط^(١).

المطلب الثالث: استخدام القرآن للمنهج العقلي في تصحيح عقائد أهل الكتاب:

القرآن الكريم هو كتاب هدايا لكل زمان ومكان، وقد تعرض لكثير من القضايا العقلية وناقشها عبر منهج عقلي لا نجد له مثيلاً في الشكل والمضمون، ومما يدل على ذلك: الأثر العظيم الذي نرى أثره على عقول العامة والخاصة من العقليين، وقد شكل منهج القرآن العقلي في طرح القضايا الأساسية في الدين مثل قضية وجود الله ووحديته الأساس الذي انطلقت منه المناهج العقلية التي عرفها المسلمون^(٢). والأساس الذي انطلقت منه مناهج تصحيح العقائد لغير المسلمين.

لهذا نرى أن القرآن الكريم قد جعل للعقل مكانة كبرى في بناء العقيدة وإثبات قضاياها، لأن العقيدة هي محور الدين والعقل ومحور المعرفة، ولن تكون الحاجة للعقل في أي قضية أمس من الحاجة إليه في قضايا العقيدة، ولقد فتح القرآن الكريم للعقل باباً واسعاً، وأنزله ميداناً رحباً، لكنه في نفس الوقت لم يتركه وحيداً بل عززه بنور من الوحي يكشف له طريقه ويعينه ويذلل له الصعاب^(٣). من هنا يشير الإمام ابن رشد إلى أن القرآن كله إنما هو دعاء إلى النظر والاعتبار^(٤).

ومن مظاهر استخدام القرآن الكريم للمنهج العقلي جداله لأهل الكتاب في تصحيح قضايا عقيدة كثيرة أذكر منها على سبيل المثال ما قاله النصارى حول ألوهية عيسى عليه السلام عند:

- قولهم "إن الله هو المسيح ابن مريم".

- قولهم "المسيح ابن الله".

- قولهم "إن الله ثالث ثلاثة"^(٥).

وقد استخدم القرآن الكريم في رده على هذه الأباطيل منهجاً عقلياً فند فيه أقوالهم وما أثاروه من شبه، ووجه عقولهم نحو التفكير السليم الذي يفضي حتماً إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته.

(١) عماد طه الراعوش، المنهج العقلي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ص ٢٥.

(٢) عماد الراعوش، المنهج العقلي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ص ٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢١.

(٤) محمد بن أحمد ابن رشد، مناهج الأئمة في عقائد الملّة، تحقيق: محمود قاسم، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٦٤م، ص ١٤٩.

(٥) نوقشت هذه القضايا في مبحث عقائد النصارى في القرآن الكريم المتعلقة بالآلوهية في المطلب الأول والثاني والرابع من هذه الرسالة.

وسأعرض فيما يلي الأدلة العقلية التي رد القرآن بها هذه الأباطيل:

أولاً: قولهم إن الله هو المسيح ابن مريم:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(١).

ومصدر زعمهم هذا ما كانوا يرونه من معجزات يجريها الله ﷻ على يد عيسى بن مريم عليه السلام، ومنها إحياء الموتى، وإبراء المرضى والإخبار عن بعض الأمور الغيبية... إلى غير ذلك من المعجزات التي جرت على يده بإذن الله تعالى. وقد أبطل القرآن الكريم زعمهم هذه بعدة أدلة منها:

(١) قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

وصورة الدليل العقلي في هذه الآية: إن المسيح عليه السلام لو كان إلهاً لقدر أن يرد أمر الله إذا جاء بإهلاكه وإهلاك أمه، ولقد أهلك الله ﷻ أمه، فلم يقدر المسيح أن يدفع أمر الله عنها^(٣). وما دام المسيح كذلك فهو ليس إله. إنما الإله هو من له ملك السماوات والأرض وما بينهما.

ولما كان مصدر زعمهم هذا ما أجراه الله ﷻ على يد عيسى عليه السلام من المعجزات بالإضافة إلى الطريقة التي خلق بها عيسى من غير أب وتكلمه في المهد، وهذا أمر خارق للسنن والعادات، ختم الله تعالى هذه الآية التي تبطل زعم النصارى بقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومعنى ذلك أن هذه المظاهر دليل ساطع على ألوهية خالق عيسى بهذه الطريقة، لأن من صفات الخالق أن يخلق ما يشاء وكيف شاء، وأن ينظم السنن ويخرقها وهو على كل شيء قدير، بناءً على ذلك كيف يزعم النصارى أن المسيح إله؟ وهو لا يطبق شيئاً من ذلك^(٤).

(٢) ظهور الصفات البشرية في عيسى عليه السلام التي لا تكون في الإله، من هذه الصفات أنه كان يأكل الطعام، وأن له أمًا، وهي من الصفات التي تدل على الحدوث والحادث ليس بالإله، يقول ﷻ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٥).

وصورة الاستدلال العقلي على بطلان قول النصارى من هذه الآية عدة وجوه:

١. إن كل من له أم فقد حدث بعد أن لم يكن، وكل من كان كذلك كان مخلوقاً لا إلهاً.

(١) سورة المائدة، الآية ١٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٧.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ١٨٢.

(٤) الطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ١٨٣.. الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ١١، ص ١٩١.

(٥) سورة المائدة، الآية ٧٥.

٢. أنهما كانا محتاجين، لاحتياجهما إلى الطعام، والإله غني عن جميع الأشياء، فكيف يعقل أن يكون إلهًا، كما أن صفة الإله أن يكون قادرًا على دفع الضرر عن نفسه ومنه الجوع لذا فإن من لم يستطع دفع الجوع عن نفسه فهو ليس إلهًا^(١).

ثانيًا: قولهم إن المسيح ابن الله:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتُ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٢).

وسبب زعمهم هذا ميلاد عيسى عليه السلام من غير أب، وتكلمه في المهد، وهذا أمر خارق للعادة، لذلك قالوا عنه أنه ابن الله -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا-.

وقد رد القرآن الكريم زعمهم هذا بأدلة عقلية منها:

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

وصورة الدليل العقلي أن عيسى عليه السلام خلق من غير أب، وآدم خلق من غير أم ولا أم، والنصارى نقر أن آدم عليه السلام ليس بإله، فمن باب أولى إذن أن يكون عيسى ليس إلهًا، يقول ابن تيمية تعليقًا على هذه الآية: "كلام حق فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، كما قال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾"^(٤) وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح، فإن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا. وهو أصل خلق حواء، فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح فإذا كان سبحانه قادرًا على أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان، وهو سبحانه خلق آدم من تراب، ثم قال له كن فيكون، لما نفخ فيه من روحه ف كذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾"^(٥).

(٢) قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾^(٦). أي هو محال للأسباب التالية:

أ. لأن الولادة المعروفة تنافي مقام الألوهية.

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٦١.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٥٩.

(٤) سورة النساء، الآية ١.

(٥) تقي الدين ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، التفسير الكبير، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٦) سورة مريم، الآية ٩٢.

ب. لا بد أن يكون الولد شبيهاً بالوالد، ولا شبه الله تعالى.

ج. لأن اتخاذ الولد إنما يكون لأغراض بشرية لا تصح في حقه سبحانه من سرور بالولد، واستعانة به، وذكر جميل وكل ذلك لا يليق به ﷺ^(١).

(٣) قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وصورة الاستدلال العقلي من هذه الآية تتمثل في عدة وجوه ذكرها الرازي في تفسيره وهي:

أ. إذا كان النصراني قد جعلوا المسيح ابناً لله، لأنه سبحانه أحدثه على سبيل الإبداع فيلزم أن تكون السماوات وسائر الكون ابناً لله لأنه أبدعها، وبما أنهم لا يقولون بالمقدمة الثانية فيلزمهم أيضاً أن يردوا المقدمة الأولى.

ب. أنه سبحانه مبدع السماوات والأرض، وهي أجسام عظيمة ولا يستقيم أن يوصف بالولادة لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام ليس بجسم وليس له ولد^(٣).

ج. أنه خالق كل شيء عالم بكل أمر، من كان بهذه الصفة كان غنياً عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج.

د. إذا أرادوا من زعمهم أن عيسى ولد لله بمعنى أنه تولد منه فهذا باطل عقلاً، لأنه يستلزم ما لم يقل به أحد ولا هم أنفسهم، وهو أن لله زوجة، إذ التولد يكون من زوجين من جنس واحد، وبما أنهم لا يدعون لله زوجة ولا يمكن أن يكون له زوجة لأنه واحد لا مجانس له، فإن زعمهم أن عيسى ابن مريم زعم باطل^(٤).

ثالثاً: قولهم "إن الله ثالث ثلاثة":

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(٥).

معنى قولهم ثالث ثلاثة أن الله جوهر واحد وله ثلاثة أقانيم، الأب والابن والروح القدس ويجعلون كل أقنوم منها إلهاً^(٦). وقيل أنهم يعنون بقولهم إن الله ثالث ثلاثة: أن المسيح إلهاً وأمه مريم

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢١، ص ٢٤٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠١.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١١٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سورة المائدة، الآية ٧٣.

(٦) انظر تفصيل ذلك في: مطلب عقيدة التثليث في مبحث الألوهية عند النصراني.



إِلَهِا^(١). وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢). وهذه عقيدة فاسدة تخالف عقيدة التوحيد التي جاء بها جميع الأنبياء، يقول الرازي: "واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل فإن الثلاثة لا تكون واحد والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادًا وأظهر بطلانًا من مقالة النصاري"^(٣).

وقد رد القرآن الكريم على هذه العقيدة بمنهج عقلي وبرهان قطعي، يظهر من خلاله بطلان القول بالتثليث، وبيان ذلك ما يلي:

إن القول بالتثليث يؤدي إلى تعدد الآلهة والتعدد ممتنع بدليل التمانع، وينبني هذا الدليل على قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَغْضُهُمْ عَلَى بَغْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٦).

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

وبيان هذا الدليل أن يقال: لو صح أن هناك إلهين فمن الجائز أن يقع الخلاف بينهما، بأن يريد أحدهما خلق العالم، ولا يريده الآخر. وعندئذ يمكن أن يتشكل الخلاف بإحدى الصور العقلية التالية: إما أن تتم إرادة كل واحد منهما، وإما أن تبطل إرادة كل واحد منهما، وإما أن تستم إرادة أحدهما دون الآخر، فعلى الفرض الأول يكون العالم موجودًا وغير موجود، وهذا محال، وكذلك على الفرض الثاني إذ هو صورة معكوسة عن الأول، وعلى الفرض الثالث يكون الذي تتم إرادته هو الإله، والآخر يكون عاجزًا فلا يستحق عندئذ أن يوصف بأنه إله^(٧).

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٦٠. وعامد الراعوش، المنهج العقلي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ص ١٧٣.

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٦.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٦٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٤٢.

(٦) سورة المؤمنون، الآية ٩١.

(٧) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١١، ص ١٢٩، ١٣٠ الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢٢، ص ١٥٠، ١٥١. وابن رشد، مناهج الأئمة، ص ٣٢. وعبد الملك بن عبد الله الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة وأصول الاعتقاد، تحقيق: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخالجي، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٧٠. وعامد الراعوش، المنهج العقلي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ص ١٦٠.

ولو تعددت الآلهة لكان بينهما تنازع، ولتميّز صنع كل منهما عن الآخر بحكم اللزوم العادي وعندها لن يحصل بين أجزاء الكون هذا التناسق والتلاؤم، ولكن المشاهدة تحكم بخلاف ذلك فانتفى أن تعدد الآلهة^(١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

جاء في معنى: ﴿لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: لطلبوا مع الله منازعة وقتالاً كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض.

وعلى هذا المعنى تثبت الوجدانية وتبطل التعددية، لأنه لو كان في الكون آلهة غير الله لنازعته وغالبته ولا يستقيم بذلك أمر الكون، ولكن المشاهدة تفيد أن الكون قائم مستقيم منتظم بناموس واحد وبهذا يتمتع تعدد الآلهة، وفي ذلك إشارة إلى برهان التمانع كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُذِّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾:

هذه الآية دلت على استحالة تعدد الآلهة بتسلسل عقلي سليم، حيث أنه لو تعددت الآلهة بالولد أو السند لاقتضى هذا أن يكون لكل إله قدرة وإرادة مطلقة ومستقلة، وعندها يكون ذلك بأحد احتمالين: (١) بما أن كل واحد من الآلهة صاحب إرادة وقدرة مطلقة، ويستطيع كل واحد أن يستقل عن الآخر، فلن يرضى أي واحد منهم شركة غيره فينفرد كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض، فيصرف كل منهم جزاؤه بقانون خاص، فيصبح بناءً على ذلك لكل جزء من الكون قانون، وهذا الاحتمال باطل، والمشاهدة تؤكد وحدة الكون ووحدة نظامه، وهذا يدل على وحدة خالقه^(٣).

(٢) أن تعدد الآلهة في هذا الكون يؤدي إلى التنازع، ومحاولة كل منهم السيطرة على ملك الآخر، وهذا سيؤدي إلى فساد الكون، وهذا الاحتمال باطل أيضاً لأن الكون منتظم وليس بفساد. ولو فرغنا عن الاحتمال الثاني احتمالاً آخر وهو أن يتغلب أحد هؤلاء الآلهة على الآخرين فسينتهي الأمر إلى إله واحد وسيبطل التعدد^(٤).

(١) الألويسي، روح المعاني، ج ١٧، ص ٢٥، و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١١، ص ٢٩٧.

(٢) الألويسي، روح المعاني، ج ١٥، ص ٨٢، والطبرسي، مجمع البيان، ج ٦، ص ٦٤٣. و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٢٧٠. والشوكاني، فتح القدير، ج ١١، ص ٢٥٠. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٤٧.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٧، ص ١٨٥، ١٨٦. والرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ١٦٧. وانظر تفصيل القول بإبطال التثليث بالبراهين العقلية في كتاب: إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي (ت ١٣٠٨هـ)، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، ط ٣، ص ٧٢٥ وما بعدها.

(٤) والطبرسي، مجمع البيان، ج ٧، ص ١٨٦. و الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ١٦٧.

ومن الصور العقلية التي استخدمها القرآن الكريم في تصحيح عقائد أهل الكتاب، محاجتهم في إبراهيم عليه السلام وذلك في مجلس رسول الله ﷺ عندما اجتمع مع نصارى نجران وأحبار اليهود، فتنازعوا، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا^(١). فرد الله ﷻ دعواهم هذه بمحاجة عقلية بقوله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وصورة الدليل العقلي: أن النص القرآني يتضمن حجاج أهل الكتاب في نبي الله إبراهيم عليه السلام مخاطبًا عقولهم في إقامة الدليل على بطلان الاحتجاج، فاليهود تزعم أن نبي الله إبراهيم يهوديًا، والنصارى تزعم أنه نصراني، وهذا الزعم بحاجة إلى دليل، فما دليلكم أيها اليهود والنصارى على صحة ما تقولون؟! وكيف للتوراة والإنجيل أن تشهد بحقيقة ملة نبي الله إبراهيم عليه السلام وقد جاء كل منهما بعد إبراهيم عليه السلام وصحفه؟!.

يقول الرازي: "إن القرآن أخبر أن إبراهيم كان حنيفًا مسلمًا، وليس في التوراة والإنجيل أن إبراهيم كان يهوديًا أو نصرانيًا"^(٣).

لذلك جاء قول الله سبحانه لهم بـ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وفي هذا مظهر من مظاهر مخالفتهم لمقتضيات العقول السليمة، يقول سيد قطب: "فإبراهيم سابق على التوراة وسابق على الإنجيل، فكيف إذن يكون يهوديًا؟ أو كيف إذن يكون نصرانيًا؟ إنها دعوى مخالفة للعقل تبدو مخالفتها بمجرد النظر الأولى إلى التاريخ"^(٤). فهؤلاء يجادلون في أمر ليس عندهم أسباب العلم به، فكان من الواجب عليهم بدلاً من هذا المراء الباطل أن يتبعوا ما أوحاه الله إلى رسوله محمد ﷺ في شأن إبراهيم عليه السلام لأنه سبحانه هو الذي يعلم حال إبراهيم عليه السلام وشأنه وملته، وهم لا يعلمون ذلك، والعاقل من الناس هو الذي ينأى بعقله عن المجادلة في أمر ليس عنده شيء من أسباب العلم به"^(٥).

ومن الصور العقلية التي استخدمها القرآن الكريم أيضًا رده بالأدلة العقلية على الشبهات التي أثارها أهل الكتاب حول رسالة سيدنا محمد ﷺ. وأبرز هذه الشبهات هي:

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٩٧ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ١٧١. وسيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٤١١.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٥.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٩٨.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٤١١.

(٥) خزاعي محمد العيسى، محاجة أهل الكتاب كما وردت في القرآن الكريم، "دراسة موضوعية"، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٠م، ص ٦١. وطنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن، ص ١٥٩.

(١) قالوا: إن الله سبحانه وتعالى عهد إليهم في كتبهم ألا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من الناس فقبلت تنزل نار من السماء فتأكلها^(١).

يقول تبارك وتعالى مصوراً شبهتهم تلك: «الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ»^(٢).

يقول الرازي: "أن هذه شبهة للكفار في الطعن في نبوة محمد ﷺ وتقريرها أن الله عهد إليهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار ثم قالوا: أنت يا محمد لم تفعل ذلك فوجب أن لا تكون من الأنبياء"^(٣).

فرد القرآن الكريم حجتهم الباطلة هذه بقوله تعالى: «قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^(٤).

وبهذا الدليل المنطقي أثبت القرآن أنهم كاذبون، وصورة هذا الدليل العقلي: ما قاله لهم رسول الله ﷺ أنكم تطلبون دليلاً على صدقي معجزة من عند الله ﷻ، وقد جاءكم رسلكم بمعجزات من الله ﷻ فقتلتموهم، إذن أنتم كاذبون^(٥).

وقد بين الله سبحانه بهذه الأدلة أنهم يطلبون هذه المعجزة لا على سبيل الاسترشاد، إنما على سبيل التحنت، وذلك لأن أسلافهم طلبوا هذه المعجزة من الأنبياء السابقين مثل زكريا ويحيى وعيسى -عليهم السلام-، فلما أظهروا لهم هذه المعجزات سعوا في قتلهم^(٦).

(٢) زعموا أنهم مؤمنون بالله لأنهم آمنوا بما أنزل الله عليهم من الحق وهم غير مطالبين بالإيمان لما سواه. قال تبارك وتعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم»^(٧).

وصورة هذا الدليل العقلي: أن إيمانهم بالحق الذي نزل عليهم يلزمهم أن يؤمنوا بكل ما يصدقه، والقرآن الكريم يصدق ما نزل عليهم، إذن هو حق ويلزمهم الإيمان به^(٨).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٧٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٣.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٥، ص ٩٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٨٣.

(٥) عماد الراعوش، المنهج العقلي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ص ١٩٨.

(٦) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٥، ص ٩٨.

(٧) سورة البقرة، الآية ٩١.

(٨) عماد الراعوش، المنهج العقلي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ص ١٩٩.

وبصورة قياسية أوضح:

- ما نزل عليهم حق.
 - القرآن الكريم يصدق ما نزل عليهم.
 - إذن: القرآن الكريم حق ويلزمهم أن يؤمنوا به^(١).
- يقول الآلوسي: "إنهم متناقضون في إيمانهم لأن كفرهم بما وراءه حال الإيمان بالتوراة يستلزم عدم الإيمان به، وهذا أدخل في رد مقالتهم"^(٢).

ويضيف سيد قطب بقوله: "وكان هذا هو الذي يقولونه إذا دعوا إلى الإيمان بالقرآن وبالإسلام، كانوا يقولون: «نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا» ففيه الكفاية، وهو وحده الحق، ثم يكفرون بما وراءه، سواء ما جاءهم به عيسى عليه السلام، وما جاءهم به محمد ﷺ خاتم النبيين، والقرآن يعجب من موقفهم هذا، ومن كفرهم بما وراء الذي معهم «وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ» وما لهم وللحق؟ وما لهم أن يكون مصدقاً لما معهم! ما داموا لم يستأثروا هم به؟ إنهم يعبدون أنفسهم، ويتعبدون لعصبيتهم، لا بل إنهم ليعبدون هواهم، فلقد كفروا من قبل بما جاءهم أنبياءهم به..^(٣)

ومن الصور العقلية الأخرى التي استخدمها القرآن، استخدامه لأسلوب السبر والتقسيم، والسبر يعني الاختبار، والتقسيم يعني حصر الأوصاف، والسبر والتقسيم كأسلوب عقلي للبرهنة يعني: حصر أوصاف القضية المدعاة ثم تناول كل واحد منها مستقلاً، واختبارها لإثبات بطلان صلاحها كدليل على الدعوة المدعاة^(٤).

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب قوله تعالى: «وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ»^(٥).

لرد هذه الدعوى حصر الله أدلة هذا الزعم وهي: «قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا» أي هل بينكم وبين الله عهد على ذلك، والثاني: «أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ» وباختبار هذين الأمرين يتبين أنه لا يصح أحد منهما ليكون دليلاً على دعواهم، لأن الأول يحتاج إلى دليل يبين هذا العهد ولا يوجد لديهم ذلك، والثاني لا يصح لأن الدعوى أمر غيبي لا يثبت إلا بالوحي ولا يجوز القول فيها بغير علم^(٦).

(١) المصدر السابق، ص ١٩٩.

(٢) الآلوسي، روح المعاني، ج ١، ص ٣٢٤.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٩١.

(٤) محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، مطبعة العلوم بمصر، ١٩٣٤م، ص ٦٥. وعامد الراعوش، المنهج العقلي في القرآن الكريم، =

رسالة ماجستير، ص ٨٢.

(٥) سورة البقرة، الآية ٨٠.

(٦) عامد الراعوش، المنهج العقلي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ص ٨٣.

يقول الرازي: "المراد التنبيه على طريقة الاستدلال، وهي أنه لا سبيل إلى معرفة هذا التقدير أي ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ إلا بالسمع، فلما لم يوجد الدليل السمعي وجب ألا يجوز الجزم بهذا التقدير، ثم يقول: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بيان لتمام الحجة المذكورة فإنه إذا كان لا طريق إلى التقدير المذكور ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ إلا بالسمع وثبت أنه لا يوجد سمع كان الجزم بذلك التقدير قولاً على الله تعالى بما لا يكون معلوماً لا محالة"^(١).

(١) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٤٣، ١٤٤.

المبحث الثاني المنهج الحواري

استخدم القرآن الكريم المنهج الحواري في تصحيح عقائد أهل الكتاب وأهتم بهذا المنهج اهتماماً بالغاً، لأنه من أفضل الوسائل للوصول إلى الأهداف المطلوبة.

لذلك نرى الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- قد سلكوا مع أقوامهم أقوم الطرق وأفضل الأساليب في الحوار. وذلك لإقناع عقولهم وتطمين قلوبهم في تثبيت العقيدة والخلق وما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم، ولتغيير ما انحرف من قضاياهم العقديّة والتشريعية والاجتماعية.

وقد اختلف الحوار باختلاف المعتقدات، فهو يتركز على العقائد والمفاهيم والأفكار مع غير المسلمين، وعلى إثارة العواطف مع المؤمنين بالإسلام فكرياً وعاطفة وسلوكاً^(١).

يقول السائيس: "ولله در القرآن عندما يتعرض لبيان العقائد بطريقة الحوار لكي ترسخ في النفوس دون إجبار ويسلم بها المؤمن من غير حرج في نفسه بعد أن يتبين له أنه الحق من ربه، معلمه وخالقه"^(٢).

وقبل أن أبين استخدام القرآن الكريم لهذا المنهج أرى أنه لا بد من الوقوف على معنى الحوار وبيان بعض الألفاظ التي بينها وبين الحوار تداخل كبير استخدمها القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف الحوار لغة واصطلاحاً:

الحوار لغة:

الحوار هو المُحَاوَرَة: والمُحَاوَرَة: المجاورة، والتَّحَاوَر: التَّجَاوَب، وَحَوَّارًا وَحَوَّارًا: المجاورة، والمُحَاوَرَة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. وتَحَاوَرُوا: تراجَعُوا الكلام بينهم ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾^(٣) أي يراجع الكلام، ويجاوبه^(٤).

الحوار اصطلاحاً:

قيل: هو إدارة الفكرة بين طرفين مختلفين أو أطراف متنازعة^(٥). وقيل: الحوار هو محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى

(١) عبد الحكم سامور، الهدى النبوي في الحوار مع غير المسلمين، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٧م، ص ١.

(٢) السائيس، تفسير آيات الأحكام، ج ١، ص ١٧.

(٣) سورة الكهف، الآية ٣٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٢٥٣، ٢٥٦. والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٤٣٦.

(٥) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، قواعد، أساليبه، معطياته، الدار الإسلامية، ١٩٧٩م، ص ١٧.

الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر^(١). وقيل: هو مناقشة بين طرفين -أو أطراف- قصد بها تصحيح الكلام وإظهار الحجة، وإثبات الحق، ودفع الشبهة، ورد الفاسد من القول والرأي^(٢).

أما الحوار القرآني فيعرف بأنه: كل نداء أو خطاب أو سؤال يوجهه القرآن أي يحكيه إلى منادى، أو مخاطب أو مخاطبين حول أمر هام أو يوجهه النبي ﷺ على أصحابه أو إلى المسلمين وغير المسلمين بقصد توجيههم وتوجيه اهتمامهم إلى هذا الأمر أو إلى تحقيق هدف معين أو القيام بسلوك فكري أو اعتقادي أو اجتماعي أو أخلاقي أو تعبدي^(٣).

وصور الحوار في القرآن الكريم ذات أشكال متعددة منها: المحاور التشريعية: والمحاور الوصفية، والقصصية، والمحاور الجدلية لإثبات الحجة^(٤)، وهي التي تعنينا في هذا المبحث. أما الألفاظ ذات الصلة بالحوار فهي كثيرة ومتعددة منها الجدل والجدال، والمناظرة، المناقشة...^(٥) وغيرها لا يتسع المقام لذكرها والتفصيل فيها والذي تعنينا هنا كلمة "الجدل أو الجدال" وهي من أبرز الألفاظ التي لها علاقة مباشرة بالحوار.

المطلب الثاني: تعريف الجدل (الجدال) لغة واصطلاحاً:

فالجدل أو الجدال لغة:

هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها، والاسم الجدل وهو شدة الخصومة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة^(٦). يقول ﷺ: «مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ»^(٧).

أما في الاصطلاح:

فقد عرفه الجرجاني بأنه: "القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، ودفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة

(١) عز الدين إبراهيم، الحوار الإسلامي المسيحي، المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف، دار قتيبة، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٢٠.

(٢) محمد عدنان علي القضاة، مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٣، ص ٣.

(٣) عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالحوار، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ٤.

(٤) محمد القضاة، مفهوم الحوار في القرآن وانعكاساته التربوية، رسالة ماجستير، ص ٢٢.

(٥) انظر تفصيل ذلك في: عبد الحكم سامور، الهدى النبوي في التعامل مع غير المسلمين، رسالة ماجستير، ص ١٦-١٨.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ١٠٣، ١٠٥. والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٢٥٨، ٢٥٩. والرازي، مختار الصحاح، ص ٩٦.

(٧) سورة الزخرف، الآية ٥٨.

أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة^(١).

وقد قسم العلماء الجدل إلى قسمين: ممدوح ومذموم:

فالجدل الممدوح: يكون ممدوحاً شرعاً إذا قُصد به تأييد الحق، أو إبطال الباطل أو أفضى إلى ذلك بطريق صحيح^(٢).

وقد يكون فرض عين إذا تعيّن على شخص ما الدفاع عن الحق، وقد يكون فرض كفاية بأن يكون في الأمة من يدافع عن الحق بالأسلوب السليم، والمجادلة بالحق من سنن الأنبياء -عليهم السلام- عند الدعوة^(٣).

والجدل المذموم: هو كل جدل باطل، أو يستهدف الباطل أو يفضي إليه، أو كان القصد منه التعالي على الخصم والغلبة عليه، فهذا ممنوع شرعاً، ويتأكد تحريمه إذا قلب الباطل حقاً، أو الحق باطلاً، وقد يكون الجدل مكروهاً إذا كان القصد منه مجرد الظهور والغلبة في الخصومة^(٤).

أما الجدل الذي يهدف إلى إيضاح الملتبس، ومعاونة أهل العلم في استنباط المعاني، ورد أهل الزيغ، فأعظم جهاد في سبيل الله^(٥).

روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"^(٦). وقد وردت لفظتا الجدل والحوار في آية واحدة في سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٧). فالمرأة هنا تجادل الرسول ﷺ وتراجع وتشتكي إلى الله، فبدأت القضية جدالاً ثم تحول الجدل إلى حوار حسب النص القرآني، لأنه كان يهدف إلى تقرير الحق على ضوء ذلك نستطيع أن نقول أن الحوار يتضمن الجدل.

(١) الجرجاني، كتاب التعريفات، ص ١٠١، ١٠٢.

(٢) الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط ٢، ١٩٨٩م، ج ١٥، ص ١٢٦، ١٢٨.

(٣) عبد الحكم سامور، الهدي النبوي في الحوار مع غير المسلمين، رسالة ماجستير، ص ١٤.

(٤) الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج ١٥، ص ١٢٦، ١٢٨.

(٥) المصدر السابق، ج ١٥، ص ١٢٨.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم (٢٥٠٤)، ج ٣، ص ١٠.

(٧) المجادلة، الآية ١.

المطلب الثالث: استخدام القرآن الكريم للمنهج الحواري في تصحيح عقائد أهل الكتاب.

إن الهدف من استخدام القرآن الكريم للمنهج الجدلي الحواري هو دعوة الناس إلى الدخول معه في حوار العقيدة ليصل إلى هدفه المنشود من خلال ذلك وهو الوصول إلى الحق، لذلك لجأ الإسلام إلى استخدام الجدل القائم على الحوار المباشر الذي ينطلق من طرح الفكرة في ميدان الصراع من أجل إشغال الناس بعلامات الاستفهام التي يطرحها الإسلام مع أجوبتها ليوفر على المتجادلين جهد البحث عن سؤال قد لا يجدونه جاهزاً في أفكارهم. وربما يواجهون صعوبة في العثور عليه^(١). لأن الحوار في جملته يُوظف لنقل معلومة لا بطريق الخبر وإنما من خلال السؤال والجواب، مما يعطي الإطار الذي تنتقل به المعلومة حيوية تلفت عناية واهتمام السامع والقارئ على السواء لمتابعة ما يطرح، وهذا بدوره ينطبق على المحاورات والمناظرات القرآنية^(٢)، لأن طريقة الحوار هي الأساس في إثبات العقائد في النفوس^(٣).

والقرآن الكريم أمر أتباعه أن يجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وأن يناقشوا بالحكمة والموعظة الحسنة قال عز من قائل: ﴿وَكَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿وَكُنتَ قَدْ غَلِظَ الْقَلْبَ لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٥).

فهذه الآيات تشكل الخط العريض للمنهج، فقوله تعالى: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ تعني مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله ﷻ، والتنبية على حججه وآياته، رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة^(٦).

ويمكن تقسيم حوار القرآن الكريم مع أهل الكتاب في اتجاهين:

الأول: الحوار في العقائد.

الثاني: الحوار في التعايش.

من أمثلة الحوار في العقائد:

(١) حسن فضل الله، الحوار في القرآن، ص ١٧.

(٢) خليل زيادة، الحوار والمناظرة في القرآن الكريم، دار المنار، ص ١٩.

(٣) محمد القضاة، مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، رسالة ماجستير، ص ١٥.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٦) البغوي، معالم التنزيل، ج ٥، والخازن، تفسير الخازن، ج ٥، ص ٥٤. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٣٧١.

(١) الحوار في شأن عيسى عليه السلام:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١).

تأتي هذه المحاوراة لتبديد كل شك وريب في نفس أي قائل بأن عيسى عليه السلام ابن الله، وتصحح معتقد من يؤمن بذلك، فالله سبحانه يحاور عيسى نفسه، وهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهذا من باب البلاغة، فالعالم يتجاهل ليُعلم الجاهل أو المتجاهل، فالله سبحانه علام الغيوب، وعيسى عليه السلام لا يعلم إلا ما أعلمه الله به، إنه رسول كريم لم يقل إلا ما أمره الله به من الدعوة إلى توحيده، والإيمان به وأنه نبي مرسل من عند الله^(٢).

وهذه المحاوراة جاءت لتكون حجة على النصارى، "إنها ستكون الحجة التي لا حجة بعدها، فالتعبير القرآني قوي جزل متماسك معجز في كل شيء، ويكفي إعجازاً أن الله سبحانه يعالج النفوس بمحاورات ومناظرات يديرها بنفسه مع أنبيائه، ليوضح الطريق لكل من أراد"^(٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٤).

"إنه الحوار الذي يتحرك في أكثر من مجال، مع أكثر من صورة ... ليثير الدليل ضد هذه الأفكار، وليقدم الحجة على بطلانها، بأسلوب الخطاب الموجه إلى الآخرين تارة، ليثير فيهم روح المواجهة العنيفة تارة والهادئة تارة أخرى أو الأسلوب التقريري الذي ينطلق ليقرر الفكرة، فيجعل الآخرين يفكرون -بتجرد- بعيداً عن أية تأثيرات سابقة تبعدهم عن الحق ... ليواجهوا الحقيقة من دون التباس أو انحراف"^(٥).

وقد يصل الحوار إلى طريق مسدود، كما حدث في قصة الحوار الذي أداره عليه السلام مع بعض النصارى من أهل الكتاب فالنبي عليه السلام قد سلك مسلكاً جديداً في معالجة الموقف معهم بعد وصول الحوار

(١) سورة المائدة، الآيتان ١١٦، ١١٧.

(٢) خليل عبد المجيد زيادة، الحوار والمناظرة في القرآن الكريم، ص ٥٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٥) حسن فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، ص ١٥٨.

إلى الطريق المسدود، وذلك باستخدام أسلوب المباهلة^(١) الذي حدثنا عنه الآية الكريمة في قوله تعالى مخاطبًا نبيه محمد ﷺ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢).

قال ابن كثير: قال إسحق، حدثني الزبير قال: "قدموا على رسول الله، فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات جيب وأرديه من جمال رجال بني الحارث بن كعب. قال: يقول من رآهم من أصحاب النبي ﷺ: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "دعوهم فصلوا إلى المشرق.

قال: فكلّم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله ﷺ: أسلما. قالوا: قد أسلمنا، قال: إنكما لم تسلما فأسلما. قالوا بلى، قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعواكما الله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير. قالوا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ﷺ فلم يجيبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ...﴾ الآية.

فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما به من ملاعنهم أن ردّوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ثم انصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأي فيهم فقالوا يا عبد المسيح! ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم إن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه الاستئصال منكم، إن فعلتم فإن كنتم أبيتم إلا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبي ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم! قد رأينا أن لا نلاعذك ونتركك على

(١) المباهلة هي: الملاعة وهي أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا. والملاعنة: هي الدعاء بالهلاك وللعنة على الكاذب منهم وأصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦١.

دينك ونرجع على ديننا، وأبعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فإنكم عندنا رضا...^(١).

وأصل هذه القصة في البخاري:

روى البخاري عن حذيفة قال: "جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله، لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبننا من بعدنا. قال: إنا نعطيك ما سألتنا وأبعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً: فقال لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين. فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة"^(٢).

وصورة الحوار من هذه النصوص تظهره من خلال:

- أ. اهتمام النبي ﷺ في الحوار مع نصارى نجران في أمر عيسى عليه السلام وهذا يدل على أن الإسلام يحرص على التمسك برسالة عيسى عليه السلام ولا يتعارض معها.
- ب. إعراض النبي ﷺ عن الدخول في الجدال العقيم، الذي خاض فيه أهل الكتاب أمامه، بل أنه يفضل الصمت عندما وصل الحوار معهم إلى طريق مسدود.
- ج. جواز مجادلة أهل الكتاب ومحاورتهم لهداية من يمكن هدايته وإقناع من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم^(٣).

(٢) الحوار في شأن النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ قَالُوا آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤).

إن القرآن الكريم أراد من أهل الكتاب أن يبدعوا الحوار من القاعدة التي يرتكزون عليها فيما يؤمنون به - وهو التوراة والإنجيل - ولكنهم رفضوا ذلك وأهملوه ولم يتجاوبوا مع هذا العرض ليصل الحوار إلى هدفه لأنهم لو كانوا صادقين في إنكارهم صفة النبي ﷺ لما احتاجوا إلى أي جهد في

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٣٦٩. والحديث مرسل، إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري حديث، في كتاب المغازي، باب: قصة أهل نجران، حديث رقم (٤١١٩)، ج ٤، ص ١٥٩٢.

(٣) عبد الحكم سامور، الهدى النبوي في الحوار مع غير المسلمين، رسالة ماجستير، ص ٨٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

تكذيبه، بل يكفيهم عرض التوراة على أعين الناس، لتبطل حجة النبي ﷺ في ذلك، ولكنهم يعرفون أن استجابتهم له تبطل حجبتهم^(١).

روى البزار في مسنده عن عاصم بن كليب "كان النبي ﷺ جالساً في المجلس فشخص بصره إلى رجل في المسجد يمشي فقال: أبا فلان؟ قال لبيك يا رسول الله ولا ينازعه الكلام إلا قال: يا رسول الله.

قال له: أشهد أنني رسول الله؟ قال: لا، قال: أقرأ التوراة؟ قال: نعم. قال: والإنجيل؟ قال: نعم، قال: والقرآن؟ قال: والذي نفسي بيده لو أشاء لقرأته. ثم ناشده هل تجدوني في التوراة والإنجيل؟ قال: نجد مثلك ومثل هياتك ومثل مخرجك. فكنا نرجو أن يكون فينا، فلما خرجت خوفاً أن تكون أنت هو، فنظرنا فإذا ليس أنت هو. قال ولم ذاك؟ قال إن معه من أمته سبعون ألفاً ليس عليهم نجاسة ولا عذاب، وإنما معك نفر يسير؟ فقال: والذي نفسي بيده لأنا هو، وأنهم لأمتي، وإنهم لأكثر من سبعين ألفاً، وسبعين ألفاً^(٢).

وطرح النبي ﷺ السؤال حيث قال: أشهد أنني رسول الله؟ وأقرأ التوراة والإنجيل والقرآن؟ وهذا من شأنه أن يستخرج اعتراف المحاور ولو بعد مراحل من الحوار^(٣).

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

وقف القرآن الكريم من قضية إيمان اليهود وكفرهم، موقفاً عالج فيه الحوار بأسلوب هادئ يتميز بالهدوء الذي يجري مجرى العتاب، لأن المفروض فيهم أن يكونوا في طليعة المؤمنين بالنبي بدلاً من أن يكونوا في طليعة الكافرين به...

فقد جاء مصدقاً لما معهم من الكتاب، بأدلة لا تقبل الشك في رسالته مما يجعل قضية إتباعه وإطاعة أمره مرتبطة بطاعة الله وعبادته وبشكر المنعم الذي أنعم عليه^(٥). وهذا المنهج الحوارية يجمع

(١) حسن فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، ص ١٣٥.

(٢) أخرجه أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢هـ)، مسند البزار (البحر الزخار)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ١٤٠٩هـ. مسند بن عاصم ر، حديث بن عاصم الكوفي عن النبي ﷺ، رقم (٣٧٠٠)، ج ٩، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٣) عبد الحكم سامور، الهدى النبوي في الحوار مع غير المسلمين، ص ٧٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ٤٠-٤٢.

(٥) حسن فضل الله، الحوار في القرآن، ص ١٤٠.

بين العقاب، والتبكي، والوعظ والنصيحة والتوجيه^(١).

ويظهر ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبَغُّونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾^(٣).

٣) الحوار في شأن إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * مَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ قُلْ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْزِمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

ومضمون هذا الحوار ادعاء كلا اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام على دينها، لكن الله ﷻ رد هذا الادعاء ببيان إسلام إبراهيم عليه السلام وإخلاصه لله ﷻ وأنه كان على الحنيفية الحقة وينتهي ببيان أن أولى الناس به، أتباعه الذين أسلموا لله وهذا النبي والذين آمنوا معه لأنهم ينطلقون من عقيدة الإسلام لله والإخلاص له، وينسجمون مع التوحيد الخالص التي جاء بها إبراهيم عليه السلام^(٥).

"وخلاصة هذا الحوار محاولة إعطاء الصورة الواقعية للمضمون فيما يعرضونه من دعوى إزاء واقع إبراهيم، وواقع الإسلام ... وطبيعة العقيدتين اللتين ينتسبون إليهما ..."^(٦).

٤) حوار أهل الكتاب في ادعائهم قصر الجنة عليهم وحوار اليهود في أنهم لا يعذبون في النار إلا أياماً معدودة.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٧).

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٩٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٧٠.

(٤) سورة آل عمران، الآيات ٦٥-٦٨.

(٥) محمد كمال المويل، الحوار في القرآن الكريم، تقديم: مصطفى سعيد الخن، دار الفارابي، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١٩٣.

١٩٤.

(٦) حسن فضل الله، الحوار في القرآن، ص ١٥١.

(٧) سورة البقرة، الآية ١١١.

حاور القرآن الكريم أهل الكتاب من اليهود والنصارى في ادعائهم قصر الجنة عليهم، وأن النار لغيرهم، وأنهم أولياء الله من دون الناس في قوله تعالى: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ...﴾** ^(١) وقول اليهود: **﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾** ^(٢).

فرد الله سبحانه هذا الادعاء بقوله عز من قائل: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾** ^(٣). وقال تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾** ^(٤).

أي إن كانت لكم الجنة كما تزعمون فاطلبوا الموت واسألوه، وحيث أنهم لم يطلبوا الموت ولم يتمنوه فهم كاذبون في ادعائهم، لأن من كانت له الجنة لا يخاف الموت ولا يقدم عليها الحياة الدنيا ولا يستبدل لحظة من الآخرة بلحظات الدنيا كلها، فدل بعدم سؤالهم الموت أنهم مبطلون وظالمون وأنهم مذنبون ويعملون من الأعمال ما هو باطل فيخافون من الله العقاب ^(٥). لذلك قال تعالى: **﴿وَلَا يَتَمَنَّوَنَّهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ...﴾** وقد قال رسول الله ﷺ: "لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار" ^(٦).

يقول الشيخ الغزالي: "قدماً قال أهل الكتاب للمسلمين **﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ..﴾** فكان الرد القرآني: **﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** وقد تتبعت كلمة **﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾** في القرآن الكريم فوجدتها في مواضعها الكثيرة تضبط الحوار وتسيره على منهج سليم..." ^(٧).

روى البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم. فقال النبي ﷺ: "أجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود"، فجمعوا له فقال: "إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقون عنه؟" فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: "من أبوكم؟" قالوا: فلان. فقال: "كذبتم، بل أبوكم فلان". قالوا: صدقت. قال: "فهل أنتم صادقون عن شيء إن سألت عنه؟" فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا

(١) سورة المائدة، الآية ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٠.

(٣) سورة البقرة، الآيتان ٩٤، ٩٥.

(٤) سورة الجمعة، الآيتان ٦، ٧.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٣٣.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب مسند بني هاشم، رقم (٢١١٥)، ج ٣، ص ١٢٧.

(٧) ذكر الشيخ محمد الغزالي مقالته هذه في تعليقه على كتاب إبراهيم أحمد الوقفي، الحوار لغة القرآن الكريم والسنة النبوية،

القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٣.

عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم: "من أهل النار؟" قالوا: نكون فيها يسيرًا، ثم تخلفونا فيها^(١). فقال النبي ﷺ: "أحسنوا فيها والله إلا نخلفكم فيها أبدًا..."^(٢).

وحوار النبي ﷺ مع اليهودي في هذه العقيدة يدل على اهتمام النبي ﷺ بهذا المنهج من أجل الوصول إلى الحق. فقله ﷺ: "أحسنوا فيها" يدل على تميز وروعة موقف الإسلام وعدالة عقيدته وإنسانيتها، وأنها ليست عقيدة عنصرية كما هي عند اليهود، لأن سنة الله ﷻ في عبادة إلا يجزى أحد إلا بعمله ولا يسأل عن عمل غيره^(٣). وهذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(٤).

٥) الحوار في الدعوة إلى الالتقاء على كلمة التوحيد:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٥).

روى البخاري عن الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ، قال فبينما أنا بالشام إذ جئ بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل قال: وكان رحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وعندما وصل الكتاب النبوي إلى قيصر أرسل إلى أبي سفيان بن حرب ركب من قريش، وكانوا تجارًا بالشام من المدة التي ماذ فيها رسول الله ﷺ أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فوجه أسئلة إلى أبي سفيان من جملتها، قال قيصر: ماذا يأمركم. قال أبو سفيان: قلت يقول عبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، وتركوا ما يقول آبائكم، ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والصلة^(٦).

(١) تخلفونا فيه بضم اللام مخففاً، أي: تدخلون فتقيمون في المكان الذي كنا فيه، ابن حجر، فتح البخاري شرح صحيح البخاري،

ج ١٠، ص ٢٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، رقم (٦١٥٥)، ج ٥، ص ٢٣٨٩.

(٣) عبد الحكم سامور، الهدى النبوي في الحوار مع أهل الكتاب، ص ٨٥.

(٤) سورة النساء، الآية ١٢٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٦) تقدم تخريجه.

إن الأنبياء جميعًا -عليهم السلام- قد اتفقوا في منهجهم في الدعاة إلى الإسلام وما قام به النبي ﷺ صورة لهذه المنهج، حيث بدعوا جميعهم بالحوار مع قومهم في التوحيد^(١)، لأن المراد من قوله تعالى: ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ أي: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل: هي كلمة توحيد الله ولا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً وفي قوله ﴿وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا آرِبَاتًا﴾ وذلك بتعظيمه بالسجود له كما يسجد لربه^(٢). إنها دعوة عبادة الله وحده لا يشركون به شيئاً، لا بشراً، ولا حجراً، ودعوة إلى أن لا يتخذ بعضهم بعضاً من دون الله آرباتاً ولا نبياً ولا رسولاً، فكلهم لله عبيد، إنما اصطفاهم الله عنه، لا لمشاركته في الألوهية والربوبية^(٣).

فهذه القاعدة التي اتبعها النبي ﷺ والأنبياء قبله هي التي تقرب المدعوين للجو الروحي الذي يوحى إليهم بالحوار الهادئ السليم.

والقرآن الكريم من خلال استخدامه لهذا المنهج يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق سواء في ذلك قضايا العقيدة، وقضايا الحساب والمسؤولية، فكل سؤال جواب وهذا هو الأساس الإسلامي في اعتبار الحوار قاعدة أساسية في دعوته الناس إلى الإيمان بالله ﷻ وعبادته^(٤).

أما الاتجاه الثاني الذي سلكه القرآن الكريم في تصحيح عقائد أهل الكتاب فهو:

الحوار في التعايش:

والمراد بهذا النوع من الحوار هو المتعلق بالعلاقة المعيشية البحتة بين معتقي الأديان عموماً وأهل الكتاب خاصة، فهو يهدف إلى تحسين العلاقات بين الشعوب أو بين الطوائف المختلفة، والإسلام يرحب بهذا، بل يدعو إليه من خلال الإحسان والبر والقسط^(٥). ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٦).

(١) عبد الحكم سامور، الهدي النبوي في الحوار مع غير المسلمين، ص ٣٤.

(٢) الألويسي، روح المعاني، ج ٣، ص ٢٥٤ و الطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ٣٠٢.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٤٠٦.

(٤) حسن فضل الله، الحوار في القرآن، ص ٣١، ٣٢.

(٥) عبد المجيد موسى الشعبي، الحوار في القرآن الكريم موضوعه وفوائده، رسالة دكتوراه، صنعاء، ٢٠٠٧م، ص ٦٧٢.

(٦) سورة الحجرات، الآية ١٣.

ففي قوله: **(لَتَعَارَفُوا)** معنيين:

الأول: أن يعرف بعضكم بعضاً^(١).

الثاني: أن تتعاملوا فيما بينكم بالمعروف.

ومفهوم التعارف ذو سعة بحيث يمكن أن يشتمل كل المعاني التي تدل على التعاون والتساكن والتعايش، وأن يستوعب قيم الحوار، والجدل بالتي هي أحسن والاحترام المتبادل^(٢).

وخير مثال على هذا التعايش يتمثل في الواقع العملي الذي أصله الرسول ﷺ والصحابة الكرام في العهد الذهبي عندما كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ ليوجه الجماعة الأولى نحو الحوار للعيش مع الآخرين فيما هو مشترك. فمنذ النشأة الأولى للدولة الإسلامية عقد النبي ﷺ عهوداً ومواثيق مع اليهود في المدينة كان الهدف منها في الغالب التعايش والدفاع عن ما هو مشترك بين المسلمين واليهود^(٣).

والتاريخ الإسلامي زاخر بصور التعايش بين المسلمين واليهود والمسيحيين، فقد عاش اليهود والمسيحيين في ظل الدولة الإسلامية حياة رغيدة تقوم على احترام حرية الدين وبناء دور للعبادة، وليس هذا فحسب بل ضمن لهم الإسلام الحماية ما داموا يعيشون في كنف الدولة الإسلامية.

وصور هذا التعايش ظهرت في بادئ الأمر من خلال تعامل النبي ﷺ مع أهل الكتاب من خلال: عبادة مريضهم، ومراعاة حقوق الجار في جوارهم، والتهادي معهم، والدعاء لهم بالخير والهداية^(٤).

اذكر على سبيل المثال: ما رواه البخاري عن أنس ؓ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعود فقعده عند رأسه فقال له: أسلم فنظر إلى أبيه، وهو عنده فقال: أطع أبا القاسم ؓ فخرج النبي ﷺ، وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار^(٥).

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمر: أنه ذبح شاه فقال: أهديتم لجاري اليهودي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه^(٦).

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٧، ص ٢٢٩.

(٢) عبد المجيد موسى الشعبي، الحوار في القرآن الكريم موضوعه وفوائده، رسالة دكتوراه، ص ٦٧٤.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر تفصيل ذلك في: الهدي النبوي في التعامل مع أهل الكتاب في المناسبات الاجتماعية، جوهري عارفين بن ماليزار، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م.

(٥) صحيح البخاري في كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه وهل يمرض على الصبي الإسلام، رقم (١٣٥٦)، ج ٣، ص ٢٥٩. وفي كتاب الرضي، باب: عبادة المشرک، رقم (٥٦٥٧)، ج ١٠، ص ١٢٤.

(٦) سنن أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب: حق الجوار، رقم (٥١٥٢)، ج ٥، ص ٢٢٤.

وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل فجيء بها فقبل إلا نقتلها قال لا فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ ^(١).

في حين لم يقبل النبي ﷺ الهدية من غيرهم.

ففي الحديث الذي رواه عياض بن خمار قال: أهديت للنبي ﷺ ناقة، فقال: أسلمت؟ فقلت: لا، فقال النبي ﷺ: إني نهيت عن زبدِ المشركين ^(٢).

والزبد، بسكون الباء: هو الرغد والعطاء والمقصود هنا هدايا المشركين ^(٣).

والقرآن الكريم ينطلق في حوارهِ للتعايش مع أهل الكتاب وغيرهم، من المبدأ الإسلامي العام الذي يظهر في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ^(٤) غير أنه يعطي أهل الكتاب ميزة أخرى في تحديد منهجية محاورتهم كونهم أهل رسالة أصولها سماوية، فيقول عز من قائل: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّا بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ^(٥). لذلك دعاهم القرآن الكريم إلى العدل والإنصاف عند الحوار فقال ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ...﴾ ^(٦) وهو تعالوا إلى كلمة لا يختلف فيها الرسل والكتب المنزلة والعقول

السليمة، لأن العدل هو أساس الحوار الذي يلقي بظلاله على التعايش السلمي ^(٧).

وأخيرًا لا بد من التنويه على أن أهل الكتاب بنص القرآن ينقسمون إلى قسمين كما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّا بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ ^(٨). وهما:

الأول: الذين ظلموا منهم.

الثاني: المحايدون المسالمون.

(١) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب: قبول الهدية من المشركين، رقم (٢٦١٧)، ج ٥، ص ٢٧٢.

(٢) سنن أبو داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب: الإمام يقبل هدايا المشركين، رقم (٣٠٥٧)، ج ٣، ص ١٧٠.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٩٣.

(٤) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٧) عبد المجيد الشامي، الحوار في القرآن، رسالة دكتوراه، ص ٦٧٦.

(٨) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

فأما المحايدون المسالمون فالآيات واضحة في جواز الحوار معهم. بل والبر والإحسان إليهم، كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١).

أما القسم الثاني وهم الذين ظلموا، فقد ذكر الإمام الشوكاني فيهم عدة آراء في كيفية التعامل معهم أهمها:

١. لا بأس بمجادلتهم مع الإغلاظ عليهم والتخشين.
 ٢. ترك مجادلتهم والانتقال معهم إلى القتال، لدفع الظلم لأن الآية منسوخة بآيات القتال^(٢).
- ويمكن الجمع بينهما بأن يجادلوا مع الإغلاظ عليهم، وإن لم تكن المصلحة في جدالهم فإنهم يقاتلون لدفع ظلمهم، فهنا موضع اجتهاد حسب تقدير المحاور للمصلحة^(٣).

(١) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٢٠٥. يعني بالآية المنسوخة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّا بِالَّذِينَ هِيَ أَضْنُ﴾ من سورة العنكبوت، الآية رقم ٤٦.

(٣) عبد المجيد الشعبي، الحوار في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، ص ٦٧٦.

المبحث الثالث منهج الترغيب والترهيب

استخدم القرآن الكريم منهج الترغيب والترهيب في تصحيح عقائد أهل الكتاب وقبل أن آتي على بيان أسلوب القرآن الكريم في استعماله لهذا المنهج، أرى أنه لا بد من الوقوف على معنى الترغيب والترهيب حتى تكون الصورة أكثر وضوحاً بإذن الله تعالى.

المطلب الأول: تعريف الترغيب لغة واصطلاحاً:

الترغيب لغة:

الترغيب مصدر قولهم رَغِبَ في الشيء، والرَّغْبَةُ مصدر رَغِبَ في الشيء، وهو مأخوذ من مادة (ر غ ب) التي تدل في أصل اللغة على معنيين: أحدهما طلب لشيء، والآخر: سَعَة فسي شيء، فالرغبة في الشيء: الإرادة له، نقول: رَغِبَ يَرْغِبُ رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه، والرغبة السؤال والطمع، وأرغبني في الشيء ورغبني بمعنى واحد، ورغبه: أعطاه ما رغب^(١). وعرفه الراغب الأصفهاني بقوله: "أن أصل الرغبة السعة في الشيء، يقال رغب الشيء انتسع، وحوضٌ رغبٌ، وفلان رغب الجوف، وفرس رغب العدو، والرغبة والرغب والرغبي: السعة في الإرادة"^(٢).

ومادة رغب كثيرة الدوران لفظاً في القرآن الكريم، فقد وردت بمصادر وأفعال منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾^(٥). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾^(٦).

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٤٢٢، ٤٢٤.

(٢) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٥٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٩٠.

(٤) سورة مريم، الآية ٤٦.

(٥) سورة النساء، الآية ١٢٧.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٣٠.

الترغيب اصطلاحاً:

هو: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه^(١)، وقيل هو: "وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة خيرة، خالصة من الشوائب، ومقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن عمل سيء، ابتغاء مرضاة الله تعالى، وذلك رحمة من الله لعباده"^(٢). وقيل: هو تحبيب الإنسان في عبادة الله تعالى، وفعل الخير، وعمل الصالحات ومكارم الأخلاق، والقيام بكل ما أمر الله تعالى به في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، طمعاً فيما رتبته الله على ذلك من حسن الجزاء، وجزيل المثوبة في الدنيا والآخرة^(٣).

المطلب الثاني: تعريف الترهيب لغة واصطلاحاً:

الترهيب لغة:

الترهيب مصدر قولهم: رَهَبَ من الشيء، والرَّهْبَةُ مصدر رهَبَ، وهو مأخوذ من مادة (ر ه ب)، تقول: يرهَب رَهَباً مرهَباً، ورَهَباً بالتحريك أي خاف، ورهَب الشيء رَهَباً ورَهَباً ورَهْبَةً: خافه، وأرهبه ورَهْبَهُ واسترهبه أخافه وأفزعه واسترهبه: استدعى رهبته حتى رهبه الناس، وبذلك فسر قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾^(٤). أي أرهبهم^(٥).

ومادة رهب كثيرة الدوران لفظاً في القرآن الكريم، وقد وردت بمصادر وأفعال منها:

قوله تعالى: ﴿لَأَتْنُمُّ أَسَدُ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارْهَبُونِ﴾^(٧).

وقوله تعالى: ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٨).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٩).

(١) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص٤٣٧.

(٢) عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر المعاصر، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢٨٧.

(٣) يوسف القرضاوي، المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، دار الوفاء، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١١٦.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٣٦.

(٦) سورة الحشر، الآية ١٣.

(٧) سورة البقرة، الآية ٤٠.

(٨) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٩) سورة الأنبياء، الآية ٩٠.

الترهيب اصطلاحاً:

"هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"^(١).

وقيل: هو "وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على إثم أو ذنب مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية، ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي"^(٢). وقيل: هو "تخويف الإنسان من البعد عن الله تعالى، وإضاعة فرائضه، والتفريط في حقه ﷻ وحقوق عباده، وارتكاب ما نهى الله تعالى عنه من الشرور والردائل، في أي مجال من مجالات الحياة"^(٣).

نستطيع من خلال الإيضاح السابق لمعنى الترغيب والترهيب أن ندرك السبب الذي من أجله استعمل القرآن الكريم لمنهج الترغيب والترهيب فالقرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله^(٤).

كما ندرك من خلال التعاريف أن الترغيب يكون في نيل رضى الله ﷻ ورحمته وجزيل ثوابه في الآخر، وأن الترهيب يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، وهذا هو نهج رسل الله الكرام كما بينه القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية المطهرة، واذكر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾^(٥).

وقوله تعالى على لسان نوح ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا * يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٦).

(١) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٣٧.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص ٢٨٧.

(٣) يوسف القرضاوي، المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، ص ١٠.

(٤) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٣٧.

(٥) سورة محمد، الآية ١٢.

(٦) سورة نوح، الآيات ١-٤.

ويشير عبد الكريم زيدان إلى أن الأصل في الترغيب والترهيب يكون بالجزاء في الآخرة، ويكون كذلك بالجزاء في الدنيا حيث يقول: "ومع أن الأصل في الترغيب والترهيب يكون بالجزاء في الآخرة، فإنه يجوز أن يكون بما يصيب المدعويين في الدنيا من خير في حالة استجابتهم وما يصيبهم من شر في حالة رفضهم، على أن لا يغفل الداعي أبداً عن الترغيب والترهيب بالجزاء في الآخرة"^(١). ومن أدلة هذا الجواز:

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(٢). وقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٣).

المطلب الثالث: استخدام القرآن لمنهج الترغيب والترهيب في تصحيح عقائد أهل الكتاب:

في جانب الترغيب نجد أن القرآن الكريم رغب أهل الكتاب في عدة أمور منها:

١. الإيمان بالله ﷻ:

ومع أنهم كانوا يعبدون الله ﷻ، إلا أن القرآن الكريم رغبهم في الإيمان الصحيح المنزه عن كل ما لا يليق بالذات الإلهية يقول الحق ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٥).

٢. الإيمان بالنبي محمد ﷺ:

الذي بُشِّرَ به كتبهم، وبالقرآن الذي أنزل معه المصدق لما معهم والمهيمن عليها، وقد أخذ الله عليهم العهد بالإيمان بالنبي محمد ﷺ في التوراة والإنجيل.

(١) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٣٨.

(٢) سورة النور، الآية ٥٥.

(٣) سورة نوح، الآيات ١٠-١٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٠٣.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

يقول الرازي: "أعلم أنه تعالى لما بين أن من صفة من تكتب له الرحمة في الدنيا والآخرة التقوى وإيتاء الزكاة والإيمان بالآيات، ضم إلى ذلك أن يكون من صفته إتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل"^(٢).

٣. العمل الصالح:

وذلك على الوجه النافع المرضي لله تبارك وتعالى، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣).

ومخاطبة أهل الكتاب وتكليفهم بأجزاء الدين وفروعه مع أنهم كافرون يحتمل أمرين:

- أ. أن ذلك من باب المطالبة بالفرع للتذكير بالأهم وهو الأصل، أي العقيدة وهي الأساس في الدين كله.
 - ب. التذكير بأهمية مثل هذه الشعائر من حيث تأثيرها على النفس البشرية إذ أنها تهذبها نفسياً^(٤).
- أما أساليب الترغيب التي أتبعها القرآن الكريم مع أهل الكتاب فيما يدعوهم إليه فهي كثيرة ومتعددة منها:

- ١) التذكير بالنعم: وذلك من أجل حملهم على الاستقامة على أمره، يقول تبارك وتعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٥). ومن هذه النعم على بني إسرائيل:
 - أ. إنجائهم من فرعون وقومه، والإنعام عليهم بتمكينهم في الأرض، يقول تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(٦).
 - ب. نعم الله عليهم في التيه والتي منها: تضليلهم بالغمام، إزلال المن والسلوى عليهم، وإغاثتهم بالماء.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢٤، ٢٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ٦٢.

(٤) إيمان بنت محمد الرجبي، الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٤م، ص ١٥٤.

(٥) سورة البقرة، الآية ٤٧.

(٦) سورة القصص، الآيتان ٥، ٦.

قال تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مَافْسِدِينَ﴾^(٢).

ج. إنزال الكتب السماوية عليهم، وإيتاؤهم الحكم والنبوة، وإرسال الرسل إليهم يوجهونهم إلى الخير ويحذرونهم من الفساد، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا نَم يُوتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

يقول الرازي: "وأعلم أنه ﷺ إنما ذكرهم بهذه النعم لوجوه:

أحدها: أن في جملة النعم ما يشهد بصدق محمد ﷺ وهو التوراة والإنجيل والزيور.

ثانيها: إن كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم بتلك النعم لكي يحذروا مخالفة ما دُعوا إليه من الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن.

ثالثها: إن التذكير بالنعم الكثيرة يوجب الحياء عند إظهار المخالفة، فإن قيل: هذه النعم ما كانت على المخاطبين بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمًا عليهم وسببًا لعظم معصيتهم، والجواب من وجوه: "أحدها: لولا هذه النعم على آبائهم لما بقوا، فما كان يحصل هذا النسل، فصارت النعم على الآباء، كأنها نعم على الأبناء، ثانيها: الأبناء متى سمعوا أن الله تعالى خص آباءهم بهذه النعم، لمكان طاعتهم وإعراضهم عن الكفر والجحود، رغب الولد في هذه الطريقة، لأن الولد محبوب على التشبه بالأب في أفعال الخير، فيصير هذا التذكير داعيًا إلى الاشتغال بالخيرات والإعراض عن الشرور"^(٥).

(١) سورة البقرة، الآية ٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٦٠.

(٣) سورة الجاثية، الآية ١٦.

(٤) سورة المائدة، الآية ٢٠.

(٥) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٣٦، ٣٧.

٢) بيان الأجر والثواب والنعيم الذي أعدّه الله تعالى لمن آمن منهم واستقام:

بين الله ﷻ في كتابه العزيز الثواب والنعيم الذي ينتظر من آمن من أهل الكتاب حثاً لهم على الطاعة وترغيباً لهم في الالتزام^(١)، قال ﷻ: «وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^(٢).

وقال تعالى: «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»^(٣).

قال ابن عباس وقتادة والحسن: نزلت في النجاشي، وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ لأصحابه: "قوموا فصلوا على أخيكم النجاشي"، فقال بعضهم لبعض: يأمرنا أن نصلي على عُلج من غُلوج الحبشة، فأنزل الله تعالى: «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن ...» الآية. وقال مجاهد وابن جريج وابن زيد: نزلت في مؤمني أهل الكتاب وهذا عام، والنجاشي واحد منهم^(٤). روى مسلم في صحيحه: "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: فذكر رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم أدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران"^(٥).

ومن صور هذا الثواب والنعيم:

- مضاعفة الأجر والثواب. كما رأينا من حديث رسول الله ﷺ، وكذلك يقول ﷻ: «الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ»^(٦).

أي "يضاعف لهم الثواب، وعبر عن مضاعفة الأجر ضعفين بالمرتين تشبيهاً للمضاعفة بتكرير الإيتاء وإنما هو إيتاء واحد، وفي هذا إظهاراً للعناية حتى كأن المنيب يعطي ثم يكرر عطاءه"^(٧).

(١) إيمان بنت محمد الرجبيني، الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ص ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩٩.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٣٠٢. و السيوطي، أسباب النزول، ص ٢٠٩.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملك بملته، حديث رقم (٢٤١)، ج ١، ص ١٣٤. وروى البخاري في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، رجل كانت عنده أمه، فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله أجران". أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب العلم، باب تعليم الرجل أهله، حديث رقم (٩٧)، ج ١، ص ٤٨.

(٦) القصص، الآيات ٥٢-٥٤.

(٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ١٤٤، ١٤٥.

- تكفير ذنوبهم، وإدخالهم جنات النعيم: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَنذَرْنَاهُمْ جَنَاتِ النَّعِيمِ﴾^(١).
- يقول ابن كثير: "أي لو أنهم آمنوا بالله ورسوله واتقوا ما كانوا يقتربونه من المآثم، والمحارم ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَنذَرْنَاهُمْ جَنَاتِ النَّعِيمِ﴾ أي لأزلنا عنهم المحذور وألناهم المقصود"^(٢).
- التوسعة في موارد الرزق: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٣).
- ومعنى أقاموا التوراة والإنجيل: أي أظهروا أحكامها وعملوا بمقتضاها وعدم تحريفها^(٤). ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي القرآن، وقيل كتب أنبيائهم^(٥).
- قوله تعالى: ﴿لَأَكْلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ أي لوسعنا عليهم في أرزاقهم وأكلوا أكلاً متواصلاً، وذكر فوق وتحت للمبالغة فيما يفتح عليهم من الدنيا، ثم أخبر تعالى أن منهم مقتصدًا - وهم المؤمنون منهم كالنجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام - اقتصدوا فلم يقولوا في عيسى ومحمد -عليهما السلام- إلا ما يليق بهما^(٦).

٣) ومن أساليب الترغيب أيضًا: الإشادة بمن آمن منهم ومدحهم والثناء عليهم:

ذكر القرآن الكريم أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وبالتوراة والإنجيل والقرآن، ويخلصون العبادة لله ويخافونه، وأن أهل الكتاب ليسوا جميعًا كفارًا معاندين، بل هناك جماعة منهم يقومون على طاعة الله، ويثبتون على أمره، كما أنهم أصحاب حظ وافر من الفضيلة والأخلاق.

وهذا من عدل القرآن وإنصافه حين فرق بين صالحهم وطالحهم، وحكم على كل فريق منهم بما يستحقه من خير وشر، ولا ريب أن هذا العدل وذاك الإنصاف مرغبا لهم للإيمان بالقرآن الكريم وبالنبي محمد ﷺ وليعلموا أنه الحق من الله الذي لا ريب فهي ولا مرا^(٧).

(١) سورة المائدة، الآية ٦٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ١٢٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٦.

(٤) ابن عطية، المحرر والوجيز، ج ٣، ص ١١٠ والبنغوي، معالم التنزيل، ج ٥، ص ٢١٧. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ١٧٨.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ١٧٨.

(٦) المصدر السابق.

(٧) إيمان بنت محمد الرجبى، الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ص ١٥٩.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾^(١).

"فهذه الآية من العدل الإلهي، وفيه قطع لاحتجاج أهل الكتاب الذين يعرفون من أنفسهم الإيمان والإخلاص في العمل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فلو لا هذا النص، لكان لهم أن يقولوا: لو كان هذا القرآن من عند الله، لما ساوانا بغيرنا من الفاسقين، ونحن مؤمنون به مخلصون له، وفيه استمالة لهم، ونشاء عن التفرقة بين الأمم والملل، التي لم يكن يعترف فيها أحد الفريقين بفضيلة ولا مزية للآخر"^(٢).

ويقول تبارك وتعالى في مدح من آمن من النصارى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرَهَبَانًا وَآلَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأْتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم يهود الحجاز ومشركو العرب ونصارى الحبشة في عصر التنزيل.
والثاني: أنه عام^(٤).

فهذه الآيات تصف لنا طائفة من النصارى، بأنهم أقرب مودة للمؤمنين من اليهود والمشركين، وأنهم إذا ما سمعوا ما أنزل على الرسول ﷺ من القرآن، تفيض أعينهم بالدمع تعبيراً عن التأثير العميق الذي لحق بهم مما عرفوا من الحق لما سمعوا من القرآن الكريم. وقد عرفوا في كتابهم صفة رسول الله ﷺ، وأنهم يدعون الله ﷻ أن يجعلهم مع الشاهدين من أمة محمد ﷺ^(٥).

ذكر القرطبي عن قتادة: نزلت هذه الآية في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام، فلما بعث الله ﷻ محمداً ﷺ آمنوا به فأثنى الله عليهم^(٦).

(١) سورة آل عمران، الآيات ١١٣-١١٥.

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٤، ص ٧١.

(٣) سورة المائدة، الآيات ٨٢-٨٥.

(٤) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٧، ص ٣.

(٥) إيمان الرجيب، الترغيب والترهيب، رسالة ماجستير، ص ١٦٠.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ١٩١.

٤) سماحة الإسلام وذلك بحسن التعامل معهم:

ومن صور سماحة الإسلام ما يلي:

أ. حل طعامهم وذبائحهم والزواج من نسائهم:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَحْلَلْنَا لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١).

والطعام اسم لما يؤكل والذبائح منه، وهو هنا خاص بالذبائح عند كثير من أهل العلم، قال ابن عباس: "قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^(٢) ثم استثنى فقال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾ يعني ذبيحة اليهودي والنصراني^(٣). ولا خلاف بين العلماء أن ما لا يحتاج إلى ذكاه كالطعام الذي لا محاولة فيه كالفاكهة والبر وغيرها جائز أكله^(٤).

ولا خلاف بين العلماء في حل نكاح العفيفات من أهل الكتاب، فالطيبات من نساء أهل الكتاب حلال نكاحهن، وقد فعله أصحاب نبينا محمد ﷺ، وقد أثبتت الشريعة الإسلامية للزوجة الكتابية حقوق الزوجية التي أثبتتها لغيرها كمعاشرتها بالمعروف، والإنفاق عليها من حلال، وعدم إكراهها على ترك دينها^(٥).

ب. قبول الجزية منهم:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٦).

(١) سورة المائدة، الآية ٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢١.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٤٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٤٦. وإيمان الرجبي، التهريب والترغيب في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ص ١٦١.

(٦) سورة التوبة، الآية ٢٩.

وقبول الجزية يكون من أهل الكتاب دون المشركين، إن أردوا البقاء على معتقداتهم دون إكراه لهم على الدخول في الإسلام، في حين أن الإسلام لم يقبل الجزية من المشركين عبدة الأوثان، بل خيرهم بين القتال أو الدخول في الإسلام^(١).

وإعطائهم للجزية يكون إعطاءً ناشئاً عن يد، أي عن إنعام عليهم لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم نعمة عظيمة تُسدى إليهم^(٢) لأنها مقابل السكنى، وتوقي القتلى^(٣) وتؤخذ من أغنيائهم، أما من عجز عنها فإنها تسقط عنه^(٤).

روى أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم أن رسول الله ﷺ قال: "من ظلم معاهداً، أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة"^(٥).

أما في جانب الترهيب، فقد رهب الله ﷺ أهل الكتاب بعدة أمور منها:

(١) الترهيب ببيان العقاب والعذاب الذي جعله الله للمكذبين العصاة منهم:

بين القرآن الكريم في مواضع كثيرة ما توعد الله ﷺ به أهل الكتاب من العذاب والعقاب وذلك ليرهب نفوسهم ويثير فيهم الخوف والحذر من مخالفة أمره وعصيانته ومن ذلك:

(أ) ضرب الذلة والمسكنة عليهم.

يقول الحق تبارك وتعالى: «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُخَفُّوْا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ»^(٦). فاليهود من أشد الناس ذلة ومسكنة، وقد سلط الله عليهم الأمم وكتب عليهم الهوان، وذلك لكفرهم بآياته، وقتلهم لأنبيائه وتعديهم لحدوده^(٧).

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٦٣.

(٢) محمد علي السابيس، تفسير آيات الأحكام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٢٦.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٦٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب في تعشير أهل النمة إذا اختلفوا بالتجارات، رقم (٣٠٥٢)، ج ٣، ص ١٣٥. قال السخاوي في المقاصد، ص ٣٩٢: وسنده لا بأس به.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١١٢.

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٦٢٢، ٦٢٣.

(ب) لعنهم والطبع على قلوبهم بالكفر:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢).

والمعنى: أي "جعلنا قلوبهم قاسية ناثية عن قبول الحق منصرفة عن الانقياد للدلائل"^(٣). وهذا نتيجة لكفرهم وجحودهم وطغيانهم، ونقضهم المواثيق، لذلك لم تعد الحكم والعظات والعبر نستطيع الوصول إلى قلوبهم والنفاد فيها، ففقدت كل تأثير وانفعال^(٤).

(ج) تذكيرهم باليوم الآخر وما فيه من ألوان العذاب وصنوف العقاب:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٥).

ففي هذا اليوم سيلقي الكفار من أهل الكتاب من الأهوال والعذاب ما لا طاقة لهم به. ومن ألوانه:

١. إعراض الله عنهم وغضبه عليهم، وعدم تطهيرهم من ذنوبهم بالمغفرة والعفو. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٦).

فقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ إشارة إلى حرمانهم عن منافع الآخرة^(٧). وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إشارة عن الغضب عليهم وإزالة الرضا عنهم^(٨)، وحرمانهم عن التعظيم والإعزاز^(٩). وعدم النظر إليهم بعين الرحمة^(١٠).

(١) سورة المائدة، الآية ١٣.

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٥.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٦، ص ١٩١.

(٤) إيمان الرحيبي، الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، ص ١٦٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ٤٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٧٧.

(٧) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ١١٧.

(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٢١.

(٩) الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٤، ص ١١٧.

(١٠) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٨٨.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي لا يصلح أعمالهم الخبيثة فيطهرهم من الذنوب^(١)، "لأن من بلغ من رقة الديانة إلى حد أن يشتري بعهد الله وإيمانه ثمناً قليلاً، فقد بلغ الغاية القصوى في الجراءة على الله، فكيف يجرى له صلاح بعد ذلك"^(٢).

٢. الخلود في نار جهنم وما فيهما من ألوان العذاب: يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ نَوْسُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٣).

والحريق اسم للنار الملتهبة، والنار تشمل الملتهبة وغير الملتهبة. ويقال لهم ذلك في جهنم جزاء لما قالوه واقترفوه من الذنوب^(٤).

٢) التهيب بضرب الأمثال:

قال الحق تبارك وتعالى مبيناً واقع اليهود في حمل التوراة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥).

ضرب القرآن الكريم مثلاً لليهود لما تركوا العمل بالتوراة، ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿حُمِّلُوا﴾ كلفوا العمل بها. قاله ابن عباس: "الأسفار: جمع سفر وهو الكتاب الكبير، لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ"^(٦) "والحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل"^(٧)، فهكذا اليهود، وفي هذا تنبيه من الله تعالى عن حمل الكتاب إن يتعلم معانية ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء^(٨). وكفى بأهل التوراة تهيباً وزجراً أن يكون هذا مثلهم في كتاب الله الكريم، الذي أنزل لهدايتهم. وإن تكون صورتهم -في حمل كتابهم- هذه الصورة المزرية فهم لما حملوا التوراة، وتعاموا عما فيها من نور ولم ينتفعوا

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٢١. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٢٩٠.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٢٩٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٨١.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٧٦.

(٥) سورة الجمعة، الآية ٥.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر نفسه.

بالهداية التي جاءت بها، كانوا كالحمار يحمل على ظهره الكتب القيمة في الحكمة والمعرفة والعلم، من غير أن يعرف ما يحمل، ومن غير أن ينتفع بشيء من فوائدها^(١).

٣) الترهيب ببيان رذائلهم وقبائحهم التي سجلها القرآن الكريم عليهم وبيان دعاويهم الباطلة وأمانيتهم الكاذبة^(٢).

فقد سجل القرآن الكريم كثيرًا من عقائدهم الباطلة^(٣) وأخلاقهم السيئة فقد وصفهم بالكفر والعصيان والاعتداء^(٤) وقسوة القلب، وانحراف الطبع^(٥). والغدر ونقض العهد وتحريف الكلم عن مواضعه^(٦) والاستهزاء بالأنبياء والتآمر عليهم وسفك دمائهم^(٧).... الخ.

ومن دعاويهم التي حكاها القرآن الكريم عنهم، ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٨).

أي أنهم أدعوا أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة ثم ينجون منها، وهي مدة عبادتهم للعجل، فرد عليهم القرآن الكريم بما يُبطل دعاوهم، فمن أشرك بالله وكفر به وبرسله وأحاطت به ذنوبه فمخلد في النار، والجنة لا يسكنها إلا أهل الإيمان، فأهل الطاعة القائمون بحدوده^(٩).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(١٠).

فهذا القول منهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه، لا يليق بعظمة الله ﷻ، ورد عليهم القرآن الكريم بأنه إذا كان الأمر كما زعموا فلم يعذبكم بذنوبكم وشأن الأب أن لا يعذب أبنائه، والحيب لا يعذب حبيبه،

(١) إيمان الرحيبي، الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ص ١٧٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧١.

(٣) انظر: سورة التوبة، الآية ٣٠. وسورة المائدة، الآية ١٧. وسورة آل عمران، الآية ١٨١.

(٤) انظر: سورة آل عمران، الآية ١١٢. وسورة البقرة، الآية ٨٩-٩١. وسورة المائدة، الآية ٦٨.

(٥) انظر: سورة المائدة، الآية ١٣. وسورة البقرة، الآية ٨٨.

(٦) انظر: سورة المائدة، الآية ١٣. وسورة النساء، الآية ١٥٥.

(٧) انظر: سورة النساء، الآية ١٥٥، ١٥٧. وسورة آل عمران، الآية ١١٢.

(٨) سورة البقرة، الآيتان ٨٠، ٨١.

(٩) الألوسي، روح المعاني، ج ١، ص ٤١٢.

(١٠) سورة المائدة، الآية ١٨.

بل أنتم بشر من جملة خلق الله تعالى. وهو ﷺ الحكم العدل الذي لا يحابي أحد، وإنما يغفر لمن يعلم أنه مستحق للمغفرة، ويعذب من يعلم أنه مستحق للعذاب^(١).

هذه بعض أساليب الترهيب التي استعملها القرآن الكريم في مخاطبة أهل الكتاب وهي كثيرة ومتنوعة يستفيض بها الذكر الحكيم.

والملفت في آيات الترغيب والترهيب الواردة في خطاب أهل الكتاب أن القرآن الكريم ابتدأ في خطابهم بالترغيب كعادته في دعوة المتكلمين، ثم انتقل بهم إلى الترهيب بعد ذلك^(٢).

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن الزهري عن ابن عباس ؓ جمع فيه النبي ﷺ بسين الترغيب أولاً ثم الترهيب في رسالته إلى هرقل. قال ابن عباس ؓ قال: حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ قال: فبينما أنا بالشام إذ جئ بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين^(٣)، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٤). وعندما وصل الكتاب النبوي إلى قيصر أرسل إلى أبي سفيان بن حرب ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام من المدة التي ماز^(٥) فيها رسول الله ﷺ أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فوجه أسئلة إلى أبي سفيان من جملتها، قال قيصر: ماذا يأمركم. قال أبو سفيان: قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول أبائكم، ويأمر بالصلاة

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٦، ص١٥٥. ومحمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٦، ص٣١٤، ٣١٥.

(٢) إيمان الرجبي، الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، ص١٧٢.

(٣) الأريسيون: تحدث الإمام الطحاوي عن هذه الفرقة فقال: "وقد ذكر بعض أهل المعرفة أن في زمن هرقل فرقة تُعرف بالآروسية، تُوحد الله، وتُعترف بعبودية المسيح ﷺ، ولا تقول شيئاً مما يقوله النصارى في ربوبيته، وتؤمن بنبوته، فإنها تمسك بدين المسيح مؤمنة بما في إنجيله، جاحدة لما يقوله النصارى سوى ذلك، إذا كان كذلك جاز أن يقال لهذه الفرقة (الأريسيون) بالرفع (الأريسيين) بالنصب والجر. أبو جعفر أحمد سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي (ت ٨٣٢١هـ)، مشكل الآثار، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٣٣هـ، ج٣، ص٣٩٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٥) المدة: التي ماز فيها رسول الله ﷺ أبا سفيان، والمدة: طائفة من الزمان تقع على الكثير والقليل وماذ منها أي أطالها. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص٢٦٤.

والصدق والعفاف والصلة...»^(١).

يقول ابن حجر العسقلاني: .. وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمنها هذا الكتاب على الأمر بقوله: "أسلم" والترغيب بقوله: "تسلم" و"يؤثك" والزجر بقوله: "فإن توليت" والترهيب بقوله: "فإن عليك" والدلالة بقوله: "يا أهل الكتاب" وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى، وكيف لا وهو من كلام من أتى جوامع الكلم ﷺ^(٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ»، رقم (٤٢٧٨)، ج ٤، ص ١٦٥٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٩، ٤٠.

الخاتمة

الحمد لله ... وبعد،

خرجت الدراسة بالعديد من النتائج أستطيع أن أجمل أهمها فيما يلي:

- فرق القرآن الكريم بين مسمى "يهود" ومسمى "بنو إسرائيل" فبنو إسرائيل هم الذين انحدروا من يعقوب عليه السلام، فالرابطة بينهم قائمة على أساس النسب والقرابة، أما "يهود" فتدل على كل من انتسب للديانة اليهودية الدالة على الأيدلوجية، ومن أمثلة هذا التفريق قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أما في شأن اليهود فقال عز من قائل: ﴿لُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ دون استثناء.
- إن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً الذي أرسلوا به من عند الله تعالى من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبناءً عليه فإن موسى عليه السلام جاء بالإسلام ولم يأت بالديانة اليهودية أو ما يسمى بالموسوية كما أن عيسى عليه السلام جاء بالإسلام ولم يأت بالديانة النصرانية وذلك بشهادة الآيات القرآنية ونتيجة لذلك فإن تعبير الديانات السماوية تعبير خاطئ من وجهة النظر الإسلامية لأن ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ فالإسلام هو الدين السماوي الوحيد وغيره أديان وضعية.
- إن جميع ما ذكر في القرآن الكريم من عقائد لليهود والنصارى، قد وجدت في كتبهم سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.
- ذكر القرآن الكريم إساءة اليهود للذات الإلهية، وعند الرجوع إلى مصادرهم وجدنا هذه الإساءة بعدة صور، منها: أنه يندم ويحزن ويتجسد بصورة بشر وصارعه يعقوب
- نظرة اليهود للإله هي نظرة عنصرية قائمة على الاعتقاد بأنه إله خاص بهم، وبناءً عليه اعتبروا أنفسهم أنهم شعبه المختار، وأنهم أبناؤه وأحباؤه، وأن دينهم هو الدين الحق.
- يُعتبر مقام النبوة لله عند اليهود والنصارى مقام تشريف وعلو، ولا يعنون به النبوة الحقيقة، ويطلق على الأتقياء فقط أما الكفرة فلا يستحقون هذا اللقب.
- يدعي اليهود أن القرآن الكريم قد ذكر عقائد لهم غير موجودة عندهم، منها القول أن "العزير ابن الله" ولكن عند الرجوع إلى مصادرهم وجد أنهم يقولون بذلك وإن كان ذلك شائعاً عند التنزيل، ولكنه اليوم مكنون بين الكتب الصفراء القديمة، وهم يحاولون إخفاءه. ومن العقائد أيضاً ما ذكره القرآن الكريم من اعتقادهم قصر الجنة والنار عليهم وأنهما قد خلقتا لهم دون غيرهم ويعتقدون كذلك أن النار قد خلقت لهم حتى يتطهروا وبعدها يدخلون الجنة ويستطيعون التلطف باسم الإله.

- ورد في القرآن الكريم والنصوص الدينية اليهودية والنصرانية اتخاذهم للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله فهم حسب اعتقادهم الوسيلة بين الله والناس وبيدهم سلطة غفران الخطايا، والتشريع، والتحليل، والتحرير.
- ذكر القرآن الكريم قتل اليهود للأنبياء، وعند الرجوع إلى المصادر الدينية اليهودية وجدنا ذلك عندهم خاصاً في نصوص التلمود حيث أقرّوا فيه بقتل زكريا ويحيى وصلب عيسى عليه السلام.
- تسيطر العنصرية على مفهوم النبوة في اليهودية، إذ النبوة فيها أمر اختص الله به شعبه دون غيرهم من البشر، وعلى هذا الأساس تم تقنين مراتب النبوة في اليهودية، وتسيطر العنصرية على مفهوم النبوة في النصرانية لكن بشكل آخر أوسع فالنبوة ممكنة لكل الشعب المؤمن بالرب يسوع المصلوب لأجل العالم.
- ذكر القرآن الكريم أن اليهود حطوا من شأن عيسى عليه السلام وأمه عندما اتهموها بالزنا، وبالرجوع إلى نصوص التلمود نرى هذا الاتهام وهذا الافتراء إذ يصفونه بأنه ولد غير شرعي.
- تطرف اليهود والنصارى في الأنبياء، فنسبوا إليهم ما تأنف منه الطباع الكريمة من جرائم أخلاقية واجتماعية دنيئة، وما لا ترضى به الفطر السليمة من كفر وإشراك برب العالمين.
- ذكر القرآن الكريم عداوة اليهود لجبريل عليه السلام وبالعودة إلى مصادرهم الدينية وجدت التصريح بهذه العداوة في عدد من النصوص وسبب هذه العداوة حسب زعمهم أنه لا يبشر إلا بالحرب والخراب في حين يصرحون في نصوص أخرى بحبهم لميكائيل عليه السلام ويصفونه بالعظيم لأنه يبشر بالخير والطمأنينة والسلام.
- ذكر القرآن الكريم عقائد النصارى في عيسى عليه السلام مثل اعتقادهم أنه إله واعتقادهم أنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- وبالرجوع إلى نصوص العهد الجديد نرى أنها ذكرت ذلك، والملفت أن هناك الكثير من النصوص الواردة في ثنايا الكتاب المقدس تفند هذا المعتقد مثل النصوص التي ورد فيها عبارات أنه عبد الله، وأنه نبي ورسول مرسل من عند الله، وأنه ابن الإنسان ... السخ، وهذا إن دل على شيء فيدل على مدى التناقض بين تلك النصوص.
- العقيدة النصرانية عقيدة متطورة وخير ما يدل على ذلك كثرة المجامع المنعقدة والتي أقرت من خلالها عقيدة التثليث وعقيدة تأليه الروح القدس. والقرآن الكريم ذكر هذه العقيدة لكن العهد الجديد تخلو نصوصه من ذكر هذه العقيدة بشكل واضح وصريح باستثناء نص واحد يعتمد عليه النصارى في التدليل على التثليث، ورد في إنجيل يوحنا: ١: ٣٣.

- ذكر القرآن الكريم عقيدة تأليه النصارى لمريم -عليها السلام- ويدعي النصارى عدم تأليههم لها ولكن هناك الكثير من المظاهر التي يتبعوها تدل على ذلك منها اعتبارها أمًا للإله، والتوجه إليها بالصلاة والدعاء...
- ذكر القرآن الكريم اعتقاد النصارى في صلب عيسى عليه السلام على أيدي اليهود وبالعودة إلى نصوصهم الدينية نجد ذلك موجودًا عندهم. والقرآن الكريم بين أن عيسى عليه السلام لم يصلب بل رفعه الله إليه، والنصارى تعتقد أن عيسى عليه السلام قد رفع ولكن بعد أن صلب ودفن قام من القبر بعد ثلاثة أيام رفع إلى السماء.
- بعد أن ذكر القرآن الكريم عقائد اليهود والنصارى، ذكر عدة مناهج لتصحيح تلك العقائد، منها المنهج العقلي، والمنهج الحوارى، ومنهج الترغيب والترهيب.

المصادر والمراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) الكتاب المقدس، دار الشروق، بيروت، ط٦، ١٩٩٥م.
- كتب اللغة:**
- (٣) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث، قطر.
- (٤) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- (٥) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- (٦) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقيسي المصري، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة.
- (٧) البستاني، بطرس (ت ١٨٨٣م)، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٣م.
- (٨) الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.
- (٩) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ترتيب: محمود خاطر، دار الحديث، القاهرة.
- (١٠) رضا، أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م.
- (١١) الزبيدي، أبو فيض السيد مرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط١.
- (١٢) صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.
- (١٣) غالب، حنا، كنز اللغة العربية، موسوعة المترادفات والأضداد والتعابير، مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- (١٤) الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٨هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية المسمى الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

- (١٥) الفراهيدي، عبد الرحمن الخليل (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المحزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- (١٦) فرحان يوسف شكري فرحان، معجم الطلاب، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠م.
- (١٧) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
- (١٨) مجمع اللغة العربية، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٦م.
- (١٩) المنجد الأبجدي، دار الشروق، ط ٣، بيروت.
- (٢٠) المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق، بيروت.
- (٢١) الهويدي، محمد محمد الهويدي، الفقه والأصول والنحو والصرف والمنطق والفلسفة، دار النون، دمشق، ط ١، ص ١٤٢٠هـ.
- (٢٢) اليماني، محمد بن محمد بن عبد الجبار بن محمد السماوي (ت ١٣٣٠هـ)، الموسوعة العربية في الألفاظ الهندية والشذرات اللغوية، دار الأدب، بيروت، ط ٢، ص ١٩٨٩م.

كتب التفسير:

- (٢٣) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٤م.
- (٢٤) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٢٨٤هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
- (٢٥) ابن عباس، تفسير ابن عباس، المسمى صحيفة علي بن أبي طالب عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، ترجمة: راشد الرحال، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
- (٢٦) ابن عربي، أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، تفسير ابن عربي، تقديم: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- (٢٧) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، ١٩٧٥م.
- (٢٨) ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- (٢٩) ابن وهب، محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري (ت ٣٠٨هـ)، الواضح في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.
- (٣٠) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى الصمادي الحنفي (ت ١٩٥هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٣١) أبو حاتم، عبد الرحمن بن إدريس (ت ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم مسنداً إلى رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩م.
- (٣٢) الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تعليق: محمد الأحمد الأمد وعمر السلامي، دار إحياء التراث، بيروت.
- (٣٣) الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت.
- (٣٤) الأندلسي، أبو حيان، النهر الماد من البحر المحيط، تحقيق: عمر الأشقر، دار الجبل، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
- (٣٥) البصري، الحسن، تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق: محمد عبد الرحيم، دار الحديث، القاهرة.
- (٣٦) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- (٣٧) البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج أحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
- (٣٨) البيضاوي، ناصر الدين عبد الله أبو عمر الشيرازي (ت ٧٩١هـ)، تفسير البيضاوي، المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، والتعليق على حاشية البيضاوي: لأبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني.
- (٣٩) الثعالبي، سيدي عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
- (٤٠) الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٤١) الجمل، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهر بالجمال (ت ١٢٠٤هـ)، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

- (٤٢) الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠هـ)، الباب في علم الكتاب، ترجمة: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- (٤٣) الحنفي، عصام الدين إسماعيل بن محمد (ت ١١٩٥هـ)، حاشية الفتوي علي تفسير الإمام البيضاوي، ومعه مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي (ت ٨٨٠هـ)، حاشية ابن المجيد، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- (٤٤) حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- (٤٥) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت ٧٢٥هـ)، تفسير الخازن، المسمى التأويل في معالم التنزيل، تحقيق: عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- (٤٦) الرازي، فخر الدين ابن ضياء الدين (ت ٦٠٤هـ)، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تقديم: خليل محي الدين الزين، دار الفكر، بيروت.
- (٤٧) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، دار المعرفة، ط٢، بيروت.
- (٤٨) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- (٤٩) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن في وجود التأويل، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.
- (٥٠) الساريسي، عمر عبد الرحمن، تعريفات الراغب الأصفهاني، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.
- (٥١) السائس، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، تحقيق: طه عبد الرؤوف مسعد، دار ابن الأثير، دمشق، ١٩٩٤م.
- (٥٢) السمرقندي الحنفي، أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تأويلات أهل السنة، ترجمة: فاطمة يوسف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- (٥٣) السمرقندي، أبو الليث ناصر إبراهيم (ت ٣٧٥هـ)، تفسير السمرقندي المعروف ببحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، منشورات دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.
- (٥٤) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالماثور، تقديم: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- (٥٥) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، أسباب النزول، دار إحياء التراث العربي.

- (٥٦) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠هـ) فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، مصر، ط٢، ١٩٩٧م.
- (٥٧) الصابوني، محمد علي الصابوني، قيس من نور القرآن، دراسات قرآنية، دار القلم، دمشق، ١٩٨٨م.
- (٥٨) الصاوي، أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي (ت ١٢٤١هـ)، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ضبط وتصحيح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- (٥٩) الطبرسي، أمين الدين أبو علي الفضل بن علي (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- (٦٠) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تهذيب: صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٧م.
- (٦١) العز، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الدمشقي الشافعي (ت ٦٦٠هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد الله إبراهيم بن عبد الله الوهيبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- (٦٢) فيصل آل مبارك، فيصل بن عبد العزيز (ت ١٣٦٦هـ)، تفسير توفيق الرحمن في دروس القرآن، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٩٩٦م.
- (٦٣) القاسمي، محمد جمال الدين (ت ١٣٢٢هـ)، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- (٦٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تقديم: خليل محي الدين الميس، بيروت، ١٩٩٤م.
- (٦٥) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط٣٢، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- (٦٦) الماوردي، البصري، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، تفسير الماوردي، تعليق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- (٦٧) المراغي، أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- (٦٨) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق الأقاويل، تقديم: قاسم الرفاعي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- (٦٩) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد حسين (ت ٧٢٨هـ)، تفسير غرائب القرآن وغرائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

- (٧٠) الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ترجمة: عادل أحمد عبد الجواد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.
- (٧١) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م.
- كتب الحديث:**
- (٧٢) ابن الأثير، مجد الدين ابن المبارك بن محمد السعادات (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تعليق: أبو صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
- (٧٣) ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد السلمي البغدادي (ت ٧٩٥هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط ٧، بيروت.
- (٧٤) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.
- (٧٥) أبو شيبة، أبو بكر بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- (٧٦) الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، دار المعارف، الرياض، ١٩٩٢م.
- (٧٧) البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، الجامع المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد بن زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢م.
- (٧٨) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢هـ)، مسند البزار (البحر الزخار)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- (٧٩) بن حنبل، أحمد أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- (٨٠) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، وزارة الأوقاف المصرية، ط ١، ١٣٤٤هـ.
- (٨١) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- (٨٢) الطحاوي، أبو جعفر أحمد سلامة بن سلمة الأزدي (ت ٨٣٢١هـ)، مشكل الآثار، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٣٣٣هـ.
- (٨٣) العسقلاني، أحمد بن محمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
- (٨٤) مسلم، مسلم بن حجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٨٥) النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٣٦٧هـ.
- (٨٦) النووي، أبو الفداء زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٧٦هـ)، شرح صحيح مسلم، ضبط وتوثيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- (٨٧) النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا وعليه تعليقات الذهبي في التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.

العقيدة والأديان:

- (٨٨) ابن تيمية، أبو عباس تقي الدين أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، النبوة والأنبياء، تحقيق: عبد العزيز الطويان، دار العلم للجميع، بيروت، ١٩٨٧م.
- (٨٩) ابن تيمية، أبو عباس تقي الدين أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق وتعليق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٩٩٩م.
- (٩٠) ابن رشد، محمد بن أحمد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق: محمود قاسم، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٦٤م.
- (٩١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: محمد الحاج، دار الشامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
- (٩٢) ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرین وعارضة بأصول العربية والعبرية، تحقيق: حسين أتابي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- (٩٣) أبو الريش، موسى، والمفتي، محمد مختار، إظهار الحق في الأديان والفرق، دار الإسمراء، عمان، ١٩٩٢م.

- (٩٤) أبو العز الحنفي، صدر الدين أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م.
- (٩٥) أبو زهرة، محمد، تاريخ الجدل، مطبعة العلوم بمصر، ١٩٣٤م.
- (٩٦) أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية، نهضة مصر، ط ٢، ١٩٦٤م.
- (٩٧) إفدوكيموف بول، الروح القدس في التراث الأرثوذكسي، نقله إلى العربية المطران إلياس نجمة، قدّم له المطران جورج خضر، المكتبة البولسية، لبنان، ط ١، ١٩٨٩م.
- (٩٨) الأندلسي، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مطبعة عكاظ، ١٩٨٢م.
- (٩٩) الأندلسي، ابن حزم، تورا اليهود، تقديم: عبد الوهاب عبد السلام، دار القلم، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤م.
- (١٠٠) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٥٦هـ)، المواقف، صححه: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، دار السعادة، مصر، ط ٢، ١٩٠٧م.
- (١٠١) الباجه جي زاده، عبد الرحمن، الفارق بين الخالق والمخلوق، تصحيح ومراجعة: عبد المنعم فرج درويش، ١٩٨٧م.
- (١٠٢) البار، محمد علي، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٠م.
- (١٠٣) الباش، حسن، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، دار ابن قتيبة، دمشق، ط ١، ٢٠٠٠م.
- (١٠٤) الباش، حسن، الكتاب والتوراة عندما باع الحاخامات موسى النبي، دار قتيبة، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤م.
- (١٠٥) بباوى، نبيل لوقا، الوحدة الوطنية وخطورة مناقشة العقائد والغيبيات المقدسة في الإسلام والمسيحية واليهودية، ط ١، ٢٠٠٤م.
- (١٠٦) برانائيتس، الأب أي، بي، فضح التلمود، تعاليم الحاخامين السرية، إعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م.
- (١٠٧) البرشومي، محمد، المسيح بين الإنجيل والقرآن، الكتاب الذهبي، القاهرة.
- (١٠٨) برو، الأب ميغال برو (١٨٩١-١٩٢٧)، يحيا المسيح الملك، تقديم: الأب، إميل الحادج البولسي، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
- (١٠٩) بوكاي، موريس، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة والعلم، دار الأفكار، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

- (١١٠) البيروني، محمد بن طاهر، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق: محمد عبد الله الشرفاوي، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.
- (١١١) البيروني، محمد بن محمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ)، تاريخ الأمم الشرقية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- (١١٢) البيشاوي، سعيد، دراسات في الأديان والفرق، دار الاتحاد، عمان، ١٩٩٠م.
- (١١٣) التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عبد الله التفتازاني الشافعي (ت ٧٩٣هـ)، شرح المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- (١١٤) التهاوني، محمد علي بن قاضي محمد الفاروقي الحنفي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، كان حياً سنة (١١٥٨هـ)، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- (١١٥) الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تحقيق: عبد المنعم الحنفي، دار الرشد، القاهرة.
- (١١٦) جعفر، محمد كمال، الإنسان والأديان، دار الثقافة، قطر، ط١، ١٤٠٦هـ.
- (١١٧) الجويني، عبد الملك بن عبد الله، الإرشاد إلى قواطع الأدلة وأصول الاعتقاد، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخالجي، القاهرة، ١٩٥٠م.
- (١١٨) حجازي، عوض الله، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٧٤م.
- (١١٩) حربي محمد، ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- (١٢٠) حلمي، مصطفى، الإسلام والأديان، دراسة مقارنة، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٣، ١٩٩١م.
- (١٢١) حمد، حسين علي، قاموس المذاهب والأديان، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- (١٢٢) الخالدي، صلاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧م.
- (١٢٣) الخالدي، صلاح، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، لندن، ط٣، ١٩٩٨م.
- (١٢٤) الخطيب، عبد الكريم، الله والإنسان، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧١م.
- (١٢٥) الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ.
- (١٢٦) الخولي، محمد علي، حقيقة عيسى المسيح، دار الفلاح، عمان، ط١، ١٩٩٠م.
- (١٢٧) خياطة، نهاد، الفرق والمذاهب المسيحية، دار الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.
- (١٢٨) دراز، محمد عبد الله، "الدين"، بحوث ممهدة لدراسة الأديان، دار العلم، القاهرة، ١٩٥٢م.

- (١٢٩) الدوري، قحطان عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، دار العلوم، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.
- (١٣٠) ديدات، أحمد، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ترجمة: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة.
- (١٣١) ديورانت، وال، قصة الحضارة، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.
- (١٣٢) زاهر، رفقي، قصة الأديان، دار الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م.
- (١٣٣) زيد آل محمود، عبد الله، الإصلاح والتعديل فيما طرأ على اسم اليهود والنصارى من التبديل، قطر.
- (١٣٤) الساموك، سعدون محمود، مقارنة الأديان، دار الأوائل، عمان، ٢٠٠٣م.
- (١٣٥) السحمراني، أحمد، من اليهودية إلى الصهيونية، بيروت، ١٩٩٣م.
- (١٣٦) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، منشورات العربي للإعلان، دمشق، ط٦، ١٩٨٦م.
- (١٣٧) الشامي، رشاد، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري، ط٢، ٢٠٠٠م.
- (١٣٨) الشتيوي، محمد رجب، النصرانية دراسة مقارنة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.
- (١٣٩) الشرقاوي، محمد عبد الله، الكنز المرصود في فضائح التلمود، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.
- (١٤٠) الشرقاوي، محمد عبد الله، في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، دار الهداية، مدينة نصر، ط١، ١٩٨٦م.
- (١٤١) شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، اليهودية والمسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٨٢م.
- (١٤٢) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم أحمد الشهرستاني الشافعي (ت ١١٥٣هـ)، الملل والنحل، تعليق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.
- (١٤٣) الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، مكتبة داود، ط٢، ١٩٨٠م.
- (١٤٤) الصادقي، محمد، عقائدنا، دار الصادق، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.
- (١٤٥) صالح، سعد الدين سيد، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، مكتبة التابعين، القاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ.
- (١٤٦) طعيمة، صابر عبد الرحمن، التراث الإسرائيلي في العهد القديم، رسالة جامعية، القاهرة.
- (١٤٧) طنطاوي، محمد سيد، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الزهراء، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
- (١٤٨) الطهطاوي، محمد عزت، الميزان في مقارنة الأديان (حقائق ووثائق)، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٣م.
- (١٤٩) الطهطاوي، محمد عزت، النصرانية في الميزان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

- ١٥٠) الطهطاوي، محمد عزت، النصرانية والإسلام، دار الأنصار، القاهرة.
- ١٥١) الطويل، السيد رزق، بنو إسرائيل في القرآن، دار المعارف، القاهرة.
- ١٥٢) ظاظا، حسن، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ١٥٣) عبد الباري، فرج الله، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٢م.
- ١٥٤) عبد المحسن، عبد الراضي محمد، المعتقدات الدينية لدى الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.
- ١٥٥) عبد الوهاب، أحمد، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م.
- ١٥٦) عبده، محمد (ت ١٩٠٥م)، رسالة التوحيد، تعليق محمد رشيد رضا، دار المنار، مصر، ١٣٧٦هـ.
- ١٥٧) العدوي المالكي، أبو البركات، أحمد بن محمد بن أحمد الدردير (ت ١٢٠١هـ)، شرح الخريدة البهية، وهي منظومة في العقائد لشارحها: أبي البركات أحمد الدرديري وعليها حاشية الصاوي، أحمد بن محمد المالكي الخلوتي (ت ١٢٤١هـ)، مكتبة القاهرة، مطبعة حجازي.
- ١٥٨) عز الدين إبراهيم، الحوار الإسلامي المسيحي، المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف، دار قتيبة، ط١، ١٩٩٨م.
- ١٥٩) العزنوي، أحمد بن محمد محمود الحنفي (ت ٥٩٣هـ)، أصول الدين، تحقيق وتعليق: عمر وفيق الداعوق، دار البشائر، ط١، ١٩٩٨م.
- ١٦٠) العطار، أحمد عبد الغفور، اليهودية والصهيونية العالمية، دار الأنلس، بيروت، ١٩٧٢م.
- ١٦١) العقاد، عباس محمود، التفكير فريضة إسلامية، دار المعارف، القاهرة.
- ١٦٢) العقاد، عباس محمود، الله، دار المعارف، ط٣، القاهرة.
- ١٦٣) العلوي، هادي، مطلعات في الكتب المقدسة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ١٦٤) علي، فؤاد حسنين، اليهودية واليهودية المسيحية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م.
- ١٦٥) الغزالي، محمد، اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- ١٦٦) الغزالي، محمد، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ١٤٠٢هـ.
- ١٦٧) غنيم، عبد الرحمن، اليهود بين القرآن والتوراة ومعطيات التاريخ القديم، دار الخليل، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.
- ١٦٨) الفاوي، عبد الفتاح أحمد، المسيحية بين النقل والعقل، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- ١٦٩) فرويد، سيغمون، موسى والتوحيد، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٣م.

- (١٧٠) قاسم، علي حسين، الله والإنسان في الفكر اليهودي المعاصر، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.
- (١٧١) القضاة، أمين، أديان و فرق، المكتبة الوطنية، عمان، ١٩٩٠م.
- (١٧٢) الكشميري، محمد أنور شاه الهندي (ت ١٣٥٢هـ)، التصريح بما تواتر في نزول المسيح، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٤، ١٩٨١م.
- (١٧٣) كنعان، جورج، مفهوم الألوهية في الذهن العربي القديم، دار بيان، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
- (١٧٤) المرصفي، سعد المرصفي، الرسول واليهود وجهًا لوجه، أسطورة الوطن اليهودي، دار المنار، الكويت، ط١، ١٩٩٢م.
- (١٧٥) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ١٩٧٥م.
- (١٧٦) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- (١٧٧) مظهر، سليمان، قصة العقائد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.
- (١٧٨) المغربي، عبد الحق الإسلامي، الحسام الممدود في الرد على اليهود، تحقيق وتعليق: عمرو وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- (١٧٩) الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال، العبادات في الديانة اليهودية، دار الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.
- (١٨٠) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط٧، ١٩٩٤م.
- (١٨١) نجار، نهى، الديانة المسيحية، دار الفكر اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٩٥م.
- (١٨٢) نجيب، مكرم، قضايا الروح القدس، دار الثقافة، ط١، ١٩٩٤م.
- (١٨٣) نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، إشراف بطرس عبد الملك وآخرون، دار الثقافة.
- (١٨٤) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الرياض، ١٩٨٩م.
- (١٨٥) النسفي، أبو معين ميمون بن حمد (ت ٥٠٨هـ)، تبصرة الأدلة في أصول الدين على طريقة الإمام أبي منصور الماتريدي، تحقيق: كلود سلامة، منشورات المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، ط٢، ١٩٩٠م.
- (١٨٦) النشار، علي سامي، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، دار المعارف المصرية، ط٢، ١٩٦٢م.
- (١٨٧) همو، عبد المجيد، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٣م.

(١٨٨) همو، عبد المجيد، الله أم يهوه أيهما إله اليهود، تحقيق: إسماعيل الكردي، دار الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م.

(١٨٩) همو، عبد المجيد، حقيقة إسرائيل، دار الحافظ، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

(١٩٠) همو، عبد المجيد، ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية، مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي، دار الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م.

(١٩١) الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن الكندهلوي العثماني (ت ١٣٠٨هـ)، إظهار الحق، تحقيق: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية، والإفتاء والدعوة، الرياض، ١٩٨٩م.

(١٩٢) وافي، عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٤م.

(١٩٣) وصفي، محمد، المسيح والتثليث، تقديم: محمد عبد الله السمان، مراجعة: علي الجوهرري، دار الفضيلة، القاهرة.

الكتب الأخرى:

(١٩٤) بدوي، أحمد، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، ط٣، الكويت، ١٩٧٧م.

(١٩٥) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.

(١٩٦) الحوار الإسلامي المسيحي.

(١٩٧) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

(١٩٨) الزركلي، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم، بيروت.

(١٩٩) زيادة خليل، الحوار والمناظرة في القرآن الكريم، دار المنار.

(٢٠٠) زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

(٢٠١) الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالتوفيات، دار القلم، دمشق، ١٩٩١م.

(٢٠٢) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، ط٤، ١٩٩٤م.

(٢٠٣) فضل الله، محمد حسين، الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه معطياته، الدار الإسلامية، ط١، ١٩٧٩م.

(٢٠٤) القرضاوي، يوسف، المنتقى من كتاب الترغيب للمعزري، دار الوفاء، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

(٢٠٥) مشاعل، علي، الخلاصة في مناهج البحث العلمي، مطبعة رأس الخيمة، ط.....، ١٩٩٦م.

(٢٠٦) الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط٢، ١٩٨٦م.

- (٢٠٧) المويل، محمد كمال، الحوار في القرآن الكريم، تقديم: مصطفى سعيد الخن، دار الفارابي، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.
- (٢٠٨) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر المعاصر، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.
- (٢٠٩) النحلاوي، عبد الرحمن، التربية بالحوار، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م.
- (٢١٠) الوقفي، إبراهيم أحمد، الحوار لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

المهتدين

الرسائل:

- (٢١١) الراعوش، عماد طه أحمد، المنهج العقلي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ١٩٩٨م.
- (٢١٢) الرجببي، إيمان بنت محمد، الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٤م.
- (٢١٣) سامور، عبد الحكم، الهدي النبوي في الحوار مع غير المسلمين، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٧م.
- (٢١٤) الشعبي، عبد المجيد، الحوار في القرآن الكريم موضوعه وفوائده، رسالة دكتوراه، صنعاء، ٢٠٠٧م.
- (٢١٥) عشا، آلاء محمد عصام، الجانب المادي في الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م.
- (٢١٦) العيسى، خزامي محمد، حاجة أهل الكتاب كما وردت في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٠م.
- (٢١٧) غرابوس، سراج، اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام - دراسة مقارنة -، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ١٩٩٧م.
- (٢١٨) القضاة، محمد عدنان علي، مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٣م.
- (٢١٩) ماليزار، جوهر عارفين، الهدي النبوي في التعامل مع أهل الكتاب في المناسبات الاجتماعية، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م.

- (٢٢١) الحباشنة، بهجت عبد الرزاق، الدين مفهومه وحقيقته في ضوء القرآن والسنة، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية الإدارية)، مجلد ٥، عدد ٢، ٢٠٠٤م.
- (٢٢٢) الحباشنة، بهجت عبد الرزاق، كتاب اليهودية لدكتور أحمد شلبي في ميزان القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد (١٨)، العدد (٧).
- (٢٢٣) طه، عزمي، المنهج العلمي عند الكندي، المجلة الفلسفية العربية، مجلد ٤، عدد ٤، ١٩٩٦م.
- (٢٢٤) الكور، إبراهيم، النقائص والعيوب في مناهج البحث العلمي، مجلة الحكمة، عدد ١٣، لندن، ١٤١٨هـ.

المصادر الإنجليزية:

- 225) Alan Untermen, Dictionary of Jewish lore and Legend.
- 226) Barry W. Holtz, Back to the Sources Reading the Classic Jewish.
- 227) Cercil Roth, A history of the Jews.
- 228) David Benjamin, Muhammad in the Bible, (Singapore, 1980), Third edition.
- 229) E. Glose, Judaism, (London, 1991).
- 230) Gordon M. Freeman, The Heavenly Kingdom, (London, 1986).
- 231) J. Neusner, An Introduction, to Judaism.
- 232) Jacob Neusher, An Introduction to Judaism.
- 233) John Bright, A History of Isreal.
- 234) M. G. Eastoin, Illustrated bible Dictionary.
- 235) M. Werner, The formation of Christian Dogma, (London, 1957).
- 236) Mehachem Mor, Jewish Sects and religious movement (Omaha, Nebbaska, 1990).
- 237) Philip S, A lexander, Judaism, (Glasgow, 1984).
- 238) Prof, "Abdu L-Ahad Dawud (Former Bishop of Uramiah) Muhammad in the Bible, (Doha, 1980), 3ed edition.



The Jews and Christian's Faith in the Qur'an and its connection with their Holy Book

"Comparative analytic study"



Abstract

This work deals with the faith of Jews and Christians which have been mentioned in the Holy Qur'an and its connection with their Holy Books.

This academic work consists of four chapters, introduction and conclusion. The first chapters deals with definition of the terms, the second deals with the faith according to Judaism, the third about the faith according to Christianity and the fourth deals with the methods of the Holy Qur'an in the correction of the Jewish and Christian's faith.